

مجلة المعجمية - تونس

ع 5-6

1990

## أهداف الندوة كلمة الافتتاح

للأستاذ الدكتور محمد رشاد الحمزاوي  
رئيس جمعية المعجمية العربية بتونس

1 - 1 : لقد عزمنا على عقد هذه الندوة العربية الدولية بتونس سنة 1989 بعد ان أدرجناها منذ تكوين جمعية المعجمية العربية في برنامجنا، لأننا قررنا ان ننظر في قضية من أهم القضايا التي لها صلة وثيقة بترائنا وحاضرنا ومستقبلنا، ونعني بذلك المعجم التاريخي العربي (متع) - فهو بالنسبة اليها حلقة من الحلقات المفقودة في الثقافة العربية الاسلامية، ويبدو لنا إشكالية قائمة الذات، وأزمة فكرية شديدة الوقع بقدرما نلاحظ :

- أ - مرور أربعة عشر قرنا على الثقافة العربية الاسلامية دون ان يكون لها معجم تاريخي يؤرخ لكلامها، وبيانها وأسلوبها، وبالأحرى لخطابها بأنواعه وتفكيرها في تراثه ومختلف اتجاهاته إسوة بمثيلاتها من الحضارات الانسانية الكبرى التي نظمت ماضيها، وأصلت حاضرها، وأعدت العدة لمستقبلها، فعز علينا أن تظل لغتنا وحضارتها بدون

تاريخ من شأنه أن يحفظها ويؤيد مالها من قيمة ومن جدة.  
ب - قيام هذه المسؤولية في الماضي على عاتق المستشرقين  
على جليل اعمالهم، دون ان يكون فيها للعرب ضلع في  
العصور الحديثة، إذ ان التفكير في اول معجم عربي تاريخي  
والتطبيقات له كان من مبادرة المستشرق الالماني أوغيسست فيشر  
الذي تبنى مجمع اللغة العربية بالقاهرة مشروعه سنة 1935  
دون ان ينجزه لأسباب يطول شرحها.

ج - مرور ما يقرب من نصف قرن على قبر مشروع فيشر  
سنة 1949 بالاقطار العربية، وعودته الى المانيا حيث عنيت  
به جامعة توبنغن دون غيرها. ولقد خير مجمع اللغة العربية  
تعويضه بالمعجم الكبير في انتظار ما يتوفر من الكفاءات  
والاستعدادات لقيام مشروع جديد.

د - قناعة أهل الذكر من المعجميين العرب المسلمين لا  
سيما بتونس بأن المعجم التاريخي العربي مسؤولية علمية  
وثقافية وحضارية قد أن الاوان للعناية بها تنظيرا وتطبيقا  
ولانجازها في نطاق العالم العربي الاسلامي بالتعاون مع  
المؤسسات الشقيقة والصديقة.

1 - 2 : إن المعجم التاريخي العربي أصبح ضرورة لا غنى عنها في  
عصر الاعلاميات والتوثيق والمعلومات المتنوعة، فهو يعتبر  
أداة وظيفية متعددة المقاصد يستحيل الاستغناء عنها:  
فهو ذاكرتنا اللغوية والثقافية والحضارية المنظمة التي تضبط  
رصيدنا الفكري، وتكون مرجعنا العلمي الأمين الذي نعود  
اليه وثيقة موضوعية، ومدونة من النصوص الثابتة التي تقوم  
حجة تاريخية لا جدال فيها. فهو آلية من الآليات الممنهجة  
التي تؤرخ لحضارتنا وثقافتنا من خلال خطابنا اللغوي، لا  
سيما وان الاعتقاد يسود بان اللغة مرآة عن العقائد والمذاهب

والمجتمعات وما يطرأ عليها من تطورات .  
وهو المقياس الذي يمكن ان نقيس عليه لقضايا أساسية لغوية وعلمية وأدبية وجمالية . فيكفي ان نتفق على مناهجه ومحتواه لتتطرق الى مسائل ساخنة متعددة مثل مسألة الفصحاة وإشكالياتها وصلاتها بأساليب العربية القديمة والحديثة ولهجاتها المعاصرة . فهو يؤسس للقضايا اللغوية الكبرى ويوصلها من خلال ما فيه من شواهد على نمو اللغة الطبيعي والمجتمعي ، بأن التطور اللغوي العربي أمر يكاد يكون محتوماً ، تستجبه حاجات مجتمعا التّواقة الى التقدم والرقي . فهو النص الكبير الجامع الشامل لجميع علوم اللغة والذي يؤهلنا لأن ننزل لغتنا وخطابها وحضارتها منزلتها من نفسها ومن غيرها .

وهو الاداة التربوية المركزية التي ستسمح لنا بتصور وظائف المعاجم الاخرى التي تنشأ منه ومن مادته ومناهج تربيته ، لتكون في خدمة المستفيدين منها باعتبار ان المعجم ليس خزانة تراكم فيها المعلومات والمعارف ، بل هو أداة تعرف بوظيفتها وما تستلزمه من معارف ومنهجيات دون اسقاط ولا تكرار ولا إهمال . فالمعجم الموسوعة ليس معجم الطلاب ولا معجم الأدباء ، ولا معجم السياح ولا معجم الاختصاصيين . ولذلك سيكون المعجم التاريخي العربي المركز الدوار الذي تدور في فلكه المعاجم الأخرى مهما تباعدت أهدافها ومقاصدها .

1- 3 : ولقد جدّت ظروف جديدة ساعدت مساعدة جادة على تنظيم هذه الندوة وعلى التفكير في انجاز معجمنا التاريخي العربي منها :

1 - حاجتنا الملحة لتنظيم شؤون بيتنا العربي اللغوي

والحضاري ونحن على ابواب القرن الواحد والعشرين .  
- 2 - تطور العلوم اللسانية عموما والمعجمية خصوصا في العالم العربي ولا سيما بتونس ، مما زودنا بمنهجيات وتقنيات من شأنها ان تيسر علميا وماديا مبادرتنا في انجاز المعجم التاريخي العربي . فالمعجميات وتطبيقاتها الاعلامية والحاسوبية قد أتت بالعجب العجيب من حيث استقراء النصوص وتصنيفها ادخالا واستخراجا ، وإدراجها في مناطق ونظم لا تحصى ، مما سيساعدنا على طي المراحل وعلى اعتبار المعجم التاريخي العربي معجزة غير عسيرة الادراك .

- 3 - ايمان الجامعة التونسية وكلية الآداب وقسم العربية منها بأهمية هذا الهدف وجدواه منذ مدة طويلة ، لاننا نكاد نفرد في كل الجامعات العربية ، لاعتبارنا ، المعجم العربي مسألة علمية وثقافية أساسية وحضارية ؛ فنزلناها منذ عشرين سنة بالبحث والدرس والتدريس والتأليف ، منزلتها التي تقرّ بها للنظريات المعجمية العربية من ريادة وطرافة وجرأة كثيرا ما كانت مغبونة بين أهلها ، فضلا عما لحقها من الجحود والنسيان في الخارج .

- 3 - نشأة جمعية المعجمية العربية بتونس التي أقرت في اول ما أقرت العناية بالمعجم التاريخي العربي وانجازه حتى تؤدي تونس ما عليها من واجب في هذا الميدان . وما ندوتنا هذه الا خطوة من خطوات نضالنا العلمي من أجل هذا الهدف الذي دعونا اليه في مؤتمراتنا السابقة ، وفي مجلة المعجمية الناطقة بلسان جمعيتنا ، وقد بلغت عددها الرابع .

1 4 : إن هذه الندوة تعتبر الخطوة الأولى في سبيل انجاز المعجم التاريخي العربي . وهي عندنا بمثابة وقفة الخبرة والتأمل والبناء

والنقد في المستوى النظري والتطبيقي ، قبل ان ننطلق في شهر  
يناير 1990 ، في نطاق الجامعة التونسية في انجاز معجمنا  
التاريخي ، لا سيما من حيث استقرار مصادره ومراجعته ، وإقرار  
مكتبته ، ووضع مناهجه وتقنياته اللسانية والمعجمية ، وتركيز  
بنيتها الادارية .

ولقد آزرت عملنا هذا وزارة الثقافة والاعلام التي ما  
انفكت واقفة وراءنا فأيدت تكوين جمعيتنا ، ودعمت مجلتنا  
ماضيا وحاضرا ، وساعدت على تنظيم ندوتنا الاولى حول  
«إسهام التونسيين في اثراء المعجم العربي» ، وندوتنا الثانية حول  
«مأثرية الشدياق والبستاني ودوزي» ، وندوتنا الثالثة هذه حول  
«المعجم التاريخي العربي : قضايا ووسائل انجازه» .

امّا وزارة التعليم العالي والبحث العلمي بالجمهورية  
التونسية ، فلقد رصدت لموضوعنا لسنة 1990 - 1991 مبلغا  
أوليا قدره 25 000 دينار تونسي دعما للخطوات المنهجية  
الاساسية الاولى ، مما يفيد بعناية تونس بالمعجم العربي  
التاريخي . والمشروع مفتوح في وجه كل من يريد الاسهام فيه  
حسب طرق ومناهج يمكن الاتفاق عليها ، شريطة ان يتقدم  
الركب ولا يتيه في التكهنات واستصعاب الهدف ، لأننا نؤمن  
بما لنا من تجربة وممارسة في ميدان المعجمية العربية بأن اللغة  
العربية لغة تاريخية تستحق ان تدخل التاريخ بمعجمها  
التاريخي ليشهد على وجودنا في التاريخ وامتزجتنا منه . وطموحنا  
ان نتجاوز المعجم التاريخي العربي لوضع معاجم أخرى أهم  
منه ، ولنؤسس لصناعة ثقافية معجمية ثقيلة مزدهرة تشع على  
ثقافتنا وحضارتنا ونمونا ، كما هو الشأن في الأقطار المتقدمة .

# تاريخ المعجم التاريخي العربي (متع) في نطاق العربية : المبادرات الرائدة

بحث : الاستاذ الدكتور محمد رشاد الحمزاوي

أ العرب وقضية التاريخ لمعجمهم :

إنّ الحديث عن المعجم العربي التاريخي في العصور الحديثة وعن قضاياها ووسائل انجازه، وعن مقارنته الأولى في زماننا هذا، تستوجب قبل الحديث عنها ان نتساءل عن الأسباب والمسببات الممكنة التي منعت من ان يدرك العرب القسدي والمحدثون مفهوم المعجم التاريخي، مثلما هو الشأن في أوروبا. ويزداد استغرابنا من هذا الموقف بقدر ما نعلم ان المعجمية العربية أطول عمرا وأرسخ قدما من المعجمية الأوروبية بجميع أنواعها وأجناسها. فان ربطنا المعجمية العربية في مفهومها الكلاسيكي بكتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـ)، لاحظنا ان المعجمية العربية قد قطعت أشواطاً هامة، وخلقت نماذج من المعاجم المتميزة لم تدركها المعجمية الأوروبية الرائدة الا في القرنين السابع عشر والثامن عشر، وما بعدهما إذ لم يظهر مصطلح المعجمية (Lexicographie) الا في سنة 1680

م بانكلترا وسنة 1716 م بفرنسا<sup>(1)</sup>.

1 - 2 : تواجهنا في هذا الصدد معطيات متناقضة لا يمكن لنا ان نعتمدها حجة كافية للحكم على العرب أو لهم في هذا الميدان، إذ توجد احتمالات عديدة عن موقف المعجمية العربية من المعجم التاريخي العربي. إن عصر التدوين الذي ابتدأ حوالي سنة 148هـ قد كان منطلقا لمبادرات عديدة لا تخلو من الجرأة ورورح المغامرة. فلقد طلع علينا الخليل في كتاب العين بنظرية معجمية مكتملة بلغت أصدائها العصر الحديث ونظرياته<sup>(2)</sup>. وزودنا سيويه في نفس الفترة تقريبا بالكتاب، وهو مؤلف جامع شامل له أبعاد لسانية وبنوية لا تحفى<sup>(3)</sup>، فكيف لم يفكرا مع غيرهم من المعجميين بالخصوص، في التاريخ لألفاظ اللغة المستوعبة في المعاجم، خاصة وان الخلافات في الرواية الشعرية كانت متفشية، والرواية في الحديث مضطربة، وقراءات القرآن متعددة، والشعرية في الأفق معلنة، مما كان يفرض ضرورة التأريخ لهذه التظاهرات سعيا إلى التوفيق بينها، إسوة بتقاليد ثقافية تعتمد التأريخ أساسا لها، من ذلك سيرة الرسول (صلعم)، وتاريخ الخلفاء، والصحابة والتابعين، وأعمال الملوك والأمراء، ومناقب الأشراف والصحابة والأولياء، فضلا عما كان للعرب من عناية وشغف بلغتهم لأسباب عقائدية وثقافية وحضارية، حتى قال فيهم أوغيست فيشر، المستشرق الألماني،

---

(1) - محمد رشاد الحمزاوي : اعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة - دار الغرب الاسلامي بيروت 1988 ص 491

(2) - محمد رشاد الحمزاوي : النظريات المعجمية العربية وسبلها في استيعاب الفكر العربي - تونس 1989 - دراسة قدمت لمؤتمر وزراء الثقافة النعقد بالرباط - ديسمبر 1989.

(3) - M.G.Carter التراث اللغوي العربي الاسلامي - ترجمة رشاد الحمزاوي انظر من قضايا المعجم العربي قديما وحديثا - بيروت 1986 ص 179 - 199



والمبادئ الأولى لوضع معجم تاريخي عربي «وإذا استثنينا الصين، فلا يوجد شعب آخر يحق له الفخار بوفرة كتب علوم لغته، وشعوره المبكر بحاجة إلى تنسيق مفرداتها بحسب أصول وقواعد»<sup>(4)</sup>.

1 - 3 : ولقد اعتبر بعضهم أن الثقافة العربية الإسلامية تكاد تتميز عن غيرها بعلم التاريخ الذي رسخ قدمه عبد الرحمان بن خلدون، ووضع مبادئه ومقاصده في تصور المجتمعات والحكم لها أو عليها. فكيف يمكن لهذه التقاليد ألا تهتم بأهم مظهر من مظاهرها، وهو اللغة، ولا تؤرخ لها في معاجنها التي تعتبر في نهاية الأمر مدونات، تؤرخ للغة الإعجاز القرآني وما تبعه؟ وكنا ننتظر آثار معالجة هذه القضية في عهد الاحتجاج (القرن الرابع الهجري) الذي سعى إلى أن ينظر نظرة نقدية إلى الرصيد الثقافي والفكري واللغوي الذي أنتجته الفكر العربي الإسلامي. إلا أننا لا نجد أثراً يذكر في هذا الشأن. ولقد تواصل هذا الامساك عن المسألة حتى العصور الحديثة، مروراً بإضاءة الراموس لأبي الطيب الصميلي المغربي (1699 - 1761)<sup>(5)</sup> الذي أخذ عنه أحمد فارس الشدياق (1804 - 1884) في الجاسوس على القاموس،<sup>(6)</sup> وقد اعتبره بعضهم ثورة على المعجم التقليدي العربي ومناهجه، دون أن يكون للقضية أثر في مؤلفه، وإن كان قد عالج فيه قضايا عديدة تتصل بتحديث المعجم العربي وتطويره. ولم يبرز مفهوم

(4) - أ. فيشر: المعجم العربي التاريخي، القسم الأول، نشر مجمع اللغة العربية بالقاهرة 1387هـ/1967م ص 4

(5) - أبو عبد الله محمد بن الطيب الفاسي الصميلي: إضاءة الراموس وإضافة القاموس على إضاءة القاموس - تحقيق عبد السلام الفاسي والتهامي الهاشمي - مطبعة فضالة بالمحمدية المملكة المغربية - 3 أجزاء والباقي في الانتظار.

(6) - محمد رشاد الحمزاوي: منزلة الجاسوس على القاموس... من إضاءة الراموس بمجلة حوليات الجامعة التونسية عدد 28 (1988) ص 19 - 27

المعجم التاريخي العربي إلا في سنة 1934 ، عندما أنشئ  
مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وعرض عليه المستشرق الألماني  
أوغيست فيشر (1865 - 1949) <sup>(7)</sup> معجمة التاريخي  
العربي.

1 - 4 : فما هي أسباب ذلك؟ يبدو أن الأمر يعود إلى ذهنية ثقافية لا  
تخلو من نظرة عقائدية مركبة، من ذلك أن الصراع الذي قام  
بين ثقافة العصر الجاهلي المتقلص وثقافة العهد الإسلامي  
العربي الصاعد، قد أسس لمفهوم القطيعة بين العهدين  
وتواصل ثقافتهما ولغتيهما وما لهما من صلة رحم. فلغة الجاهلية  
كانت تبدو في مرحلة أولى أساسية غير مؤهلة لتكون بصريح  
القول لغة أمّا للغة القرآن، الذي سيعتمدها ضمناً في الجدل  
والحجج لتأهيل فصاحته وعرويتها، فضلاً عما استعمله من  
لغة الجاهلية ومفاهيمها التي أصبحت مفاهيم إسلامية. <sup>(8)</sup>  
ويعزى ذلك إلى عامل آخر، وهو النفور من كل ما له صلة بعلم  
أصول اللغات وفصائلها وما لها من تعامل وتداخل وأثر وتأثير  
وسبق وتبعية. فالعربية لغة القرآن، وهي بالتالي أم اللغات  
وأشرفها مثلما يؤكد على ذلك أبو منصور الثعالبي في يتيمة  
الذهر <sup>(9)</sup>. ويظهر هذا النفور من التأريخ من خلال المعركة  
القديمة الحديثة المتفجرة المتعلقة بالدخيل والمعرب والأعجمي  
في العربية عموماً، وفي القرآن بالخصوص. ولقد طغى الطابع  
العقائدي <sup>(10)</sup> على المظهر اللغوي حتى قال أبو عبيدة معمر

(7) - محمد رشاد الحمزاوي: أعمال مجمع القاهرة ص 97 - 98

(8) - محمد رشاد الحمزاوي: النظريات المعجمية العربية السابقة الذكر حاشية (2)

(9) - أبو منصور الثعالبي: يتيمة الذهر (المقدمة)

(10) - محمد رشاد الحمزاوي: العربية والحداثة أو الفصاحة فصاحات - بيروت 1986 : اللغة

مرآة العقيدة ص 139 - 156

من المثنى ، من رعم ان في (القرآن) غير العربية فقد اعظم القول ، وان كان ابو ميسرة التابعي قد روى عن رسول الله . . . وفي القرآن من كل لسان»<sup>(11)</sup> . والمغرب او الاعجمي عموما موضوع من اهم مواضيع المعجم التاريخي العربي ، لا يمكن ابحت فيه الا في نطاق حيره التاريخي .

1 - 5 : فالعربية في هذا المنظار تكاد تكون قبل التاريخ ، وفوق التاريخ وخارجة عن التاريخ ، لا تاريخ لها إلا انعدام تاريخها . ولعل ذلك يعود كذلك الى ما يسميه العابد الجابري بمقاربات العقل المستقيل الذي نشأ من الافلاطونية الحديثة وأثرها في التيارات الشيعية والصوفية ، وما لها من تأويلات وتحريرات باطنية متنوعة .

إلا ان هذه الاحتمالات تقابل احتمالات أخرى تبين أن للثقافة العربية علامات تعتبر محاولات محتشمة ، يمكن ان نتحسس منها مقاربات تؤرخ لمحتوى المعجم العربي . وتظهر تلك المقاربات من خلال المعطيات التالية :

- أ - الابتداء بالتأريخ للغة العربية من العرب العاربة وما لهم من فروع وقبائل تستحق التدقيق والتمحيص  
- ب - ربط مفهوم الفصاحة مكانا وزمانا بقبائل معينة يمكن التأريخ لها .

- ج - اعتماد منهجية الرواية ، وما لها من إسناد وعنونة حسب قيود وشروط لا تخلو من الدقة . ويجد لذلك آثارا في مداخل المعاجم والموسوعات اللغوية .

---

11 - خلال اندس السوطي الانفاق في علوم الفراء القاهرة 1951 ح 1 135  
(12) محمد عبد الحارثي تكوين العقل العربي در الطبيعة للطبعة والنشر بيروت 1984 ، 351 ص حيث يتعمق في هذه الظاهرة ومبداها

د - مفهوم المدونة<sup>(13)</sup> بالمعنى الاصطلاحي اللساني الحديث . وقد اعتمدها بعض المعجميين الكبار من أمثال ابن فارس في المقاييس وابن منظور في لسان العرب . فلقد ركز الاول معجمه على خمسة مراجع وهي : كتاب العين للخليل ، وغريب الحديث ومصنف الغريب لأبي عبيد ، وكتاب المنطق لابن السكيت ، وكتاب الجمهرة لابن دريد . أما ابن منظور فلقد أسس معجمه على تهذيب الأزهري ، وصحاح الجوهري ، ومحكم ابن سيده ، وحواشي ابن بري ، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير<sup>14</sup> . وفي تلك المعاجم المصادر المتعاقبة عناية بتاريخ المراحل الكبرى للغة ، وإن كانت معاجمنا قد فضلت على التاريخ النظريات الكفيلة باستيعاب الفكر العربي قبل التأريخ له<sup>(15)</sup> .

## II نشأة المعجم التاريخي العربي : (متع) - معجم فيشر .

2-1 . إن مفهوم المعجم التاريخي اللغوي ، مهما كانت اللغة التي ينتسب إليها ، هو وليد العصور الحديثة وخاصة اللسانيات المعاصرة ابتداء من القرن التاسع عشر . فلقد اعتنت اللسانيات العامة وخاصة اللسانيات المقارنة<sup>(17)</sup> بأصول اللغات وما لها من صلات تقرب وتنافر ، وما تتكون منه من فصائل يبدو أنها

(13) - محمد رشاد الحمراوي مفهوم لسونه عند ابن منظور ، من قصص المعجم العربي ص 139 - 147

(14) - ابن منظور . لسان العرب - مقدمة

(15) - محمد رشاد حمراوي . نظريات المعجمية العربية السانعة اذكر

(16) - L. Kukenheim, Essai sur l'histoire de la linguistique française - Leiden 1962, p 43 45

(17) - نفس المرجع ص 55 - 58

معتمدة على معايير صوتية متينة، أيديتها قاعدة الأخوين غريم<sup>(18)</sup> الصوتية، وعلى قواعد صرفية ونحوية متميزة أسست لها مدرسة النحويين الجدد<sup>(19)</sup> الألمان (Neo Grammairiens) الذين قالوا «إن اللغة تتطور بمعزل عن الإرادة الانسانية، بحسب القواعد الصوتية، فلا يوجد شيء شاذ، ولا عرضي، بل إن كل شيء مبرر فيها»<sup>(20)</sup>.

فلقد توفرت للغة وسائل منهجية وإجرائية مكنتها من خوض غمر البحث عن أصول اللغات وخصائصها المميزة وتداخلاتها المتنوعة عبر العصور. ولقد تولد عن ذلك علوم أخرى مهمة في هذا الميدان، منها اللسانيات الجغرافية التي اعتنت بالموروث الشعبي القديم وعدم أصول الكلمات،<sup>(21)</sup> الذي تدعّم مع النحويين لجدد، واشتد ساعده ابتداء من سنة 1935. وراجت سوق الدراسات المقارنة، لا سيما دراسات اللغات السامية، وما لها من صلات مذهشة عندما لاحظ الدارسون أن العربية والعبرية والحبشية أخوات ساميات، وأن السنسكريتية الهندية أم اللغات الهندوأوروبية مثل الفارسية والآرية، والألمانية والفرنسية، والانكليزية واليونانية التي تدعى كلها باللغات الهندوأوروبية.

2 - 2 : إن هذه «الاكتشافات» اللسانية والثقافية كانت أساسية لربط الصلة بين اللغة والتاريخ، ولتركيز مفهوم المعجم التاريخي الذي يحويها. والملاحظ أن العرب لم يكونوا على علم ولا على فحاية بهذه «الاكتشافات» ومناهجها وتكنولوجياها، ولم يكن لهم فيها باع ولا اختصاصيون إلى يوم الدين هذا، مجابهة لمستلزماتها ومقتضياتها، ومنها لمعجم التاريخي العربي

(18) - نفس المرجع ص 44

(19) - نفس المرجع ص 68

(20) - نفس المرجع

(21) - نفس المرجع ص 149 - وعلم أصول الكلمات هو ما يعرفه بالفرنسية Etymologie

وشروطه . وذلك ما ينسر على ما يظهر تأخرهم عن معالجة هذه القضية الأساسية .

إننا نعتقد ان اول من بادر بالتأريخ للعربية هو المستشرق الهولندي دوري Dozy في معجمه تكملة المعاجم العربية<sup>22</sup> ولقد دعم عمله ذاك ما نُشر من أمهات الكتب والمصادر والمراجع في عهد النهضة بالعالم العربي، وخصوصا بمصر وبمراكز الاستشراق بأوروبا . والملاحظ أنه قد اعتمد فيها المصادر الاندلسية والمغربية والأعجمية المزدوجة اللغة، مع ميل واضح الى كتب التاريخ والرحلات والآداب العامة . ولقد امتاز عمله بتوثيق أصول الكلمات بنصوصها مما مكنه من التأريخ لها،<sup>(23)</sup> إلا ان ذلك لا يمسح من الاشارة إلى هئات هذه المقاربة . فهي قد ركزت على مصادر اندلسية غالبية وأعجمية وعامية، وأدرجت في هذه التكملة المعجمية مداخل كثيرا ما تنتسب الى اللغة العامية المقولة أو الالفاظ الأعجمية التي لا صلة لها بالفصحى ومستوياتها . وليس لدينا ما يثبت الى اليوم أن العرب من أهل النهضة قد بادروا بمشروع في هذا الميدان، لاسيما في ميدان المعجم التاريخي العربي العام . ولقد وجدت بعض المحاولات في ميادين معينة منها أعمال محمد ابو النجا في المسرح<sup>24</sup> ومحمد رشاد الحمزاوي في اللسانيات<sup>25</sup> وعلوم الادارة<sup>26</sup>

(22) - Dozy, Supp ément aux dictionnaires arabes

(23) - نفس المرجع انظر معني مادة «بحر» مثالا

(24) - محمد ابو النجا وقد وضع معجم مصطلحات مسرح العربي مستخرجة من المعجم وكتب الآداب

(25) - محمد رشاد الحمزاوي مصطلحات للغة الحديثة في اللغة العربية - تونس-الجزائر 1987

(26) - محمد رشاد الحمزاوي معجم مصطلحات الادب في تونس من خلال التراث التونسي (1861 - 1900) وهو بحث مطبع

2 - 3 : وعلى هذا الاساس تعتبر مقارنة المستشرق الألماني فيشر، وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة مقارنة رائدة في مستوى المعجم العربي التاريخي . فالمؤرخ للمعجمه يلاحظ أنه عرض مشروعه على جمعية فقهاء اللغة الألمان في مؤتمرهم بمدينة بال سنة 1907 ، كما عرضه على مؤتمرين استشرقيين بكنهاغن وأثينا ستي 1908 و 1912 . وقد حضر الامير أحمد فؤاد المؤتمر الثاني، واليه يعود تكوين مجمع فؤاد الاول للغة العربية . واعتمد فيشر في معجمه على أعمال مستشرقين سابقين منهم A. Fleischer و H. Thorbecke وعلى نصوص عربية جمعها المستشرقون A. Bevan و J. Ledersen و G. Bergsträsser و A. Grohmann و F. Krenkow الذين استقرأوا كلياً أو جزئياً القرآن الكريم، وحديث مسلم، ومؤلفات أدبية<sup>(27)</sup> ومخطوطات عربية قديمة مثل كتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني الخ

ولقد عرض مشروعه على مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة 1936 بمؤازرة المستشرق الايطالي نينو (1872 - 1938)<sup>(28)</sup>، فأقره في المرسوم الخاص بإنشاء مجمع اللغة العربية إذ تنص المادة الثانية (ب) على «أن يقوم المجمع بوضع معجم تاريخي للغة العربية» بدعم مادي ومعنوي من الحكومة المصرية . فيقول فيشر في هذا الصدد «وأحيراً بدأ في سنة 1936 التطور السعيد، إذ قررت الحكومة المصرية في خريف هذه السنة بناء على اقتراح مجمع اللغة العربية بالقاهرة . . . السماح لي بإتمام معجمي بالقاهرة، وإن تتحمل نفقات

(27) - محمد رشاد الحماوي - أعمال مجمع القاهرة ص 509

(28) - نفس المرجع ص 96

طبعه . . . وهكذا برهنت الحكومة المصرية والمجمع على ان رعاية اللغة العربية وفق ما تجلّى في المرسوم الخاص بإنشاء المجمع - أمر يعنيه كل العناية<sup>(29)</sup>. واشتغل في معجمه حتى منعه من ذلك الحرب العالمية الثانية سنة 1949، وتوفي ولم يتم عمله الذي كان من المنتظر الانتهاء منه في مدة جديرة بالعناية إذ يقول: «ظننت أني في حاجة الى ست سنوات أو سبع لاتمامه، والآن أرجح ان يستغرق هذا العمل ثماني سنوات أو تسعا، فتصنيف معجم كبير من الأمور التي يجب ان يتسع لها الزمن. ونحن نرى ان السيد مرتضى الزبيدي قد قضى أربعة عشر عاما في تصنيف تاج العروس على الرغم من ان جله مأخوذ من لسان العرب»<sup>(30)</sup>.

وتخلّى مجمع اللغة العربية عن هذا المشروع باعتبار ان الشروط العلمية والمالية والفنية والانسانية لم تتوفر في المجمع للقيام بهذه المهمة التي استعاض عنها بالمعجم الكبير<sup>(31)</sup>. فلقد لاحظ ابراهيم مذكور، رئيس المجمع الحالي ان انجاز المعجم يستوجب استقرار مؤلفات عديدة منها ما لم يعتمد، ومنها ما لم يستكشف، وهي ضرورة لوضع معجم يشمل مختلف مراحل اللغة حتى القرن الثالث الهجري مما يفيد بأن وضع معجم تاريخي عربي، قضية سابقة لأوانها<sup>(32)</sup>. وتولت جامعة توبنغن (Tobingen) بالمانيا الاتحادية بإشراف الاستاذين

(29) - نشر المجمع اللغوي التاريخي ص 31

(30) - نفس المرجع ص 31 32

(31) - مجمع اللغة العربية - المعجم الكبير - القاهرة - أحي

(32) - ابراهيم مذكور مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما - القاهرة 1964 ص 66



ميللر وشبينالر العناية به حسب منهجية جديدة،<sup>(33)</sup> مراحليها متناثرة ومتباعدة، لا تفيدنا بأن مشروع فيشر مازال قائما حسب بصورة الاول، كما جاء في النموذج الذي نشره مجمع اللغة لعربية بالقاهرة.

### III أهداف فيشر ومنهجيته : عرض ونقد :

2 - 4 : إن كان مجمع اللغة العربية قد أطلق على هذا المعجم في تأليفه ونصوصه<sup>(34)</sup> «المعجم اللغوي التاريخي» و «معجم فيشر الخاص»، فإن صاحبه قد ضبط أهدافه بقوله : «ومستهي الكمال لمعجم عصري ان يكون معجما تاريخيا . ويجب ان يحوي المعجم التاريخي كل كلمة تداولت في اللغة . ومن جميع الكلمات المتداولة في لغة ما، لها حقوق متساوية فيها، وفي ان تعرض وتستوضح أطوارها التاريخية في معجماتها، ولكن المعجمات العربية بعيدة كل البعد عن وجهة النظر هذه، إذ انها لا تعالج الناحية التاريخية لمفردات اللغة بل تقتصر على يضاح الاتجاه النموذجي لها، أعني ان مصنفها إنما أرادوا التفرقة الدقيقة بين المصيح من العربية وغير الفصح، وذلك بوضع قانون للاستعمال الصحيح للكلمات ويدل هذا الاتجاه - دون شك - على إحساس لغوي دقيق عند اللغويين - ولكنه عاق القوة الحيوية الدافعة عن التقدم والتوسع».<sup>(35)</sup>

(33) Worterbuch der Klassischen Arabischensprache Band 1 - Wiesbaden 1970, - (33)

582 p

والملاحظ ان اسمه قد تبدل فأصبح «معجم اللغة العربية الكلاسيكية» وحذف منه مفهوم الساريخية فصلا عن ان مداحله قد تعبرت تماما

(34) - نظر الحاشية (4) وهو يحتوي على المقدمة والمصدر ومن المعجم - ويشتمل على 53 صفحة

(35) - أ فيشر المعجم ص 7

فما هو موضوع هذا المعجم ؟ فهو حسب صاحبه «معجم تاريخي للأدب العربية حتى نهاية القرن الثالث الهجري، أي حتى منتهى ما وصلت إليه اللغة العربية الفصحى من الكمال». <sup>(36)</sup> ولقد سن فيشر منهجيات لطرق هذا الموضوع وحصرها في سبع وجهات نظر وهي: الوجهات التاريخية والاشتقاقية، والتصريفية، والتعبيرية والنحوية، والبيانية والاسلوبية <sup>(37)</sup>. ويكفي في هذا العرض أن نهتم بالوجهتين التاريخية والاسلوبية لأن الوجهة التاريخية «تجاوز كل وجهات النظر هذه في القيمة» <sup>(38)</sup>، واعتبار تطور اللغة المستمر وتطور الفاظها التي يجب استخراجها من الشواهد ذات الطابع الخاص أي تلك التي تدل بحال من الأحوال على الأطوار التاريخية للكلمة <sup>(39)</sup>، وذلك بصط كل المواضع التي وردت فيها الكلمة لأول مرة في الأدب العربية دون إهمال الكلمات الرائحة التي لم تدخل الكتب، فضلا عن العناية بآخر تطورها، وموتها قديما وحديثا، واندثار معانيها، وقيام مرادف لها مع تبيان المواضع التي تقدم أوضح صورة من التطور التاريخي للكلمة ويقول في شأن الشواهد: وإذا تعددت لشواهد يقتصر على أوضحها معنى. ويقدم المنسوب لى فائله ويهمل الآخر <sup>(40)</sup> والملاحظ أن فيشر لم يحف بهذه لمقاربة من قصايا وصعاب، لاسيما في مستوى الموارد والمصادر لمعرضة للنقد إن قليلا أو كثيرا

## 2 - 5: أما الوجهة الاسلوبية فغايتها المحيط اللغوي الذي

(36) نفس المرجع ص 25

(37) - نفس المرجع ص 22 . 25

(38) - نفس المرجع ص 22

(39) - نفس المرجع

(40) - نفس المرجع ص 29

تستعمل فيه الكلمة أو التعبير أو التركيب استعمالاً عاماً<sup>(41)</sup> سواء في محيط عام مثل لغة القرآن أو الحديث أو الشعر، أو في محيط خاص كالأسلوب الشخصي، «لأنه قد يميل مؤلف إلى استعمال كلمة أو تركيب بالذات لا يجيء إلا لمأماً أو لا يجيء بثباتاً عند غيره.»<sup>(42)</sup>

فما هو شأن المصادر اللغوية المعتمدة في هذا المعجم؟ يتخذ المؤلف منها موقفاً مبدئياً عاماً لا يفرط في أي شيء ابتداءً «بالكتابة المنقوشة المعروفة بكتابة النجارة من القرن الرابع الميلادي، ومنتهاياً بالعهد السابق ذكره [أي القرن الثالث الهجري]، أعني أنه يتناول الكلمات الموجودة في القرآن والحديث والشعر، والأمثال، والمؤلفات التاريخية، والجغرافية، وكتب الآداب، والكتابات المنقوشة، والمخطوطات على أوراق البردي، وعلى النقود سادمت أنواع لأدب الشامية المذكورة لم تتجاوز الحد المذكور... وقد استثنت من ذلك في الغالب الكتب الفنية إلا أني توسعت في أخذ المصطلحات منها.»<sup>(43)</sup> فالمعجم لا يعتمد إلا على المتون التي لها به صلة حتى يستخرج تحديد عمر لكلمة ومعانيها، ومنها دون غيرها.

ولقد أضاف فيشر مبدءاً ثانياً عاماً مفاده عتماد بعض المعاجم الخارجة عن نطاق المدة المحدودة، لأنها تحتوي على كلمات وتعابير، لم توجد لها شواهد في مصادره المقررة ولأن مؤلفي تلك المعاجم «كان لديهم مادة من لغة الكتابة ولغة

(41) نفس المرجع ص 25

(42) - نفس المرجع

(43) - نفس المرجع ص 26

الكلام انتهت إليهم، وليس في مقدورنا اليوم الحصول عليها<sup>(44)</sup>.

اعتمد فيشر في مؤلفه على 264 مصدرا ومرجعا عربيا و26 مصدرا ومرجعا استشراقيا أتت مذكورة في المقدمة، واشتملت على جميع أنواع الشعر والنثر في معالمها الكبرى، مما يفيد بقيمة المكتبة اللغوية التي تدعم هذا العمل المعجمي الجبار.

6 - 1 : ان موقفنا من هذه المبادرة يدعونا الى اعتبارها مقارنة جريئة كان من الضروري ومن المتحتم الاقدام عليها. وكان من الأجدر ان تصدر عن جهة علمية عربية. وهي تخضع لمعيار ومقاييس معينة من:

1 : ضرورة وضع معجم تاريخي للغة العربية في مراحلها المختلفة باعتماد منهجية المراحل حسب عهود مترابطة اجتماعيا وثقافيا. وفي هذه لمرحلة منفعة لأنها بقدر ما تركز على عنصر التطور في اللغة (الديكرونية) اي دراستها من مرحلة الى أخرى، فإنها تعني بعنصر استقرارها (السنكرونية) اي دراستها في مرحلة ثابتة ومعينة نسبيا

2 : الاقتصار مبدئيا على المظهر التاريخي دون غيره اي على تطور الكلمة من بدايتها الى آخر مرحلة من مختلف ترحالها، وذلك في نطاق الآداب العربية دون غيرها، مما يعني الاعتناء نسبيا بأصول الكلمات وجذورها الأولى حتى لا يخلط بين المعجم التاريخي والمعجم الأصولي. ولقد أكد فيشر على ان معجمه مخصص لكلمات في الآداب العربية انطلاقا من نقوش النجارة الى القرن الثالث الهجري.

(44) - نفس المرجع ص 26

3 : الاهتمام بالفصح المكتوب مع اعتناء عند الضرورة  
بالألفاظ الاعجمية، لا سيما بقضية ترتيبها في المعجم إذ يقول  
«والكلمات لأعجمية المعربة الزائدة على ثلاثة أحرف تتبع  
الكلمات العربية في ترتيب المعجم... إن تصرف فيها  
العرب بالاشتقاق مثل ابريق، دكان، ديبج... نجدها في  
مادة برق، ودكن، ودبج»<sup>(45)</sup>.

4 : اعتماد كل المصوّر المكتوبة، والمنقوشة والمخطوطة  
مهما كانت أجناسها الأدبية، ومهما كانت ميادين المعرفة التي  
تنسب إليها، على أن محتوى المعجم التاريخي لا يركز على  
اللغة العلمية المختصة إلا بمقدار لم يضبطه المؤلف<sup>(46)</sup>.

6 - 2 : ولا شك أن هذه المقاييس الأربعة العامة تحتاج إلى نظر اليوم  
لأن الدراسات اللسانية والدراسات المعجمية بالخصوص، قد  
وقرت لنا تصورات ومفاهيم ومنهجيات يحسن الاستئناس بها  
في هذا الشأن ومنها:

- أ - ضبط وظيفة المعجم المتطوّر: فإن فيشر لم يعين  
بالتدقيق المستفيدين منه ومقاصده من ذلك المعجم حتى  
ندرك مفهوم التأريخ للكلمات، لأن التأريخ للكلمات في  
الأدب العربية لا يعني بالضرورة البحث عن أصولها وصلاتها  
بلغات أخرى. فإن كانت الأصولية تحتاج بالضرورة للتأريخ  
فإن التأريخ للكلمات لا يحتاج بالضرورة للأصولية في كل  
الأحوال. إلا أن فيشر قد مزج بين الاثنين. إذ أنه قد أرجع  
أصل كلمة «أبّا» في الآية و «فاكهة وأبّا» إلى الأرامية إبّا وإلى  
الأكدية: إنبو وأنبو أي الثمرة والفاكهة<sup>(47)</sup>، أمّا أبْدُ فإنه قد

(45) - نفس المرجع ص 27

(46) - لا يتجاوز هذا المصدر 20 في معجم اكسبور. لانسكيري وكير. لبعه العربية

(47) - فيشر، المعجم ص 26

عكس فيها طريقته، فذكر أولاً أصلها السامي المشترك وصلته بالآثيوبية في معنى «ضل، وسار على غير هدى»<sup>(48)</sup>. فالسؤال المطروح هو ما يلي: هل أن كل كلمة عربية تحتاج إلى أصل من الضروري أن يكون ناشئاً من أخواتها الساميات إطلاقاً كما بين لنا المثالان السابقان؟ إن علم الأصولية علم ناشئ، له منافع لا تنكر، على شرط ألا يخضع لمبدئيات مسبقة منها أن العربية مديّة لغيرها في جميع أصولها إلى غيرها. أمّا فيما يتعلق بالمصادر المجموعة التي قدمها لنا المؤلف فهي تبلغ 264، أختيرت في جلها وعرف قصد من المصادر لمجموعة التي حققها ونشرها المستشرقون دون غيرهم. ولقد اختلطت فيها النصوص المدونات بالمراجع الثانوية، لأن المؤلف لم يفصل بين النصوص الأصول والمراجع الثانوية التي يستعين بها للاستدراك على بعض السقطات أو الفراغات في النصوص لأصلية. فلقد حشر النوعين من النصوص في زمرة واحدة كأنها متساوية في القيمة من حيث صلتها بالمعجم التاريخي. ولقد سكّت عن هذه القضية المهمة التي تحتاج إلى توضيح.

6 - 3. واعتباراً إلى ما سبق فإن موقفه غير واضح تمام الوصوح في معالجة قضية الوجهات السبع التي يجب أن تعالج ضمنها كل كلمة [الوجهات التاريخية والاشتقاقية، والتصرفية والتعبيرية، والنحوية، والبيانية والاسلوبية]. فالحجة تبدو غير مقنعة عندما يقول في شأن الوجهة التاريخية «ويجب أن تفيد المواضع التي يتبين منها أنها تقدم أوضح صورة من التطور التاريخي للكلمة ولكن هذه الطريق تتطلب حتماً من القارئ أن يكون ملماً بتاريخ آداب اللغة واقفاً على تاريخ حياة الناطقين

(48) - نفس المرجع ص 32

والناثرين من اسانئها».<sup>(49)</sup> فالإمام بتاريخ آداب اللغة لمعنيه بالامر ليست آلية كافية لادراك تاريخ الكلمات وتطورها. ولقد تطرق فيشر إلى مفهوم هام جدا وهو مفهوم الفصاحة لأنه اعتبر ان معجمه مخصص للغة العربية الفصحى دون غيرها دون ان يوضح لنا موقفه من معايير تلك الفصاحة ومن مصادرها المختارة التي تشهد على تطور الكلمات. فلقد لاحظنا مثلا خلوقائمة مصادره من كل ما له شأن بلحن العامة، وإن كان قد ورد منها ما له صلة بالمعرب والدحيل، مثل كتاب المعرب للجواليقي ولا بد ان نشير كذلك إلى الموسوعة المستبدة ببعض مداخل معجم فيشر، مثل المدخل المخصص للالف الذي استغرق 22 صفحة، تغلبت فيها المسائل الصرفية والنحوية على المسائل المعجمية. ولا بد أن نبه كذلك إلى إدراجه مداخل لا نعلم إن كانت تنسب إلى الفترة المدروسة من ذلك كلمة «آهندال» فارسية معربة وتفيد «شجر الحديد» ولقد استقرأها عن ابن الفقيه<sup>(50)</sup> الذي لم يرد مذكورا في مصادره<sup>(51)</sup>. ويحتج بالمزهر للسيوطي رواية عن ابن عباس، والسيوطي ليس من مصادره ومراجعة، فضلا عن انه متأخر عن الفترة المدروسة

والغالب على الظن ان النموذج الذي تركه لنا فيشر ثري بإيجابياته وسلبياته، مما يدعونا إلى اعتباره وثيقة أساسية تستحق العناية من الضروري ان نطبق عليها ما زودتنا به اللسانيات الحديثة من مقاربات ومنهجيات نظرية وتقنيات تطبيقية في مستوى الجمع والوضع ولتعريف.<sup>(52)</sup> وخاصة في مستوى

(49) - نفس المرجع ص 23

(50) - نفس مرجع ص 22

(51) - نفس المرجع ص 31

(52) - محمد رشيد الخمراوي من قصايا المعجم لعربي قديما وحديثا ص 149 وما بعدها

الفصاحة ومواكبتها لتطور اللغوي ، مما يدعو إلى ضبط مقاييسها حسب دراسة ميدانية وصفية وتاريخية مقارنة <sup>(53)</sup> .  
ويسعدني في هذه المناسبة أن أعلن عن اننا قررنا في نطاق الجامعة التونسية أن نشرع في سنة 1990 في دراسة المنهجيات والآليات التي ستساعدنا في ظرف سنتين عل الابتداء في وضع المعجم التاريخي العربي وانجازه ، راجين ان يسهم فيه كل من له رغبة في تحقيقه ، وذلك في نطاق اتفاقات وتعهدات علمية يمكن النظر فيها حسبها يربطنا من وشائج التعاون بالمراكز والمؤسسات العلمية بالأقطار الشقيقة والصديقة

محمد رشاد الحمزاوي

---

(53) - محمد رشاد الحمزاوي . العربية والحداثة او الفصحى فصحات ص 11 - 26



## من الألفاظ الى المعاني والعكس

بحث : الدكتور الاستاذ دانيال ريغ

ليس غرض المعجمي ان يخلق عوالم خيالية وأشخاصا ورقية عن طريق الكلمات كما يفعل الروائي ، بل ان يجمع تلك الكلمات ، نفس الكلمات ، ويخضعها لنظم تابع لقواعد تختلف عن تلك التي تعتمد عليها الرواية وإن كان بإمكان مادة المعجم هذه ان تشكل نوعا من الخطاب... فهي في الحقيقة ليست جامدة متحجرة ويمكننا ان نحللها على مستويات عديدة :

هناك شكل هذه المادة ، أي كيفية معالجتها : ترتيب ألفبائي ، اشتقاقى مباشر أو معاكس (حسب اوائل الأصول أو أواخرها) ثم جعل الافعال أولا ومن بعدها الأسماء أو العكس ، أو خلط هذه وتلك حسب درجة الاشتقاق .

هناك أيضا مستوى التفسير أو الشرح أي تعريف الكلمات أو تحديدها بالترادفات أو الأضداد أو الجمل إلى غير ذلك...

هناك أيضا مستوى المعاني بالإشارات الى حالتها اللغوية أو بدومها : حقيقية هي و مجازية ، بائدة أو مستعملة ، أدبية أو صحافية أو علمية ، الى غير ذلك من الاشارات التي توفرها المعاجم الحديثة للقراء .

هناك أخيراً مستوى رابع هو مستوى معنى المعنى أي معنى كل المواد التي أحصيتها في المستويات السابقة ونستطيع أن نعالج فيه ما يتعلق بالمؤلف: بيئته، ثقافته، شخصيته وأصالته إلى غير ذلك من الحالات والظروف، خارجية كانت أو داخلية، التي من شأنها أن تؤثر بصورة مباشرة أو غير مباشرة على العمل المعجمي.

هذا وقد يدخل أي مستوى من المستويات التي وصفها بحاج هذه الندوة لأنه يتعلق بمادة كل الأنواع من المعاجم وبالخصوص المعاجم لتاريخية اللغات، وأريد هنا أن أكتفي بالحديث عن مستوى التفسير فقط نظراً إلى موضوع هذه الندوة فأقدم بعض الأفكار المتواضعة التي خطرت ببالي ولو أنها ظهرت مفككة ومبعثرة أنها يحكمها نظام ضمني بإمكانه أن يكشف عن موقف واضح.

لقد نشأ منذ زمن نوع من اللعِب، ميدانه اللغة وبصورة خاصة، كلمات اللغة. فتمت هذه اللعبة وانتشرت وتكاثر لا تخلو منها جريدة ولا مجلة من الجرائد والمجلات المعاصرة حتى أخذت تصدر منشورات عديدة خاصة بها في كل لغات العالم. إنها تلقي صوءاً ساطعاً على روحيات الفكر الإنساني وغدواته بين الكلمة ومعناها وهي معروفة باسم «الكلمات المتقاطعة». إنها ننظر إليها عادة نظرة اللاعب الذي يستهدف اكتشاف الكلمات، مطلقاً من التعريفات المقترحة ومحاولاً مطابقة الأولى على الثانية ونسى أن لهذه اللعبة واضعاً اخترع العلاقة بين هذا التعريف (المفتاح) وتلك الكلمة ولو أنه لم يخترع طبعاً لا الكلمة ولا المفتاح. إنه يختار بعض المفردات ويجعل منها سلاسل حروفية متقاطعة البعض منها عمودي والآخر أفقي. بعد ذلك يجتهد في إيجاد تعريف مناسب لكل من المفردات الموجودة في هذه الشبكة المؤلفة من سطور وأعمدة. أخيراً يمحو الكلمات ويبقي بعض العلامات منها المعنوية ومنها الشكلية التي من شأنها أن تدل على الكلمات المخفية. من بين العلامات التعويضية هذه، على صعيد الشكل، هناك عدد الحروف التي تتكون منها الكلمة المعنية من جهة والحروف التي وجدها

للاعب أو التي كانت موجودة من قبل ، من جهة أخرى . أما على صعيد المعنى ، فلدينا العلامات التعريفية التي أشرت إليها آنفا .  
يمكننا إذن أن نقول إن اللاعب يبحث عن كلمة عن طريق تعريف المقترح بينما يكون واضح اللعبة قد بحث عن تعريف منطقيا من الكلمة الى مفهومها ومن المفهوم الى الكلمة فلدينا إذن الطريقتان اللتان يسلكهما عمل المعجمي . فهو قائم إما من جهة الواضع للكلمات المتقطعة أو من جهة اللاعب ها وقد يطبق على الكلمات تعريفاتها كأول فيدخل مجال سيميولوجيا (Sémasiologie) أو قد يطبق على التعريف الكلمات لمسببة له كالثاني فيدخل مجال أونومازيولوجيا (Onomasiologie) . الطريقة الاولى هي التي يتبعها مؤلف المعاجم اللغوية العادية أم الثانية فتؤدي الى تأليف معاجم المترادفات والمتجانسات ومعاجم المخصصة لكل فرع من فروع العلم والصناعة وكذلك الخاصة بالاعراض الأدبية . قد يهتم بهذه الطريقة الاخيرة اللغويون صعبا وعلماء البلاغة والكتاب كما يهتم بها المتخصصون في العلوم الانسانية الذين يرغبون في دراسة مظاهر الثقافات والحضارات المختلفة .

أريد الآن ان ألفت الانباه الى بعض المشاكل التي يثيرها التعريف (أو التحديد ، أو الشرح ، أو التفسير) . بعدما ينظم المعجمي الألفاظ التي ينوي دراستها فيوضح لكل واحد منها اسياق لتركيبية الذي قد تظهر فيه الكلمة ويحلل معناها أو معانيها الى وحدات معنوية بسيطة فيستطيع وقتذاك ان يلقي ضوءا على الحياة التاريخية هذه الوحدات اذا توفرت له من قبل المعلومات الكافية ليثبت وقت دخولها اللمة . هذا الجرد التركيبي والمعنوي ، هو ما يطلق عليه اسم التعريف الذي قد يأخذ أشكالا متنوعة .

قد يبدو التعريف كمسألة من المبادئ لقلية التي يبينها العقل الفلسفي او العلمي والتي يركز عليها في إنشاء مجموعة من المفاهيم وتسييرها . في نظام علمي كهذا تترابط التعريفات ترابطا وثيقا منطقيا

لأنها نشأت كنتائج لعمل استنتاجي مبرمج .  
قد يبدو التعريف كقضية (proposition) تُخَرَّج عن اتساع المفهوم  
وعن كشافته أعني بالاول مجموع الموضوعات التي يدل عليها المعنى  
وبالثاني جميع الصفات المشتركة بين هذه الموضوعات .  
قد يبدو التعريف أيضا أقل علمية ودقة وأكثر شمولية وسعة كما  
هو الحال في المعجم اللغوي لأن التعريف هنا لا تشترط وظيفته تناسق  
نظام استدلاله كما تتأسس على البديهيات السائدة في معجم المفاهيم  
العلمية أو الفلسفية . في المعجم اللغوي لا يخضع التعريف لضرورة  
علمية أو منطقية ، إنما هو مقول يجد مرر وجوده في الكلمة المعروفة  
نفسها . وفيما يلي سنرى عن كسب انواع من هذا التعريف ومن الاخطار  
التي قد تكون للمعجمي بالمرصاد .

لنوع الاول هو شرح مطول للكلمة الأساس ، قد يكون معناه  
هو معناها نفسه ، وقد يكون أوسع أو أفقر منه إذ إن الكلمة  
كمدخل من مداخل المعجم ، « شكل » شكل يتحده المعنى ليعبر  
بواسطته الى الوجود اللغوي ويتحقق كوحدة كلامية . فمما لا شك  
فيه ان موضوع لتحليل المعجمي هو المعنى الذي لبس هذا  
الشكر في هذه الكلمة في وقت معين من احتياحات اللغة  
الثقافية لا الشكل بحد ذاته . وذلك واضح تمام الوضوح في اللغة  
العربية التي لم تتغير شكليا منذ وصلت الى الوجود اي منذ أكثر من خمسة  
عشر قرنا ولو انها تغيرت معنويا ، تغيرا بينا في كل الميادين التي تدل  
عليها . في ذلك يكمن الجواب او بعضه عن التساؤلات عن عدم اهتمام  
العرب بالمعاجم التاريخية ، فأخذوا الجزء اي الشكل اي الكلمة شكلا  
ومعنى . فاغنت منذ نشأتها على أساس اتصالاتها العديدة بالحضارات  
والثقافات الأخرى طيبة تلك القرون الطويلة . ولدى المعجمي كل  
الشواهد التي يحتاج اليها في بحوثه عن تاريخ المعاني فلذلك اعتقد ،  
بكل تواضع ، ان اول مهمة من مهمات اللجنة الخاصة بتأليف معجم  
تاريخي للغة العربية هي التفكير في كل ما يتعلق بالمعنى : المعنى

اللغوي والمعنى السيميائي وبالوسائل المتوفرة لنا للوصول إليه وتحليله ومنها التعريف. لذلك أريد أن أكرّس دقائق هذا النوع من المشاكل حتى ألقى بعض الأضواء على الأخطاء التي قد تسيء العمل المعجمي تاريخياً كان أولاً.

لنأخذ مثلاً كلمة «ضرب» التي خصصتها للدلالة على معنى واحد من معانيها العديدة حتى يكون البرهان أوضح وأنفع، فوجدت في بعض المعاجم العربية المعاصرة هذا التعريف:

ضرب = نوع وشكل

ممّا نستطيع أن نلاحظه في هذا التعريف أن معنى «ضرب» هذا يتحلّل. حسب المعجمي الذي قام بالعمل التحريري، إلى وحدتين معنويتين معطوفتين

لنفرض الآن أن القارئ يحتاج إلى مزيد من المعلومات فيرجع إلى كل من كلمتي الشرح فيجد ما يلي:

في باب نوع = صنف

في باب شكل - صورة وهيئة

وإذا تابع بحثه في نفس المعجم وجد:

في باب صنف نوع

وفي باب صورته = شكل

وفي باب هيئة = شكل وصورة

إن عممية التعريف التي نلاحظها في هذا المثال هي شيء عادي في المعاجم اللغوية. إنها عملية دورية بمعنى أنها تدور على نفسها حتى تعرف الكلمة نفسها بنفسها في آخر مسار التعريفي.

هناك مثل آخر قد يكون فيه التعريف مكوناً من جملة أو جملتين مثلاً:

دخل مكاناً - صار دخله، ضد «خرج»

داخل من كل شيء = باطنه

خرج - برز، ضد «دخل»

برز = خرج

تخلق الحلقة التعريفية على ذاتها بعد مسار قد يطول أو يقصر  
وكل هذه الأنواع أو الأصناف أو الضروب أو الصور من التعريف  
بالمترادفات والحمل والأضداد ناقصة من جهة وحرّة من جهة أخرى .

فهي ناقصة لأنها تبحث عن حقيقة معنى كلمة ما عن طريق  
كلمات أخرى هي أشكال المعاني ليست بمعاني . وفي مرحلة ثانية تعرّف  
الآخر عن طريق الأولى . إن هذه التعريفات مؤلفة على أساس استناد  
الخطاب المعجمي إلى نفسه حتى يعود بالقاريء بواسطة آليات  
متنوعة ، إلى مقولات قد انتجها من قبل وبحق بذلك وظيفته  
الاستنادية . ولكن هذه المقولات السابقة يُنتجها المتكلمون الطبيعيون  
بصورة بديهية أي من دون أن يجتهدوا في تعريف كل الأنفاظ المكوّنة  
لها . علاقاتهم الطبيعية باللغة مؤسّسة على الحدس لا على العقل .  
وهناك يكمن الفرق الرئيسي بين التعريفات اللغوية العديدة ولتعريفات  
العلمية . لا تكون الأولى كما رأينا مجموعة من المفاهيم الثابتة المعدودة  
على غرار المبادئ الفلسفية والمنطقية المعرفة قديماً والمتتمية إلى مجموعة  
متناسكة متناسقة . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فكون هذه  
التعاريف اللغوية حرّة يعني ذلك أنها قد تختلف من معجم إلى آخر  
وهذه الاختلافات عائدة إلى ميزات المعجم الثقافي والعقلية لا إلى  
ضغوط علمية محدّدة .

ولكن هناك نوع آخر من التعريفات التي تفتقد علميتها في  
الرجوع إلى الحقيقة لواقعية الخارحة الموجودة في العالم الطبيعي . . .  
ولكن تشير هذه لطريقة الكثير من المشاكل الفلسفية لأن اللجوء إلى  
مرجع خارج عن الكلام لتعريف المفردات المكوّنة له يؤدي في وقت آخر  
إلى الاعتقاد إساذج بأن الكلمة هي الشيء الذي تدلّ عليه . وعلى هذا  
الاعتقاد يترتب الاستعمال المتكاثر للوثائق المصوّرة في بعض المعاجم  
اللغوية كأنها أحسن التعريف لشيء من أشياء لطبيعة هو إظهار الشيء  
نفسه أو صورته .

ويجب هنا ان نفهم فهماً قاطعاً ان الصورة التي تحيى في هامش المعجم لتفسر بشكل واقعي ، موضوعي ، معنى كلمة «كلب» مثلاً ، لا تتطابق بأي حال من الأحوال مع الحقيقة العلمية لأن الصورة هي صورة كلب معين من جنس معين بدون معين وطول معين . . أما التفسير اللغوي للكلمة فقد جرد مفهوم «كلب» من كل خصائصه المعينة . ما أريد ان أقوله عندما أتحدث عن لاستناد الى العلم الطبيعي لتعريف بعض المفردات هو أن هذا العالم ليس العالم في طبيعته لأننا لا نستطيع ان نحاذه قطعة قطعة ونُدخله الى معجماتنا ، بل هو العالم كما تحقّقه اللغة وتوسطه . ليست الكلمة الشيء الذي تدل عليه بل إنها هي صياغة أخرى لواقعه الذي نتكلم عنه أو الذي ننطلق منه عند بحثنا عن المعاني الدالة على الأشياء .

نتذكر كلنا كُوليفير الذي وصف ما شاهده في جزيرة من الجزر العجيبة التي زارها . فرأى مرة عدداً من العلماء وقد غرقوا في نقاش حاد وأخرجوا كلماتهم - الأشياء من الحقائق التي أتوا بها والتي كانت مملوءة بأشياء مختلفة اعتقاداً منهم ان اظهار «الحجر» مثلاً هو أحسن طريقة للتحدث عنه . قد يكون الحجر احسن وسيلة لاقتناع الآخرين ببعض الحقائق ولكن لكل مقام مقال . .

على عكس هذا الاعتقاد الذي يجبر بعض الناس يستمد مرجعه من حقيقة الطبيعة (أو حقيقتها) كأنها قنديات كل خطاب ، نجد موقفاً فلسفياً آخر يؤدي بالمعجمي العادي إلى اللجوء الى المراجع التي يوفرها العالم الذي يخلقه الكلام ويسيه . فلنأخذ مثلاً ، كلمة «حجر» حتى نتحقق من هذه الطريقة .

حجر: جسم صبيعي صلب يُستعمل في البناء

أما جسم : كل ما له طول وعرض وعمق

تركيب هذا التعريف يختلف اختلافاً تاماً عن التعاريف التي قرأناها من قبل لأنه يُحل محل الكلمة - الأساس حَجَرٌ وهي ذات معنى

خاص، كلمة أخرى ذات معنى أعم. هنا نستقل من معنى «الحجر» الخاص الى معنى «الجسم» العام كما يدل عليه التعريف الذي أتينا به :  
«كل ما له طول وعرض وعمق»

بعد ذلك يتراجع التعريف فيخصص المعنى الأخير مرتبا علامات الميزة الداخلية ومقيدا صفاته بالاستناد الى الواقع الخارجي . عندنا، في التعريف، وصف لهذا «الجسم الحجري» وهو «جامد، طبيعي صلب، فهذه الصفات . الجهاد، الطبيعية، والصلابة كلها مستمدة من باطنية المفهوم . أما «استعمال هذا الجسم في البناء» فهو قيد تعريفي في الوصف، ناتج عن حضور الصفات المعنوية داخل هذا النوع من الاجسام. من الافضل حقا ان يبني الانسان منزله بمادة متينة. ولكن قد كان من الامكن ان يختار المحرر قيدا تعريفيا آخر ويزيده للاول ويقول :  
«يستعمل في البناء وفي القتال ايضا».

فالاستشهاد بطبيعة الحجر في حاة استعماله كسلاح من الاسلحة يؤدي بنا إلى آفاق أخرى لمعنى التعريف لمحت ليها في بداية هذا الحديث ولقد رجعنا بمثلنا هذا الى مستوى معنى المعنى وقد يكون بإمكاننا اتخاذه موضوعا للبحث في اطار أعمال مؤتمر آخر.

دانيال رينغ  
جامعة باريس



# دائرة المعارف الاسلامية أصل من أصول المعجم العربي التاريخي

أحمد العايد

رافق مطلع عصر النهضة تغيرت أساسية اجتماعية فكرية ثقافية أدبية سياسية آلت الى انفتاحات على الغرب ومهيجانهم والاستفادة من طرق بحثهم والى رغبة حقيقية في تطعيم المعارف العربية الاسلامية بألوان ثقافية جديدة، فظهرت:

«دائرة المعارف» وهي موسوعة ألفها بطرس البستاني وتابعها ولداه نسيب ونحيب مع سليمان البستاني بعد ان وضع بعض أجزائها سليم البستاني.

كذلك ظهرت «دائرة معارف القرن العشرين» وهي موسوعة ألفها محمد فريد وجدي في عشرين جزءاً وطبعت بمصر سنة 1938. كذلك اهتم المستشرقون بالحضارة العربية الاسلامية وبدؤوا لمدة أربعين سنة تقريباً من أوائل القرن الى سنة 1938 يصدرّون مقالات تباعاً في «دائرة المعارف الاسلامية» (E I) ENCYCLOPÉDIE DE L'ISLAM

وكانت دائرتهم تصدر في لغات ثلاث انكليزية وفرنسية وألمانية ثم

ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية الطبعة الجديدة لهذه الموسوعة

. ENCYCLOPEDIE DE L'ISLAM (Nouvelle Edition . N.E 1)

وهي مازالت في حرف M - الى اليوم .

فلئن اعتبرنا ان دائرة المعارف هي موسوعة وان «المعجم التاريخي هو من المعاجم الموسعة فلتساءل : هل يمكن ان تكون «دائرة المعارف لاسلامية» الأخيرة أصلاً من أصول المعجم لعربي التاريخي ؟

أولاً : تعريفات :

«المعجم» : «القاموس»

لفظة معجم غير موجودة في «لسان العرب» لابن منظور<sup>(1)</sup> بل نجد في مادة ع . ج . م . كلاماً عن الإعجام اي الإيهام وعن المعجم الحروف المقطعة لأنها أعجمية ، ونجد «قُلُّ مُعْجَم» و «أَمْرُ مُعْجَم» إذا اعتاص .

كذلك لفظة «قاموس» في لسان العرب هو قعر البحر ، أو وسطه ومعظمه أما «المعجم» في المنحد في اللغة والأعلام ،<sup>(2)</sup> المتداول بين أيدي التلاميذ والطلاب فهو : كتاب اللغة وما يعرفونه بالقاموس .  
والقاموس : يطلقه أهل زماننا على كل كتاب في اللغة فهو عندهم يرادف كلمة «معجم» و «كتاب لغة» .

وفي «المعجم الوسيط»<sup>(3)</sup> : المعجم : حروف المعجم ، حروف الهجاء . والمعجم ديوان لمفردات اللغة مرتبة على حروف المعجم ج معجمات ومعاجم . القاموس : هو البحر العظيم . هو عَلَمٌ في معجم الفيروزبادي . هو كل معجم لغوي على التوسع (مجمع) ويقال : هو قاموس لكذا : جامع لعلمه (مولد) وفي «قاموس الطلاب»<sup>(4)</sup> المعجم :

(1) انظر المراجع في آخر البحث

(2) انظر المراجع في آخر البحث

(3) انظر المراجع في آخر البحث

(4) انظر المراجع في آخر البحث

هو القاموس المفسر لمفردات اللغة . أمّا شرحه للقاموس فهو شبيه بشرح المسجد .

أمّا المعجم العربي الأساسي <sup>(5)</sup> فانه يتناول المفردتين كما يلي :  
معجم : جمع معجمات ومعاجم : قاموس ، كتاب يضم مفردات لغوية مرتبة ترتيباً معيناً وشرحاً لهذه المفردات أو ذكر ما يقابلها بلغة أخرى .

قاموس ج . قواميس هو معجم لغوي .  
إذن لئن اختلفت دقة تعريفات لفظة معجم فان التعريف الأدق فيما يبدو نجده في المعجم العربي الاساسي ، بيد ان هذه المعاجم جميعها لا تتعرض الى مفهوم «المعجم التاريخي» .

لهذا ينبغي ان ننظر في «المعجم الكبير» لمجمع اللغة العربية <sup>(6)</sup> في تقديم جزئه الاول اذ قل الاستاذ ابراهيم مذكور : «مدرع قرن تقريباً أخذ المجمع نفسه بوضع معجم كبير يساير الزمن ويتمشى مع فنّ التأليف لمعجمي الحديث ، فأخذ نفسه بذلك يوم ان يئس من إخراج «معجم فيشر التاريخي» الذي تعاقد عليه قل هذا بوضع سنين» .

كذلك لا نجد أثراً بلفظة «موسوعة» في «لسان العرب» وفي «المعجم الوسيط» وفي «معجم الطلاب» وفي «المعجم العربي الحديث لاروس» <sup>(7)</sup> وفي «قاموس الطلاب» هذه المعاجم المتداولة بيننا ، ولا نجد ضائناً إلا في «المعجم العربي الاساسي» إذ وردت به :

موسوعة ج . موسوعات : دائرة معارف : «الموسوعة الاسلامية ، الموسوعة الفلسطينية ، الموسوعة الطيبة» .

(5) نظر لمراجع في حر سحت

(6) نظر لمراجع في حر لحت

(7) نظر لمراجع في حر لحت

موسوعي : 1 - منسوب الى الموسوعة «معلومات موسوعية»  
2 - ج - نون عالم جليل ذو معارف واسعة مؤلف موسوعي .  
وما من شك في ان للمعجم صلة بلفظتي حضارة وثقافة فما مدلولاتها في  
المعاجم الحديثة ؟ : مظهر الرقي العلمي والفني الحديثة ؟  
نجد في «المعجم الوسيط» حضارة : مظهر الرقي العلمي والفني  
والادبي والاجتماعي في الحضرة (مؤلفة) .  
أما ثقافة : فهي العلوم والمعارف والفنون التي تتطلب الحدق فيها  
(محدثة) .

وقدد حدد «المعجم العربي الحديث لاروس» :  
الثقافة : ب - مجموع ما توصلت اليه جماعة أو بلاد في الحقول  
العممة من أدب وفكر وعلم وفن وصناعة ونحوهما .  
والحضارة في «المعجم العربي الاساسي» هي ج حضارات :  
مجموع الخصائص الاجتماعية والدينية والخلقية والتقنية والعلمية والفنية  
الشائعة في شعب معين كالحضارات الهندية واليونانية والعربية .

#### ثقافة ج ثقافات :

1 - هي العلوم والمعارف والفنون التي يدركها الفرد .  
2 - مجموع ما توصلت اليه أمة أو بلاد في الحقول المختلفة من أدب وفكر  
وفن وصناعة وعلم .  
3 مجموع العادات و لأوضاع الاجتماعية والقيم الدائنة في مجتمع معين  
ونحوه مما يتصل بطريقة حياة الناس و «إذا دل لفظ الثقافة على معنى  
لحضرة كان له وجهان : وجه ذاتي وهو ثقافة العقل ، ووجه موضوعي  
وهو مجموع العادات والأوضاع الاجتماعية» .  
والثقافتان : استعمال حديث يراد به الثقافة العلمية والثقافة  
الادبية أو ما يسمى بالانسانيات .  
كذلك يحسن ان ننظر في مفهوم «معارف» وقد نجد في «المعجم الوسيط»  
ما يلي :

«معارف»: يقال هي حسنة المعارف: الوحة، وحيًا الله المعارف الوجوه وغطّوا معارفهم تلتّموا، وهو من المعارف من المعروفين، وهاجت معارف فلان: ولّى عنك بوّده كما يهيج النبات فيصمرّ، وخرجنا من مجاهل الارض الى معارفها أي إلى ما عرف منها.

ونجد التعريفات نفسها تقريبا في «المنجد» وفي «القاموس الحديّد» وفي «المعجم العربي لاروس».

أمّا في «المعجم العربي الاساسي» فنجد:  
معارف مفرد معرفة .

1 - معلومات علوم، «دائرة معارف» موسوعة (انظر دائرة) وزارة المعارف: الوزارة التي ترعى شؤون التربية والتعليم ويطلق عليها الآن في معظم البلاد العربية وزارة التربية.

2 - معارف الشخص: الناس الذين يعرفهم.

ونجد في هذا المعجم اشارة الى دائرة المعارف لبطرس البستاني ولمحمد فريد وجدي ولدائرة المعارف الاسلامية لغربيّة كما نحتها في المنجد (قسم الاعلام).

ثم كيف يُشرّح «تراث» في هذه المعاجم المتدولة بين أيدينا؟ في «المعجم الوسيط» التراث هو الإرث.

ولإرث هو ما ورث (وهو أحد المعاني الموجودة في «لسان العرب») وفي «المنجد» الإرث والورث والورثة والتراث (مصادر): ما يخلفه الميت لورثته

وعليّنا من جديد أن نفتح «المعجم العربي الاساسي» لكي نجد مدلولات ثلاثة لهذه المفردة:

1 - ما يخلفه الميت لورثته اية «وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا».

2 - كل ما يملك،

3 - مجموع الآراء والأبهاط والعادات الحضارية المتنقلة جيلا الى جيل

«التراث العلمي العربي» «التراث الاسلامي» «التراث الثقافي» «التراث الشعبي».

هكذا يبدو أن « لترات » غير متألف من القديم فحسب بل من الحديث أيضا. لا من التليد فقط بل من الطريف ايضا، لذا وجب ان نكون على بصيرة من هذا المفهوم تاريخي.

وفي واقع الأمر اذا تعرضنا الى المفاهيم الأنفة الذكر معجم، قاموس، موسوعة، حضارة، ثقافة، معرف، دائرة معرف، تراث، فالغاية من ذلك عدم معالجتها على انها عرض بفكرة حديثة أو نظرية علمية جديدة، بل هو سبر غور مواد وإبراز شئها المتفرقة وتبيين ان هذه المعاجم جميعها مقصورة في تحديد هذه المفاهيم الاساسيه مما سيميدنا في تصور «معجم تاريخي».

والمعجم ما هو؟ هو «جمع كلمات أو أوصاف كلمات للغة من اللغات مرتبة غالبا ترتيبا ألفبائيا ومفسرة في اللغة نفسها أو مترجمة لبلغة أخرى.

وهو أداة إعلام عملي غيتها إرصاء حاجات واضحة تنطلق من حوار ضمني بين مستعمل المعجم والمعجم ذاته  
هكذا يبدو المعجم مؤلفا تعليميا يصع على الأقل مجموعتين لسانيتين:

- أولهما: الكلمات المسجلة (المدخل المحتارة)

- وثانيهما: التعريفات لتوضيح هذه المداخل

والمعاجم اللغوية أو معاجم المفردات تتعرض لى معطيات لسانية متكاملة: نطق المفردة، رسمها، نوعها، جنسها، مدلولها، استعمالها حسب مستويات مختلفة وملفات متنوعة، علاقتها بعناصر أخرى: اي أصلها وتاريخها.

وفي هذا الصنف يدخل «المعجم لتاريخي» الذي هو من صنف المعجم الموسوعية أي تلك التي تتعرض الى وصف المفاهيم وشرحها والواقعة التي تدل عليها وتطور استعمال المفردات المعبرة عنها عبر التاريخ.

وفي القرن التاسع عشر بأروبا ظهور منهجية تاريخية للسانيات

غَيْرَ من إعداد المعاجم التي بدأت تسعى الى ضبط تاريخ الكلمة بصفة كاملة متكاملة .

و «المعجم التاريخي» يبسط بالضرورة المشاكل التالية . هل هو «توسّع» أم «انتقاء» هل هو «أفي» أم «رمانى» ؟

المعجم الذي يطمح الى السعة يتوق الى ذكر كل كلمات اللغة بدون الحذف من ذكر أصلها واستعمالها وقيمتها، هو يسعى غالبا الى الاستيعاب الكلي الذي يبقى مثالا أعلى قد لا يتحقق دائما

و «المعجم العالمي» او «الذخيرة اللغوية» هما أنموذجان لهذا النوع من الطموح وهي من المعاجم التي تتوسع ولا تنتقي أي هي من ذوات «التوسع» لا «الانتقاء» .

كذلك هي معاجم «رمانية» تتعرض الى التراث الأدبي والثقافي مفهومة الواسع ذاك الذي يتسع الى قرون عدة وهو بالتالي يغطي حالات شتى للغة معينة .

والمعاجم التاريخية التي ظهرت في القرون الأربعة الأخيرة بأوروبا هي أمثلة للمعاجم الزمانية تلك التي لا تتقيد بالآنية أي بضبط مفردات حالة معينة للغة اعتمادا على وصفها ووظيفتها .

وإذا نظرنا في تاريخ المعجم الفرنسي على سبيل المقارنة نجد ن هذا البلد تاريخا حافلا في مجال إعداد المعجم التاريخي ونذكر من هذه المعاجم بالخصوص :

- «المعجم التاريخي الكبير»

MORERI: Grand Dictionnaire Historique (1674)

- المعجم التاريخي والنقدي

BAYLE. Dictionnaire Historique et Critique (1696 1697)

- المعجم العالمي ( لمحتوي على كل الكلمات الفرنسية القديمة منها والحديثة)

FURETIERE Dictionnaire Universel (1690)

- «المعجم العالمي للقرن التاسع عشر» في 15 مجلدا وملحقين، الملحق

الاول 1878 والملحق الثاني 1888 .

LAROUSSE: Dictionnaire Universel du 19 ème siècle (1866 1876)

- «معجم اللغة الفرنسية»

LITRE. D ctionnaire de la langue française

في أربعة مجلدات 1863 - 1873 ، ومدحوق 1877 وفي هذا الملحق جرد المؤلف مؤلفات كتّاب معاصرين ومقالات للصحفيين .  
هكذا نرى ان صانع المعاجم «المعاجمي» هو بالضرورة «مُعْجَمِي» أي عارف بعلم المفردات عامة حسب ظهورها وتطورها عبر الزمان .

لذا يجب على صانع المعاجم لا سيما «المعجم التاريخي» ، ان يكون عارفا بالموسوعات معتمدا عليها في ضبط مفاهيمه وتحديد مفرداته .

واذا كن هذا «المعاجمي» عربيا فعليه ان يكون واعيا بان الاتصالات بالحضارات الغربية وأسبابها حتّ العرب على العودة الى المنبع الاول وهو التراث اللغوي المكتوب والمنقوش والشفوي ودراسته بمنظر المنهجيات الغربية وهذا لا يكون الا إذا كان القائمون على «المعجم التاريخي» بالمرصاد الى البحوث الحيوية اهامة التي تعالج قضايا العالم العربي قديما وحديثا أي اللصيقة بتطور الحياة عبر العصور، معنى ذلك ان عليهم ان يرجعوا الى «المقالات» الواردة في الموسوعات بأقلام متخصصين ونذكر بالخصوص «دائرة المعارف الاسلامية» لما لها من شأن وقيمة، وقد ترجمت هذه الدوائر بصيغتها القديمة والحديثة في «دائرة المعارف الاسلامية» (كتاب الشعب)<sup>(8)</sup> وقد جاء في مقدمة الطبعة الاولى من هذه الدائرة بقلم أعضاء لجنة الترجمة في يوليو 1933 ما يلي :

«كَبَّ فريق كبير من علماء العرب المستشرقين على دراسة تراث تلك

---

(8) انظر المراجع في اخر البحث



الحضارة العظيمة (حضارة العرب وحضارة الامم الاسلامية) به فيه من دين سمح رضي كريم ومن لغة غنية بمفرداتها، مربة باشقذقتها. ثم رأوا ان يجمعوا خلاصة أبحاثهم في كتب جامع يتعود فيه منهج القواميس والمعاجم».

ونلاحظ ان ترجمة «دائرة المعارف الاسلامية» الى عربية اعتمدت الأصل الغربي في الطبعة الاولى و الطبعة الثانية وم تقتصر على مواد الدائرة فحسب بل تحوزته الى التعليق على كثير من المواد بالتصحيح أو التكملة أو ردّ مطعن، وتولى ذلك أئمة الكتاب وعلماء العرب حتى أصبحت السحرة العربية من عذّة وجوه أكمل من الأصل» (هذا كلام هيئة التعريب).

وفي واقع الأمر ينبغي اعتماد النسخة الأصلية بالنسخة الفرنسية أو بالانكليزية أو بالألمانية وبحسب ان ينظر أيضا في الترجمة العربية التي مع الأسف لم تواكب النقل من اللغات العربية الى اللغة العربية مواكبة موازنة تامة في الزمان.

وعلى سبيل المثال تطعينا لمعجم عربي تاريخي ما، ينبغي الرجوع الى «المقالات» التي ذكرناها انما معجم، قاموس، موسوعة، حضارة، ثقافة، معارف، تراث.

وبحسب أن يختار المقالات التالية التي ستعرض اليها سريعا على سبيل الذكر لا الحصر: أدب، دس، علم، معارف، ديوان، دستور، بلاط، خبر، لون.

ثانيا: الرجوع الى مواد بدائرة المعارف الاسلامية. (E I, N E I)

- مقالة «أدب» نجدها في الطبعة الاولى بقلم كوليد تسيهر (8 و

9 و 10) . GOLDZIER

(8) و (9) و (10) اطر المراجع في حر سحت

ولمقالة الثانية في الطبعة الجديدة لكاريالي (8 و 9 و 10)

F GABRIELI

ونستشهد من هاتين المقاليتين بأهم ما فيهما في ضوء موضوع بحثنا «المعجم العربي التاريخي» قل كولد تسهير: «هاك قول مأثور حري محري الحديث هو «كاد الأدب ان يكون تنثي الدين»... وللفظ الأدب أيضا معنى محازي شأ عنه ما طمح الناس الى الثقافة... هو يدل على جملة المعارف التي تسمو بالذهن والتي تبدو أكثر صلاحية في تحسين العلاقات الاجتماعية وخاصة اللغة والشعر وما يوصل به، وأحبار العرب في الجاهلية»...

وبذكر من كلام كابر بالي في مادة «أدب» ما يلي: «إن تاريخ كلمة أدب لمرة لتطور الثقافة العربية من أصولها اجاهلية حتى اليوم وهو يفصح عن هذا التطور إفصاحا يوارى ما يفصح عنه تاريخ كلمتي «علم» و «دين» الى ان يقول... وفي العصر الحديث اصبح الأدب - بل الأداب - ترادف كلمة الأدب في أخصر معانيها، مثال ذلك تاريخ الأداب لعربية وكنية الأداب لخ»... كما نرى لفظة «أدب» أتب تألف ط أخرى أساسية. «دين»، «ثقافة»، «معارف»، «علم».

- ففي مقالة «دين» بقلم كتين (8 و 9 و 10) S COTON لىقرأ ما يلي: ذكر فقهاء اللغة من العرب في مادة «دين» معاني مضطربة أساسها كلمات قائمة برأسها:

- (1) كلمة آرامية عبرية مستعارة (أي مقترضة) معناها «لحساب»
  - (2) كلمه عربيه خالصة معناها «عادة» أو «أسعمال»
  - (3) كلمة فارسية مستقبة تمام الاستقلال معناها «الديانة».
- وفي مقالة «علم». بتأليف هيئة تحرير «دائرة المعارف الاسلامية»

(8) و (9) و (10) انظر المراجع في آخر البحث.

في طبيعتها الجديدة<sup>(9)</sup> نحدد الصلة بين علم وجَهل و جِلْم ومعرفة وفقه و حكمة وشعور وتعلّم وعرف وعارف وعِرف والعِلْم قديم أو محدث أو حديث وعِلْم عملي وعبادات وعِلْم ومعرفة وأدب وعالم وطلب العِلْم وخصاء العلوم ومراتب العلوم وعِلْم مَحْمُودَة وعِلْم مَذْمُومَة .  
هذا بالإضافة إلى مقالات أخرى تتبع مقالة «علم» وهي :

«علم الجمال» لكتبتها فهواجي S KAHWAGI

«علم الهندسة» لكتبتها بانكري D PINGREE

«علم الهندسة» لكتبتها الاستاذ محمد السويسي من تونس

M SOUISS

«علم الحساب» لكتبتها صبرة A. I SABRA

«علم الكلام» لكتبتها كاردي L GARDET

«علم الرجال» لكتبتها أموراتي B SCARCIA/AMORETT

- أمّ مقالة «معارف» بمجلد الخامس من الطبعة الجديدة<sup>(9)</sup> فانها تشمل على أجزاء عديدة .

1) الامبراطورية لعثمانية ولبلداان العربية بالشرق -  
( لامبراطورية العثمانية وتركيا ، - مصر - ، الدول العربية في المشرق العربي ) .

2) شمال إفريقيا : تونس بقلم أحمد العايد A. ELAYED

- الجزائر بقلم عبد الرحمن الحاح صالح A HADJ SALAH

- المغرب بقلم السالمي J SALMI

3) إيران بقلم محمود سنّي M. SANAI

وفي هذه المقالات الأربع «أدب»، «دين»، «علم»، «معارف» نجد معطيات ومجالات معرفية لا نجدّها في المعجم لتداولتنا بيننا القديمة والحديثة إذن على دارس اللغة العربية وحضارتها ان يكون ملماً

9) نطّر لمراجع في آخر البحث

بها وبالتالي لا يمكن لشارح هذه الألفاظ شرحا لغويا تاريخيا أن يستغني عنها لما فيها من ذكر المدلولات حسب لمكان والزمان ذكرا مستفيضا أو يكاد. هذا بالإضافة الى الإشارة الى أصولها العربية أو غير العربية من اقتراضات من لغات أخرى سامية أو فرسية أو لاتينية أو يونانية وغيرها ولنا من هذه الكلمات الدخيلة امثلة أخرى نذكر منها ديوان، دستور، بلاط.

«ديوان»: مقالة بقلم هيوار (8 و 9 و 10) I. HUART. هذه لمصردة مشتقة حسب قوله من كلمة إيرانية ومعناها سجلات الحساب العامة التي تكتب باليونانية في الشام، ومصر، لمهلوية في بلاد فارس، في السنين الأولى من الفتح العربي، ثم نقلت الى العربية . وأطلق الاسم بعد ذلك على مكاتب بيت المال . . . وأطلق في عهد صلاح الدين على الخليفة نفسه . . . وتدل كلمة ديوان في العربية والفارسية التركية على مجموع قصائد شاعر من الشعراء . . .

ويدل «الديوان» أيضا على بقاء كبير تحبى فيه المكوس، وينزل به التجار لعرباء ويستعمل ايضا مخزنا للبضائع ومن ثم فان هذه الكلمة تردف في الواقع كلمة «خان» أو «خاروان سراي» caravanserail وتضيف نحن اليوم أنّ «الديوان» في تونس له مفهوم دار القضاء ومكتب سياسي، «الديوان السياسي للحزب» ومفهوم وكالة كبيرة متخصصة «ديوان الحبوب»، وديوان التجارة، ومفهوم إدارة «ديوان لإفتاء».

«و دستور»: كلمة فارسية هي اسم الكهنة عند الزرادشتية وتطلق أيضا على لوريير وعلى القاعدة وعلى النسبة التي يحددها العرف على المال الذي يدفع نقدا، كما تطلق أيضا على القانون الأساسي ومنها الدستور التونسي.

---

8) و (9) و (10) نظر المرجع في تحرياح

«وبلاط». بقلم كيس (8 و 9 و 10) F GIESE كلمة عربية مستعارة (أي مقترضة) من اليونانية أو اللاتينية . . . ويقال لساحة وقعة بواتي وتور POITIERS et TOURS بلاط الشهداء سنة الى الطريق الروماني الذي حدثت فيه الواقعة وكثيرا ما تسمى الأماكن بهذا لاسم في الشام وفي الاندلس.

وفي المقالة الثانية لبلاط بقلم سوردا (8 و 9 و 10) D. SOJRDEL نجد ما يلي:

كلمة عربية لها عدّة معانٍ تُت من اشتقاقها الثنائي اللاتيني أو ليوناني بحسب الأحوال فهي إذا كانت مشتقة من «بالاتيوم» PALATIUM فإن معناها هو «لَقصر». أما إذا اشتقت من الكلمة اليونانية «پلاتيا» فانه يكون لها معنيان «الطريق المرصوف».

ونجد مقالة ثالثة «لبلاط» عن اسابيا ومقالة رابعة «بلاط»: قرية صغيرة في موضع ميلقوس (مبصية)، ونجد مقالة خامسة: «بلاط الشهداء».

إذن نلاحظ ما لهذه الكلمات: «ديون»، «دستور»، «بلاط» من مدلولات تتطور وتتكامل حسب الأزمنة

وإذا ما أخذنا مقالة «حيز» في المجلد الخامس من الطبعة الجديدة بقلم الاستاذ شارل بيلا Ch PELLAT (9) نجد فيها ألفاظا حيّة مستعملة بالفعل في القرون الوسطى عهد الجاحظ والى يومنا هذا وقد ذكرها كتب المقالة بشواهدها.

«نحير»، «خبّاز» «فرن»، «كوشة»، «طُلْمة»، وهي نوع من الرقاق المهيّا على حجرة ساحة.

(8) و (9) و (10) انظر المراجع في اخر البحث

(8) و (9) و (10) انظر المراجع في اخر البحث

(9) انظر المراجع في اخر البحث

«مِلَّة»: خبز مهياً في الرماد

«جَوَّارَة»: وهي السميد شديد البياض.

«خبز قَصْر»: هو خبز جاف وخبز سميد، خُبز جيّد و«لِكِسْرَة» (في المعرب) والقرص (المشرق) هو الشعير.

إن هذه الألفاظ الغنيّة من الواجب ذكرها في معجم تاريخي مزعم إعداد ذلك الذي يتابع العالم الإسلامي عبر العصور.

- وفي مقالة «لون»: كذلك في المجلد الخامس من الطبعة

الحديثة<sup>(9)</sup> بقلم مورابيا A MORABIA ، نجد اشارات هامّة الى :

أَبْيَض، أَسْوَد، آدَمُ ثَاغِم، حَوْن، أَشْيَب، صَقْلَب، ظَلَمَ أَغْر، فَقِيع،  
أَغَم، حَوَارِي، خَالِص، أَرْهَر، أَقْمَر، قُهَارٍ، لَهَق، نَاصِع، يَقْق،  
أَهْتَم، حَنْبُوب، حَنْدِس، حُلْبَة، خَالِك، أَحَم، أَحُور، أَخْوَى،  
أَذْكَن، أَذْلَم، أَذْهَم، أَصْحَم، أَضْفَى، مُطْلَم، غَدَاف، غَرِيب،  
قَائِم، قَاتِر، قَاحِم، شَاهِب، أَشْهَب، أَغْثَم، أَقْهَب، أَذْهَم، أَرْبَد،  
أَرْمَد، أَرْمَك، عُغْبَث، أَوْزَق، أَطْحَل، قَهْد، أَكْلَس، أَنْمَس، أَمْلَح،  
أَمْهَق، الخ.

لا شك أن هذه المقالة أغنى بكثير مما نجده في كتاب «فقه للغة»

للثعالبي في ترتيب سواد الانساں إذ قال :

\* إذا علاه أدنى سواد فهو أَسْمَر (brun)

\* فإذا زاد سواد مع صُمرَة تعلوه فهو أَصْحَم (jaune sale)

\* فإذا زاد سواده على الصُمرَة فهو آدَم (brun tirant vers le rouge)

فإذا زاد سواده على ذلك فهو أَصْحَم (noir comme le corbeau)

\* فإذا اشتدّ سواده فهو أَذْهَم (très noir)

إن مقالة «لون» تسجّل مفردات استعملت ومازالت تستعمل

اليوم في اللغات الدّرجة «أَحَم» مثلاً «حَمَّ لي قَلْبِي».

(9) طر المرجع في بحر البحث

فكلمتا «خُبْر» و «لَوْ» غنى مدلولاتها وتنوع استعمالاتها من  
المفاهيم التي لا يمكن ان يجدها مستوفاة متكاملة لعناصر في المعاحم  
العربية لقديمة والحديثة. فلا بدّ إذن ان الاهتداء الى هذا المرجع  
الأساسي «دائرة المعارف الاسلامية» لاستخراج ما فيه من مدلولات  
متطورة استعملت قديما أو هي بصدد الاستعمال حديثا. وكذلك الشأن  
في مقالات أخرى عديدة كمقالة إِيْخْلَاص، «أَخْلَاق»، «دُءَا»،  
«أَدْوِيَّة»، «إِذْن»، «إِبْتِدَاء»، «بُعْث»، «عَرَب»، «حِضَارَة»، «قُص»،  
«لُقْب»، «كُنَايَة»، «جَلْعَة»، «حِثَان»، «حُطْبَة»، «حُصْبَة»، «حِلَافَة»،  
«خَلِيفَة»، «إِمَامَة»، «قِلَّة»، «الْقِبْط»، «خَرْيِر»، «لَكِيْمِيَاء»، وغيرها  
كثير مفيد.

هذا بالإضافة الى أسماء الأعلام وهي كثيرة هامة يجب حردھا  
جُرْدًا متأنيا كاملا إذن «دائرة المعارف لاسلامية، معدن لا يصب ومها  
لمفردات مسجلة تسجيلا دقيقا باحروف والحركات، ومها كل مجالات  
اللغة العربية والحضارة العربية الاسلامية بمختلف ميادينها من علوم  
انسانية الى علوم دقيقة بذكر جدورها العربية وغير العربية ي ذكر هذا  
الرصيد اللغوي المشترك على ضفتي البحر الابيض المتوسط وما وراءه من  
حضارات في القارات الثلاث اسيا وإفريقيا وأروب ذوات اللغات  
السامية والحامية السامية والهند أوروبية.

إن قيمة هذه المقالات أقلام علماء مختصين من مستشرقين  
غربيين وعرب ومسلمين هي في مدى استيعابها لموضوع المادة المعنية  
بالبحث. يضاف الى ذلك المراجع والمصادر التي توجد في آخر كل مقالة  
باللغات الاجنبية الانكليزية والالمانية والفرنسية أو غيرها. . . وباللغة  
العربية بما في ذلك كتب الأدب عامة وكتب العلماء والموسوعات «كرسالة  
إخوان الصفاء» و «كشف الظنون» و«كتشاف اصطلاحات الفنون»  
وغیرھا.

فما من شك ادن في ان «دائرة المعارف الاسلامية» هي من

الاسس الأولى او قل لمصدر الأول للرأى فى عداد «معجم تاريخى عربى» هى مُدَوَّنة لا يستعنى عنها.

وما من شك أيضا فى ان هذا العمل الجليل باللغات الأجنبية الفرنسية والانكليزية والألمانية هو من المراجع العلمية الدقيقة الثابتة التى ينبغى ان يرجع اليها فى أصولها الغربية، أى على مؤلفي «المعجم التاريخي» ان يكونوا ملتمين هذه اللغات أو على الأقل بإحداها حتى يكونوا على صلة حبوة بأحر ما يصدر فيها دون ترقب نقل ما فيها الى العربية لما فى عملية النقل من بعض تحريف ومن تأخير ومن عدم مواكبة فى الزمان.

وحتما د علمنا ان «معجم أكسفورد» الانكليزي استغرق انجازه سبعين سنة وضم أكثر من ثلاثة ملايين ونصف شاهد لغوي، واداء علمنا أن المركز القومي العربي فى «ناسي» جمع فى عشر سنوات حولى مائتين وخمسين مليون شاهد بمعدات إلكترونية.

وإذا علمنا ان معجم «روبار الكبير» يحتوى على مائة وعشرين ألف شاهد، وإذا علمنا أن المعجم عامة يُطَعَّم باستمرار فمتلا بين طبعة معجم «فيهري» الأولى سنة 1958 وطبعته الرابعة سنة 1970 زيد ربع المداخل تقريبا، وإذا علمنا أن تأليف المعجم يتطلب معرفة بعلم المفردات أى «المعجمية» (Lexicologie) ومعرفة بصناعة المعجم أى المعاجمية (Lexicographie) اتضح لنا ان المعجم عامة أصبح عملا مؤسساتيا لا فرديا.

أما إن كان المعجم تاريخيا فإنه يفترض لاجازه مؤسسة علمية خاصة أو حكومية أو عربية أو دولية مؤسسة يشترك فيها علماء عديدون من لغويين معجميين معاجميين ومن مختصين فى العلوم الانسانية وفى العلوم الدقيقة. وعلى سبيل المثال نذكر ان مؤسسات عديدة تشترك فى إنجاز «معجم هاس فيهر»<sup>(1)</sup> شركة «أرمكو» والمجلس الأمريكى

(11) انظر المراجع فى آخر البحث



للمجموعات العلمية وجامعة «كورنال» أما «معجم السبيل»<sup>(12)</sup> لزميلنا الاستاذ دانيال راغ Daniel REIG فشركة لاروس تحتضنه طباعة وتوزيعا.

إن «المعجم العربي التاريخي» المثالي يصعب تأليفه، هو عمل طويل النفس يتطلب تظافر جهود العلماء وجهود لتقنين في الحواسيب، هو عمل جماعي يلتقي فيه العالم في الصوتيات، في الصرف والنحو، في علم الدلالة، ويلتقي فيه العلماء في كل العلوم الانسانية لأخرى من تاريخ الى جغرافيا الى علوم الاجتماع الى علم النفس الخ... ويشترك فيه بالضرورة العلوم الدقيقة من فيزياء الى كيمياء الى علم الفلك الى طب الخ... ويسهم فيه مباشرة العلماء في تسخير الأجهزة الالكترونية والاستفادة من المعلوماتية والحوسبة المتقدمة المتطورة وصناعة المعجم هي حرفة وتصنيع.

لكن لتذكر ما قاله هيوود HAYWOOD «المعجم العربي منذ نشأته كان يهدف الى تسهيل المادة اللغوية بطريقة منظمة وهو بهذا يختلف عن كل المعاجم الأولى للأمم الأخرى التي كن هدفها شرح الكلمات النادرة أو الصعبة» ولنتسلح بالأمل إذ لنا تقاليد عربية معجمية معاجمية فنرجو ان ينجز «معجم عربي تاريخي» لهذه اللغة العربية المتسعة مكانا في اثنتين وعشرين دولة عربية وفي دول أخرى اسلامية في القارات الخمس، والمتسعة زمانا الى اكثر من خمسة عشر قرنا إذا تصورنا المنهجية لفضلي والمواصفات الدقيقة والأجهزة المعاصرة المعينة تساءلنا: هلا قريبا من مؤسسة مخططة لهذا العمل الطويل؟ هلا قريبا من «معجم عربي تاريخي»؟ نرجو ذلك إذ بإجازه سيتحقق ما في مادة علم من قوى كامنة لا حد لها أي من «علم» وعمل «لمع» فكان «العلم» فليكن المعجم التاريخي العربي داك المشروع الذي من عمل فيه بعلمه لمع فكان المحتدى والعلم.

(12) انظر لمراجع في آخر البحث

## المراجع

- 1 ( لسان العرب من منظور شوقي سنة 711 هـ 1311 م، تريب شتيفي حسب حروف الهاء (المعجم الحديث)، إعداد وتصيف يوسف حياط وسليم مرعشي بيروت 1970 - 3 مجلدات)
- 2 (المعجم في اللغة والأعلام تأليف نويس معنوف ولأباء يسوعيين (دار شرق بيروت ط 17 سنة 960 )
- 3 ( المعجم الوسيط معجم مجمع اللغة العربية رقم 1 حراجه ابراهيم مصطفى، أحمد حسن تريب حمد عبد الله، محمد علي اسحار، وشرف على طبعه عبد السلام هارون ح 1 960، ح 2 961 مطبعة مصر، القاهرة)
- 4 ( القاموس المحدد للطلاب (معجم عربي مدرسي ألفاني) تأليف بن هادي بنحسن شش، خلالي بن احاج بحى ط 1 919
- 5 ( المعجم العربي الأساسي (معجم المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) تأليف أحمد البعيد، حمد محمد عمر، اخيلاي بن خاخ خيي، داود عبده، صالح خود الطعنة، علي قاموسي، بدم المرعشي، سيق علي لفاشي، مرجعة بدم خشان، حسن بشار بديم مرعشي (الكسو - لاروس 1939) معجم مرتب حسب الترتيب خدري وهو مختص بالاطفال عبر اللغة العربية لمن يتعلمون مستوى متوسطا و متقدما في دراستهم وللمدرسين والأساتذة منهم والأنظمة الجامعية في أقسام الدراسات العربية والإسلامية والتفصيل منهم بوجه عام، وهو معجم يعوي تحتله معنومات موسوعة ومصطلحات علمية محدده وسواها ومثله بوصفها كنه
- 6 ( المعجم الكبير (مجمع اللغة العربية) الجزء الأول حرف الهاء در نكت 1970
- 7 ( المعجم العربي الحديث لأرويس (معجم موسوعي شامع) تأليف د خليل خرم (مكتبة لاس باريس 1973) مرتب ترتيبا جديدا
- 8 ( دائرة المعارف الإسلامية النسخة العربية، إعداد و تحرير براهيم ركي حورشي، حمد سبي، ر عبد حميد بوس (كتاب الشعب) القاهرة، الطبعه ثلثه ص سنة 1469
- 9 ( Encyclopedie de l'Islam + Suppléments Wenseck, Bassek, Hartmann, Lewis, Pellat, Schacht Levy-Provença. Encyclopedie de l'Islam - Nouvelle Edition C.E. Bosworth, E. Van Donzel, B. Lewis Ch Pellat Leiden E.J. Brill Paris ed Maisonneuve et Larose)

10} مستشرقون - بحث لعصفي ح 1 1964، ح 32 1965، ح 3 1967 (در معرف  
مصر)

11} معجم العربية المكتوبة لماصرة - هانس فيهر (عربی نکتیری) HANS WEHR  
DICT ONARY of MODERN WRITING ARABIC الطبعة الرابعة (بربادان 1979)

12} السبيل - معجم عربی - فرسی - فرسی عربی، دیت ربح (معجم لئعه العربیه خدشه  
مکته لاروس پاریس 1981)

DANIEL REIG Dictionnaire Arabe - Français Français - Arabe

## دائرات المعارف وصلتها بالمعجم التاريخي (العربي)

بحث : الأستاذ فرحات الدريسي

إنّ الطنّ الغالب أنّ من أعلق ضروب التصنيف بعصر التدوين من جهة جمع المادة اللغوية وعلى تقرير السبق في الزمان التأليف المعجمي في اللغة العربيّة <sup>(1)</sup> ولعلّ حركة التأليف المعجمي بطبيعتها - من جهة العموم - وعند العرب - من جهة الخصوص - من أكثر حركات التأليف اشداداً الى الرغبة في الاحاطة وفي الشمول <sup>(2)</sup> ابتغاء الاستيفاء والاستتمام .

ولعل هذا المقصد ذاته ظلّ - إلى جانب دوافع أخرى - يستحثّ - إن قليلاً أو كثيراً - حركة التأليف المعجمي في العصر النهضوي الحديث على تقرير ما بات يقينا من حرص شديد على رصد نقائص المعجم العربي وتتبع هناته وضبط سقطاته تصحيحاً واستدراكاً وإحياء ووضعاً <sup>(3)</sup> .

(1) - انظر مثلاً : حسن نصّار = المعجم العربي - شأته ونصوره . دار مصر للطباعة .

محمد حسن حسن «الاستدراك على المعجم العربية» دار الفكر العربي 1986

(2) - انظر مثلاً : «الأزهري» تهذيب اللغة، الدار المصرية للتأليف والترجمة - القاهرة 1964 - 1967 ، (10 أجزاء) .

«الحوهري» «الصّحاح» ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار - دار الكتاب العربي القاهرة 1956 (6 أجزاء)

(3) - انظر : محمد صبري حمدي ، حركة التصحيح اللغوي في العصر الحديث ، دار الرشيد ، وزارة لثقافة والاعلام بجمهورية العراقية ، بغداد ، 1980

أحمد الشرقوي إقبال - معجم المعجم دار العرب الاسلامي بيروت 1987

إنَّها لتذكرة ناصّة على أنّ سمة الاستيفاء في العمل المعجمي موسوعيا كان أو عامّا أو متخصصا من اللّزوم في صناعة المعجم من جهة الجمع لكنها لا ترقى إلى الكفاية حتى وإن تعددت المصادر والمراجع وتوسّعت فضلا عمّا يحكمها من شرائط وعمّا يصدر عنه مزاوله من متصورات وأحكام<sup>(4)</sup>.

ولعلّ الاجماع مستحصل تصرّحا وتلميحا على ان مردّ مطعن القصور في شأن حركة التأليف المعجمي بالعربية - على قدم تلك الحركة - إلى خلوّها من معجم يستقلّ بأطوار استعمال الكلمة على اختلاف الأزمنة والأمكنة.

ولعلّ بعض المستشرقين تَمَنّ وقف عمله على الدراسات اللغوية - في حدود المعلوم من الوثائق - من أول من فطن إلى خلوّ حركة التأليف المعجمي بالعربية من معجم تاريخي وإن انبرى هو نفسه يستكمل المعاجم العربية ويستجمع شيئا من الرّابطات الجامعة بينها وبين ما سواها من الألسنة<sup>(5)</sup> بهدي من رؤية ستستحكم ملاحظها في نوع من المعاجم لغير العرب في أزمنة لاحقة<sup>(6)</sup> ألحّ فيها اصحابها على قيمة

(4) - بطر اسيرطي . لرهبر في علوم النّعة وأنوعها تحقيق محمد جاد المولى وعي الحوي ومحمد أبي لفضل در إحياء الكتب العربية (د ت)

(5) R Dozy Supplément aux dictionnaires arabes E J Brill Leyde 3ème éd 1967 2vol

R Dozy dictionnaire detaile des noms des vetements chez les arabes, Amsterdam 1845

(6) - اطر عن سبيل المثال

Emile Genest Dictionnaire des citations (des phrases vers et mots celebres employes dans le langage courant avec précision de l'origine), Paris 1967

وتَمَحَّاه في تقديمه (ص 6)

«Nombre de pensées réflexions sentences, maxims éparses chez les écrivains français ont pris l'aspect de proverbes ou s'implantent en phrases connues» dans les livres, écrits d'écrits, journaux etc... On les énonce on les répète à l'envi sans se rappeler toujours leur état civil... l'œuvre d'un écrivain qui pour donner le jour

## المرجع وموطن الاستعمال قديما حديثا . . .

[كم من أفكار وراء وأحكام وحكم مشورة عند كتاب العربيين قد حرت بحرى الأمثال أو تزلت حملا مألوفة في تصديف والتأليف والأقوال والصحف وغيرها . . . ينمط بها الإنسان ويكرر استعمالها قدر ما شاء ذوق أن يتذكر أند أصوها ومرجعها والمؤلف الذي استعملها أول مرة]  
انظر أيضا

Paul Rouas Dictionnaire des idées suggérées par les mots. 33ème édition  
Armand colin Collection U Paris (S. d.)

وبما ورد في تمهده

Le mot sur le bout de la langue ou de la plume et ce mot ne se présente pas à l'esprit, ou le chercher? ou le trouver?

في أن يقول

Et ces mots éveillent les idées remédiant à nous à la difficulté plus grande d'aller de l'idée au mot que du mot à l'idée

[اللفظ على مشرف اللسان أو يقارب تسخير النظم إلا أنه لا تتحق بلذهن وأنى يبحث عنه؟ وأنى يعثر عليه؟]

وتهدى تلك الألفاظ [لذهن] إلى المعاني فتحقق وطأة لنهج الأعسر بالانتصار من المعنى إلى اللفظ بدل الاتصال من اللفظ إلى المعنى]

ولقد ترسم - الآن - الاستعمال ولو احقه سلطة بعونه عما يصدر العمل المعجمي محكوما بقانون تطوّر اللغة

انظر - على سبيل المثال

Cahiers de lexicologie

(Revue Internationale de lexicologie et exicographie) vol L 1987 Article F J H  
Le dictionnaire, catalogue d'emplois - étude de lexicographie comparée PP 107 - 114.

وبما ورد فيه :

Les dictionnaires selon la belle formule de Robert Léon wagner sont non seulement des catalogues de mots, mais en rapport direct avec leur qualité des catalogues d'emplois . Il ne saurait y avoir de bon dictionnaire d'usage sans la «présentation des emplois réels des mots dans le discours»

[إن المعاجم - حسب قول روبر ليون فيمر - اللبقة ليست قوائم ألفاظ فحسب وإنما هي أيضا من جهة لتطوّر خوصول بكيفية ما هي عليه قوائم في وجود استعمالها .

فه ليس بوسعنا أن نحصل على معاجم صالحة للاستعمال ما لم نعرض وجود استعمالها لكلمات كما هي عليه في واقع الكلام ]

وأما الحركة المعجمية العربية - على تنوع مسائلها وثراء موادها واختلاف مقاصدها وتعدد مناهجها - فقد ظلت قديما وحتى حديثا محكومة - على وجه الخصوص - بمقصدي التصريب اللغوي وتقويم اللسان أو منشده إلى الغريب بأصنافه . ولئن كان حظ معاجم المعاني من الحركة المعجمية حظا غير مبخوس (معاجم الأضداد والترادف والاشتراك . . . )<sup>(7)</sup> فإنها حركة معجمية قد انخرطت في الفصاحة والبيان رغبة في حق القول وحق النقض فنشأ عن ذلك ان كانت قاصرة عن إدراك تحولات معاني الألفاظ ودلالاتها وعن استيعاب معاني تلك التحولات وفق اختلاف الأزمنة والأمكنة<sup>(8)</sup> .

وإذ رقي الثقافي في الذهنية العربية بصفة أعم واللغوية عموما والمعجمية خصوصا منذ قرن أو يزيد صارت إثره مباحث الزمان والمكان من مطالب الفكر التحديثي وصحَّ العزم على مقاربة صناعة المعجم التاريخي للغة العربية بعد ان استساغ التفكير اللغوي ذاك المبحث على صعيدي الفردي والمؤسسي ارتأينا ان لا يغفل البحث عن مدى ما يمكن ان تسهم به دوائر المعارف أو الموسوعات من جهة ما قد يخاله لغوي من وسائط بين دائرة المعارف وبين المعجم عامة والمعجم التاريخي خاصة على صعيدي المعرفي والمنهجي قد يستخلص منها الباحث تقاطعا أو تواريا بين دائرة المعارف والمعجم .

(7) - نظر - مثلا - حمد الشرفاوي إهمال معجم المعاجم (تعريف نحو لف وصف ألف من معاجم العربية التراثية)، الجمعية العربية للتراث والتأليف والترجمة والنشر دار لغزب الاسلامي ط (1) بيروت 1987

(8) - نظر خاصة أوجيست فيشر المعجم اللغوي التاريخي لقسم (1) من أول حرف اهمرة بى اى اى بشر معجم لغة العرب ط (1) القاهرة 1967 يهوب في ص 7 متحدث عن المعجم التاريخي 1 يجب ان يحوي المعجم التاريخي كل كلمة تُدوَل في اللغة لكن لمعجمات العربية عبدة كل بعد عن وجهة النظر هذه إذ أنها لا تعالج اساحيه لتاريخية المفردات اللغة بل تقتصر على إيضاح الاتحاد المودحي لها . . . ولكنه [هذا الاتجاه] عاق لفوه الحيوية الدافعة في اللغة عن التقدم والتوسع

وإذا كانت قيمة الافتراض في البحث مقترنة بمدى إخصابه فإن شرعية هذا للبحث تترسم من جهة ما يستحصل من عناصر المؤلفات والمجانسة بين خطة دائرة المعارف وخطة المعجم التاريخي على تقدير المقصد النظري والعمل الاجرائي

وإنها لتضيق على تقدير ما يكون بينهما من عناصر المخالفة والمغايرة<sup>(9)</sup>. فكيف تتجلى حينئذ في دائرة المعارف درجة الوعي - متى استخلصت - بالبعد التاريخي للكلمة في علاقته بالاستعمال على تقدير تطوير المعنى وتتبع تحوله وتسجيله وفق أطوار تاريخية للكلمة بالحرص على التنصيص على معناها الاول في زمن استعماله الاول وعلى تثبيت التدرج في ضبط تحولات المعنى وفي تفسير معنى تلك التحولات<sup>(10)</sup>.

إن مبدأ مطلبنا حينئذ في تدبر جهود موسوعية فردية عددنا منها دائرة معارف بطرس البستاني<sup>(11)</sup> ثم دائرة معارف محمد فريد وجدي<sup>(12)</sup> وفي تدبر جهد جماعي «دائرة المعارف الاسلامية» قام به اعلام المستشرقين<sup>(13)</sup> دون ان نغفل كل الغفلة عن جهود موسوعية

(9) - عن في ذلك تقرير لما أشار إليه أوجيست هيشر في مرجعه السابق ص 6، بقوله . . . ومن مرغوب فيه كل ترجمة لقيم بحث دقيق قائم بدائته عن علاقة المعجم العرسي بعضها بعض وبعده أخرى عن رد بعضها الى بعض»

(10) - نظر على سبيل المثال مقدمه

J Picoche Dictionnaire Etymologique du français (les Jussieu du Robert, N ED 1983 Paris

(11) - بطرس البستاني دائرة معارف وهو قاموس عام لكل فن ومطلب ط بيروت 1876 (6 ج)

(12) - محمد فريد وجدي دائرة معارف لقرن الرابع عشر/العشرين دار المعرفة للطباعة والنشر ط 3 بيروت 1971 (10 مج)

(13) - دائرة المعارف لاسلامية فيها الى العربية محمد ثابت القسدي - أحمد الشتاوي - إبراهيم ركي حورشيد - عبد الحميد بوس (د ت) (4 مج)



أخرى قد يقل شأنها في حدود ما نروم اختباره من مبحث معجمي وقد  
عددنا منها دائرة معارف الأعلمي<sup>(14)</sup> ودائرة المعارف العثمانية<sup>(15)</sup>  
وموسوعة أحمد عطية الله<sup>(16)</sup> وموسوعة التهانوي<sup>(17)</sup>.

يلحظ الناظر في مقدمات دائرات المعارف منذ البداية أن  
أصحابها لا يصدر عن ذهنا عن نظرية في تأليف المعاجم أو عن شعور  
بنقص المعاجم العربية أو عن رغبة في تأليف معجم جديد أو عن  
إدراك ناص على وعي عارف بالبعد التاريخي في علاقته باستعمال الكلمة  
من جهة جواز أن يتطور معناها الأول من حيث المفهوم والاستعمال وفق  
أطوار تاريخية للكلمة وإنما أمر أهلها من العرب دون استثناء إحياء  
الأدب والمعارف واللغة العربية وتيسير تحصيلها وترويضها على التعبير  
عن «وسائط التمدن والتقدم»<sup>(18)</sup> لاتساع أفق المعرفة، وأما حاصل  
نوايا المستشرقين ومقاصدهم فنشر تراث الإسلام وتعميمه وتعميق  
المعرفة به بالكشف عن أسسه ومثله<sup>(19)</sup> بينما ظلت دائرة معارف

(14) - محمد حسين سليم الأعلمي دائرة المعارف المسماة سقنس لأثر ومحمد م دثر ص (7)  
مطبعة الحكمة قم 1374 هـ.

(15) - دائرة المعارف العثمانية ط (1) حذر الله ذلك الله (د ت) (3 مج)

(16) - أحمد عطية الله قاموس إسلامي مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1963/1966 (5  
مج)

(17) - محمد التهانوي : كشف اصطلاحات لغوي تحقيق لطفي عبد ليدع ترجم النصوص  
مدرسة عبد النعيم محمد حسين ورجه أمين الحولي المؤسسة المصرية العامة للتأليف  
والترجمة والطباعة والنشر 1963 (2 مج)

(18) يقول محمد فريد وحدي في مقدمة مج (1)

«... ولكنا اليوم ذكرنا حاجة الأمة إلى دائرة معارف أعز مدد وأجمع  
فوائد ولكن من أين ضم هذا لا بدائرة علوم مستكملة لا تنوع صغيرة ولا كبيرة لا  
أحصىتها؟ فأجمعنا على وضع دائرة معارف... فعرفت توسع في قسم اللغة توسعا  
لا بدع حاجة في النفس وإن تستط في القسم العملي تستط يبلغ بالطالب عاية م يرمى  
ليه»

- انظر كذلك مقدمه السناني

(19) انظر مقدمة دائرة المعارف الإسلامية مج (1) الترجمة العربية

الأعلمي والعثمانية وموسوعة التهانوي محكمة بغاية الاستدراك والالتزام بدافع رغبة جارية في الاستيفاء والشمول<sup>(20)</sup>.

إنَّ ما أُلْعِنَا إليه لا يعني البتة أن خطة دائرة المعارف - عند المحدثين العرب - المحكومة بالمقصد النهضوي على صعيد المعرفي قد رقيت إلى درجة احتجب معها أثر خطة المعجم في دائرة المعارف إذ ما انفك مفهوم المعجم يكافيء من بعض وجوه مفهوم دائرة المعارف إذ يرسم بطرس البستاني عنوانا يقرن بين دائرة المعارف والمعجم على هذا النحو: «دائرة المعارف = وهو قاموس عام لكل فن ومطلب».

ويضيف في الصفحة الخامسة من مقدمته مج (1) «فهى . . . قاموس عام للمعارف من جغرافية وتاريخية وعلمية وصناعية وسياسية وأدبية يحتوي على كل ما تصبو إليه النفس ويغني مقتنيه عن مكتبة كبيرة».

وينص «وجدى» في مقدمته . مج (1) على أن دائرة معارفه «قاموس عام مطول للغة العربية والعلوم النقلية والكونية بجميع أصولها وفروعها» ويثبت «الأعلمي» في مقدمته . ص 2 : أن دائرة معارفه «معجم كبير وسفر خطير جمع فأوعى وحاز فأوفى».

ويلحظ الدارس أنه كثيرا ما حافظت دائرة المعارف عند العرب - على وظيفة المعجم إن لم نقل تأسست عليها إلى حد كبير إذ يقول وجدى - مثلا - في مقدمته «فقد وضعنا كتابنا (كنز العلوم واللغة) قبل خمس سنين وكان غرضنا الأول منه أن نحصر خلاصة معلومات البشر كلها في دائرة واحدة . . . ولكننا اليوم . . . أجمعنا على وضع (دائرة معارف) على أسلوب يناسب الحاجة العصرية ليكون بإزاء سابقه (كنز العلوم

(20) - يقول الأعلمي في مقدمة مج (1) ص 7

«والدعنا على التأليف أنبي نظرت في كتب أصحاب رسول الله عليهم وموسوعات راجعهم التي بأيديهم من المصنفات والمؤلفات فوجدناها حالية من ذكر جمع من الأعظم وأعيد لرحل وثقة رواة»

واللغة) كدائرة معارف لاروس الكبيرة بجانب قاموسه الصغير. . .  
فبدل ان تقتصر على بعض اللغة نلّم باللغة كلّها» .

ولقد ظلت خطة دائرة المعارف تهتدي على صعيد الاجرائي  
كذلك بخطة صاعة المعجم من جهة الترتيب والتبويب إذ يقول  
«البستاني» في مقدمته ص. ص 5 - 6 . «قد رتبنا دائرة المعارف ترتيبا  
قاموسيا سهلا . . . فيكفيه (القارئ) ان يعرف تهجئة الكلمة . . .  
فيطلبها في الحرف الأول منها سواء كان من أصول الكلمة أو مزيدا  
عليها . ويشير «وجدى» في مقدمته إلى ان مادة تصنيفه «مرتبة ترتيب  
القاموس لتسهيل مراجعتها على لطالب»

ويسجل «الأعلمي» في ص. 4 . من مقدمته « . . . قد راعت  
في حروف الكلمات كل ذلك على ترتيب حروف المعجم والهجاء . . .  
ثم ذكرت في الاثناء ما يتعلق بالكلمة من باب المناسبة والاستطراد» .  
والتزم «أحمد عطية» في «القاموس الاسلامي» ترتيبا أبجديا  
وصنف التهانوي مواده «أبوابا وفصولا ، الباب باعتبار أول الكلمة  
والفصل باعتبار آخرها» . . . فلعله يتصح حينئذ ان حدود الفصل بين  
دائرة المعارف والمعجم في ذهن اللغوي العربي واهية وان عاصر التمييز  
بينها منظرة مادام الفهم المنبني على المدركات يحيل على المعجم حالته  
على دائرة المعارف ومادام التمثل والتصور يسلمان إلى الصنفين مجتمعين  
متكافئين فضلا عن المستحصل منها من تماثل وتطابق بينهما من جهة ردّ  
المواد إلى ترتيب واحد . . . حتى لكأن الشأن تطويل وتوسيع وتبسط أو  
على حدّ عبارة «وجدى» في مقدمة . مج (1) . «فبدل ان تقتصر على  
بعض اللغة نلّم باللغة كلّها» .

فإذا كان العقل المدرك العربي لا يعصل فصلا واضحا بين حدود  
دائرة المعارف وبين حدود المعجم ووسعنا ان نردّ المدركات فيهما بعضها  
الى بعض جازت مسألة : إلى اي مدى حينئذ يمكن ان نستخدم دائرات  
المعارف مصدرا من مصادر المعجم لتاريخي بعد ان ألعنا إلى إجماع  
لغوي يمكن ان تحتزنه عبارة أوجيست فيشر الآتية (في القسم الاول من

لمعجم التاريخي - ص 7 ) وان تختزله «المعجمات العربية بعيدة كل البعد عن وجهة النظر هذه إذ انها لا تعالج الناحية التاريخية لمفردات اللغة بل تقتصر على إيضاح الاتجاه النموذجي ها» فضلا عن التذكير بمنحى المعجميين المحدثين والذي يمكن ان تنبىء به عبارة «البستاني» الآتية في ثايا تقديم «قطر المحيط» وقد سمّيناه بقطر المحيط لأن نستنه إلى كتابنا المطول في هذه الصناعة بمحيط المحيط توشك ان تكون كنسبة قطر دائرة إلى محيطها» .

إنه لئن فاق حظّ عناصر المؤلف والمجانسة بين دائرة المعارف والمعجم حظّ عناصر المحالفة والمغايرة وانخرطت دائرة المعارف في مظاهر العمل المعجمي المعهودة من جهة المفهوم والوظيفة وخطة الانجاز فان الناظر في مقدمات دائرة المعارف يستشفّ انبثاث هاجس عنه صدر أصحاب دائرات المعارف وفيها اندسّ بدرجات متفاوتة إن هو إلا الحاجة الملحة إلى سدّ مواطن شغور عديدة بين لاسماء والاشياء في جانب اللغة العربية وقد تجمعت منبهات الحاجة في حركة الزمن اي في التاريخ .

إنه لئن لم ترق مفهوما دائرات المعارف العربية إلى درجة ينكشف معها ان الموسوعيين العرب المحدثين فقهوا ان للكلمة أطوارا تاريخية والتقطوا ظاهرة تحولات المعنى وبصروا بمعنى التحولات فهل يعي ذلك اننا عدنا في دائرات المعارف عبر خطّة انحازها إجرائيا ما قد يشفع لها مصدرا من مصادر من مصادر المعجم التاريخي على صعيدي المعرفة والمنهج ؟

---

(21) - انظر مثلاً ر. بلاشير نظرات لُغة العرب ومحاها معصر الحصر (محمد محمد محمد عاري) المكرس 4 ع 5 مارس 1959 ص ص 62 - 64  
- وصر كسك ر. ب. مع (مستشرق أمريكي) بصره من حدود في لغة مرجع سلس ص 21

لقد انبثت سائر دائرات المعارف المحدودة على نزعة موسوعية إذ رامت غزارة المادة مطلباً واستفاضة البحث منهجاً فنشأ عن ذلك استبعاداً واستلزماً - ان تراكمت المعارف وان استبدت رغبة البحث في الاحاطة والاستيفاء بالتصنيف الذي انقاد بدوره الى عمل معجمي سرعان ما انشد إلى الانشغال بتعدد المعاني انطلاقاً من المعنى اللغوي فالمعنى الاصطلاحي في غياب مطلق لاستحضار أحوال الكلمة وتغيرات معناها ومعنى تغيراته على غرار ما يلي من أمثلة نموذجية تتوزع على جانب من الموسوعات المرصودة:

يقول «البستاني» في مج . 2 . ص 558 :

- احتكار - الاحتكار في اللغة احتباس الشيء لفلائه وفي الاصطلاح الشرعي اشتراء قوت البشر والبهائم وحبسه الى وقت الغلاء .  
- وفي مج . 2 . ص 622 :

- اختيار - الاختيار ترجيح الشيء وتخصيصه وتقديمه على غيره وهو أخص من الارادة وفي اصطلاح النحاة امتلاك إجراء الكلام على أصله ونقيضه وهو الترام إخراج الكلام عن أصله لباعث يستلزم ذلك . . . وفي اصطلاح المتكلمين قد يطلق على الارادة وقد يطلق على القدرة ويقابله الايجاب . . .

ويورد «وجدى» في مج . (1) . ص ص 307 - 309

اسمكسيا : = كلمة أعجمية معناها الاختناق . وهي حالة تعري الانسان بعارض من عوارض كثيرة ينقطع فيها النفس ويظهر على المصاب علامات الموت وما هو بميت .  
- أسبابه - رداءة الهواء أو عدمه كما في حالة الغرق واخنق . ومنها ما يحصل من زيادة الحرارة . . . ومنها ما يشأ من الصواعق . . . الاختناق من الفحم . . . الاختناق بالغرق . . . الاختناق من الحمام . . . الاختناق من الازدحام . . . اختناق الاطفال المولودين . .

ويورد «الأعلمى» في مج . (1) . ج 2 . ص 223 :  
الآل = بالمد . قال في (مص) آل يؤول أولا ومآلا . رجع . والآل أهل  
الشخص وهم ذو قرابته وقد يطلق على أهل بيته وعلى أتباعه .  
وقال . . . أهل الرجل آله وهم أتباعه وأهل ملته (ثم) كثر  
استعمال الآل على أهل بيت الرجل لأنهم من يتبعه وأهل كل بيت  
أمته .

ويورد أحمد عطية . في مج 2 . ص 70 :  
الحزب - لغة الطائفة من الناس أو الجماعة المؤتلفة من حيث المعتقد أو  
العمل الذي تشترك فيه وقد جاء لفظ حزب في القرآن بهذا  
المعنى حيناً مجرداً مثل قوله تعالى «كل حزب بما لديهم فرحون»  
أو مضافاً إلى الله تعالى مثل قوله تعالى «رضي الله عنهم  
ورضوا عنه أولئك حزب الله» أو مضافاً إلى الشيطان مثل  
قوله «ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون» كما وردت كلمة  
أحزاب وهي جمع حزب في مواضع مختلفة من القرآن تشير إلى  
طوائف الكافرين بدعوة الرسل والأنبياء عامة . قال تعالى :  
«فلما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله» .  
2 - الحزب اصطلاح يقصد به قسم من القرآن الذي ينقسم  
إلى ثلاثين جزءاً وكل جزء يقسم إلى حزبين . . .  
3 - الحزب اصطلاح يقصد به الورد الذي يتلوه الصوفي في  
خلوته وهو مجموعة من آيات قرآنية وأدعية يصوغها الولي  
لأتباعه

- وانظر كذلك على سبيل المثال : أحمد تيمور : الموسوعة التيمورية : «من  
كنوز العرب في اللغة والفن والادب» . القاهرة . 1961 .  
ص . ص 27 - 29 . قصيدة في معاني لفظ العين لأحمد السجاعي (ت  
1197 هـ) . (26 معنى) .

وقلنا عشرنا على استخلاص دلالات اللفظ المتطورة من عصر الى عصر ومن بيئة الى بيئة على غرار ما صادف ان سجّله «وجدى» في دائرة معارفه مج. 6. ص 583. من تحولات في المعنى ومعنى التحولات التي طرأت على كلمة «العلم» وإن كانت منقوصة من الشواهد الحاسمة إذ يورد:

«العلم: كلمة من أشيع الكلمات المستعملة قديما وحديثا وهي في كل دور من أدوارها تطلق على ما يضاد الجهل على الإطلاق وكثيرا ما لحق بها التخصيص في أحوال معينة فصارت تعنى ما يضاد الجهل بنوع محدود من المعارف. فلنعتبر حال هذه الكلمة عند العرب مثلا في حال جاهليتهم فقد كانت تطلق على ما ينافي الجهل بمعارف الجاهليين المحدودة وكانت لا تتعدى الشعر والكهانة والقيافة والخطابة والانساب فلما ظهر الاسلام كان يراد من العلم ما ينافي الجهل بما ظهر من المعارف الجديدة وهي الكتاب والسنة وأخبار الملاحم. ولما ازدادت معارف العرب صارت تطلق على ما ينافي الجهل بما ظهر من المعارف الجديدة كالفقه والتفسير وشرح السنة والتاريخ وطبقات رواة الحديث والنحو ثم انتشرت العلوم الكونية فيهم وتشعبت المعلومات لديهم فصار يستعملها كل فريق فيما هو بسبيله فاتسع مدلولها اتساعا يناسب اتساع مجالات المعارف الجديدة. ولكنها اليوم تعني في أوروبا مجموع المعارف الانسانية المؤيدة بالدلائل الحسية وجملة النواميس التي كتشفت لتعلل حوادث الطبيعة تعليلا مؤسسا على تلك النواميس الثابتة ولا تستعمل إلا مفردة ومع هذا فقد تطلق على مجموع معارف في فرع خاص من المعارف الانسانية وفي هذه الحالة يلحق بها التخصيص فيقال: علم الكيمياء وعلم الفلك مثلا. وقد يعترها الجمع فيقال العلوم الكونية والعلوم الرياضية. وقد كاد العلم تخصيصا معنويا في هذه القرون المتأخرة فصار لا يطلق إلا على المعارف التي تقع تحت أحكام المشاعر وتخضع لامتحانها». فلعل هذه المثال وأشباهه ونظائره تماندُر استحصاله من دوائر

معارف العرب المحدودة من بعض آثار وعي مصطدم بحقيقة تغير الزمان غير انه لا يترسم في الفكر ولا يتجسم في اللغة إلا متى أطل المثقف العربي على شيء من أسباب تمدن الآخر (الغرب) العلم، وإن هي إلا وثبات معدودات سرعان ما تغير في مظاهر العمل المعجمي المؤلف الذي يرد دائرة المعارف إلى معجم مطول أو الى معجم أعلام (22) أو المعجم إلى ضرب من دائرة معارف.

إن افتقاد التضام أو التضاف بين اللغة من جهة أنها كيان حي يخضع لسنة التطور والتبدل وبين التاريخ (الزمان) من جهة أنه حركة دائبة وقوة دافعة في أعمال المعجميين العرب النهضويين قد وازاه وعي عارف - عند المستشرقين - «بالناحية التاريخية لمفردات اللغة» نرصد رسومه في حدود ما نحن بصدد في «دائرة المعارف الاسلامية» على صعيدي التصور والمنهج في الوقت نفسه (أي على صعيدي العلم ومنهج العلم) إذ لا يخلو تقريبا - بشيء من المسامحة والتجاوز - استخدام مفهوم من المفاهيم من ثوابت خطة عمل أهمها تاريخية اللفظة وتحولات المعنى ومعنى تحولات المعنى تاريخيا وفكريا وتثبيت الشواهد الحاسمة وذكر المراجع.

وإذ أن الشاهد يزيد الحجة إقناعا وجب ان نضرب بعض الامثلة التي انتحبنا منها المواد اللغوية الآتية (23):

- أدب . مج 1 . ص 532
- زكاة . مج 10 . ص 355
- زنديق . مج 10 . ص 441

---

(22) - نضر عيسى سبيل مثل أنص «دائرة المعارف» بطرس استاوي  
- مجمع اللغة العربية بالقاهرة المعجم الكبير (1) حرف هـ (1956) مطبعة  
دار الكتب - القاهرة 1970

(23) - نضر بصوص اسواهد تمة في مطابها أسقطها حتى لا ثقل بعمل



- صدقة . مج 14 . ص 164

- صلاة . مج 14 . ص 277

- صوم . مج 14 . ص 392

وإذا أننا ننشغل - خاصة في خطة مقصدنا - بنظام التصور وبالعلائق بين حلقاته وبشرائطها على تقدير انتظام اللغة في التاريخ و«بامراتيحية التسمية» من جهة تقاطع محور «أسماء الأشياء» مع محور «آتات الزمن» فإننا معيون برصد القرائن اللغوية التعبيرية والتركييبية التي تسهم بدرجات متفاوتة في تسجيل المعنى الأول وفي تحديده تحديدا زمينيا وفي الالحاح على تحولاته وعلى اسبابها على غرار:

«لفظ [أدب] كان يدلّ في الجاهلية والاسلام على . . . وهناك قول مأثور . . . وللفظ الأدب أيضا معنى مجازي إلى جانب هذا المعنى العملي نشأ عندما طمح الناس إلى الثقافة . . . في القرنين الثاني والثالث للهجرة وهو بمعناه المجاري يدلّ على . . . (خزانة الأدب . ج 4 ص 124) الخ . . .

زكاة : (تعريفها الفقهي) . . . وعلماء الاسلام يفسّرون كلمة زكاة في العربية . . . والحقيقة أنّ النبي «صلعم» استعملها بمعنى أوسع من ذلك بكثير . . . وكان النبي وهو ما يزال في مكّة يستعمل كلمة «زكاة» ومشتقاتها مختلفة من مادة «زكا» (بمعنى طهر) . . . وهذه المشتقات نفسها لا يكاد يكون ها في القرآن سوى ذلك المعنى الذي ليس عربيا أصيلا بل هو مأخوذ عن اليهودية وهو «التقوى» وكلمة زكاة تدلّ في الاصطلاح على . . . كما تدلّ أيضا مع تطور في المعنى لا يكاد يلحظ على . . . (انظر سورة الأعلى . آية 14 وسورة المؤمنون آية 4 - وسورة اللّيل . آية 18 . )

زندق : . . . ثم صار الزندق اسما له دلالة الثابتة (في ق 2 هـ) .  
ولكن كلمة «زندقة» فقدت مع الاستعمال معناها الدقيق . . .  
(الطبري . طبعة دي غوري ج 3 . ص 588) . . .  
ويمكن بيان تطور هذا المصطلح من صبغته السياسية . .  
ويستطيع الانسان ان يحدد مراحل هذا التطور تحديد ادق إذا  
هو أجمل ذكر تعريفات كلمة «زندقة» بحسب المذاهب  
الاسلامية المختلفة . . .

صدقة : . . . وهذا المعنى قد بقي للكلمة حتى عصر ظهور الاسلام  
وما بعده . . .

صلاة : . . . ويبدو ان كلمة صلاة لم تظهر في الآثار الأدبية السابقة  
على القرآن . . .

صوم : . . . والمعنى الأصلي للكلمة في لغة العرب . . . أما الصوم  
بمعنى الامساك عن الطعام والشراب . . . وهذا المعنى  
أصبح للكلمة في السور المدنية . أما في السور المكّية فهي لم ترد  
إلا مرة واحدة في سورة مريم . الآية 27 . والمفسرون يفسرونها  
«بالصّمت» .

فلعلنا نكون قد كشفنا ان خطة «دائرة المعارف الاسلامية» كثيرا  
ما كانت دالة على استحصال وعي لغوي عارف بمتانة العلاقة بين  
استعمال الكلمة وأطوار تاريخها وبتحولات معانيها باختلاف الأزمنة  
والأمكنة .

وأنه لوعي معرفي تعظم جدواه وتقل من جهة مدى الاهتمام به  
في إنجاز المعجم التاريخي للغة العربية على صعيدي المنهج أولا والمعرفي  
ثاني وأما ما سوى «دائرة المعارف الاسلامية» من دائرات المعارف

المرصودة فلقد انخرطت في حسّ لغويّ عربيّ قديم - وإن تماوت من أثر إلى آخر - بقيمة تصريح الكلمة الواحدة وفق أوجه استعمال متعددة ومختلفة على تقدير تعدّد المعاني من فنّ إلى فنّ آخر في أحيان كثيرة واختلاف استعمالها من طور إلى طور آخر في الفن الواحد في أحيان قليلة أو نادرة تطلّ - على ندرتها - إطلالة غير قصديّة - على تخوم تصوّر المعجم التاريخي وتمثله.

ولأننا كثيرا ما نستحصل هذا الحسّ اللغوي المستفاد والذي لم يرق إلى مرتبة الوعي العارف بكنه المعجم التاريخي الذي يعنى بأوجه استخدام الكلمة التي يشفع لها اختلاف الاستعمال ويضمن لتطور معانيها شرعية الوجود من سياق إلى سياق آخر ومن آن إلى آن مغاير من التصانيف القائمة على صناعة التحديدات أو الحدود والتي درجت مباحثها على إثارة مسألة المتشابه من الالفاظ وما يوقع فيه من الأخطاء من جهة الوهم أو الطنّ وهي تصانيف كثيرا ما تستخدم أصحابها قائمة أو أكثر قد تطول وقد تقصر في أوجه استعمال الاصطلاح الواحد من فنّ إلى فنّ آخر مثلها في ذلك مثل التفسير ولشروح وآداب المناظرات والرّدود والدّعوي وغيرها من التصانيف التي باتت على حظّ وافر مما أشبه ذلك العمل المعجمي<sup>(24)</sup>. ولعلّ صنفا آخر تضمّنته حركة التأليف اللغوي عند العرب حجب عن أنظارهم إمكان صناعة معجم تاريخي يتأسس على تصور معنى الكلمة باختلاف الاستعمال من طور إلى طور.

(24) - نصر - متلا - عمار - كتب لألفاظ بسعّمه في نصّ تحقيق محسن مهدي در  
المشرق بيروت 1968

- ابن سيب - لرهرد (نصّ خمسة من كتب لشفاء) تحقيق عبد الرحمن بدوي  
ق 1954

ابن حرم - تنوير خد مصو وسجل فيه بالألفاظ العممية والاسئلة الفقهية  
تحقيق [حسب عدس يروب 1959

- اعدى - مسصلى من علم لأصوب ط(2) دار الكتب لعممه يروب 1983  
(ح 2)

ونعني شيوع كتب اللّحن - كان لحن عامة أو لحن خاصّة - على تقدير أنّها في نظري مشغل - على أهميته نظرياً - هو - إجرائياً - ضرب من تعطيل تطور الاستعمال ووجه من وجوه إلغاء الاستعمال المفاير لأنها كتب لغوية رامت ترسيم حقّ القول الصائب وتثبيت سلطة المعيارية على عكس صنف آخر من التصانيف اللغوية من جنس كتب الفروق اللغوية<sup>(25)</sup> . وهو صنف لثن دلّ على وعي حادّ بالفويرقات المعنوية لوعي عارف بدقّة الاختلاف بين معاني الألفاظ المحمولة - استعمالاً - على الترادف على وجه العموم فإنه لم يرق ذهنياً - أي في حدود التصور والتمثيل - بالفكر اللغوي العربي عموماً والمعجمي خصوصاً إلى أن يلتقط قوانين المعجم التاريخي المتأسّسة في صميمها على وصل الكلمة بالاستعمال وفق آليات الزمان وأحايينه ، فلم يسعه أن يبدّد ما ظل محتجبا عنه .

وهكذا انحبست حركة التأليف اللغوي الواسعة عند العرب - قديماً وحديثاً - في تأليف لغوية نراها عطّبت حلقة من حلقات نقلة الفكر اللغوي العربي إلى ما كان يمكن - نظرياً على الأقلّ - أن يتولّد عن ذلك العمل اللغوي الواسع إذ عاقت - من جهة إجرائية - إخصاب المعجم التاريخي للغة العربية فلم تتجاوز - من جهة النظر - استحصال وعي لغوي ظلّ خفياً أو عرضياً في شأن الوعي العارف باختلاف استعمالات الكلمة الواحدة من طور إلى طور ومن مكان إلى مكان إذ كان وعياً لغوياً محدوداً لم يرق ذهنياً أو فلسفياً إلى تصوّر إمكان أنظمة متعدّدة ومتغيّرة ومتطورة بين الكلمات والأشياء على مرّ الأزمنة وبتغير الأمكنة وإنما ظلّ قيّد النقل والمجاز والمتشابه والمشارك والترادف في حدود البيان والفصاحة والبلاغة وبقي محكوم بسلطة القول الصائب وصدرا

---

(25) - انظر مثلاً : ناهل العسكري - مرقى سعوية - مطبعة قدس - القاهرة 1934  
- و انظر مريد معروف وحسن رزق علي المصطلحات العربية (بيسعرية شمه  
مشر وجه) - نشر الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر القاهرة 1971

عن سلطة حقّ القول الصحيح دفعا للتّوهم ورفعاً للّبس لأنّه رام  
المعياريّة غاية وأعرض عن الوصفية المتجددة منهاجاً. ولكنّه - مع ذلك  
- وعي لغوي يحار له المرء ان أتمى على جلّ شرائط الكلام المقول  
والمكتوب، الصريح والمستفاد، وعلى أنظمته تعلماً وتعليماً ولم يخصب  
ضرباً من صناعة المعجم التاريخي لو لم تتبدّد اليوم حيرتنا بما نقنع به من  
ستنزام تنريل ذلك المبحث المفتقد من حركة التّأليف اللّغوي الواسعة  
في فهم شامل لبنية اشتغال العقل المدرك العربي ولأنظمة التسمية فيه  
والتي قد لا ينيها سوى عمل يكشف عن نظام تعامل العقل العربي  
عموماً والفكر اللّغوي خصوصاً مع حركة الزمن ولا نراه إلّا مبحثاً ذهنياً  
ثم إجرائياً بوسعه ان يكشف عمّا قد يخفيه علينا العمل المعجمي خاصّة  
واللّغوي عامّة في بعده الفكري من رؤية فلسفية هي المعين القاصي  
والحاكم الفيصل في أنظمة التسمية الرّاسمة للعلاقات اجماعة بين  
الكلمات والأشياء أو اللغة والزمن.

فرحات الدريسي

كلية الآداب، جامعة تونس (1)

منزلة «المستدرك»<sup>(1)</sup> و«معجم الملابس»<sup>(2)</sup>  
لدوزي (1820 - 1883) من التأريخ للفظ العربي  
بحث . منجية منسية

يتمتع مستدرك دوزي بمزايا متعددة حتى انه لا يُسمح لمن يتتبع  
مراحل المعجمية وتطورها ان يفض الطرف عنه . إلا انه قد يعتبر من  
النقص الاقتصار عليه إذا ما أردنا إبراز جهود الكاتب التاريخية للفظ .  
لذا يتحتم علينا أن نتّـم عنايتنا بمعجم آخر لدوزي حتى وإن سبى  
المستدرك بأربعين سنة تقريبا وقل نسبيا عدد الالفاظ فيه . وتبرز قيمة  
المعجم المفصل للملابس عند العرب أساسا فيما تضمّنه من معلومات  
ومناهج للبحث ومن مقترحات حتى انه لا يمكن الحديث عن المستدرك  
إلا بسبقه وهذا : فمعجم الملابس يعتبر بداية الحلم والمستدرك محاولة  
لإنجازه مع الوعي بصعوبة ذلك الانجاز .

وان اعتبر عمله ثروة تدعو الى التوسع فيها بحثا ، فأننا سنقتصر  
على ما يتفق وغرض الندوة فنحصر الدراسة حول مفهوم المعجم

(1) - Supplément aux Dictionnaires Arabes, Leyde

وقد استعمل البعض (ملحق أو تكملة) لترجمة Supplément

(2) - Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les Arabes E J Brill 1881

وقد قام الدكتور أكرم فاضل نقل جزء منه الى العربية في مجلة اللسان العربي

ح 1973/3

التاريخي عند دوزي وحول ما يتماشى مع هذا المفهوم من مختلف مراحل المنهج المعتمد.

## 1 - الاطار التاريخي :

1 - 1 : لا يمكن اعتبار قيمة معجم الملابس والمستدرك بعده أو الغرض الحقيقي منها إلا إذا نزلناهما منزلتهما الظرفية من علاقتهما بالمسار السياسي والثقافي في القرن التاسع عشر وما شهدته هذا القرن من تطورات في العالم الغربي أدت الى استحداث علاقة خاصة بالعالم العربي، شرقه وغربه تبعته اهتمامات بهذا العالم الآخر لاستكشاف أوجه طرافته مما دعا الى تدفق بعثات علمية رسمية وغير رسمية وظهور فئة من الباحثين أخذت على عاتقها ولوج أعماق الذهن العربي - لخصوص في خباياه التاريخية والأدبية والاجتماعية عامة - سواء عن طريق الاكتشافات الاثرية أو الابحاث العلمية أو تحقيق المخطوطات والتعليق عليها لفهم هذه النصوص فهما يمكنهم من إجلاء رواسب هذه الحضارة ومميزاتها فكريا وسلوك وذلك من شأنه ان ييسر عليهم التغلغل في هذه المجتمعات المقصودة تغلغلا أعمق فضلا عن الدوافع الحقيقية المختلفة الداعية لذلك .

وقد غدّت هذه التجارب أدب الرحلة بحيث دوّن أصحابها ما شاهدوه إقليما إقليما ووصفوا وقارنوا وبادروا بالتحليل وقد أعانهم على ذلك ما توفر من بؤادر علوم إنسانية كعلم الاجتماع والانتروبولوجيا وعلم التاريخ والجغرافيا . فضمّنوا هذه الأوصاف مصطلحات خاصة بتلك المجتمعات ورأوا انه عليهم شرحها وتفصيل وصفها، كما ظهر منهم من اعتنى بترجمة بعض المخطوطات أو أجزاء منها وشفعوها بتعاليق لغوية لتيسير تبليغ الصورة إلى الفهم الغربي .

1 - 2 : ويندرج بمجهود دوزي ضمن هذا المسار الاستشراقي العام وتنضاف الى ذلك اهتماماته الشخصية بالتاريخ العربي وخاصة

الاندلسي<sup>(3)</sup> قبل وضعه للمعجم ولقد اعتنى بعد وضعه بالتعليق على بعض المخطوطات العربية وبأثر الألفاظ العربية في اللغات الهولندية والاسبانية والبرتغالية<sup>(4)</sup>. وكان واسع الاطلاع على المصادر العربية وعلى تجارب المستشرقين العديدة ممن شاركوا في النشر او التحقيق او في وضع المعاجم كدي غوية (DE Goeje) وانجلمان (Angelmann)، فجابه عبر كل ذلك قضايا اللفظ العربي مباشرة وقيم حدود هذه المجهودات الاستشرافية و اضافاتها الثمينة مما دفعه إلى تدارك النقص واقتراح اتجاه جريء من حيث المحتوى والمنهج، عاينه في ذلك الحصول على معجم يعتني بدلالة اللفظ في مفهومها الحضاري لتبنيها إلى القارئ الأوروبي الذي كان هو المقصود أساساً من هذا العمل خاصة بعد أن أدرك عجز المعاجم التقليدية عن تحقيق المقصود. وسنحاول في مرحلة أولى تحديد موقفه من المعاجم العربية.

## 2 - قصور المعاجم :

لقد نقد دوزي حدود المعاجم التقليدية من حيث اقتصرها على الفصح دون اعتبار ما توارد من المولد وما تبنته غالباً من تعريف دون اعتبار السياق أو التركيب أو الاستعمال اليومي عبر اللهجات والتحويلات، وأكبر دليل على ذلك أنه أشار، من خلال 246 مصطلحاً في معجم الملابس، إلى غياب 122 مصطلحاً في المعجم العربية المعتمدة

(3) - كـ

Scriptorum arabum loci de Abbadid s Leyde 1846

كـ كتب

Recherches sur l'histoire et la littérature de l'Espagne pendant le moyen âge

ط 1 1849 وط 2 1860

(4) - Dozy et Engelmann Glossaire des mots espagnols et portugais dérivés de l'arabe 2 édition, Leyde et Paris 1869

Verklaende, lijst der Nederlandsche woorden, die n het Arabisch Hebreeuwsch, Chaldeuwsch, Perzisch en Turksch of Komstig zijn, La Haye etc 1867



او عاب على الأقل المعنى المتدارك في بعض المؤلفات العربية . وكذلك الحال في شأن الالفاظ التي جمعها في المستدرك : فلفظ رئيس مثلاً لا تخلو منه أيّ رحلة بينما هو مفقود في المعجم في ذلك المعنى . وان هذه الالفاظ ، وإن عُرِّفت ، كان تعريفها يرد عام أو غامضاً تنقصه الدقة والتفصيل : كقلنسوة وكساء وثوب . . . كما يعيب على هذه المعاجم عدم اعترافها بصيغ صرفية استعملها الكتاب العرب بدون حرج رغم مخالفتها قوانين اللغة : كأفحش ، جَوْهَر ، مجوهر ، انحرَم ، بخانق<sup>(5)</sup> . . . ثم هي خاصة لم تعتن أساساً بتحديد أصل اللفظ ولا بمراحل اشتقاقه إلا أننا بدورنا نعيب على دوزي في هذا المجال تعميمه هذا النقد بينما لم يعتمد عدداً كبيراً من هذه المعاجم فقد انحصر تعويله على الصحاح والقاموس المحيط<sup>(6)</sup> في معجم الملابس واصاف محيط المحيط في المستدرك . وهذه المعاجم ليست من أقدمها ولا من أمهاتها .

وفي الحقيقة فموقفه هذا ناتج عن إدراكه لحسمية التغير والتحول وهذا ما دفعه إلى البحث في الدواعي التاريخية لتغير العربية .

### 3 - تغير اللغة العربية عبر التاريخ :

يعدّ دوزي في مقدمة المستدرك الأسباب الداعية لتغير العربية تغيراً تضاعف تدريجياً بالاحتكاك الناتج عن عدّة عوامل أهمها :

1 - : الفتوحات السريعة وما أدت إليه من اتصال بأمم مغلوبة تكلم أهلها العربية فدخلوا وأثر ذلك اللحن في العرب ذاتهم مما انجر عنه تحوّل في استعمالهم للغة دون اعتبار القواعد اللغوية واستعمال الالفاظ في غير محلها المعتاد . كما أتى بهم ذلك الى الاقتراض من لغات

(5) - دوزي معجم الملابس ص 374 - 96 - 139 - 56

(6) - استعمال الصحاح وكذلك لا يزال محفوظ رقم 85 أما لقاموس فكان قد نشر بكدكوتا

(7) - السندي ، نطرس محيط المحيط

هذه الأمم : السريان والفرس والقبط والبربر والإسبان والترك . . . وفي المقابل هجروا الألفاظ الكثيرة التي كانت تعبر عن أفكار بدوية بينما استحدثوا ألفاظا تعبر عن هذا الوضع الجديد وما لحقه من ترف .

2 - انقسام الامبراطوريات إلى دويلات وأقاليم شرقا وغربا وامتياز كل إقليم بلهجته الخاصة .

هذا وقد صادف هذا التغير رفض من قبل فئتين :

\* فئة رجال الدين والفقهاء الذين لم يعترفوا إلا بالفصحى ورفضوا فكرة تغير اللغة لتغير الفكر .

\* وفئة ألفت المعاجم وسنت النحر ونقدت الأخطاء بكل قسوة واقترحت تصحيحا .

وإن هذه الجهود المعادية وإن منعت ظهور لغة أخرى كما وقع في الغرب، فإنها لم تعزل العربية عن التأثيرات السياسية والاجتماعية. فتولدت ألفاظ ومعان . ولم ير الكتاب حرجا في استعمال الألفاظ الدخيلة أو حتى العامية منها .

واعتمادا على هذه الاعتبارات رأى دوزي ضرورة تحديد مسار سياقي تاريخي للمعجم .

#### 4 - مفهوم المعجم التاريخي :

4 - 1 : لئن اعتبر المعجمان هامين في هذا المجال، فإن تقديمهما هو في نظري أهم، لما عرضه من خطأ واضح ومقترحات طريفة منها العاجل ومنها الأجل . فلئن تمثلت مقدمة المستدرك، في جانبها العملي، في تحديد المنهج والمراجع، فإن مقدمة معجم الملابس قد سبق لها أن تعمقت أكثر في مفهوم المعجمية وحددت الغايات البعيدة منها وأبرزت المقصد المعنوي وما يحمله اللفظ من دلالات اختلفت باختلاف الظروف فأتى دوزي بتعريف لمعجم عربي متلاحق المراحل يحدد أصل الدال مع تحديد أصل استعمال مدلوله ويحصر دلالاته بأكثر دقة ممكنة مع

مراعاة مختلف الدلالات التي سبل عليها عبر مراحل استعماله الزمني وحسب اختلاف الأقاليم العربية فلقد رسم تاريخ كل لفظ باعتبار المكان وعبر الزمان وما يحمله من معانٍ متنوعة حسب متطلبات النشر أو الشعر. وهو معجم جامع لكل الالفاظ المكتوبة والملفوظة عامة حتى وان خرجت عن نطاق القصيح.

4 - 2 استحالة فتعويض : إلا انه يرى ان مقترحه هذا مستحيل التطبيق في تلك الظروف على الاقل وذلك لعدة اسباب منها :  
\* كثرة المحطوطات المتفرقة عبر العالم والتي لم يقع الاعتناء بها بعد (لم ينشر آنذاك سوى 50 عنوانا) فلا بدّ أولا من جمعها وتحقيقها ونشرها.

- عدم التعمق في دراسة أمّهات الكتب الادبية والعلمية والمقارنة بينها . وبصفة عامة فهو عمل يتطلّب نفسا طويلا وتظافر جهود علماء من القارات الثلاث : أوروبا وآسيا وإفريقيا ثم إنه لا يمكن التفكير جدّيا في إقامة معجم كهذا وحال المعجمية على ما هي عليه في تلك الفترة إذ انها لم تتقدم على غرار تقدّم العلوم التاريخية والجغرافية وغيرها . وفي انتظار هذا المعجم المثالي الشامل، اقترح دوزي أعمالا تمهيدية من شأنها ان تتقدم بالمعجمية شوطا وتبني ولو جزئيا بعض مراحل هذا المعجم وتتمثل في ثلاث إمكانات :

1 - : إمّا إضافة تعاليق لغوية في الهوامش عند تحقيق النص أو شفعه بشرح للكلمات الصعبة : وهذه طريقة قد اعتمدها عدد من المستشرقين وسوف يعمل بها دوزي ذاته في مرحلة موالية <sup>(8)</sup>.

2 - : وإمّا جمع الالفاظ الخاصة بميدان معين من الميادين ومحاولة التفصيل في الاعتناء بها اعتناء تاريخيا . وهذا ما قام به في معجم الملابس حينما اختار التاريخ لمصطلح اللباس عند العرب حتى كان نموذجا

(8) Dozy et Goghe, Gossas re joint à la description de l'Afrique et de l'Espagne (publiée par Dozy) Leyde 1866

مصغراً لما اقترحه عامة إلا أنه لم يخل من بعض العوارض .  
- 3 : وإما جمع الفاظ تنتمي إلى حيّز واحد سواء كان زمنياً أو مكانياً . فما مدى استجابة دوزي عملياً لمقتضيات التأريخ للفظ العربي ؟ .

#### 5 - مجهوداته التاريخية :

لقد آمن دوزي بالدور الهام الذي بإمكان هذا الصنف من المعاجم أن يضطلع به لو تمّ تحقيقه ، في إزاحة اللثام عن محيّى اللفظ وحباياه الحضارية وما يعكسه من تلاحق المراحل التاريخية . ورغم أنه عترف بعسر تنفيذ ما اقترح ، فقد حاول في المعجم ثم في المستدرك أن ينتهج منهجاً يفي على الأقل ببعض ما وعده وعلينا هنا أن نحاول الكشف عن هذه المجهودات التي تتمثل أساساً في اختياره للمصادر والمراجع أو الرصيد اللغوي أو منهج التعريف وكيفية إخضاع هذه المعطيات إلى غرض حضاري وثائقي وإن كان في ظاهره شرح وتفسير .  
1 5 : المصادر والمراجع :

- 1 : لعلّ أهمّ ما يشدنا في معجمي دوزي قضية المصادر من حيث تعددها وتنوعها وكيفية استغلالها ، وقد هداه توجّهه التاريخي للحضارة العربية والإسلامية إلى تجاوز المعاجم واعتماده ما دوّنه المؤلفون العرب وغير العرب في مختلف المجالات وشئى اللغات . فإذا كانت توازي 439 مصدراً في المستدرك ، فإن معجم الملابس - وإن لم يحصرها دوزي في قائمة - يضمّ حوالي 346 من بين 94 مصدراً عربياً 75 مخطوط وفي المستدرك 47 مخطوطاً من 108 مصدراً وقد عوّل بصفة خاصة على المخطوطات المحفوظة بمكتبة ليدن أو تلك التي وفرها له بعض أصدقائه من الباحثين .

والملاحظ أن تعويله على المصادر العربية هو من ناحية محدود محدود المتوفّر لديه آنذاك ، فهي لا تمثّل كل المراحل التي مر بها اللفظ لعربي ولهذا فقد دته ذكر الكثير منها . فلم يعتمد على سبيل المثال

الموشى<sup>(9)</sup>، وهو الذي تميّز بوصف المجتمع البغدادي في أوج تمدده أو حتى وإن اعتمد بعض هذه المصادر، فإن الكثير من العبارات فاته إدراكها ولم يقدّم بنجريد تام لها كما حدث بالنسبة إلى المقدسي<sup>(10)</sup> مثلاً وهو لم يرجع غالباً إليها مباشرة بل عرّ لمراجع الغربية أو حتى العربية كما أنه لم يعول على أقدمها للوصول إلى تحديد أدنى ثم ترتيب مراحل الاشتقاق. فلفظ «أوقلمون» مثلاً اعتمد في المستدرك لتعريفه على ما نقله الاصطخري عن لمقدسي بينما نجد أن الجاحظ قد سبق أن ذكره في كتابه التبصر بالتجارة<sup>(11)</sup> كما ذكره أهداي في كتاب الجوهريين لعيقين<sup>(12)</sup> فهو لم يرجع إلى مصدر أقدم من تلك التي دونت حياة لرسول إلا نادراً، ولم يعتن كثيراً بسجلات الجاهلية

وبشكل عام فقد اعتبر هذه المؤلفات العربية فاصرة عن توفير المعلومات الشافية لما دخلت به من وصف دقيق ونوسّع في التحليل لذلك غلب التجاؤء إلى المراجع الغربية.

5 - 2 : المراجع الاجبية :

اعتمد دوري في معجم الملابس ما يقرب عن 239 مرجعاً باللغة الاجبية بالاضافة إلى ثلاثة مخطوطات بالفارسية وفي المستدرك ما يقرب عن 331 مرجعاً وكانت على أربعة اصناف :

أ - معاجم موحدة أو ثائية اللغة : عربية لاتينية أو عربية اسانية أو عربية بربرية وعربية فرنسية أو عربية ألمانية .<sup>(13)</sup>

(9) - أوشاء، بوطيط الموشى بيروت 1965

(10) - انظر لالسة العربية في القرون الرابع فحري من حلال أحسن انفسم للمقدسي، محم معجمة، نوس، لعدد الربع 1988، ص ص 11 - 36

(11) - الجاحظ، بر عشر عمرو لتصره سحارة، تحقيق ح ح عبد لوهر، القاهرة 1935 ص 22

(12) - نهد بي، حمد بن عفوب كتاب الجوهريين المعنيين من الصغراء والبصاء، تحقيق محمد محمد الشعبي، ط 1، ايمن ص 25

(13) - ذكر من بينها محضوء لاتييب عرب بيدد رقم 231 و حر هو Vocabul sta وكديث معجما عرب فرسي لEllious Bochor ومحمد لBeaussier إلى غيرهم من المعجم وهي عددة

ب - تحقيقات وحواشي لمصادر أو دراسات حول الحضارة العربية

ج - ترجمات لها أو لبعض أجزائها<sup>(14)</sup>

د - وبصفة خاصة رحلات دونها عدد كبير ممن توافدوا على الاقاليم العربية من فرنسيين وهولنديين وانجليز والمان واسبان وايطاليين ولعل معجمي دوزي يعتبران في هذا المجال ثروة لمن يريد دراسة صورة العالم العربي من خلال الرحلات الغربية، فقد حصر قائمة هامة تغني عن البحث<sup>(15)</sup>. وقد اعتمد هذا الصنف لما حواه من أوصاف دقيقة وشروح للفظ ومدلوله مكن الغرب من أكثر معلومات ممكنة.

ولقد نجد دوزي عددا كبيرا من هؤلاء المستشرقين كوايد أو كاترمار ولين<sup>(16)</sup> وغيرهم لما امتازو به من أمانة وسيطرة على الموضوع ودقة في التعريف والبرهنة. إلا ان هذا لم يمنعه كذلك من التعبير عن احترازه من هذه المراجع فنقدتهم متى وجب النقد وساء منهم أحيانا سوء التأويل والاختطاء والاعتباطية حتى انه حصر في بداية المستدرك قائمة من الالفاظ عند بيدرو دي ألكالا<sup>(17)</sup> لم تكن كتابتها متأكدة. وقد أجبره ذلك على ترك عدد كبير من الالفاظ والملاحظات.

(14) - كترجمة Rasmussen في «Annales Islamiques» للدمشقي وترجمه Quatremère لسدوك المقريري وكتاب البكري أو ترجمة Père Moura لرحلة إيس بطوطه بلبرتعالية.

(15) - نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

Light Travels in Egypt, Nubia, Holy land, Mount Libanon and Cyprus Vansleb  
Nouvelle relation, d'un voyage fait en Egypte. Wittman Travels in Asiatic Turkey,  
Syria and Egypt.

New Reipbesch reibunge eines gefangenen Ghristen - Wild (16)

انظر رأي دوزي في المعجم ص 433 و Quatremère له عدة مؤلفات نذكر من بينها:

Mémoires géographiques et hist sur l Egypt و Histoire des Sultans Momelouks

- انظر تعليقه ص 398 و 1001 Nights و Modern Egyptians. Lane

(17) - Pedro de Alcalá وله معجم اسباني عربي طبع في غرناطة 1505 (انظر مقدمة المستدرك)

ويعطي مثالا في معجم انيس حول أخطاء الترجمة. فنقد ترجمه Quatremère مثالا عصانة ب  
Drapeau في مقطع للمقريري يتحدث فيه عن الساء يبي ترجمه De Sacy عصائب سلطانه  
ب Turbons royaux وبو عكب لأصايا (ص 301)

## 5 - 2 . الرصيد المعجمي :

إنَّ حكم دوزي القاسي على المعاجم هو في حقيقة الامر ناتج أساس عن اقتناعه بأن اللغة هي نتاج الفكر تخدمه وتلبي حاجياته مهما كانت هذه الاحتياجات وحسب فعل الظروف فيها . ولذا لم يقف عند صفوية الفصح لأنه لا يفي بحاجيات الفكر وتغيّراته ولا يصوّر الضرورة الاجتماعية التي يلعب فيها اللفظ دورا حقيقيا فتجاوزه الى إضافة ما تولّد من الألفاظ والمعاني بحكم تطور المجتمع الاسلامي والتأثيرات الداخلية أو الخارجية التي نجمت عن الانقسام الاقليمي من ناحية والاحتكاك بالخصارات الاعجمية من ناحية ثانية . فهجر بعض المصطلحات او المعاني المتداولة لفائدة مصطلحات خلت منها واستجدت بعد عصر الاحتجاج . . وجمعها دون اعتبار مقياس لساني ولا تمييز بين الفصح والعامي بل اعتبر العامية في المرتبة نفسها . كما اعتبر اللهجات متممة لها بل محيية لأنها المصورة للواقع اللغوي الدجم عن الواقع الحضاري .

وقد اضاف الى هذا الرصيد الألفاظ الأعجمية الدخيلة والمعربة وتعامل معها بنفس تعامله مع اللفظ العربي ذاته من حيث الترتيب والجذر دون مراعاة القواعد والفروق . إلا ان ذلك أوقعه في الزلل على مستوى المصطلح على الأقل لأنه لم يحترز كثيرا من أحذه عن المخطوطات او المراجع الغربية رغم كل مجهودات النقد .

## 5 - 3 : الوضع :

1- : أما التعريف فغالبا ما يكون عند دوزي مرحلة ختامية يسبقها منهج يتمثل في معاينة الاحداث وذكر الشواهد ، شاهدا شاهدا ، مع استقرارها للتأكيد على هذا المعنى او نفيه أو على هذا الاستعمال اللفظي أو ذاك . فالتعريف هو نهاية مطافه في هذه المصدر والمراجع وما يأتي به من براهين قائمة على المقارنة بين الشواهد او باعتبار القياس او هو يعول احيانا على الترجمة لفهم المعنى والاستنتاج الدال مع تقييم مسنوى فهم المترجم رغم انه يبدي احيانا عجزه عن ترجمة

بعض المقاطع<sup>(18)</sup> كما انه يراعي في تحليله تصرف الشعراء وتحرّدهم من قيود القاعدة خدمة لتنظيم او توشية بالمحسنات البلاغية من مجاز وتشابيه<sup>(19)</sup> وكذلك في الترجمة رغم انه يترجم احيانا بشيء من الحرية .

## 2 - : اختلاف النطق :

لقد اعتنى دوزي في بعض الاحيان بملاحظة كيفيات متنوعة في نطق اللفظ أو تغييرات طارئة عليه وسجل التطور الصوتي كما تعرض لحصائص الصوتية لبعض اللغات - وإن كان ذلك عرصا - وكيفيات تغييرها عند العرب ، فكان يذكر هذه الاختلافات على مستوى النطق أو لشكل بدون تعليق أو تفضيل إلا أنه يلاحظ عدم تطابقها احيانا مع لواقع اللغوي . وبالرغم من ذلك كان يقع في اخطاء من حين لآخر لأنه كان ينقل عددا من الالفاظ رسمت بالاحرف اللاتينية إذ كان يجهل أصل كتابتها بالعربية ثم نه كان يرجع بضرب من المقدرة في تقسيمه أحيانا للفظ الى مقياس لغوي فصيح<sup>(20)</sup>

## 3 - : أصل الكلمات :

وقد سمح له ما تمتع به من سعة اطلاع ومعرفته لعدة لغات بالبحث في أصل الكلمات ومعاينة التأثير والتأثير إيماناً منه بترابط الحضارات والثقافات حركيا وسكونيا . وهو، وإن عبر صراحة عن عدم تحرّجه من خوض مغامرة التأويل والتحريج الاشتقاقي، قد حاول من حين لآخر ان يرجع اللفظ الى أصله خاصة اذا كان اصلا أعجميا، فارسيا أو تركيا أو اسبانيا أو بربريا أو عبريا مع ذكر صورة انتقاله أحيانا، إلا انه لم يتخذ ذلك قاعدة مطردة . وحتى وان ذكر الاصل الاجنبي فانه

(18) - ذكر فقرة حول انتصوف بالمرسيه لم يتمكن من ترجمتها

(19) - نظر معجم الملائس ص 42 - 62 - 262

(20) - نظر حول شدّ ص 214 أو حمية ص 168 او الموفي ص 286 معجم للملائس



لم يحسم هذه القضية حسماً موضوعياً بل كان غالباً على سبيل التخمين والتكهن مما أدى به إلى احتمالات أكثر منها تحقيقات . هذا علاوة على أنه لم يرجع إلى الأصول السامية أو الأرامية .

ولقد اعتنى من ناحية أخرى بأصل استعمال المدلول مثلما اعتنى بأصل الدال، فكان اللفظ لا يعنيه بقدر ما يعنيه - بالاضافة إلى أصل الصيغة وتطورها - البحث في بداية استعمال المدلول وتطوره . فنراه خاصة في معجم الملابس يجهد نفسه في التحليل والابتعاد بالمعنى لغاية استنتاج بداية استعمال مدلول اللفظ كالبحث في أصل لبس النساء الطاقية (في عهد المماليك) أو تحديد ما دخل من اللفظ والمعنى عند دخول العرب إسبانيا أو بعد الحكم المسيحي أو غزو العثمانيين لمصر . وهذا غزو جعله مرجعاً تاريخياً لدخول اللفظ التركي في العالم العربي إلى درجة أنه تساءل بل أبدى استنكاره ودهشته حول وجود الفاظ تركية بمكة في القرن الرابع عشر بعد الميلاد<sup>(21)</sup> أي حوالي قرنين قبل غزو العثمانيين لها . هذا بالرغم من أنه كان يصرح بعجزه عن تحديد هذا الأصل : فحول القفطان مثلاً عبر عن جهله لفترة استعمال العرب هذا اللفظ من أصل أجيبى : فالرسول لم يلبسه ويظهر أن العرب كانوا يجهلون أنذاك رغم أنه عثر له عن ذكر عند القدامى كالمسعودي مثلاً . وهو يعتمد في أغلب الأحيان على ما لبسه الرسول فيعتبره النموذج العربي الإسلامي المنتمي إلى حيز معين والقذوة من حيث مراعاة الحدود الدينية . وذهب بمعاينة التغير الحاصل عبر الزمان إلى مقارنة لباس الرسول بلباس شريف مصري في القرن السادس عشر إلا أن هذه المقارنة في غير محلها<sup>(22)</sup> ، فالرسول طبقاً كان يعيش حياة بسيطة لم يعيشها الأشراف آنذاك، ثم هو ينتمي إلى الأقليم نفسه والمقارنة تتطلب نفس الزمان أو نفس المكان .

(21) - معجم الملابس ص 337

(22) - نفس المرجع ص 217

#### 4 - : الانتهاء الحضاري :

تركزت رغبة دوري أساسا في الكشف عما يحمله اللفظ من اشارات ورموز تتميز بها حضارة مجتمع معين خاضع لاعتبارات مادية ومعنوية . فكان يشير عبر ما يجمعه من تعليقات واستشهادات بطريقة مباشرة أو غير مباشرة الى ما تميز به هذا المجتمع او ذاك من انتهاءات مدنية : بدو/حضر . أو طبقية : أمراء ، أشرف / إماء ، عبيد / جوارى . غلمان / عامة . فقراء . أو دينية مذهبية : رجال الدين / الصوفية / أهل الذمة . . . أو اعتبارات نفسانية : حزن / فرح / اقتصاص . حقد/مع اعتبار لعادات والتقاليد<sup>(23)</sup> التي تنطوي عليها هذه الاشارات وحتى وإن جرّته سعة المعلومات هذه إلى استطرادات فإنها أخرجته من مستوى المعجم المقتصر على الشرح المختصر الى توفير وصف دقيق مفصل يوحى بثقل أزر اللفظ الدلالي والمعنوي .

#### 5 - : من تعدد المعاني الى التوالد :

إن تعريفه لهو في الحقيقة تحليل لكيفيات استعمال اللفظ في دلالات مختلفة متعددة متنوعة حسب لسياق والتركيب النحوي وخاصة الحقل الحضري الذي تتحرك فيه فكان يربط اللفظ أساسا بالمعاني والاعراض ويحللها بعلاقتها بالمجتمع الذي يفرض عليها معنى يصرف فيه متى اقتضت الحاجة . لذا نراه ينطلق أحيانا من المعنى لدراسة اللفظ (Onomasio logie) أو العكس (Sémasiologie) وهو يراعي تطور هذا الاستعمال مع التغيرات الحاصلة . فهو يجمع تعدد المعاني للفظ الواحد

(23) - بالنسبة الى أهل الدمة مثلاً : المسح لابس العبيد المسيحيين والطبالسة العسبة في عهد المتوكل وكذلك الربر ومن ناحية أخرى فشكل لعامة في حد ذاته يفرق بين السيد والجدي

ورجل الشارع كما يميز حتى نوع العمل الذي يقوم به المتعجم

- حول الحزن والفرح انظر قضية الألوان . معجم الملابس ص 6-7

اما من حيث ذكره للعادات بذكرها تحليله لكيفية تعبير الأرض او عند إشارته

لمحاسن المرأة العربية بتفسير بيت العنسي . معجم الملابس ص 420

إلا أنه يخرج من التعدد المطلق ليحاول تحديد الحيز الزماني لكل معنى أي التسلسل المعنوي أو التوارد على مستوى اللفظ والمعنى حتى يصل به لطاف إلى إبراز تأثير الحضارات الأخرى في اقتراضها بدورها اللفظ العربي مع الإبقاء على معناه أو تغييره كاقتراض الأسباب والرتغالية ولعربية ولطية وحتى لهولندية. ويرد عمق استنتاجات دوري أحيانا دقته<sup>(24)</sup> في تحديد الأطر الزمني عند ذكر تاريخ الحدث (خاصة عند أخذه عن المقريزي مثلا) عند الاستشهاد بصـ ويؤدي به هذا التحليل والدقة في التحديد التاريخي للفظ إلى حصر امكانية تاريخ تأليف بعض المصادر مثل ألف ليلة وليلة إذ وصل به الاستنتاج في تحديد فترة تأليفه بعد الغزو التركي<sup>(25)</sup>.

#### 6 - التميز الاقليمي .

بالإضافة إلى التحديد التاريخي وما يعمل من تحويرات كدية أو جزئية سواء في اللفظ على مستوى النطق أو الصيغة أو المعنى على مستوى التعدد والتوارد، اعنى كذلك بالتحديد المكاني وتأثيره لأنه كان يؤمن بدور الامصار في اثر الفكر العربي والانماط الاجتماعية من ناحية واللغة العربية عبر لهجاتها المختلفة وخصوصياتها في النطق والمعنى من ناحية أخرى فقد ألح على المميزات الاقليمية لفظا ومعنى والاختلاف بين شعوب هذه الاقاليم : بالحزيرة وفارس وبلاد الشام ومصر وشمال إفريقيا حتى وإن كانت جل هذه الاقاليم تنتمي سياسيا في فترة ما إلى امبراطورية واحدة تتحد في الدين واللغة رسميا . فهذا الانقسام ساهم بلا شك في تكوين اللهجات واستقلالها حسب كل اقليم ولو كان اسقلالاً نسبياً.

(24) - كاعتمده اس دس تاريخ مصر مع 367 ص 41 حول احداث 822 هجري والسيوطي ، حدث 282 هجري او سويري ، احداث 215 هجري

(25) - انظر معجم الملامس ص 152 و 226-227

وقد اختلفت في :

1 - لتأثر بالحوار والاحتكاك دون ان يشيها حتى اختلاف الدين : فنرى المشرق يتأثر بالسريان والبيزنطيين والفرس خاصة في العهد العباسي ومصر والشام بالأتراك بعد الغزو والاندلس بالمسيحيين خاصة في آخر فترة من الامبراطورية .

2 - تأثرها بما سبغها في ارضها من حضارات تنتمي الى تاريخها الخاص كتأثر المغرب بالبربر والاندلس بالمسيحيين .

وهذا الاختلاف نحده حتى دخل الاقليم الواحد بين القرى والمدن مثلا او حتى بين مجموعات دنيا داخل هذه الوحدات . فكلما اختصت مجموعة بمدلولها إلا واستتبعه دال في لمحتها دون غيرها إلا أننا نجد أحيانا شتركا في الدال مع اختلاف في المدلول أو لعكس بالعكس : فالثوب له معنى عام إلا انه يقصد به لباس محدد في مصر (توب) وكذلك القميص والكساء واللباس ثم ان البدن هو خاص بمكة وجده دون غيرها والقبقات لم يجده إلا ناسبانيا .

ويقارن فيعثر على نبط اتفاق لفظ ومعنى في بعض الاقاليم (فرنجية في مصر وفراجة في القسطنطينية) أو اختلاف في اللفظ لندلالة ذاتها (حفو عند الانازيس . وبريم عند اهل الشمال) كما يصل الى حد المقارنة بين البلاد العربية وغيرها من لبلدان الاجبية . وبشكل عام فهو يرحي بإمكانية وضع اطلس معجمي . إلا ان تخصيصه هذا قد ركز فيه أساسا على مصر بحكم وثائقه وعلى الاندلس بحكم اختصاصه كما وجد صعوبة حتى في هذا التحديد الحثري وفشل غالباً رغم كل المصادر والمجهودات بما اتسمت به طريقته من تدبذب واضطراب ولم تحل هذه المجهودات عددا من مركبات المعجم التاريخي سواء فيما يخص مكونات اللغة أو الاصل أو الاشتقاق اللفظي أو حتى المعنوي . ورغم أنه يعيب على لين ane ، وخاصة Hoest و Freytag<sup>(26)</sup> عدم الدقة فانه غالبا ما

(26) - Proverbia Arabica و Nachrichten von Marokos Hoest Freytag

يقع في السطحية ذاتها والخطأ والغموض . فتكثر عنده عبارات مثل : يبدو - ربما - اظن - افترض (Il me semble, peut être, Je suppose, Je crois) ولعل ما نشعر به أساسا انه يفتقر الى منهج شامل يطبقه على كل لمصطلحات فنره يضطرب في التركيب وضبط المراحل كي يقع عند لتأويل والاستنتاج في احتمالات شخصية وان حاول ان يقيّمها على لبرهان واستقرار النصوص إلا انه لم تكن ثابتة تؤخذ مأخذ اليقين .

وعلى كل حال فلا بدّ من الاشارة بتواضعه عند تصريحه بحدود عمله وقصوره عن الايفاء أو عن تقدير مجهود الآخرين حق قدره أو احترام اختلاف الرأي . فكان كلما زاد جهده ازداد تواضعا ويكفيه شرفا انه سد ثغرة في المعاحم لا تغتفر حتى اصبح معجماه ضروريين للكشف عن عويص المعاني وخصوصيات وفي طرح قضية المعجم التاريخي وسنّ منهج مع محاولة تطبيقه . فجاءت ابحاث دوزي المعجمية لتؤكد ان الرؤية الاستشراقية يمكن ان تفيد الى حدّ كبير الحضارة العربية عامّة والمعجم التاريخي بصفة خاصة لأنها توفر إضافة جديدة تعتمد البحث العلمي الذي أصبح يعتمد منهجيه جديدة لمعالجه القصايا كما تعتمد عدا مقارنيتها له بالنسبة الى الأعمال المعجمية وتفتح لذلك آفاق بحث جديدة أمام العرب المسلمين لاثراء هذا الطابع من الدراسات الذي مازال في نظرنا في حاجة الى لتأليف والاهتمام . وما اعمال دوزي الا نموذج للكثير من المراجع الغربية في هذا المجال والتي تنتظر الى حدّ الآن التعريف بها وإعادة نشرها وعتماؤها لتطوير المعجمية العربية

منجية منسية

## المعجم التاريخي العربي (مفهومه - وظيفته - محتواه)

د . علي توفيق الحمد

المفهوم :

يتفق الباحثون والمختصون على جوهر مفهوم المعجم اللغوي - بشكل عام - حتى انهم يكادون يتفقون في الالفاظ التي استخدموها للتعبير عنه، وهو - عندهم - لا يكاد يخرج عن أنه كتاب يجمع كلمات لغة ما، مرتبة على نهج معين، ويشرحها شرحا يزيل غموضها، بتوضيح معانيها، مضافا الى ذلك ما يناسبه من معلومات تعين الباحث على معرفة الكلمة وحرولها، ومعانيها، واستخداماتها<sup>(1)</sup>.

هذا هو المفهوم الذي ارتضاه معظم الباحثين العرب، ولكن هل يختلف مفهوم المعجم لديهم عنه لدى المراجع الأجنبية؟  
للاجابة عن هذا لسؤال، رأى الباحث ان ينظر في تعريف مادة

(1) نظر على سبيل المثال د أحمد/ المعجم العربي - دراسته تحليلية - (الكتاب الأول)، 18، 17، وأنشرح النشاط العربي للمعجم - صبيح م دحييل - بحث في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 28، ( 197 م) ص 167 ود عمر - لبحث السعوي عند العرب ص 2، 116، ود دحر درسات في المعجم العربي، ص 5، ود الطيب معجمات عربية صادقة ومباهجة، ص 14، و الحبيب من فضاء المعجمية المعاصرة، بحث في (المعجمية العربية معاصرة) ص 97

«معجم Dictionary» و«معجمة Lexicography» في بعض المعجمات الانجليزية الكبيرة، وفي دوائر المعارف في تلك اللغة.

ففي معجم «Collins Large Print English Dictionary» نجد تحت مادة (Dictionary) بيان نطقها، ومكان النرفيها، ونوعها من اقسام الكلام - أنها اسم - وجمعها، وأصدها، ثم معاني الكلمة «معجم» ومفهومها، وقد ذكرها معان ثلاثة، يهمننا في هذا البحث منها المعنى الاول، وهو مفهوم المعجم اللغوي الاحادي اللغة، وجاء فيه: «أنه كتاب فيه قوائم كلمات، مبنية ألقائيا في لغة ما، بتعريفات، وتوضيح أصول الكلمات، ونطقها. . . الخ. وذكر ان هذه الكلمة مرادفة لكلمة «قاموس Lexicon»<sup>(2)</sup>.

وفي معجم «Webster's Third New International Dictionary» نجد تحت مادة (Dictionary): بيان نطقها، وبوعها - اسم - وجمعها، وأصلها، ثم معاني هذه الكلمة، وهي - عنده - تسعة معان. يهمننا منها المعنى الاول، جاء فيه:

«أنه كتاب مرجعي، يحتوي كلمات لغة ما (الانجليزية)، مرتبة - عادة - ترتيبا ألقائيا، مع تعريفات عن صيغها. ونطقها. وعملها، وأصولها، ومعانيها، واستعمالاتها التركيبية بشكل عام. وذكر في آخر المعاني التسعة، أن هذه الكلمة مرادفة لكلمة (Lexicon) أيضا<sup>(3)</sup>.

وفي معجم أوكسفورد التاريخي ل لغة الانجليزية (Oxford English Dictionary) نجد مفهوم المعجم لا يكاد يختلف عن مفهومه في المراجع السابقة، فقد جاء فيه تحت مادة (Dictionary) «أنه كتاب يختص بالكلمات الفردية - الشخصية - للغة، (او بعض الاصناف المعينة منها)، يوضح ضبط الهجاء، والنطق، والمعنى، والاستخدام، ومرادفاتها، واشتقاقها، وتاريخها، او بعض هذه الحقائق على الاقل.

- Collins large Print english Dictionary, P 210, (Dictionary) (2)

- Webster's Third New International Dictionary, (Dictionary) (3)

وترتب المفردات وفق نظام معين لملاءمة الاحالات، وهذا النظام (الترتيب) الفبائي الآن في معظم اللغات. وفي المعاجم الاكبر، توضح المعلومات المعطاة بالاقتباسات - الشواهد - من الادب، او المعجم، (القاموس). والمعجم اللاتقة - الممتازة - على نوعين: ثنائية اللغة او متعددة، وأحادية اللغة، والأولى هي الأسبق والأقدم<sup>(4)</sup>.

وجاء فيه تحت مادة (Lexicon). انه معجم - قاموس - للكلمات، وتستخدم هذه الكلمة اساسا للدلالة على معجم اليونانية، او العبرية، او السريانية او العربية. وهذا الاستخدام المقيد - المقصور - يعود الى حقيقة وهي: أنه حتى المعاجم الاخيرة لهذه اللغات الخاصة كانت عادة دلالتينية، وفي اللغة الحديثة أيضا، تستخدم (Lexicon) عادة.

وتحت مادة (Lexicography): نجد أنها تعني كتابة أو تصنيف معجم، أو أنها فن أو مهارة كتابة المعاجم<sup>(5)</sup>.

واذا انتقلنا الى دوائر المعارف - الموسوعات - ونظرنا فيها وجدنا مفهوم المعجم لا يكاد يختلف كثيرا عما ذكرته المعجمات، ولا عن المفهوم العام الذي التقى عليه لباحثون العرب.

ففي «موسوعة كل رجل (Everyman's Encyclopaedia) الجزء الرابع، من الطبعة الخامسة، نجد تحت مادة (Dictionary): أنه - بمعناه الحقيقي المميز - الكتاب الذي يحتوي قائمة من كلمات لغة ما، مرتبة حسب نظم محدد، عادة ما يكون ألفبائيا - مع شروح (توضيحات) لتلك الكلمات، وفي المعجم الشامل تعطى معلومات عن أصول كل كلمة، ويوضح فيه النطق الصحيح بنوع من الرموز<sup>(6)</sup>.

وفي موسوعة كولير (Collier's Encyclopedia) الجزء الثامن، نجد تحت مادة (Dictionary): أنه «تصنيف - ترتيب - كلمات لغة ما، ترتيبا

The Oxford English Dictionary, V3, (Dictionary) (4)

- OED, V6, (Lexicon), (Lexicography) - بمصه (5)

Everyman's Encyclopaedia, V 4, (Dictionary), P 390 (6)



ألفبائيا مع شرح لمعانيها، واستعمالاتها، ثم تورد معاني المصطلحات الشقيقة ومفهوماتها المتنوعة الأخرى، حسب طبيعتها وموضوعاتها»<sup>(7)</sup>.

أم دائرة المعارف البريطانية (Encyclopaedia Britannica) في طبعتها الخامسة عشرة - الجزء الخامس - فقد جاء في تعريف كلمة (Dictionary) : «أنه يضم مجموعة من الكلمات، مع معلومات عنها، وقد يحاول ضم مفردات اللغة، أو مجموعة صغيرة منها. وفي الأسس يرتب المعجم قوائم من الكلمات، مع معلومات عنها، وتحاول هذه القوائم أن تكون مخزونا كاملا للغة...»<sup>(8)</sup>.

ثم نتحدث عن كلمة (Lexicon) وعن الفرق بين المعجم والموسوعة، وعن تاريخ تصنيف المعاجم، وأهم المعاجم المعروفة، ثم تخصص باقي الصفحات، وهي تزيد على أربع، للحديث عن معجم أوكسفورد التاريخي (OED) وفكرته، ومشروعه، وخطة العمل فيه حتى طبعه وظهوره. ثم تعرض ملامح العمل ومشكلاته في ذلك المعجم<sup>(9)</sup>.

ويتفحص هذه التعريفات من المراجع المختلفة - العربية منها والأجنبية - نتيين أنها جميعا تتفق في تصور جوهر مفهوم المعجم، وأن هذا المفهوم يقوم أساسا على عناصر ثلاثة معروفة، وهي : مادة المعجم - كلمات اللغة، وشرح هذه المادة - ألفاظا ومعاني واستخدامات - وترتيب مواد المعجم ومداخله ومشتقاتها.

ولعل المراجع الأجنبية التي أحدا عليها - أو معظمها - تميزت في تعريفها مفهوم المعجم بأنه يتناول في لشرح أصول الكلمات (Etymology) اذ يبدو اهتمام معجماتهم بهذا الجانب اوضح منه في معجماتنا العربية.

وكذلك، فقد حددت الترتيب المرضي والمتبع لديهم، وهو

(7) Collier's Encyclopaedia, V 8 (Dictionary) P 193

(8) Encyclopaedia Britannica. V 5, (Dictionary), P 173

(9) نفسه PP 718 - 722

الترتيب الأبجائي حسب منطوق الكلمة بكاملها، لانه الترتيب المعتمد والشائع - وربما المناسب - في معجماتهم، بينما تنوعت طرائق الترتيب في معجمائنا، وبخاصة القديمة منها.

بعد أن حددنا وتبيننا مفهوم المعجم اللغوي بشكل عام، لابد من استعراض مفهوم المعجم التاريخي وتصوره لدى الباحثين وفي المؤلفات التي تناولت الموضوع وعنت به، وكان ذلك منذ منتصف القرن التاسع عشر، وهو زمن بدء مشروع أول معجم تاريخي متكامل، وهو معجم أوكسفورد للغة الانجليزية (O E D)<sup>(10)</sup>.

فقد تصور دوزي عام 1845 م هذا المعجم، أنه معجم يعرفنا بوضوح ودقة، كلما عدنا اليه، المعنى الدقيق لأي لفظ في أصل استعماله، بمختلف الدلالات التي طرأت عليه في جزيرة العرب وبلاد فارس والشام... الخ، أي في كل الأمصار التي كونت تلك الامبراطورية الشاسعة، التي امتدت ما بين بلاد الهند والحدود الفرنسية، هو معجم يرسم لنا - بالاعتماد على الشواهد والنصوص اعتمادا مستمرا - تاريخ كل لفظ وكل عبارة، ويميز بين المعاني الخاصة بكل لفظ في مصر عربي ما، والمعاني التي كان يفيدها في مصر آخر، بين مدلول كل لفظ عند الشعراء، ومدلوله عند النثرين ثم هو معجم يشتمل على كل مصطلحات العلوم والفنون مفسرة تفسيرا منهجيا<sup>(11)</sup>.

ويعقب ابن مراد على ما تقدم بقوله «ويستنتج من هذا الرأي ان المعجم المثالي في نظر دوزي هو المعجم اللغوي التاريخي، الذي يدون

---

(10) يجدر التنبيه على ان البدايات الأولى للمعجمة التاريخية ظهرت على يد S Johnson باستخدامه المنظم للاقتباسات لتوضيح التعريفات وتحققها. وبإضافة Richardson مدأ التوضيح التاريخي للأعمال المعجمية السابقة، وهذه المرحلة أطلق عليها المرحلة الثانية من صناعة المعجم (OED, Historical Introduction, P VII)

(11) Dictionnaire detaille des noms des vêtements chez les arabes, 1849, pp ٧-VI  
نقلا عن د. ابراهيم بن مراد في بحثه/ منزلة مستدرك دوزي من المعجمية العربية - في وفي المعجمية العربية المعاصرة» ص 271.

شتات ألفاظ اللغة العربية وعباراتها، ويؤرخ لمختلف دلالاتها في مختلف العصور والأمصار، بالاعتماد على استقرار النصوص»<sup>(12)</sup>.

فمفهوم المعجم التاريخي في نظر دوزي يقوم على إعطاء المعنى الدقيق لأي لفظ استخدمته العربية في عصورها وأمصارها، ولدلالات المختلفة لكل لفظ، وتطور هذه الدلالات تطورا تاريخيا، وتاريخ كل لفظ وكل تعبير، ومستويات استخدام الألفاظ، اعتمادا على النصوص والشواهد، لتبين الدلالة المقصودة في كل نص وكل استخدام.

وعن أهمية التأصيل، ويبدأ أصول الكلمات التي استعملت في العربية، يقول دوزي في موضع آخر: «وجدت معاجم اللغة الفصحى التي تحوى كثيرا من الكلمات الأعجمية الأصل، لا تشير إلا إلى أصول قليل منها»<sup>(13)</sup>.

من هذا نفهم اهتمامه بضرورة تقديم معلومات عن أصول الكلمات في المعجم العربي الذي يريده، وهو الذي عناه وحدد ملاحظه، كما بينا في موضع سابق.

وبعد أن ظهر أول عمل معجمي تاريخي متكامل بصدر معجم أوكسفورد (O E D)، تقدم فيشر بمشروع لوضع معجم تاريخي للغة العربية، بعد أن كان بدأ المحاولة بنفسه، وكان يتوحي القيم به وانتمائه، إذ وضع جذازات كثيرة، تعد بداية صالحة لمشروعه، لكن المنية عاجلته عام 1949م، قبل إنجاز هذا المشروع الضخم، وكان قد تقدم بمشروع رسمي لهذا العمل الطموح إلى مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وضح فيه تصوره لهذا المعجم التاريخي الكبير، ومبادئه، ومنهجه في العمل<sup>(14)</sup>.

---

(12) - نفسه/ ص 272

(13) دوزي/ تكملة لمعاجم لعربية - ج 1 (لترجمة لعربية) المقدمة - ص 27.

(14) انظر ذلك في: د. بشار 778-780، ود. درويش 137 وما بعدها، ود. عمر 198 وما بعدها.

ويتلخص مفهوم المعجم التاريخي في نظر فيشر بقوله: «ان منتهى الكمال لمعجم عصري ان يكون معجما تاريخيا، ويجب ان يحتوي المعجم التاريخي على كل كلمة تدولت في اللغة، فان جميع الكلمات المتداولة في لغة ما لها حقوق متساوية فيها. . . ولكن المعجمات العربية بعيدة كل البعد عن وجهة نظر هذه، اذ أنها لا تعالج الناحية التاريخية لمفردات اللغة»<sup>(15)</sup>.

وقد قام مشروعه على مبادئ يحسن ذكرها باليجاز<sup>(16)</sup>، لأنها توضح مفهوم المعجم التاريخي - في نظره - وغرضه ومحتواه أيضا، وهي:

- المفردات: ينبغي ان يشتمل على كل كلمة وجدت في اللغة بلا استثناء، وأن يسجل هذا المعجم ما يعرف بالفصيح من المفردات، ومصادرها - في رأيه - كتب الأدب والحديث، والمؤلفات الاولى، ودواوين لشعراء الذين عاشوا في عصر الاحتجاج، حتى النصوص العربية القديمة التي وجدت على بعض اوراق البردي ولقوش، إضافة إلى المفردات المدونة في المعاجم العربية القديمة، وبخاصة تلك التي وردت ها شواهد، كما يمكن الاعتماد على المعاجم الأوروبية الكبيرة التي وصفت بلغة العربية

- ثم بيّن طريقة جمع المواد وتنظيم هذه العملية.

- ووضح طريقة ترتيب الكلمات في المعجم.

- وبين أهمية الاصطلاحات - الرموز - في المعجم المنشود، وذكر ان الناحية التاريخية يمكن ملاحظتها بالنص على أول شاعر أو أديب استعمل تلك الكلمة في المعنى الجديد، وأبرز - أيضا - أهمية ذكر أصل الكلمة كلما أمكن ذلك. وعالج قضية أسماء الأماكن والنباتات والمعادن، بضرورة توضيحها توضيحا كاملا، كما ذكر ضرورة تسجيل المصطلحات العامة دون اسهاب.

(15) عن د. عمر 199 - 200

(16) درويش 139 - نقلا عن «المقتطف»، عدد مارس 1949 م.

- ورأى أنه يحسن ترجمة المادة الرئيسية الى اللغات الأوروبية المشهورة أو احداها، تيسيرا على المستشرقين والباحثين الأجانب.

ثم تناول التقرير عرض منهجه في تصنيف الكلمات ومعانيها، واقترح ان يكون حسب وجهات نظر سبع<sup>(17)</sup>، يهنا هنا عرض الناحية التاريخية، اذ رأى فيشر ان كل كلمة في اللغة العربية لها تطورها الخاص، ويجب ان يعنى بهذا الجانب، فقل : «الأهمية العظمى مهما كان الحال - هي للموضع الذي وردت فيه الكلمة في آداب اللغة لأول مرة. . . ويجب ان تقيد - على حسب الترتيب التاريخي، بين أقدم الشواهد وأحدثها - المواضع التي يتبين منها أنها تعطي أوضح صورة من التطور التاريخي للكلمة ومعانيها»<sup>(18)</sup>.

مما سبق يتضح ان تصور فيشر للمعجم التاريخي قام على اساس تدوين كل كلمة في العربية من عهد النقوش - أول نص مكتوب - حتى نهاية عصر الفصاحة والاحتجاج، مع بيان اصول الكلمات، وتتبع التطورات التي أصابت هذه الكلمات ومعانيها تاريخيا - زمنيا - كل ذلك مدعما بالنصوص - الشواهد والاقتباسات - من اللغة المكتوبة، من مصادرها المختلفة، والاهتمام بسياقات النص، والاستعمالات والأساليب الاستخدامية المختلفة. الا انه لابد من تسجيل مخالفتنا لمشروع فيشر، الذي ارتأى حصر المفردات بالفصح فقط<sup>(19)</sup>، وان يتوقف تسجيل الكلمات حتى نهاية عصر الفصاحة والاحتجاج<sup>(20)</sup>، وهذا الأمر سيقصره على الانتقائية، ويجعله يهمل الثروة اللغوية

(17) سعرضه البحث ويناقشها في موضع لاحق، عند تناول «المحتوى».

(18) د درويش 141

(19) انظر مبادئ مشروعه، ونظر د عمر 199.

(20) حده فيشر بالقرن الثالث الهجري (د عمر 200، 201)، مع انه أورد استعمالات للزعمشري وهو من القرن لسادس الهجري وذكر د درويش ن فيشر وضح في موضع آخر أنه لا ينبغي تحديد الفصح بفترة معينة من الزمن (د درويش 146)، وهو ما نميل اليه ونأخذ به

اللاحقة، ويهمل مسيرة مبدأ التطور على مستوى الألفاظ والمعاني.  
وقد تناول الشيخ د. عبد الله العلايلي مفهوم المعجم التاريخي (النشوءي) في كتابه «مقدمة لدرس لغة العرب»، قال فيه: «المعجم التاريخي أو النشوءي، يبحث في نشوء المادة وتطوراتها الاستعمالية، وتراوحها بين حقيقة والمجاز، مقيّدة بالعصور ويكون على أسلوب مادي»<sup>(21)</sup>.

وأضاف د. العلايلي في بيان منهج هذا المعجم قائلاً: «وبدرس المعجم التاريخي نشأة المواد، وعروبته، أو تعريبها، واختلاف اللغات واللهجات فيها، وما يتصل بذلك من اختلاف في النطق، أو الصيغة، أو المعنى، أو الاستخدام، ويرتب ترتيباً تاريخياً بحسب ظهور الصيغ، بحسب الترتيب الذي تنادي به النظرية الثنائية للغات، فهو يقدم البناء المعتل، ثم الثنائي المضعف، ثم المهموز، ثم المصاعف الرباعي، ثم الثلاثي، ثم الرباعي، وهو الترتيب الذي تنادي به النظرية الثنائية للغات»<sup>(22)</sup>.

نتبين مما ذكره د. العلايلي أن مفهوم المعجم لديه قد تأثر بصناعة المعاجم التاريخية الحديثة، وأفاد من مذهبها، وما قررته ووصلت إليه، ففيه تفصيل لوطيفته، إذ ذكر إضافة إلى الناحية التاريخية والأصولية والاقتباسية والشوهد، التي عبر عنها بالأسلوب المادي، ذكر توضيح عروبته أو تعريبها، واختلاف اللهجات واللغات فيها، وبيان النطق والصيغة، والاستخدام، والمعاني وتطوراتها، إلا أنه اختط لنفسه منهجاً في الترتيب يتفق ومذهبه الذي اختاره، وهو تبني النظرية الثنائية، التي ترى أن ظهور الثنائي كان أولاً، يليه المعتل، فالمضعف، فالمهموز... الخ، وهذا موضع نظر ولا نوافقه على منهجه في الترتيب الذي قام على

(21) د. العلايلي / عن د. نصر 762.

(22) نفسه / عن د. نصر 762.

ساس النظرية الثنائية في نشأة اللغات .

وقد حاول الشيخ تطبيق مفهومه للمعجم التاريخي في معجمه «المرجع» الذي صدر جزؤه الاول سنة 1963م، عن مكتبة الفرع الحديثة في بيروت، فحاول تحقيق مبادئ نظريته على مستوى المادة والترتيب والتأريخ . فأرخ للألفاظ ودلالاتها بالإشارة الى العصر الذي وجدت فيه اللفظة، أو المعنى، أو الاستعمال .

وفي عمله هذا محاولة للتجديد، وتحديث صناعة المعجم على أسس تاريخية وأصولية، على ما فيه من قصور ونقص، لا يصل معها إلى مستوى المعجم التاريخي المنشود .

ويرى د . محمد عيد الطيب «ان المعجم اللعوي يهدف - الى جانب التأريخ للألفاظ اللغة - الى تأصيلها، بالنص على اصدها، والنص على طريقة نطقها، وما طرأ عليه، اضافة الى انه يقفنا على مستوى الاستخدامي للفظ، من حيث البيئة أو الطقة الاجتماعية التي تستخدمه، والزمن الذي استخدم فيه . . . فهو - على وجه الاحتمال - ينحو الى تسجيل اللغة بكل مستوياتها الاستخدامية في احقاب التاريخ المختلفة، فهو يعتمد على علم اللغة الوصفي، ويسعين بعلم اللغة التاريخي، ويهتدي بعلم اللغة المقارن في تدوين المفردات والألفاظ، وارشاد الباحث الى مقوماتها الصوتية والبنيوية والدلالية، بل النحوية حين يحتاج الامر الى النص على حركة بنائها، ان كانت هذه الحركة ثابتة لا تتغير .

بل انه يستعين بعلم الاحصاء، في احصاء كلمات اللغة في مختلف العصور التي كتبت فيها لغتنا، ويعلم التاريخ، في الوقوف على لاحداث التاريخية، وما ساد المجتمع من ظواهر وعدادات ومعتقدات، أثرت في دلالات الألفاظ، حتى يكون العمل المعجمي علميا متسما بالدقة المطلوبة في مختلف الاعمال العلمية»<sup>(23)</sup>

(23) د الطيب 507، 508

وفيمما يتصل بالشرح والتفسير، يرى د. الطيب «أن هذا المعجم يجب أن يتقصى معاني اللفظ في مختلف العصور والبيئات، ولدى كل الطبقات الاجتماعية، سواء كان اللفظ عربيا أصيلا فصيحاً، أو كان معرباً أو دخيلاً أو مولداً، تذكر معانيه كلها دون إهمال معنى منها، مع مقارنة هذه المعاني في لغتها الأصلية - في المعرب والدخيل - بمعانيها في العربية»<sup>(24)</sup>.

وعن الشواهد والاقتباسات، «ينبغي ألا يخلو من الشواهد، غير أن طريقة الاستشهاد ينبغي أن تختلف عن طريقة استشهاد المعجميين القدامى، فلا يذكر من الشواهد إلا معلوم القائل، أو على الأقل معلوم الروية، عن الثقة الدقيق الضبط غير المتهم، مع ذكر المرجع والمصدر الذي ورد فيه الشاهد»<sup>(25)</sup>.

هذا التصور الذي قدمه د. لطيب لمفهوم المعجم المنشود، استفاده مما توصلت إليه صناعة المعاجم الحديثة، في وضع معجم لغوي تاريخي تأصيلي، قائم على الشواهد والسياقات، والاستخدامات المختلفة للكلمة أو المعنى، وهو تصور ملائم قريب مما يرتضيه البحث.

وحول مفهوم المعجم اللغوي - شكل عام - ويعنيها هنا الجزء الخاص بمفهوم المعجم التاريخي بالذات، فقد أوردت الموسوعة الأمريكية الأكاديمية ما ترجمته: «حسن القرن العشرون طرق إنتاج المعاجم وطورها، خاصة بالنسبة لظهور معاجم اللهجات، والمعجمات الخاصة، ومعجمات المصطلحات، وتاريخ اللغات، إذ استخدم الحاسوب على نطاق واسع، خاصة في تحديد الاستعمالات الخاصة، والمعاني الخاصة للكلمات، وفي تحليل الأمثلة (الشواهد) من كتابات الماضي وتصنيفها، وتعد الدراسة المقارنة للغات وتأصيل الكلمات، أحد

(24) نفسه 512

(25) نفسه 513



المجالات المثمرة النافعة للبحوث الجارية هذا القرن»<sup>(26)</sup>.

يظهر لنا هذا النص عناية الدراسات اللسانية الحديثة الخاصة في مجال المعجمة، بالتأريخ لألفاظ اللغات ومعانيها، والاستعمالات الخاصة، والمعاني بأنواعها وتطوراتها، والشواهد - الاقتباسات - وتأصيل الكلمات والمقارنة بين اللغات.

وحول المفهوم نفسه، وما طرأ عليه من تطورات في المعجمة بشكل عام في لقرن العشرين، جاء في موسوعة العصر الحديث (New Age Encyclopedia) ما ترجمته: «أصبحت المعاجم تفيد المراحل الماضية للغة، تأسيساً على مستويات - سجلاتها - المكتوبة، وعلى مستوياتها: الحديث والكتابة، إضافة إلى معلومات لغوية أخرى.

فالمعاجم الأفضل هي التي تعد تسجيلات كاملة للغة، والمعجم الجيد يحاول أن يسجل اللغة كما هي، ويسجل حقائق استخدامها، يقررها حسبما تسمح به المعرفة، وهو لا يقرر ما يجب أن يكون عليه الاستخدام»<sup>(27)</sup>.

وتضيف: «أن المعاجم لتاريخية تعتمد في دراسة لاصول (Etymology) نتائج الدراسات لعلمية الحديثة للتغيرات الصوتية في تاريخ اللغات، وللمرة الأولى، أصبحت تستخدم الاقتباسات - النصوص والشواهد - لأغراض تاريخية، ولم تعد تستخدم الاقتباسات المؤرخة - المضمنة فيها - لتقرر سلطة الكتاب التمييز في فرض استخدام خاص، بل تستخدمها لتوضيح السجل التاريخي للغة وهي - أخيراً - تحدد تاريخ أول استعمال عرف لكل كلمة، وتوضح التغير

(26) - Academic American Encyclopaedia Princeton New Jersey U S A 1980

V 6, (Dictionary), P 159 160

(27) وهذا هو العهم الحديث لوظيفة المعجم، حيث أصبح المطلوب منه أن يكون وصفيًا، يصف ما كان وما هو كثر فقط، ولا يعي بالمنهج المعياري أو الفرصي، فلا يتم بها يجب أن تكون عليه اللغة في استخدامها، حسبما كدت عليه المعاجم القديمة

ولتطور في معانيها، أو اسقاط هذه المعاني والكلمات من اللغة وهجرها»<sup>(28)</sup>.

فما جاء في هذه الموسوعة، اضافة الى مفهوم المعجم - بشكل عام - انه يتناول بيان نطق الكلمة وتطوره ورسمها (تهجيها) ومراحلها، واشتقاقها وتصريفاتها، وبيان معانيها وتطورها، ومستويات استخدامها، اعتمادا على الاقتباسات (الشواهد والنصوص)، ما جاء فيها: هو الاهتمام بالحياة التأصيلية للكلمات، والتأريخ لها ولاستخداماتها، ومعانيها، وما حل بهذه جميعها من تطورات وتغيرات، معتمدة في ذلك كله منهج الوصف المحض، على ان يكون المعجم سجلا تاريخيا شاملا لكل ما استخدم في اللغة.

ولو نظرنا في الموسوعة البريطانية (Encyclopaedia Britannica) لوجدنا المواصفات نفسها، والمفهوم نفسه للمعجم التاريخي<sup>(29)</sup>.

وكل ما تقدم حول مفهوم المعجم التاريخي، لا يكاد يخرج عما ورد في مقدمة اول وضخم معجم تاريخي عرفه لعصر الحديث، وهو معجم اوكسفورد للغة الانجليزية (OED)<sup>(30)</sup>، ذلك المعجم الذي يعد ثورة في عالم المعجمة، وطور مفاهيم هذه الصناعة وأسسها، حتى وصلت الى ما هي عليه الآن.

بعد هذا الاستعراض، يستطيع البحث اقتراح تصور لمفهوم المعجم التاريخي العربي المنشود، فنقول «انه سجل شامل لكل مفردات اللغة العربية - لاصيلة منها والمعرية والدخيلة والمولدة - التي استخدمت في تاريخ حياة اللغة منذ بدايتها الموثقة حتى الآن، على مستوى لغة

(28) New Age Encyclopaedia, 1980, V 6, P 10, 11

(29) سيعرض لبحث في تلك الموسوعة في قسم «المحوى»، لأن فيها مفصل واسع، يناسب ذلك الموضع

(30) OED Preface (P V), Historical Introduction (P V b) General Explanation, (30) (P xxv I)

التأليف والكتابة، مع بيان تطور كل كلمة ورسمها، وما طرأ على نطقها، أو رسمها، أو صيغتها، أو تصرفها، منذ وجودها حتى اليوم، وتأصيلها، واستخداماتها المختلفة، ومستويات تلك الاستخدامات، ومعانيها ودلالاتها المختلفة، وتطورات تلك الدلالات، ووظائفها التركيبية - الحوية - وموقعها - ان كان محددًا - في الجملة، وإيراد النصوص والاقتباسات - الشواهد - الدالة التي وردت فيها الكلمة، وتوضح معانيها المختلفة، واستعمالاتها الدقيقة، كل ذلك على اساس التدرج الزمني، ليوضح التطور التاريخي لكل لفظة او معنى، عى ان ترتب كل المفردات ترتيباً يناسب خصائص لغتنا الاشتقاقية<sup>(31)</sup>، يحفظ وحدة المشتقات التي تنتمي الى اصل - جذر - واحد وتربطها، ليبين علاقتها بمعنى الجذر، ويوضح ما بينها من علاقات على مستوى اللفظ والمعنى، على ان يكون ميسوراً سهلاً المأخذ ولتناول، وان يرتب المعاني على أساس منطقي يتدرج من الحقيقي الى المجازي، ومن العقلي الى الحسي، ومن العام الى الخاص، كل ذلك بأسلوب وصفي محض .

هذا المفهوم المقترح يستند الى الأسس الثلاثة التي يقوم عليها اي عمل معجمي، وهي : المادة وجمعها واستيعابها وشمولها، والشرح والتفسير اللازمان المرتجيان وتوضيحهما وتوثيقهما، ثم الترتيب المناسب .

ولعله يشمل كل لاقتراحات والتصورات التي قدمتها البحوث والمؤلفات المختلفة التي تناولت مفهوم المعجم التاريخي وأسسـه .

### الوظيفة :

لعل من المسلم به ن المعجم - أي معجم - مادة وشكل، او محتوى ومنهج، والعنصران معا يقوم عليهما بناء المعجم. وقد تكون المادة التي يحتويها المعجم في المقام الاول في نظر المعجمي والباحثين الذين

(31) ستلور قصة لتريب دبحار في المعجم لثالث من هذا البحث

يتلقون المعجم على السواء، إلا أن الشكل أو المنهج وهو العنصر الثاني لا يقل خطراً عن سابقه، ويسهم بشكل ملحوظ في نجاح المعجم وانتشاره، وإقبال الناس بله المثقفين منهم عليه.

ويتحكم في تحديد هذين العنصرين معاً وظيفة المعجم، والغرض الذي صنف أساساً لخدمته وتحقيقه. فالوظيفة تحدد مادة المعجم: نوعيتها، وغزارتها، وطريقة تناولها، وشرحها وتفسيرها، والإيجاز أو الإطناب فيها، إضافة إلى طريقة عرضها وترتيبها وتصنيفها وإخراجها.

فوظيفة المعجم على هذا الأساس خطيرة، ولا بد من أن يتمثلها المعجمي ويلتزمها في كل خطوات عمله، حتى يضمن تحقيقها، وحتى لا يقع في خلط أو نقص أو إخفاق، فمتى تحددت وظيفة المعجم بدقة ووضوح في ذهن المعجمي، استطاع أن يجمع المادة التي تحقق هذه الوظيفة، والتزم في عمله طريقاً سالكاً واضحاً، على مستوى الجمع، والمعالجة، والتصنيف والترتيب والإخراج.

وتتعدد أنواع المعاجم وفقاً لوظيفة كل منها وهدفه، فالمعجم الذي يهدف إلى الاشتقاقات وحسب - مثلاً - معجم اشتقاقى، والمعجم الذي يهدف إلى دراسة المعاني المجازية، معجم مجازي، وقل مثل ذلك في معجمات اللهجات، أو الحرف والمهن، أو الطبقات، أو المصطلحات، أو التاريخي، أو الأصول، أو الأساليب، أو الموضوعات المختلفة، أو أحادي اللغة أو ثنائيها، أو غير ذلك.

وأرى أن العلاقة بين مفهوم المعجم ووظيفته ومحتواه علاقة تبادلية، قائمة على تأثير كل منها في الآخر وتأثره به، فمفهوم المعجم مستمد من وظيفته التي تحدد مضمونه، كما أن المفهوم الذي يرتضى للمعجم يحدد الوظيفة والمحتوى في آن واحد.

وما يؤثر في تحديد وظيفة المعجم، إضافة إلى نوعه، نظرة المعجمي إلى الفاظ اللغة موضوع الوصف، والعلاقات القائمة بينها، ونظرة - كذلك - إلى جمهور القراء الذين يهدف المعجم إلى خدمتهم

ومساعدتهم<sup>(32)</sup>.

كما أن بيان وظيفة المعجم أو هدفه يحدد لنا نوعية المادة التي ينضمها، إضافة إلى المنهج والترتيب الذي سنصطنعه. فالمعجم المدرسي - مثلاً - يختلف عن معجم المثقفين، وهذا - الأخير - يختلف عن معجم المتخصصين (التاريخي) مثلاً<sup>(33)</sup> وهذه كلها تختلف عن معجم المصطلحات، أو اللهجات وغيرها، على مستوى المحتوى والترتيب معاً.

وعند تحديد وظيفة المعجم، لابد من الأخذ بعين الاعتبار طبيعة اللغة، والألفاظ والمفردات من حيث فصاحتها وأصالتها أو عجمتها، وهل سنعنى بالألفاظ ومعانيها المرادفة، أو سنهتم بالسياقات، ومستويات الاستعمال، وفيما إذا كنا سنعنى بالمصطلحات الفنية والعلمية، والتعابير الاصطلاحية (Idioms)، أو نقتصر على الألفاظ بأصل وضعها اللغوي ومعانيها الحقيقية الأولى، أو تدرج تلك الألفاظ والمعاني وتطورها، وما طرأ على اللفظ من تبدلات أو تغيرات صوتية أو صرفية، أو ما طرأ على المعنى من تطورات، على مستوى التعميم أو التخصص، أو الشيوخ، أو المجاز وغير ذلك، وما طرأ على رسم الألفاظ، أو تأصيلها مثلاً.

ولما كان البحث مقصوراً على المعجم لتاريخي، وبما أننا نريد هذا المعجم المنشود تنويعاً للجهود المعجمية العربية قديمها وحديثها، وقد حددنا مفهومه - وفقاً للدراسات المعجمية الحديثة - بأنه معجم يعنى بكل لفظ استعمل أو يستعمل في العربية المكتوبة، وبيان نطقه وتطور ذلك النطق إن طرأ عليه تطور، ورسمه وتعددته وتغيره، وتصريفه، وجوانبه التركيبية، ومعانيه وتطوراتها، ومستويات استخدامه، وأصوله

(32) د. لقاسمي/ بحث «ترتيب مدخل المعجم» مجلة اللسان العربي، مجلد 19، العدد الأول، ص 14.

(33) د. الطيب/ 500 - 508.

والتأريخ لكل اطوارىء والتغيرات التي اصابا اللفظ أو المعنى، اعتمادا وتسجيلا لكل الشواهد (النصوص والاقتباسات) الدالة المساعدة، كل ذلك بأسلوب وصفي تسجيلي بحث، أقول: لا بد ان تكون وظيفته والهدف من تصنيفه تحقيق هذه الامور كلها، وفق احدث الاساليب التي عرفتھا صنعة المعاجم حتى الآن، مستفيدين من الدراسات اللسانية الحديثة وتجارب الأمم التي سبقتنا في هذا المجال، ولعل أدقها وأشملها معجم أوكسفورد التاريخي للغة الانجليزية (O E D)، مع ضرورة استدراك ما قد يكون فيه من نقص أو خلل.

فعلى هدي المفهوم لمقترح، ومع أخذ الدراسات الحديثة في صناعة المعاجم (Lexicography)، وتجربة معجم أوكسفورد، بعين الاعتبار، نستطيع تأكيد بعض القضايا، التي ينبغي ان تكون من وظائف المعجم التاريخي العربي، ولا بد من تحقيقها.

أولا : تلافي النقص والفصوص والخلل الذي وقع في الاعمال المعجمية العربية القديمة، فبعد أن ذكر د. ابراهيم أنيس عيوب معاجم القدماء، قال: «من أجل هذا وعيره، فكر بعض المحدثين من المستشرقين في وضع معجم عربي حديث، تقتبس ألفاظه من النصوص، وفيه تراعى كل الدراسات الحديثة، التي يلحظها الدارسون في المعاجم الأوروبية»<sup>(34)</sup>.

ويعني د. أنيس ببعض لمحدثين من المستشرقين المستشرق الألماني فيشر، صاحب اول محاولة في هذا المجال، وصاحب مشروع المعجم لتاريخي للغة العربية، الذي قدمه الى مجمع اللغة العربية القاهري.

ولا بد ايضا من تدارك النقص والفصوص اللذين وقعا في المعجمات العربية الحديثة ايضا، والاستفادة من آخر ما وصلت اليه صناعة

---

(34) د أنيس / دلالة الالفاظ 249

المعاجم في العصر الحديث، على ان تتجاوز ما قد يكون وقع في بعض المعجمات العالمية (الأوروبية) الحديثة، كإهمال المعاني الدقيقة للتعبيرات الاصطلاحية (Idioms) اذ يقول دافيد كريستال: «ولكن من الواضح ان هناك قصايا كثيرة يجب ان يكشف عنها النقاب، مثال: وصف النماذج المختلفة للعبارات الاصطلاحية (Idioms) الموجودة»<sup>(35)</sup>.

هذا الراي ذكره كريستال في كتابه (What Is Linguistics) الذي صدرت طبعته الاولى عام 1968م، اي بعد صدور أكثر المعاجم الأوروبية والأمريكية الحديثة المعروفة، ولذا فرأيه هذا يعد نقدا لتلك المعاجم، وبيانا لوجه لنقص فيها. فينبغي التنبيه ان يكون من أغراض معجمنا تدارك هذا النقص وأمثاله.

وقد ذكر د. حسين نصار «أن على المعجم اللغوي التاريخي ان يحتوي جميع الاساليب والتراكيب الخاصة الاصطلاحية (Idioms) التي اتخذت دلالة معينة، لا تتضح من المعنى المؤلف للكلمات التي تتألف منها»<sup>(36)</sup>، وذلك مثل: كعب اخيل، موعيد عروب، أعطى القوس نارها، وبذل جهده، ولقي حتفه، وغيرها.

ثانيا : ان ندرك ونحن في صدد تصنيف هذا المعجم «أن صناعة المعاجم علم وفن، فالمعجمي عالم - الى حد ما - لانه يحاول ترتيب وشرح الكلمات بدقة، وهو فان - الى حد ما أيضا - لأنه يتحسس حاجات قارئيه المتنوعة ويشبعها وان العنصر الانساني في هذا المجال مهم دائما، فبعض صانعي المعاجم كتبوا شهرة لكونهم ذوي أفكار

(35) كريستال/ التعريف بعلم اللغة - ط 2 - ترجمة د حبيب، ط 1، ص 141 الا أن معجم وكسفرورد (OED) جاء في مقدمته (ص 5) أنه تناول كل كلمة وكل عبارة اصطلاحية (Idiom) تناولاً تاريخياً، وهذا التناول هو مرر وجوده

(36) د. نصار - 776

وأراء قوية ومستقلة»<sup>(37)</sup>.

ثالثاً: أن يشمل هذا المعجم كل لفظ عرفته العربية واستخدمته منذ عهد نقوشها في القرن الرابع الميلادي حتى اليوم، على أن يستوعب هذا المعجم: الأصيل والمعرب، والدخيل والمولد، والمهمّل والممات والمهحور، وكل لفظ استخدم ولو لمرة واحدة على ألسنة أبناء الأمة، في أي عصر كان، وعلى أي مستوى لغوي أو اجتماعي كان، حتى يصدق فيه أنه سجل كامل - ديوان - لألفاظ لغة العرب<sup>(38)</sup>.

وأن يعني بتسجيل أول مرة استخدم فيها البصر، ثم يتتبع هذه الاستخدامات على مدى العصور المختلفة، ويجب أن يعني بكل لفظ جاء في لغة لكتابة والتأليف، حتى لو كان عامياً، وأن يحاول تأصيله وتفصيله، وأن يبين دلالاته، مع الإشارة إلى موطنه وقيمنته. على أن يضع رموزاً تدل على نوع كل لفظ من حيث أصلته (فصاحته)، أو تعريبه، أو عجمته، أو توليده، إلى غير ذلك.

ويرى د. أنيس أن أول وجود عربي يمكن أن يدون في المعجم يعود إلى القرن الثالث أو الرابع الميلادي، وهو زمن وجود أول نقوش عرفت، وهي نقش النجارة عام 328 م، ونقش زبد - قرب حلب - عام 512 م، ونقش حواران 568 م<sup>(39)</sup>.

ولكنه يقترح عدم الاعتماد على هذه النقوش في معرفة طفولة اللغة العربية، لأنه يرى أن لغتها مزيج من العربية والآرامية، وأن نقتنع بلغة نصوص الأدب الجاهلي، التي هي عربية صرف<sup>(40)</sup>.

(37) Coller's Encyclopaedia V 8, P 193

(38) د. بشار 761

(39) د. أنيس/ في اللهجات العربية 33

(40) نفسه 36



ويرى الباحث الا نهمل لفظا من لغة تلك النقوش، ان تأكدا من اصالته العربية، اما ان تشككنا فيها، فيكتفى بلغة نصوص الادب الجاهلي، كما اقترح د. أنيس.

رابعا : الا يكتفى بالنقل عن المعجمات القديمة، الا بعد التحقق، وان يكثر المعجم المنشود من مراجعه، وان يعود الى المصادر الادبية والمؤلفات القديمة، ويدعم ما يسجله بالنصوص والاقتباسات التي وردت فيها، والا يهمل لغة النثر، اكتفاء بلغة القرآن الكريم او الحديث الشريف أو الشعر<sup>(41)</sup>. والا يقتصر في شواهدة واقتباساته على انتاج كبار الادباء فقط، او امهات المراجع العربية، بل عليه ان يحاول مسح واستقصاء كل المؤلفات العربية المكتوبة، القديمة منها والحديثة، المطبوعة والمخطوطة حتى اليوم ما أمكن لان هذا الامر سيغنيه بثروة ضخمة من الالفاظ وصيغ المشتقات والمعاني، ويميده كثيرا في دقة التأريخ والتطور لتاريخي للغة بمفرداتها ومعانيها.

خامسا : ان تكون الدراسة التاريخية وتتبع التطور الكامل للالفاظ والمعاني في جميع العصور حتى اليوم دراسة علمية نظرية وعملية، اذ يقول د. حسين نصار في هذه القضية : «ولعلمهم - اعضاء المجمع اللغوي القاهري - يريدون بالتطور التاريخي إثباته اصول بعض الالفاظ المعربة والدخيلة... أما اذا كانوا يريدون التطور الكامل للالفاظ في جميع العصور حتى اليوم، فهل يريدونها دراسة علمية نظرية او دراسة عملية؟ لقد كان الهدف من دراسة الاقدمين للعربية عمليا محضا، فأضاع علينا كثيرا من المفردات واثار منا الشكوى، فاذا ما اصبح هدف المجمع من هذا المعجم التاريخي نظريا محضا اضاع ما أضاع»<sup>(42)</sup>.

(41) مشروع فيشر / عن د درويش 139، ود عمر 200

(42) د نصار 754

سادسا : أن يتمثل هذا المعجم المنهج الوصفي المحض في تسجيل كل ما جاء في اللغة ، من مفردات واستعمالات ودلالات ، وهو آخر ما ارتضته صناعة المعاجم ، وفق الدراسات اللسانية الحديثة ، والا ينجح الى التعبير او الفرض في الاستخدام ، يعزز ذلك ما ذكرناه في موضع سابق ، وما جاء في موسوعة كولير ( Collier's Encyclopedia ) ما نرحمته : «لقد كان دور - وظيفة - المعجمي تثبيت اللغة (تعييرها) ، ليعطي المعنى الصحيح ، والتهجئة الصحيحة ، ونبرة جميع الكلمات في الاستخدام المقبول ، وليقر هذه الكلمات كما ينبغي ان يكون ضروريا ، هذا كان دور المعجمي سابقا ، وهو الامر او النصح باستعمال مضبوط (مناسب) للغة ، ورفض او تحريم تلك لتراكيب التي يعتقد - لسبب او لآخر - أنها غير مضبوطة .

اما الآن ، فدور المعجمي يقتصر على ان يسجل اللغة كما يحدها ، اذ ان تغيراتها المستمرة خصيصة - ميزة - لكل عضو او كائن حي . . . فعليه ان يسجل كل كلمة تستعملها الجماعة»<sup>(43)</sup> .

سابعا : إضافة الى إدراك ان من وظيفة لمعجم التاريخي ان يبين تطور الكلمة وما طرأ عليها عبر العصور ورسم الكلمات وتهجئتها ، ومراحل تطورها وتغيرها ، وانشاء قوائم الكلمات ، وتقسيم الدلالات وترتيبها ، وتحديد الوظيفة الصرفية للكلمات ، واعطاء معلومات نحوية تركيبية عن الكلمات الثابتة المبنية ، والعوامل لمختلفة ، وتأصيل الكلمات استنادا الى اخر ما وصلت اليه البحوث اللسانية الحديثة ، التاريخية والمقارنة<sup>(44)</sup> ، ومستويات الاستعمال بسياقاتها ، ومحيطها - بيئتها - الاجتماعية والطبقية .

(43) - Collier's Encyclopedia, V 14 (Lexicography), P 533

(44) - Encyclopaedia Britannica, V 5, P 719, 720 - وسمرص هذه المعاصر مفصلا

في القسم اللاحق من هذا البحث

وقد ذكر د. أحمد مختار عمر بعضاً من هذه الوظائف في كتابه «البحث اللغوي عند العرب»<sup>(45)</sup>.

كما أوردت موسوعة كولير (Collier's Encyclopedia) مجموعة من هذه الوظائف تحت عنوان «وظائف المعجم» جاء فيه: «إن الوظيفة الأساسية للمعجم أن يعرف معاني الكلمات، ويرتب هذه التعريفات والمعاني، ويورد السياقات، وأن يُعنى بمرادفات الكلمة، ومدى الترادف بين كل كلمتين أو أكثر، وأن يسجل التغيرات أو الإضافات في المعنى. وتوضح المعاجم مستوى الاستعمال للكلمة.

ويتضمن المعجم أيضاً ذخيرة ضخمة من المعلومات اللغوية، فهو مصدر عام موثوق للتهجي الصحيح، ويعطي التهجي المفضل والمحدد حينما يكون غير واحد مقبولا، ويزودنا بنطق الكلمة، ونوعها من الكلام، وأصلها، ومصدرها، والتطور الذي طرأ عليها، ومرادفاتها ومضاداتها. وتزودنا المعاجم الكبيرة بمصطلحات فنية وعلمية، وأول استعمال مسجل للكلمات، والاستعمالات التالية له، وتعد الاقتباسات التاريخية في المعجم التاريخي (O E D) مثلاً، تعد درسا محسوساً فائداً - ساحراً - في تغيرات معاني الكلمات. ويجب أن تكون التعريفات واضحة مفهومة، لا غموض فيها، ولا تعتمد المرادفات. وينبغي أن تبقى المعاجم عصرية، تعاكش التغيرات والتطورات السريعة في الحياة وتوازيها، فيجب أن تضمن الطباعات اللاحقة المنقحة والملاحق الكلمات المبتكرة، والمعاني المستحدثة، فالتزام أو الكمال مهم للغاية»<sup>(46)</sup>.

ولعل من الوفاء بغرض البحث أن نعرض أبرز وظائف معجم أوكسفورد التاريخي للغة الانجليزية (O E D) كما جاءت في مقدمته، الذي تقول فيه موسوعة (Collier). «وهو الأعظم والأشهر والأحسن

(45) د. عمر 117 - 118.

(46) (تصرف) - Collier's Encyclopedia, V 8, P 193.

بين المعاحم التاريخية العالمية - الجديرة بالعلماء - وكانت الاهداف  
لاساسية لمشروعه أن يشمل كل كلمة في اللغة الانجليزية منذ عام  
1000م تقريبا، ويسجل في نظام تأريخي جميع استعمالات الكلمة،  
ومعانيها، ويوضح تطورها، باقتباسات (شواهد) من جميع مراحل  
الكتابة الانجليزية<sup>(47)</sup>.

ولدى النظر في تصدير معجم أوكسفورد للغة الاجليرية (O E D)  
ومقدمته التاريخية، يستطيع الساحت ان يتبين وظيفة هذا المعجم  
لتاريخي الضخم، التي اقترحت، وأبسط به تحقيقها، وهي في مجملها  
لا تختلف عما قرره لمصادر والمراجع التي احوال عليها البحث ووقف  
عليها، اذ ان بعض تلكم المراجع، كانت ارهاصات هتدى بها  
القائمون على نشر ذلك المعجم، وبعضها استمدت اقتراحاتها وأسسها  
من هدي ما تم في ذلك المعجم واحتواه من قضايا أساسيه في ميدان  
المعجمة التاريخية.

ولعل أبرز جوانب وظيفة معجم أوكسفورد (O E D) كم وردت  
في التصدير وللمقدمة التاريخية<sup>(48)</sup> يمكن اجمالها في ما يلي :

- 1 - إعداد قوائم كاملة مرتبة ألفبائيا، شاملة لمفردات اللغة الانجليزية،  
من بداية عصر التدوين حتى اليوم.
- 2 - إيراد كل الحقائق الوثيقة الصلة بصيغ الكلمات، والمعاني التاريخية،  
وانطق، والتهجي، والتأصيل، وتسجيلها.
- 3 - أن يحتوي كل مفردات اللغة الادبية، ولغة المحادثة، حية كانت، او  
مهجورة عماتة، او مصطلحات فنية، وكمية كبيرة من مفردات الاستعمال  
العامي واللهجي.

---

(47) نفسه/ص 196، واصر معجم اوكسفورد التاريخي المقدمة التاريخية (ص 8)  
والتصدير ص 5.

The Oxford Dictionary, preface, P V, and the Historical Introduction, P (48)  
VII

- 4 - قام أساسه على الاقتباسات والشواهد، اذ بلغ مجموعها خمسة ملايين اقتباس، من الأدب الانجليزي من كل الفترات التاريخية، منذ سنة 1250م، اختار القائمون على العمل 1.800.000 اقتباس واضح منها، وقد شكل هذا الصنيع ثورة في فن صناعة المعاجم.
- 5 - يقدم المعجم فائدة لقواعد اللغة الانجليزية لا تقدر، لانه مكن المختصين من الوقوف على صيغ مفردات لغتهم وتطورها، ومستويات استخدامها وتراكيبها، وتطور ذلك كله اي ان النحو الانجليزي سيكون مدينا لهذا المعجم منذ لحظة تصنيفه، ومستقبلا.
- 6 - ضم كل معلومة لغوية تاريخية حول كلمات اللغة الانجليزية، ومعانيها واستعمالاتها، اذا لم تبقى نقطة لغوية تاريخية صحيحة لم يوضحها المعجم، بعد خضوعها لمرجعات المختصين.
- 7 - خلال عامي 1858م و1859م، اعلنت الجمعية اللغوية القائمة على مشروع المعجم خطة العمل، وطبع «اقتراح لطبع معجم جديد للانجليزية» باشراف الجمعية اللغوية (Philological Soc ety) بمبادئ أساسية للعمل، أهمها مبدآن.
- أ - ان أول متطلب لأي معجم، أنه يجب ان يشمل كل كلمة حدثت في آداب اللغة المكتوبة، التي يعترف المعجم انه يوضحها.
- ب - يعتمد المبدأ التاريخي بشكل منسق مطرد ومنتظم في معالجة الكلمات واستعمالها الفردي والشخصي.

وفي موضع لاحق<sup>49</sup> من المقدمة التاريخية، نستطيع تبين بعض العناصر الأخرى في وظيفة هذا المعجم، خلال عرض اقتراح وضع معجم أساسي موجر للمعجم الكبير، ومنها إضافة الى ما ذكر سابقا . اشادات نقدية، لحذوز، السوابق واللواحق، الالفاظ المتجاسسة في الشكل (الرسم)، الاقتباسات - مختصرة مع اسم الكاتب والكتاب

(المرجع) وتاريخ طبعه، ورقم الصحيفة والسطر لكل اقتباس ومعالجة العبارات الاصطلاحية (Idioms).

وقد أكدت المقدمة أهمية الشواهد - الاقتباسات - في تحديد معنى كل كلمة وتطوره وتطوره، وفي تتبع لتطور التاريخي لكل منها<sup>(50)</sup>. وقد كان غرض المعجم ان يتعامل مع جميع الكلمات العامة في لغة الحديث والأدب، وجميع الكلمات التي تقاربها في الخصائص، حتى شملت حدوده ميدان العلوم والفلسفة، وكلماتها التي تعبر الادب، وكذلك فقد كان غرضه ان يضم جميع الكلمات الانجليزية الشكل والصيغة، التي استخدمت في المصطلحات العممية والتقنية، ما عدا تلك المصطلحات التي يكون شرحها غير مفهوم الا للمتخصصين، وهذه الكلمات ليست انجليزية لصيغة، ولا تدخل في الاستعمال العام<sup>(51)</sup>.

ولعل في إيراد وظائف معجم أوكسفورد التاريخي هذه، فائدة وتأكيدا لما قدمه البحث من وظائف مقترحة مناسبة للمعجم التاريخي العربي المشود، واستدراكا لما قد يكون فات البحث ذكره، وإيضاحا لأي غموض قد يشتهه في تلك الوظائف المقترحة.

#### المحتوى :

تأسيسا على ما ذكرناه في موضع سابق، من أن المفهوم والوظيفة كليهما يحددان محتوى المعجم ومادته، وان بين هذه العناصر الثلاثة تأثيرا وتأثيرا متبادلين، فان محتوى المعجم المشود ينبغي ان يفي بما سبق ذكره في قسمي المفهوم والوظيفة.

ولصمان تنفيذ تلك الوظائف، لابد ان يتضمن محتوى المعجم

(50) نفسه، P XIV

(51) نفسه، P XXVIII

المأمول المعالجة المناسبة على مستوى الألفاظ والمعاني، والشواهد (الاقتراسات) معروضة على أساس تاريخي، مراعيًا الترتيب الملائم لطبيعة لغتنا وخصائصها، واليسر والسهولة في تناول المعجم واستخدامه، على مستوى ترتيب المداخل، والترتيب الداخلي لمشتقات كل مدخل، محققا الفائدة التربوية في التعلم، والفائدة المعرفية للناشئين والمتعلمين والترجمة<sup>(52)</sup>.

وقد تضمن مشروع فيشر للمعجم التاريخي العربي منهجه في معالجة الألفاظ ومعانيها وشروحها وشواهدا، ورأى أن تعرض حسب وجهات النظر السبع التالية<sup>(53)</sup>:

1 - الناحية التاريخية: يرى - ورأيه صائب - ن لكل كلمة تطورها التاريخي الخاص، فيجب أن تقيد المواضع التي يتبين منها أنها تعطي أوضح صورة من التطور التاريخي للكلمة ومعانيها، على حسب الترتيب التاريخي بين أقدم الشواهد وأحدثها.

2 - الناحية الاشتقاقية: تتناول بحث أصول الكلمات وسببها وتوليدها، ويرتبط بهذه الناحية علم ضبط اهجاء، وترد الكلمات المعربة الى صولها على قدر الإمكان.

3 - الدحية التصريفية: وتتناول تغير صيغ الكلمة المختلفة، كتصريف الأفعال والأسماء، وإن ينسب على جنس الكلمة من حيث التذكير والتأنيث، إذ كثيرا ما يغير بذلك معنى الكلمة، ويختلف استعمالها باختلاف لزمان والمكان، ووجود غير صيغة في تصريف الاسم أو الفعل، وعدم وجود بعض الصيغ الممكنة وفق القياس المتوقع.

---

(52) أ الخطيب/ من قضايا المعجمية المعاصرة 629، ود الحمراوي/ الاستيعاب في المعجم العربي الأوروبي، المصدر نفسه 371

(53) مشروع فيشر للمعجم التاريخي العربي/ عر د صابر 778-780 ود دروش 141  
143 -

4 - الناحية التعبيرية : وتتضمن تحقيق معنى الكلمة او معانيها، واعتبار ان المعنى الاول هو الذي يؤخذ من اشتقاق الكلمة، والاهتمام بترتيب المعاني المتعددة، بتقديم المعنى العام على الخاص، والحسي على العقلي والحقيقي على المجازي والشائع على المحدود، ومعاني لادوات النحوية بحسب استعمالاتها، ومراعاة علم المجاز وعلم الترادف، ومراعاة استعمال الكلمة اصطلاحيا في تحديد المعاني المختلفة.

5 - الناحية النحوية : وتتناول القضايا التركيبية النحوية او الاعرابية لبعض الكلمات والادوات، منها موضع ورود الكلمة في السياق ان كان لها موضع محدد، مثل : فقط، وانها، وأيضا، ومراعاة الاضمار والحذف، وتعدي الافعال ولزومها، واعراب بعض الكلمات، وبيان متى واين ظهر ذلك التركيب لأول مرة وآخرها.

6 - الناحية البيانية : تتناول علاقات الكلمة في التركيب ووضعها، لعامل من عوامل البلاغة والبيان، كالاتباع والمزاوغة، والمشاكلة، والمبالغة، وازدواج عبارتين متضدتين للتعبير عن معنى واحد مبالغ فيه، والتركيب التي جرت مجرى الامثال.

7 - الناحية الاسلوبية : وتحدد المحيط اللغوي الذي استعملت فيه الكلمة، وتتمثل في بيان مدى سعة استعمال الكلمة، كأن تستعمل استعمالا عاما، كاستعمالها في لغة القرآن والحديث الشريف، او اسلوب النشر، او الشعر، او الاسلوب التاريخي، او الفنون، او العلوم او غيرها، او استعمالها استعمالا خاصا، كالاسلوب الشخصي المحض، كان يميل مؤلف او شخص ما الى استعمال كلمة معينة، او تركيب معين بالذات وكأنه من لوزمه، وربما لا ياتي عند غيره الا نادرا.

هذا إيجاز لنصور فيشر لمحتوى المعجم التاريخي بشكل عام، وفيه يركز على أهمية المستوى التاريخي في المعالجة، وتتبع التطور الزمني للكلمة او معناها او استخدامها.

واستكمالا لمعالم صورة المحتوى المنشود للمعجم المأمول، يرى لبحث ان يعرض القضايا المقترحة على مستوى المحتوى، مفيدا مما



جاء في موسوعة كولير، والموسوعة البريطانية، وبعض الملاحظ في الدراسات اللغوية المعجمية الحديثة، وأخيراً بعض الفوائد من تجربة معجم أوكسفورد التاريخي، التي عرضها في مقدمته وإيضاحاته العامة في جزئه الأول على صعيد لمحتوى .

فقد جاء في معجم أوكسفورد تحت عنوان «إيضاحات عامة»<sup>(54)</sup>، أن مجموع مفردات اللغة - معجم اللغة الانجليزية (The Vocabulary) فيها كتلة مركزية كبيرة من عدة آلاف من الكلمات أصيلة لا يشك فيها، وهي ما أطلق عليه الكلمات العامة (Common Words) بعضها من مستوى أدبي فصيح، وبعضها عامي، والأغلبية العظمى الباقية من هذه الكلمات العامة أدبي عامي في أن واحد، وترتبط دائرة الكلمات العامة المركزية من كل جانب بكلمات أخرى مختلفة، منها كلمات لهجات خاصة، أو كلمات لغة خاصة محرفة، أو كلمات علمية، أو مصطلحات فنية، أو كلمات اجنبية، وقد تدخل هذه الكلمات أو بعضها إلى جسم اللغة - كتلة الكلمات العامة - وهذه الأنواع من الكلمات ليست محددة ومميزة ككلمات الكتلة العامة .

ويرى المعجم نفسه أن على المعجمي أن يضمن معجمه كل الكلمات العامة (Common Words) التي انتشرت في لغة الأدب والحديث، وكذا الكلمات العلمية، والتقنية والعامة، واللهجية، والاجنبية، التي تكون قد أدخلت في الاستعمال العام، ودخلت في كتلة الكلمات العامة ومع ذلك، فعليه أن يعلم أن خطه هذا لن يرضي ناقدیه، لأن حقل الكلمات العامة يتسع بالنسبة لكل شخص باتجاه جهة اهتمام قراءاته، أو بحوثه، أو عمله، أو إقامته المحلية أو الاجنبية الخارجية، لأن لكل واحد قاموسه الخاص، ويضيق باتجاه الجهة التي لا علاقة عملية له بها، فليست انجليزية شخص واحد هي كل الانجليزية .

- OED, (genera Explanation), P XXVII (54)

فلا بد من ان يقتنع المعجمي بتقديم اكبر قسم من مفردات كل واحد، وهذا القسم الذي يقدمه المعجمي سيكون - بالضرورة - اوسع بكثير من مفردات شخص واحد بعينه .

اضافة الى ان الكلمات العامة - بجميع خطوطها المتباعدة والمختلفة، كالكلمات العلمية، والفنية، والعامة، واللهجية، والاجبية التي تكمن في عدد غير محدود من الاسماء احصاة الدقيقة او الدالة، وتقع خارج حقل المعجمة، تحتاج الى تقييم مفهوم بشكل ما، ليتحدد الموقف منها بشكل يقبل الحل الوسط، ويجب ان يأخذه المعجمي على عاتقه، ويتخذ قرارا بشأنه .

وهذه عقبة تواجه المعجمي عند بدء تصنيف كلمات اللغة. وما قيل هنا في اللغة الانجليزية، قد ينطبق على العربية، فالقدر الاكبر من كلمات لغة التأليف والانتاج الادبي عربي اصيل، ولكن يبقى قسم منه اعجمياً معرباً ، وهذا لا مشكلة في التعامل معه، فحكمه حكم العربي الاصيل، وقسم منه قد يكون اجنبيا دخيلا، او مولدا او عاميا، ولا بد من قرار بشأنه، ويميل البحث الى معالجته ومعاملته كالعربي الاصيل، مادام دخل في الاستعمال العام، مع ضرورة الرمز لكل نوع للدلالة على اصله ومستواه .

واتخذ قرار بالنسبة لقبول مفردات اللغة الانجليزية وتسجيلها في المعجم التاريخي (OED) وهو انهم بدأوا بتسجيل الكلمات منذ بدايات ظهور اللغة المكتوبة عندهم، واصطلحوا عليها انها تبدأ نحو سنة 1150م، مع استبعاد اي كلمة ظهرت قبل ذلك، ويشك أنها ليست انجليزية نقية وأصيلة<sup>(55)</sup>.

وبالنسبة للغة العربية، رأى البحث - في موضع سابق - ان نفسح المجال لكل كلمة عربية اصيلة منذ عهد النقوش، مادامت تلك

(55) نفسه - P XXVIII

الكلمة عربية اصيلة صرفا ، لا يشوبها شائبة من اللغات الاخرى ،  
وليست لهجة محلية ، مرورا بكل المؤلفات لمطبوعة والمخطوطة حتى  
الآن .

وقد صنف معجم أوكسفورد ( O E D ) كلمات اللغة وعباراتها  
( Phrases ) لعرض معالجتها وتضمينها المعجم أصنافا ثلاثة :

1 - الكلمات الرئيسية في اللغة ( Main Words ) وهي الكلمات المفردة ،  
وتشكل جسم اللغة ومعجمها ، ومعظم الثروة اللغوية ، وسنعرض  
أسلوب معالجتها بعد قليل .

2 - الكلمات الثانوية - التابعة ( Subordinate Words ) وهي الكلمات  
ذات الصيغ الغريبة ، والمتحولة ، والمخطوءة المحرفة التي وردت في  
المعاجم ، والصيغ والتصرفات المتنوعة الشاذة من الكلمات الرئيسية ،  
والمهجورة ، وقد عالجها المعجم ، وحدد شخصيتها ، واعطى تاريخها  
بإيجاز ، واحيل بعضها على الكلمات الرئيسية التي تنتمي إليها ، مع كلمة  
موضحة مرادفة ، إذا كانت الكلمة المشروحة من لمهجور<sup>(56)</sup> .

3 - الكلمات المركبة - المجموعات - ( Combinations )<sup>(57)</sup>

وهذه قد تكون مركبة بوصلة (-) بين جزأى التركيب ، وربما لا  
يكون بين الجزأين وصلة ، ووجود الوصلة او عدم وجودها قضية ،  
فوجودها او عدمه قد يكون له دخل في المعنى وتحديدده ، فقد تلمح هذه  
الوصلة الى وحدة المعنى ، او لا تلمح . وهي مشكلة ايضا على مستوى  
الشكل ، كما هي على مستوى المعنى . علما بأن وجود الوصلة هذه  
نحوي أساسا للربط بين الجزأين .

وتبرز مشكلة اخرى حول المركبات ، هي : الى اي حد تعد هذه  
المركبات - المجموعات - مادة تهم المعجمي ؟ وإلى أي حد تعد قضية  
نحوية تركيبية ؟

(56) نفسه . P XXXIII , P XXVIII

(57) نفسه . P XXXIII , P XXVIII

ولا بد للمعجمي من مواجهتها وحسم الأمر.

وقد قسمها المعجم إلى ثلاثة أقسام لغرض المعالجة :

أ - التراكيب التي احتفظت كل كلمة فيها بمعناها الكامل الاساسي ، وتقع الصلة بين جرتها تحت وحد أو أكثر من المقولات النحوية .

ب - التراكيب التي تعطي معاني خاصة ، ولكن مازالت يقدر عليها بأن تشرح بإيجاز بكلمات قليلة ، بربطها بشيئها .

ج - التراكيب التي اكتسبت كلماتها تخصصا في المعنى من مكانها في التركيب الكلي ، أي أصبح لكل منها معنى جديد بعد التركيب . والتي تستخدم بمعان مختلفة ، أو لها تاريخ طويل ، وهي بهذه الخصوصية تحتاج إلى معالجة بتوسع أكثر ، وتحال كل كلمة منها على مكانها حسب الترتيب في المعجم ، إذ عولجت هناك بكل الاعتبار ، كأنها كلمة رئيسية .

وعولجت العبارات ( Phrases ) تحت كلماتها القيادية الاساسية ،

كم عولجت الاسماء الخاصة - المتميزة - مثل Adam's Needle بوضعها تحت اسمها العام الشامل <sup>(58)</sup> .

وبالنسبة لتصنيف كلمات اللغة العربية وفق التصنيفات السابقة

في معجم أوكسفورد ( O E D ) يمكن الافادة منها على صعيد المحتوى بمعالجة بعض الكلمات الموضوعية ، أو المشكوك في اصالتها ، أو المحرفة ، التي دخلت مع ذلك إلى الاستعمال العام . كما يمكن الافادة من هذه التصنيفات في معالجة الامثال ، والعبارات التي جرت مجراها ، كقولنا : كعب أخيل ، والصيف ضيعت اللبن ، ومواعيد عرقوب ، ولا ناقة لي - في الامر - ولا جمل ، وإياك ان يضرب لسانك عنقك ، وقضى نحبك ، وبذل جهده ، وغيرها .

أما الكلمات الرئيسية المفردة ( Main Words ) ، التي تشكل النسبة

(58) P XXXV

لساحقة من معجم اللغة، فيرى البحث - بعد الاستشارة بما جاء في  
المراجع الاجنبية والعربية، ومعجم أوكسفورد بشكل خاص - ان  
معالجتها في المحتوى يمكن ان تكون على صعد ثلاثة، وهي : الألفاظ،  
الشرح والمعاني، الشواهد والاقتباسات التوضيحية .

#### أولا : الالفاظ (المفردات) :

المعجم في أصل وضعه ديوان لألفاظ اللغة، فهي لأسس فيه،  
لذا تستأثر - بمختلف جوانبها - باهتمام واسع، إذ يوضح المعجم كل ما  
يحتاج اليه الفرد في معرفة اي جانب من تلك الجوانب . وجوانب اللفظ  
التي يخدمها المعجم هي <sup>(59)</sup> .

1 - النطق <sup>(60)</sup> : ينبغي للمعجم ان يعنى ببيان نطق الكلمة،  
واحتلافاته، واللغات او اللهجات الواردة عن العرب فيه، وتطور  
اختلافات النطق ان وجدت وتأريخها، مثل : كبر وكبر، وبحسب  
وبحسب، بما في ذلك تركب اللغات او تداخلها ايضا، وهذا ذو صلة  
بأبنية الكلمات الصرفية في لغتنا العربية .

2 - التهجي ورسم الكلمة <sup>(61)</sup> : ويعنى به اثبات كل رسم عرف للكلمة

---

(59) اضافة الى تسجيل كل مفردات اللغة بكل انواعها ومستوياتها، ما دامت دحلت في  
الاستعمال العام على مستوى اللغة الادبية ولغة لتأليف، كما اقترح في موضع سابق .  
حتى لكلمات المعية أو البدثة ان وردت، فحتمها أن تدخل المعجم، وحدودها - كما  
فعل معجم أوكسفورد - أمر لاسمطي، حدث ساء على مواقف اجتماعية معينة، ببس  
ذكرها في مواضعها الصحيحة من المعجم فصيحة عسبة، ويؤدي الى تعهير اسماق  
الاجتماعي انظر : Encyclopaedia Brit V 5 P 722

(60) معجم أوكسفورد لتاريخي OED, XXIX, XXXIV -

و Encyclopaedia Britannica, V 5, 719

و Collier's Encyclopedia, V 8, 193

ود عمر 118، ود الطب 508

(61) معجم أوكسفورد لتاريخي OED, XXX

و Encyc Brit V 5, P 719

و Collier's Ency V 8, P 193 -

ود عمر 118

منذ بدء استخدامها حتى الآن، وإن ننص على التهجى المفضل أو الصحيح حسب قواعد الاملاء الحديثة، ان كان للكلمة غير رسم في بعض الحالات، مثل . مائة ومئة، شئون وشؤون، رؤوف ورؤوف، موسيقى وموسيقا، الخطى والخطا، الضحى والضحا، وغيرها كثير. على ان يقوم كل ذلك على اساس التبع التاريخي وحسب ظهور كل رسم زمنيا، مدعما بالشواهد والاقتباسات التي تشير الى عصر كل رسم.

3 - النص على حالة الكلمة ومستواها<sup>(62)</sup>. بان نرمز لها برمز يوضح هل هي مهجورة ممائة، او حية دارجة، او فصيحة اصينة، او معربة، او دخيلة. او مولدة، او عامية دخلت في الاستعمال العام المكتوب او الادبي.

4 - النص على مستوى استخدامها ونوعه<sup>(63)</sup>: أهى علمية، أو فنية، او جغرافية، او ادبية، او اصطلاحية. . . الى غير ذلك ان كانت مقصورة على استخدام خاص لا تتعداه.

5 - تأصيلها<sup>(64)</sup>. موضحا المصدر الحقيقي للكلمة ان كان ذلك ممكن التحقق منه، ولا يجوز ان يعتمد الحدس او الظن او التخمين، بل نعتد آخر ما وصلت اليه الدراسات اللسانية وفقه اللغة في هذا المجال. كما يتناول المعجم في هذا الجانب شكلها التاريخي اللاحق بعد

- 
- (62) معجم وكسفورد التاريخي OED XXX -  
 - Collier's Encyclopedia, V 8 P 193 .  
 ود نصار 767، 777، ود الطيب 504
- (63) معجم وكسفورد التاريخي OED, XXX -  
 - Encyc Brit V 5, P. 721 و
- (64) معجم وكسفورد التاريخي OED, XXX -  
 Encyc. Brit, V 5 P 720 و  
 - Collier's Encyclopedia, V 8, P 193 و  
 - New Age Ency , V 6, P10 و  
 ود نصار (عن مشروع ميشر 778)، و 764، 776

تعريبها، أي ما طرأ عليها من تغيير على مستوى الاصوات أو البنية، وما تعرضت له بعد دخولها العربية من تغيير لاحق أيضاً، والمشتقات منها، أن حدث مثل ذلك، مثل: تلفة وتلفاز، وبرنامج متلفز... الخ. مع إضافة حقائق متنوعة تتصل بتاريخها، وعمرها، وهجرها، وأحيائها وتحديثها، وتغيير نطقها وبنيته، واختلاطها بكلمة أخرى مثلاً.

6 - تصنيف الكلمة وتحديد نوعها من أقسام الكلام، وجمعها أو جموعها، ومصادرها والاهتمام بالسماعي والشاذ من كل ذلك بشكل خاص<sup>(65)</sup>، واشتقاقها وجمودها، وغير ذلك.

7 - تحديد وظيفتها لنحوية - التركيبية: ونعني بيان أعرابها أن كانت مبنية، أو تلزم حالة اعرابية واحدة، وبيان موقعها في الجملة، أن كانت تلزم موقعاً محدداً دائماً، وعملها وتأثيرها في الكلمات بعدها في الجملة، أن كانت من العوامل. واللزوم والتعدي في الأفعال، وتعديها بحرف أو بنفسها، والملازمة للإضافة أو القطع عنها في بعض الأسماء والظروف.

كل هذه المعالجات - على صعيد الكلمة - يجب أن يحتويها المعجم ويغطيها، وفق أسلوب التتبع التاريخي مستند إلى الشواهد والاقتباسات التوضيحية. ولابد من القول أن البحث يميل إلى قبول كل اللفاظ التي وجدت واستخدمت فعلاً، حتى لو كانت منحولة مصنوعة، أو محرفة، أن استخدمت على تحريفها وحالها، ووردت على تلك الصورة المحرفة في نصوص مكتوبة، وكذلك اللفاظ العامة، وكل ما جاء في المستوى المكتوب.

(65) معجم وكسمرود OED XXX

ود نصار (عن مشر 778)، ود في المراجع السابقة

(66) معجم وكسمرود OED, XXIX

ود نصار (عن مشروع مشر 779) و - Encyc Britannica, V 5 P 720

## ثانيا : المعاني

تشمل هذه القضية جلاء الشرح ووضوحه وعدم الخلط فيه ، إضافة الى تسجيل معاني الكلمات كلها ، مرتبة ترتيبا منطقيا تاريخيا حسب ظهورها استنادا الى الاقتباسات والشواهد المكتوبة المتوافرة . فيجدر بالمعجم ان تكون شروحه سليمة خالية من الاحطاء العلمية ، او تناقض آراء العلماء السابقين واختلافاتهم حول معنى مادة معينة<sup>(67)</sup> .

كما ينبغي ان تكون الشروح واضحة جدية ، خالية من الابهام وسوء التفسير ، كما جاء في المعجمات القديمة - مثلا - «الحمض : نبات معروف» ، او عن حيوان غريب معين : حيوان معروف ، او عن نبات : نبات صحراوي ، أو دويبة في الارض . . . وما أشبه ذلك ، وهذا يمثل الابهام ، وقصور العرض ، وهو عيب من عيوب المعجمات ، لا بد من تجاوزه<sup>(68)</sup> .

ويقول د . أنيس في هذه القضية : «وفي الحق ان كثير (جدا) من الالفاظ في المعاجم قد اهلل شرحها اهمالا شنيعا ، فجاءت دلالتها غامضة او مبتورة ، وبعدت عن الدقة التي هي من اهم صفات المعجم الجيد . . .<sup>(69)</sup> .

وقد قرر فيشران المعجمات القديمة قد اضطربت في شرح مدلولات الالفاظ ، واتصفت بعدم الدقة في هذا الشرح ، كما اختلف اصحاب تلك المعاجم في مدلولات كثير من الالفاظ ، مما أدى الى سوء الفهم لكثير من النصوص<sup>(70)</sup> .

(67) الشديق ، 3 ، د الخطيب 74 ، 75 ، 98 ، د عمر 191 ، د درويش 159 ، د

يعقوب 185 ، د نطب 511 ، الخطيب (من فصيل المعجمية المعاصرة) 606 وما بعدها

(68) د بصر 758 - 759 ، د عمر 117 ، 192 ، د يعقوب 185 ، د عبد الرحمان

94 ، وغيرها

(69) د أنيس / دلالة الألفاظ 249 - 250

(70) بمس 249



وحول هذه القضية، لا بد من ان تكون شروح المعجم وايضاحاته خالية من الغموض او الابهام او اللبس او الخطأ، اذ ان وظيفته - أساسا - هي الجلاء والوضوح، فالمعجم هو الكتاب الذي أزيلت العجمة فيه، وذهب الخفاء منه<sup>(71)</sup>.

وحرى ان نتمسك بالتناظر والمماثلة في الشرح، فحينما نشرح اسم يوم من ايام الاسبوع او اسم شهر من شهور السنة مثلا، ان نشرح بقية الاسماء المماثلة.

وعلى ان نستعين بالصور والرسومات المساعدة المعبرة كلما كان ذلك ضروريا مقبولا، وان تكون لغة الشرح سهلة، وان نستعين بالشواهد والاقتباسات لتوضيح المعنى المقصود، والعناية بشرح المعنى المعجمي بطريقة منطقية، ولعل الطريقة المثالية هي استخدام طريقة تعريف اللغة باللغة، ولكن هذه الطريقة ليست متاحة دائما للاستخدام العام، فيمكن إنشاء ألفاظ خاصة مناسبة للتعريفات، ولا بد ان تدور هذه الالفاظ حول مصطلحات غير معروفة<sup>(72)</sup>.

ولا بد من العناية بالترادفات في شرح معاني الكلمات، لما لها من فائدة تهم الباحث والقارئ والكاتب، على ان تعطى امثلة توضح الى اي مدى ترادف الكلمة مرادفتها، وفي أي معنى تلمح الى شيء ما مختلف... على ان تكون الكلمة الشارحة المرادفة اوضح، واكثر شيوعا واستخداما من الكلمة المشروحة<sup>(73)</sup>.

وقد علل Webster (العناية بذكر المترادفات: «بأنه يريد ان يبين الفروق بين المترادفات في الاستعمال، حتى يحسن الكاتب وضع كلماته واستعماله»<sup>(74)</sup>).

(71) د. فاخر 6

(72) - Encyc Brit , V 5 P 720

(73) - Collier s Encyc , V 8 P 193

(74) عن د. نصار 775

كما علل ثورندايك (Thorndike) في قاموسه هذه الالهمية أيضا:  
«بأن بعض الكتاب أو المتكلمين مضطرون إلى الأكثر من استعمال لفظ  
معين، فيصبح مملولا، ويجمل أن يستبدل به غيره»<sup>(75)</sup>.

أما عن المعاني: فلا بد من أن تسجل المعاجم المعنى في  
الاستعمال الجاري، مستندة إلى الاقتباسات والشواهد، كما تسجل كل  
المعاني التي عرفت لكلمة معينة، وأن ترتبها ترتيبا مناسبا.

وفي هذا المجال جاء في موسوعة كولير (Collier): «إن معظم  
المعجميين يوافقون على أن المعجم لا تقرر المعنى الحقيقي للكلمات  
ولكنها تسجل الاستعمال الجاري فكلمات جديدة تبتكر وكلمات قديمة  
تكتسب دلالات جديدة، فكما في معجم 1970م العامي، جاء  
تعريف (معنى) «heavy» مهم أو خطير. لذلك، فإن المهم لوظيفة  
المعجم أن يسجل التغيرات أو الإضافات في المعنى»<sup>(76)</sup>.

وقد المح د. أنيس إلى هذه القضية بقوله: «... وثقت كل لغة  
بذلك الفهم التقريبي للدلالات، ويقنع معها للغوي عادة، بما يشيع  
بين الناس من دلالات قاصرة، فيصنع معجمه ويفسر ألفاظه على قدر  
فهم جمهور الناس لها»<sup>(77)</sup>.

ويؤكد هذا المعنى في موضع آخر ويوضحه، بقوله: «ومع قدر  
من هذا التسامح والتنازل، يستطيع اللغوي أن يحدد الدلالات في  
معجمه، وأن يقول أن لفظ كذا مدلوله في اللغة العربية مثلا هو كذا،  
دون التعرض لقوة هذه الدلالة أو ضعفها، ودون الإشارة إلى وضوحها  
أو إبهامها، لأن مرجع كل هذا إلى الأفراد وتجاربهم المختلفة»<sup>(78)</sup>.  
وفي هذا المجال، ينبغي للمعجم العربي التاريخي المنشود أن

(75) نفسه

(76) - Collier's Encyc, V 8 P, 193.

(77) د. أنيس / دلالة الألفاظ (ط 3) - ص 103

(78) نفسه 105

يتتبع المعاني المختلفة للكلمة زمنياً، وإن يرصدها معتمد على الشواهد والاقتراسات المكتوبة، وإن يسجل كل تغير أو إضافة أو نقص في المعنى بين عصر وآخر، أو استخدام وآخر، وإن يعرضها مرتبة وفق طريقة منطقية مقبولة.

ويميل كثير من الباحثين إلى أن تكون المعاني الحقيقية أولاً، وتتبعها المعاني المجازية، ويراعى أيضاً أن يدون المعنى الشائع العام قبل المعنى الخاص، لأن الشائع هو الأكثر استخداماً، ويعني جمهور الناس أكثر من الآخر.

وأن تدون المعاني الحسية القريبة قبل العقلية المحددة<sup>(79)</sup>.

وجاء في مقدمة أوكسفورد التاريخي (OED) أن النظام الذي تطورت وفقه هذه المعاني، هو أهم الحقائق في تأريخ الكلمة، ولكن كشفه وإدائه يتطلبان أشق الواجبات في المعجم الذي يهدف إلى إعطاء هذا التاريخ. فلو كانت التدوينات التاريخية كاملة - أي لو امتلكننا أمثلة مكتوبة لجميع الاستعمالات لكل كلمة منذ بداية وجودها - لأمكن لهذه المعاني كشف تطور معقول أو منطقي، فالسجل التاريخي ليس كافياً ليقدم هذا، لكنه كافٍ ليمكننا من تخمين النظام الحقيقي<sup>(80)</sup>.

ويجب التنبيه إلى معاني الكلمات المعربة أو الدخيلة، وتطور هذه المعاني في لغتها الأصلية، وتطورها في العربية بعد تعريبها أو دخولها، إذ قد يسجل اختلاف بين معانيها في الاستخدامين واللغتين - الأصلية والعربية - . وجاء في الموسوعة البريطانية أن مهمة المعجمي صعبة في تحديد دلالات المعاني المختلفة، وكيفية ترتيبها، فشم منهج التطور التاريخي في تتبع تطور المعاني المختلفة للكلمة، ويتطلب تتبع تطور المفاهيم عبر العصور، وهي مهمة صعبة.

(79) موسوعة كولير 193/8، فيشر (ع د ص 779)، د يعقوب 185، 186.  
د الطيب 511، أ الخطيب 625.

OED, P XXXI (80)

وهناك منهج يقوم على الطريقة الاحصائية للدلالات، اذ تسجل المعاني الاكثر شيوعا واستخداما أولا.

وثم منهج ثالث، هو منهج التطور المنطقي للمعاني اذ غالبا ما يكون للمفردة معنى حقيقي، تطورت عنه المعاني المجازية الاخرى، وقد اتبع محررو معجم أوكسفورد هذا المنهج<sup>(81)</sup>، وهو مناسب ومفيد في تتبع تطور المعاني ولمفاهيم.

وينبغي للمعجمي ان يتنبه الى ضوابط استخدام الكلمات في معجمه (Usage Labels)، ذ إن هناك تنوعا في استعمال اللغة في ابعادها المختلفة المتعددة: كالبعد الزمني، والجغرافي، او الثقافي، او الاجتماعي... وغيرها ولا يمكن - وفق هذه الابعاد - اعطاء حكم صحيح تماما في دلالات اللغة وان أولئك الذين يعتمدون الى الحسم في قراراتهم لا يدركون كيف تعمل اللغة<sup>(82)</sup>.

وهنا تبرز أهمية السياقات والشواهد والاقتباسات في توضيح دلالة المعنى. فيجب ان نفسح المجال لهذه السياقات لفهم معنى الكلمة المراد من لامثلة التوضيحية المصاحبة.

وثم قضية اخيرة في باب الشرح والمعنى حول المعاني المجازية للكلمة، وقد اثارها د. عمر في نقده شرح الزمخشري في «أساس البلاغة»، اذ قال: «إنه ثبت المعاني الحقيقية والاخرى المجازية، مع ان لمجاز والحقيقة في حركة دائبة، ويتبادلان مراكزهما»<sup>(83)</sup>.

فماذا قصد الدكتور بتبادل المراكز؟ فهل يكون المعنى الآن مجازيا، ثم ينتقل بعد مدة ليصبح حقيقيا؟ او: هل يكون مجازيا لدى فئة او طبقة، ويكون حقيقيا في الوقت نفسه لدى فئة او طبقة اخرى. أقول: لعل التسلسل التاريخي في تتبع المعاني وتدوينها من

(81) Encycpaedia Britannica, V 5, P 720.

(82) ص 721

(83) د عمر/ 145

نصوصها وسياقاتها يحل هذه الأشكالية .

وجاء في الموسوعة البريطانية ما قد يكون قريبا مما تقدم وهو: «أن المعجمي يصنف الاقتباسات في مجموعات ساء على ما بينها من اوجه شبه او اختلاف، ومن الممكن ان يسقط من الاعتبار الامثلة التي تعبر عن معان انتقالية - غير مستقرة - كالمعاني المجازية، فهي تشكل تعقيدات للعلاقات القائمة بين المفردات ومعانيها»<sup>(84)</sup>.

ولا بد من الافادة في هذا المجال بالدراسات اللسانية الحديثة التي توصل اليها في علم المعنى، ووجهات النظر في المعنى المعجمي والمعنى السياقي وغيرها لمفردات اللغة .

### ثالثا : الاقتباسات والشواهد

قد يكون هذا الجانب من محتوى المعجم المنشود اخطر الجوانب فهي روح العمل، اذ انها تبين صورة الكلمة وصيغتها التي كانت شائعة، وما طرأ عليها من تغير خلال القرون . كما تظهر عمر الكلمة بشكل عام، وعمر معانيها المختلفة بشكل خاص، والكلمات والمعاني المهجورة المماتة، ومتى هجرت - على وجه التقريب - ومتى تم احياؤها، او اكسابها معنى مختلفا، ان حدث ذلك .

وينبغي ان ترتب الاقتباسات ترتيبا زمنيا، يتفق وترتيب المعاني للكلمة او العبارة الواحدة، وان يحفظ رسم الكلمة - صورتها - كما وردت في كل اقتباس، لانها تمثل جانبا من ثقافة العصر ومعرفته . ويجب الا ينسى ان هذه الاقتباسات ليست مجرد امثلة توضيحية، بل توضح اصل الكلمة واول معانيها، واحتلافها التدريجي الزمني .

وللمحافظة على حجم معقول للمعجم ضمن حدود عملية، يجب الاقتصار في الاقتباسات على اقل قدر مختار وممثل للغاية من المادة

Encyc. Brit. V.5, P 720 (84)

المجموعة، وان تكون هذه الاقتباسات موجزة قدر الامكان، ويمكن احالة القارئ لمعرفة السياق الكامل وفهمه على لكتاب او العمل الذي اقتبس منه. لذا فمن الضروري الاشارة الى اسم الكاتب والكتاب والطبعة وتاريخ النشر، ورقم الصفحة والسطر او البيت، في نهاية كل اقتباس بدقة متناهية.

وعلىنا ان نحرض على الاقتباس من الطبقات الاولى والاقدم لكل كتاب، لانها قد تحفظ لنا صورة الكلمة كما جاءت عن صاحبها<sup>(85)</sup>.

ولابد ان تتسع مراجع المعجم التي يقتبس منها، لتمثل كل مراحل وجود اللغة المكتوبة ومستوياتها المختلفة، منذ بدء التدوين في لغة النقوش المحققة الموثقة حتى الآن.

وتؤكد جميع الدراسات الحديثة أهمية السياق والاقتباسات في توضيح معنى الكلمة، فقد ذكر كريستال «أن اللغة تستمد معناها الى حد كبير من خلال استعمالها في مواقف الحياة الواقعية، اذ ان اللغة ليس لها وجود مستقل عن الذين يستعملونها، وموضع تلك الاستعمالات، فنحن نقرأ المعاني المستقرة في الجمل والكلمات بالظر الى كيفية استعمالها. وان مجموعة متعاقبة من الاصوات تطل بلا معنى حتى نرى كيف يستعملها الناس، ومدى صلتها ببعض جوانب تجربتنا في الحياة»<sup>(86)</sup>.

وتأكيدا لخطورة الاقتباسات - الشواهد التوضيحية - في المعجمة، فقد خصصت لها الموسوعة البريطانية عنوانا مستقلا، وذكرت نه لا يجوز للمعجمي ان يكتفي بالنقل عن المعاجم الاكثر قدما، ويجدر ان تمثل الاقتباسات اقدم اقتباس واحدته حول كلمة معينة او معنى معين.

(85) اسطر في ذلك كله معجم أوكسفرود التاريخي / الايصاحات العامة في المقدمة ص

XXXI

(86) كريستال / التعريف بعلم اللغة - ترجمة د حليل - ص 145 - 146

ليتضح من خلالها موت بعض الكلمات او استمرارها في الاستعمال، ومن الخطأ الاقتصار في الاقتباسات على كبار الكتاب، اذ غالباً ما تكون استعمالات الكتاب العاديين او الانسان العادي ادل على حقيقة معنى الكلمة.

ويمكن الافادة من هذه الاقتباسات في دراسات لغوية واجتماعية وتاريخية وتربوية مختلفة، فهي لها اغراض تفوق توضيح معنى الكلمة، وهي تشكل الادلة الاساسية التي تمكن من الوصول الى النتائج الصحيحة<sup>(87)</sup>.

ويجب ان يختلف الغرض من استخدام الشواهد والاقتباسات عنه في المعاجم القديمة. فغرض القدماء كان التعبير ولحكم بالصحة او الخطأ اما غرضنا هنا فجلاء المعنى ووصفه، ووصف صورة الكلمة وصيغتها واستخدامها، ولا يهمننا التعبير، بل الوصف هو هدف من هذه الشواهد، واستشفاف بعض المعلومات الاضافية.

وعلىنا ان نحصر على الشواهد الدقيقة الصحيحة الموثقة، والاقتصار على محل الشاهد والضروري من التركيب الذي يفصح عن معناه، وعدم تكرير ذكره، او ذكر ما قبله وما بعده من الابيات، لئلا يؤدي هذا الى تضخم غير مطلوب في المعجم<sup>(88)</sup>.

وقد أكدت موسوعة كولير هذه الخطوة للاقتباسات والشواهد، فحاصت عنواناً مستقلاً ايضاً، اطلقت عليه «ملف الاستشهاد - الشواهد (الاقتباسات)»<sup>(89)</sup>، جاء فيه: «ان دم الحياة لأي مشروع معجمي موثوق وعميق هو ملف شواهد، الذي يساعد المعجميين في تقرير درجة سيرة اي مصطلح ومعناه وتهجئته، وبخاصة المصطلحات الجديدة، او المعاني الجديدة التي ألحقت بالمصطلحات المستحدثة.

- Encyc Brit V 5, P 721 (87)

(88) د. الصب 513.

- Collier's Encyc V 14, P 534 (Lexicography) (89)

... ويجمع هذا الملف فريق من القراء المدربين، الذين يتابعون الصحف والمجلات والدوريات العلمية بانتظام، والكتب القديمة من كل التخصصات، والفهارس والمواد المطبوعة... ومثل هذه الشواهد تساعد المعجمي في تقرير حالة الاستعمال، بتنوع المقام (البيئة) الذي وجدت فيه.

كما تنبه الى أهمية الشواهد - الاقتباسات - في العمل المعجمي كل لدارسين والباحثين، عربا كانوا أو أجنبيا، وقرروا ان المعجمة السليمة في جوانبها المختلفة في اي معجم شامل كبير لابد ان تقوم على الشواهد<sup>(90)</sup>.

والمعجمة الحديثة تقوم على جمع اكبر عدد من الشواهد من كل المستويات المدونة، وكلنا يعلم ان معجم أوكسفورد (OED) جمع له ما يقرب من خمسة ملايين اقتباس، وضمن فعليا ما يقرب من مليونين. ولعل ما أورده الاستاذ احمد شفيق الخطيب في بحثه «من قضايا المعجمة المعاصرة» ان فيشر جمع (575) مثلا على استخدام لفظة (كل)، و(578) مثلا يعده لفظ (كان)، و(17700) احالة على الاخطل وحده، وان مشروع المعجم الذي يعده المركز القومي الفرنسي (نانسي) قد جمع له في عشر سنين اكثر من (250) مليون شاهد<sup>(91)</sup>، لعل هذا يؤكد لنا ان المعالجة الحديثة تقوم على الشواهد - الاقتباسات - لما لها من شأن على مستوى الكلمة بكل جوانبها، والشرح، والمعاني والدلالات.

وأخيرا، لابد من ترتيب محتويات المعجم التاريخي العربي ترتيبا مقبولا، ونرى ان هذا الترتيب على مستويين:

---

(90) فيشر (عن د. نصر 778، وعن د. درويش 138 وما بعدها، وعن د. عمر 200)، ود نصر 765، 777، د يعقوب 181، 186، د الطيب 512، 513، أ الخطيب 618 وما بعدها

(91) أ. الخطيب (في لمعجمة العربية المعاصرة) 621



أ - مستوى ترتيب المواد والمداخل (الترتيب الخارجي) : يحسن ان ترتب مواد المعجم ألفبائيا بعد تجريد الكلمة وردها الى اصولها لتحفظ جميع مفردات الاسرة اللغوية الواحدة، بوضع مشتقات الجذر كلها تحته ولتتمكن من ملح العلاقة القائمة بين المفردات الشقيقة ذات الاصل الواحد، على مستوى الصيغة - الصورة - وعلى مستوى المعنى .

ب - ترتيب المشتقات تحت المادة الواحدة (الترتيب الداخلي) :  
لعل الترتيب الذي أشار اليه فيشر في مشروعه مناسب، بأن يبدأ في المادة بايراد الفعل المجرد، ثم المزيد بحرف، وحرفين، وثلاثة، ثم وضع ترتيب هذه الافعال حسب حركات عينها وصيغها، ثم ذكر ترتيب الاسماء. بأن تقع بعد الأفعال، مشتقة كانت او جامدة، وترتيبها ايضا، حسب النظام الذي اتبعناه في الافعال، فذكر المجرد أولا، ويتبعه المزيد... (92).

ويجب أن يعني بالترتيب على مستوييه لما له من فائدة وأهمية، في حفظ وقت الباحث الذي يعود الى المعجم، وفي ضبط عملية الرصد والتسجيل، فلا نضيع شيئا من المادة اللغوية، ويكشف عن العلاقة بين مشتقات المادة الواحدة.

بعد عرض ابرز القضايا على مستوى مفهوم المعجم التاريخي العربي المنشود، ووظيفته، ومحتواه، لابد من التنبيه لبعض المسائل ذات العلاقة والتنبيه عليها، ومن ابرزها.

- ان في نفوس افراد المجتمع موقفا اصيلا راسخا يميل الى المحافظة على لغتهم وخدمتها، اذ توجد نظرة أفلاطونية لدى الناس، ترى ان ثم شكلا قديما مثاليا للغة ابتعد عنه الافراد، فهم يعتقدون ان المعاجم ستقربهم من تلك اللغة المثالية القديمة الكامنة، وان هناك لدى الأفراد رغبة قوية ان يكون الفرد منهم على يقين، وانه يبحث عن مرشد بين

(92) مشروع فيشر (عن د. دروش) 143

الاشكال اللغوية المحتملة، ولكل هذا الاعتبارات، يرحب الناس بتلك القوى المسيطرة للمعاجم<sup>(93)</sup> وهذا يؤكد مكانة المعجم في نفوس الناس، مما يشجع على صناعة المعاجم وبذل الجهود فيها.

- وضع خطة واضحة سهلة - قدر الامكان - يسير العمل بموجبها، على ان يكون منهج هذا العمل وصفيًا، يسجل كل ما جرى في الاستعمال العام، وضرورة التزام الخطة بدقة متناهية في كل مراحل العمل، لئلا نقع في ما وقع فيه غيرنا من المعجميين القدماء والمحدثين<sup>(94)</sup>، على مستوى جمع المادة وتصنيفها وشرحها وترتيبها وإخراجها.

كما أن إعطاء خطوات العمل والتنفيذ اهتماما شديدا وحرصا بالغًا امر حيوي للغاية، فانتظير سهل ميسور، ونحن - معا - قادرون عليه، ما خطورة لزلل او النقص او الخلط فعلى صعيد التنفيذ والعمل

- العناية بالايخراج وما يتصل به من نواح فنية وعملية<sup>(95)</sup>، كالطباعة، وحجم الحرف المستخدم وشكله، في المداخل، ومشتقاتها، ورسمها، والمعاني، والشواهد. وعلامات التقييم الملائمة الهادية، والرموز والأرقام والاصطلاحات والمختصرات ودقتها. ونوع الورق وحجمه (قطعه)، وعدد الاعمدة في كل صحيفة وتنسيقها، وتنظيم الفقرات وبدايات السطور، ودقة الاحالات، وقضية الرسوم والصور التوضيحية ودقتها - كلها كانت ضرورية - بعد مناقشة القضية من صلبها، والقناعة بمناسبتها هذا المعجم ولتذكر في هذا الصدد ان صناعة المعاجم (Lexicography) علم وفن في وقت واحد.

(93) Encyclopaedia Britannica, V 5, P 721

(94) د. بصار 750-751، د. الخطيب 65-73، د. درويش 150، د. عمر 190، د. القاسمي / ترتب مدخل المعجم (اللسان العربي) ص 14، د. يعقوب 180

(95) انظر عن سبيل المثال د. بصار 749-750، د. لطب 519، د. يعقوب 184،

186، 187

- ضرورة ان يكون المعجم دائما على مستوى المعاصرة، حتى يبقى عصريا، ملائما لعصره وتطوره، منذ تصنيفه، ومستقبلا. وقد أشارت الى حطورة هذه القضية موسوعة كولير (Collier's Encyclopedia)<sup>(96)</sup>، ويمكن تحقيق ذلك بإصدار ملحق للتنقيح والزيادة والاستدراك كل عشر سنين مثلا، تتولى ذلك لجنة مختصة، ويتم ذلك باستدراك كل لفظة تستحدث، او معنى يستجد، أو تطور على أي مستوى في محتويات المعجم. ولنا أسوة حسنة في تحديث الموسوعات، وكما فعل الانجليز بمعجم أوكسفورد الذي صدر له حتى الآن أربعة ملاحق تقع في (4531) صحيفة.

- عدم الخلط بين وظيفة المعجم ووظيفة الموسوعة في المراحل التنفيذية، اذ إن بينهما تداخلا طفيفا، وبخاصة ان كان المعجم كبيرا طموحا شاملا، وقد فرقت الموسوعة البريطانية ود. نصار بينهما، فالمعجم لشرح الكلمات، والموسوعة لوصف الاشياء. ولكون الكلمات تشير الى أشياء، او تكتشف فائدتها من الاشارة الى الاشياء، يصبح من الصعب تصنيف معجم دون اهتمام بالاشياء، لكن يجدر التنبيه - هنا - الى ان المعجم لا يصف من الاشياء الا ما لا بد منه، إبرازا لدلالة اللفظ واستعمالاته، كذلك فان مفردات النوعين مختلفة، فالمعجم يحتوي اصناف الكلام جميعها، من اسماء وأفعال وحروف، ولا يعنى الا بها ينتمي الى اللغة المؤلف لها. اما الموسوعات فتعنى بالاسماء الخاصة وحدها، اي اسماء الاشياء والاعمال، دون ان تتفيد بلغة معينة. ويتصور البحث ان هكذا معجما شاملا هو موسوعة لغوية، يقدم كل شيء عن الكلمة واللغة، بينما تقدم الموسوعة معلومات عن الاشياء والاسماء والاحداث.

Collier's Encyclopedia V 8, P 193. (96)

Encyclopaedia Britannica, V 5, P 713. (97)

ود نصار 270

- وثم مسألة تناوؤها كثير من الباحثين ، وهي ظاهرة التضخم في المعاجم ، وينبغي القول انه يجب ألا تؤرقنا هذه الظاهرة ، مادام المعجم لم يخرج عن وظيفته وغرضه ، واللغة الواسعة الثرية سيكون معجمها الشامل التاريخي بالضرورة ضخما واسعا ، ويتوقع البحث لهذا المعجم ان يزيد على خمسة وعشرين ألفا أو ثلاثين ألفا من الصفحات في طبعته الاولى ، ان أردناه وافيا شاملا ، «فالتزام او الكمال مهم للغاية ، والصنف الأكثر كمالا من المعجمات هو المطول غير المختصر»<sup>(98)</sup> ، ولكن من الضروري ان يبقى الاقتصاد في الحجم والضخامة نصب اعيننا دائما .

- أن يكون العمل جماعيا تعاونيا نشطا في الوقت نفسه ، حرصا على الوقت الذي سيستغرقه المشروع ، وان يبقى الحماس والنشاط وحفز الهمم مستمرا ، لئلا نتوقف او نتعطل ، لا سمح الله .

ومما يجدر ذكره ، اننا مهمي خططنا ونحوظنا بالدرس والمناقشة والاستذكار ، فلا بد من ان تبرز مشكلات وعقبات خلال العمل لم نتوقعها من قبل ، فيجب ان نتوقع هذا ونتقبله ، وان نكون على استعداد لمواجهته برحابة صدر وصبر ، وبلا ضجر او ضيق لان هذا عمل ضخيم واسع ، والمشاركون كثيرون ومختلفون ، وستكون هذه المشكلات متنوعة ، على مستوى جمع المادة وحصرها ، وتصنيف الكلمات ، والمعاني ، والشواهد - الاقتباسات - وغيرها . وهنا يبرز دور المعجمي المحنك الناجع والخبير ، في التصدي لها بسرعة خاطر وبديهة ، ووضع الحلول لناحية السليمة .

وفي الختام ، فأنا وأنتم ، كلنا ندرك اننا مقدمون على عمل كبير عملاق جبار ، ولكنكم كبار ، وهممكم عالية ، والعمل الكبير لا يقدم عليه او يقوى عليه إلا كبار ، والواجب الضخم سهل ويهون امام الهمم العالية .

وأنتم جديرون بهذا المشروع ، ومعكم اخوانكم ، وهم ألف من

---

Collier's Encyclopedia, v.8, P 193. (98)

المختصين والمعنيين، اضافة الى ألوف كثيرة، وربما الملايين، من المثقفين والمهتمين في أمثكم، فأنتم أحفاد الخليل وابن منظور والزبيدي، والعمل سيكون مجدا للجميع.

وان كان مشروع معجم أوكسفورد الجبار، قد بدأ - أساسا - بمبادرة من شخص واحد، هو (F.J. Furnival) فكلكم وكلنا فيرنيفال، ولدينا غيرة وحرص على لغتنا أكثر من غيرته على لغته، ولغتنا - لغة رسالة السماء وشريعته - اجدر ان يكون لها، وفي خدمتها، اعظم معجم عرفته البشرية، يتجاوز معجم أوكسفورد وأمثاله، حتى نعيد مجدنا لسالف في هذا المجال.

وأرى هذا الأمر متطلبا وواجبا قوميا وحضاريا، لا يحتمل التسويف والتأجيل، فالسنون تمر وتمضي، ومهما طال عمر هذا المشروع العملاق، فالسنون ليست مهمة في عمر الأمم والشعوب. فالحاجة ملحة، والظروف مواتية، والقدرات البشرية والمادية يمكن توفيرها بسهولة، ولن تكون عائقا ان شاء الله. ورحلة الألف ميل تبدأ بخطوة.

فهل نطمح ان تكون جمعيتكم - جمعيتنا كلنا - «جمعية المعجمة العربية بتونس» العظيمة، هذه الجمعية الفتية بعمرها، الركينة المكيئة بكم، هل نطمح ان يكون لها الشرف في تحمل مسؤولية القيام بهذا العمل العظيم والبدء بتنفيذه، كما كان لها شرف المبادرة بالدعوة اليه، وبذلك تدخل التاريخ، كما دخلته غيرها، فتوكلوا على الله سبحانه، ولنعلق الجرس.

د. علي توفيق الحمد  
كلية الآداب / جامعة اليرموك / الأردن  
وكلية التربية / جامعة الملك سعود  
فرع أبها - السعودية  
(غرة ربيع الثاني 1409 هـ)  
(10 من نوفمبر 1988 م)

## مراجع البحث

### (أ) المراجع العربية

- أحمد : عبد السميع محمد (دكتور)  
(المعجم العربية - دراسة تحليلية)، الكتاب الاول، دار الفكر العربي  
بالقاهرة، ط2، 1393 هـ/1974 م.
- أنيس : أبراهيم (دكتور)  
(دلالة الألفاظ)، مكتبة الانجلو المصرية، ط1، 1962 م، ط3،  
1965 م  
(في اللهجات العربية)، مكتبة الانجلو المصرية، ط6، 1984 م،  
القاهرة
- الجرح : محمد سالم  
(النشاط العربي المعجمي - أصيل أم دخیل)، بحث في (مجلة مجمع  
اللغة لعربية بالقاهرة)، 28، 1971 م
- جمعية المعجمية العربية بتونس :  
(في المعجمية العربية المعاصرة - وقائع ندوة مائوية الشدياق، وبطرس  
البستاني ورينهارت دوزي) ط1، دار الغرب الاسلامي - بيروت،  
1407 هـ / 1987 م
- الحمزاوي : محمد رشاد (دكتور)

(الاستيعاب في المعجم العربي الاوروي) بحث في (في المعجمية العربية المعاصرة). جمعية المعجمية العربية بتونس ط1، 1407هـ/1987م

- الخطيب : أحمد شفيق

(من قضايا المعجمية العربية المعاصرة)، بحث منشور في «في المعجمية العربية المعاصرة» جمعية المعجمية العربية بتونس ط1، 1407هـ/1987م

- الخطيب : عدنان (دكتور)

(المعجم العربي بين الماضي والحاضر) - معهد البحوث والدراسات العربية، طعة دار النهضة الحديثة بالقاهرة، 1966/1967 م

- خليل . حلمي (دكتور)

(التعريف بعلم اللغة - لدافيد كريستال) هوامش الترجمة العربية، ط1 الهيئة المصرية العامة للكتاب، الاسكندرية - مصر، 1979م

- درويش : عبد الله (دكتور)

(المعاجم العربية - مع اعتناء خاص بمعجم العين للخليل بن أحمد) مكتبة الشبب بالقاهرة، د.ت

- دوزي : رينهارت

(تكملة المعاجم العربية) ج1 ترجمة د. محمد سليم العيمي، نشر وزارة الثقافة والفنون - العراق، توزيع الدار الوطنية للتوزيع والاعلان دار احرية للطباعة، 1978م.

- الشدياق : أحمد فارس

(الجاسوس على القاموس) القسطنطينية، مطبعة الجوائب، 1299هـ

- الطيب : عيد محمد (دكتور)

(معجمات العربية - مادتها ومناهجها)، مطبعة الامانة بالقاهرة، ط1، 1405هـ/1985م.

- عبد الرحمان . شعبان عبد العظيم (دكتور)

(شذرات من علم اللغة)، مطبعة حسان بالقاهرة، ط1، 1404هـ/1984م.

- عمر : احمد مختار (دكتور)  
(البحث اللغوي عند العرب - مع دراسة لقضية التأثير والتأثر)، عالم الكتب  
بالقاهرة، ط 2، 1396 هـ / 1976 م، ط 4، 1402 هـ / 1982 م.
- فاخر : أمين محمد (دكتور)  
(دراسات في المعاجم العربية)، مطبعة حسان بالقاهرة، 1984 م
- القاسمي : علي (دكتور)  
(ترتيب مداخل المعجم) بحث في «مجلة اللسان العربي» مجلد 19،  
العدد الاول، الرباط - المغرب
- كريستال : دافيد  
(التعريف بعلم اللغة ط2)، ترجمة د. حامي خليل، الهيئة المصرية  
العامة/الاسكندرية - مصر ط1، 1979 م.
- بن مراد : إبراهيم  
بحث (منزلة مستدرك دوزي) في (في المعجمية العربية المعاصرة) - جمعية  
المعجمية العربية بتونس - ط1، 1407 هـ / 1987 م.
- نصار : حسين (دكتور)  
(المعجم العربي - نشأته وتطوره) مكتبة مصر بالقاهرة ط2، 1968 م.
- يعقوب : اميل (دكتور)  
(المعاجم اللغوية العربية بداعتها وتطورها) دار العلم للملايين،  
بيروت، ط1، 1981 م.



## (ب) المراجع الأجنبية

- Academic American Encyclopedia, (V.6) Princeton, New Jersey, U.S.A., 1980.
- Collier's Encyclopedia, V.8 14. Macmillan Educational corporation, New York, P.F. Collier.
- Collins Large Print English Dictionary Editor in Chief, David B. Guralink, 1980, First published in this edition, William Collins Sons and Company, Glasgow, Great Britain.
- Everyman's Encyclopaedia, (V.4), Fifth Edition, London, J.M. Dent and Sons Ltd, 1967.
- Encyclopaedia Britannica, (V.5), founded 1768, 15th Edition, Helen Hemingway Publisher, 1973 - 1974.
- New Age Encyclopedia, (V.6), 1980.
- The Oxford English Dictionary (V.1,3,6), Edited by, James A.H. Murray, Henry Bradely, W.A. Graice, C.T. Onions, Oxford, At the Clarendon Press, Third Edition.
- Webster's Third New International Dictionary. - Unbridged -, Copyright, 1971, By : G. And C. Merram Co., U.S.A

# دراسة تقنية مقارنة لمعاجم الصحاح ولسان العرب وتاج العروس

بحث : الدكتور علي حلمي موسى  
رئيس قسم الفيزياء بكلية العلوم  
جامعة عين شمس

## مقدمة

سبق ان تمت دراسات تقنية احصائية لجذور اللغة العربية المدونة في معاجم الصحاح<sup>(1)</sup> ولسان العرب<sup>(2)</sup> وتاج العروس<sup>(3)</sup>. واحتوت تلك الدراسات على جداول احصائية عديدة تتضمن اعداد الجذور والعلاقات بين الحروف التي تتركب منها الجذور ونسبة شيوع تلك الحروف ودرجة تتبعها وغير ذلك من المعلومات الاحصائية. وقد أمكن

---

(1) - دراسة احصائية لجذور معجم الصحاح باستخدام الكمبيوتر - الدكتور علي حلمي موسى - مطبوعات جامعة الكويت رقم 133 لسنة 1973

(2) - احصائية لجذور معجم لسان العرب باستخدام الكمبيوتر - الدكتور علي حلمي موسى - مطبوعات جامعة الكويت رقم 19 لسنة 1972

3 - دراسة احصائية لجذور معجم تاج العروس باستخدام الكمبيوتر - الدكتور علي حلمي موسى - والدكتور عبد الصبور شاهين - مطبوعات جامعة الكويت رقم 32 لسنة 1973

الحصول على هذه المعلومات الهامة بأستخدام الحاسوب .  
وفي هذا المقال تتم مقارنة بيانات جذور تلك المعاجم وعلى  
الاحص الجذور الثلاثية .

### التعريف بالمعاجم :

(1) معجم الصحاح : وضعه اسماعيل بن حمد الجوهري باسم  
«تاج اللغة وصحاح العربية» وعرف بعد ذلك بالصحاح . والمؤلف من  
بلاد الترك وقد سعى الى الحجاز حتى يقابل عرب البادية ويأخذ عنهم  
اللغة ثم عاد الى خراسان وفي مدينة نيسابور صنف كتاب الصحاح  
وتوفي عام (370 هـ) .

(2) معجم لسان العرب : وضعه ابو الفضل جمال الدين محمد  
ابن مكرم بن منظور الافريقي المصري الانصاري الخزرجي . ولد في  
المحرم سنة 630 هـ وتوفي سنة 711 هـ وألف معجم لسان العرب سنة  
681 هـ . واعتمد في جمع مواد اللغة على عدد من المعاجم التي سبقته  
مثل الصحاح وتهذيب اللغة والمحكم وغيرها .

وقد وضع ابن منظور مقدمة لموسوعته اللغوية أشار فيها الى  
خصائص الحروف من حيث كثرة شيوعها فيكون بذلك أول معجم  
يشير الى أهمية الاحضاء اللغوي وقد قسم الحروف الى ثلاثة أقسام من  
حيث درجة شيوعها .

(3) معجم تاج المروس : وضعه السيد محمد مرتضى الزبيدي  
الذي توفي عام 1205 هـ وكان يهدف الى شرح القاموس المحيط الذي  
وضعه مجد الدين الفيروزبادي والذي توفي سنة 817 هـ ولكنه استطرد  
الى جمع مواد اللغة من أمهات الكتب مثل معاجم اللغة وكتب الطبقات  
والقراءات والنوادر والاشعار وغيرها حيث بلغ عددها 116 مصدرا .

### الترتيب التاريخي للمعاجم :

مما سبق نلاحظ ان معجم الصحاح يسبق لسان العرب تاريخيا

بحوالي ثلاثمائة سنة والآخر يسبق معجم تاج العروس بحوالي خمسمائة سنة كما ان معجم تاج العروس يسبق عصرنا الحاضر بحوالي مائتي سنة، وبالتالي يظهر لنا ان لتسلسل التاريخي للمعاجم الثلاثة يغطي المساحة الزمنية منذ هجرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم حتى وقتنا الحالي على مراحل توضح تطور الفكر اللغوي وكثافة المواد اللغوية.

وقد يبدو هذا واضحا جليا من مقارنة اعداد الجذور المدونة في المعاجم الثلاثة طبقا للاحصاء الذي تم على الحاسوب.

### جدول رقم (1) اعداد الجذور المدونة في المعاجم

المعجم	سنة التأليف	الجذور الثلاثية	الجذور الرباعية	الجذور الخماسية	المجموع
الصاحح	حوالي 360 هـ	4814	766	38	5618
لسان العرب	681 هـ	6538	2548	187	9273
تاج العروس	حوالي 1200 هـ	7597	4081	300	11978

#### مقارنة بيانات اعداد الجذور:

يتضح من بيانات الجدول رقم (1) أن اعداد جذور معجم تاج العروس تزيد كثيرا على اعداد جذور لسان العرب والتي بدورها تزيد على اعداد جذور الصاحح، مما يوحي بأن جذور الصاحح مدونة بأكملها في معجم لسان العرب مع اضافة عدد آخر من الجذور، وكذا جذور لسان العرب مدونة بأكملها في معجم تاج العروس مع اضافة عدد من الجذور التي لم يدركها ابن منظور.

وعلى الرغم من ذلك فقد ظهر أن هذه الملاحظة غير حقيقية إذ توجد جذور مدونة في معجم الصاحح ولكنها غير مدونة في لسان العرب

وأخرى مدونة في الصحاح وغير مدونة في تاج العروس، كما أن هناك جذورا مدونة في لسان العرب وغير مدونة في معجم تاج العروس. وإذا قصرنا هذه الدراسة على الجذور الثلاثية لأهميتها في الاستعمالات اليومية للغة العربية فإننا نلاحظ مايلي:

ولا : الحذور الثلاثية التي وردت في معجم لسان العرب (681 هـ) وم ترد في معجم تح العروس (حوالي 1200 هـ) وعددها 43 وبيانها كالآتي :

أُط - بَدَج - تَأَب - تَسَح - تَسَع - نَعِغ - ثَعِغ - ثَقِق - جَعِه - حَعَل  
 - حَهْل - خَتَب - دَدِر - دَغِع - دَكَص - ذَحِر - ذَحِق - ذَدَز - رَصَخ  
 - رَهَأ - زَعِع - سِيم - شَأَب - شَلَز - صَعِع - ضَعَس - ضِيخ - ظَبِب  
 - قَهَم - كَسَق - بِيح - مَد - مَذَد - يَك - نَعِغ - نَل - نَهَص -  
 هَخَخ - وَثَث - وَفَص - وَنَش - يَرَف - يِعَم.

ثانياً: الجذور الثلاثية التي وردت في معجم الصحاح (حوالي 360 هـ) ولم ترد في معجم لسان العرب (681 هـ) عددها 23:

بخد - دهج - زکل - سغ - صخم - صوا - صوخ - ضبل - فآ  
- ففع - قنر - کعز - ککب - کهه - لیه - مغ - میم - نه - نیف - نیم -  
هرل - ورغ - ووه .

ثالثاً: الجذور الثلاثية التي وردت في معجم الصحاح ولم ترد في معجم تاج العروس عددها 18 :

یخند - تاب - تغغ - ثغغ - دغغ - زعع - زکل - سغغ - شآب -  
صوآ - ضیل - ففع - ککب - مغغ - نغغ - نه - نیف - ورغ .

رابعاً: الجذور الثلاثية التي وردت في معجمي الصحاح ولسان العرب ولم ترد في معجم تاج العروس عددها سبعة:

تَاب - تَغ - ثَغ - دَغ - زَع - شَاب - نَغ .

خامسا: الجذور الثلاثية التي وردت في معجم الصحاح ولم ترد في معجمي لسان العرب وتاج العروس عددها 11 :

بحد - زكل - سفغ - صوا - ضيل - فعم - ككب - مفغ - نه -  
نيف - ورغ .

احصائيات الحروف في الجذور الثلاثية :

تتباين الحروف العربية في طرق اشتراكها في تكوين الجذور، فبعضها يشارك في عدد كبير من الجذور والبعض الآخر يشارك في قلة من الجذور. ويمثل الجدول رقم (2) لترتيب التنازلي لحروف الجذور الثلاثية كما وردت في المعاجم لثلاثة .

### جدول رقم (2)

الترتيب التنازلي للنسب المئوية لاشتراك الحروف العربية  
في الجذور الثلاثية

معجم الصحاح		معجم لسان العرب		معجم تاج العروس	
الحرف	النسبة المئوية	الحرف	النسبة المئوية	الحرف	النسبة المئوية
ر	6.95 /	ر	7.83 /	ر	5.90 /
م	5.80 /	ل	6.20 /	و	5.89 /
ن	5.66 /	ن	6.14 /	ن	5.73 /
ب	5.57 /	ب	5.94 /	م	5.25 /
ت	5.41 /	م	5.76 /	ل	5.21 /
ع	4.71 %	ع	5.12 /	ت	5.07 %
ف	4.42 %	ق	4.66 /	د	4.13 /
د	4.15 /	د	4.51 /	ف	4.12 %
ق	4.13 /	ف	4.18 /	ع	4.08 /
س	3.97 %	س	4.08 /	ي	4.01 %
ح	3.86 %	ح	3.79 /	ق	3.84 %

**تابع جدول رقم (2)**  
**الترتيب التنازلي للنسب المئوية لاشتراك الحروف العربية**  
**في الجذور الثلاثية**

معجم تاج المروس		معجم لسان العرب		معجم الصحاح	
النسبة المئوية	الحرف	النسبة المئوية	الحرف	النسبة المئوية	الحرف
73.68	س	73.60	ح	73.52	ح
73.66	ح	73.38	هـ	73.20	ء
73.52	ش	73.02	ش	73.12	هـ
73.47	ح	72.94	ك	73.05	ك
73.35	ك	72.91	ط	73.03	ش
73.32	ء	72.80	و	72.75	ر
73.19	هـ	72.76	ح	72.68	ح
72.96	ط	72.70	ر	72.55	ط
72.94	ر	72.44	ء	72.39	ص
72.83	خ	72.36	ت	72.38	ت
72.83	ت	72.19	ص	71.96	ث
72.37	ص	71.96	ث	71.95	ع
72.22	غ	71.86	ع	71.74	ص
72.09	ث	71.73	أ	71.37	د
71.78	د	71.56	ي	70.66	ط
71.76	ص	71.54	ص	9.04	و-ي
70.82	ظ	71.43	د		
		70.62	ط		

ونستخلص من هذا الجدول بعض الملاحظات:

1 - حرف الراء هو أقوى الحروف الداخلية في تركيب الجذور الثلاثية في المعاجم الثلاثة .

2 - الحرفان (و، ي) يتم احصاؤهما في المعاجم الثلاثة بطرق مختلفة :  
(أ) معجم الصحاح : لا يفرق بينهما ويردان في الجذور الثلاثية سواء داخل الجذر أو في نهايته بنسبة 9.04 % .

(ب) معجم لسان العرب : في داخل الجذر ترد الواو بنسبة 2.80 % وترد الياء بنسبة 1.56 % بينهما ترد نهاية الجذر (الالف) بنسبة 1.73 % .

(ج) معجم تاج العروس : يرد حرف الواو سواء داخل الجذر أو في نهايته بنسبة عالية (5.89 %) كما ان حرف الياء يرد في المواقع المختلفة للجذر بنسبة 4.01 % .

3 - الحروف «ر، ل، م، ن، ب» هي أكثر الحروف شيوعا في تركيب الجذور الثلاثية .

والنسب المئوية لاشتراكها في الجذور الثلاثية هي 29.4 % في معجم الصحاح ، 31.9 % في معجم لسان العرب ، 27.2 % في معجم تاج العروس .

تتابعات الحروف في الجذور الثلاثية :

ومن الدراسات المهمة في نسيج الجذور العربية تتابع الحروف في الجذور التي تتباين بشكل واضح بحيث نجد بعض التتابعات ترد بكثرة في الجذور مثل تتابع حرفي الراء والباء وأخرى ترد بقلّة وثالثة لا ترد مطلقا مثل حرفي القاف والجيم أو حرفي العين والحاء .

التتابعات الممنوعة :

يوضح الجدول رقم (3) التتابعات الممنوعة في الجذور الثلاثية والتي يبلغ عددها 132 في معجم الصحاح وينقص الى 85 في معجم لسان العرب ثم يقل حتى يصل الى 72 في معجم تاج العروس .



وتشترك المعاجم الثلاثة في عدم ورود 66 تتابعا في جذورها الثلاثية.

### جدول رقم (3) التتابعات الممنوعة في الجذور الثلاثية

الحرف	الحرف التالي		
	تاج العروس (72)	لسان العرب (85)	الصاحح (132)
أ	أ	أ-ع	أ-ع-ع
ب	—	ف	ف
ت	ط	ص-ط	ث-د-ص-ض-ط-ظ
ث	ذ-ز-س-ص-ط	د-ر-س-ش-ص-ض-ط	ح-د-ز-س-ش-ص-ض-ط
ج	—	—	ت ص ط غ ق-ك
ح	خ-ع-ع-هـ	ح-غ	أ-ح-ع-غ-هـ
د	ت	ت-ض	ت-د-ز-ص-ض-ط
د	ت-ث-د-ر-ص-ط	ت-ث-ر-س-ش-ص-ط-غ	ت-ث-د-ر-س-ش-ص-ط-غ
ر	—	—	—
ز	ث-س-ش-ص-ط	ث-ذ-س-ش-ص-ط	ث-ذ-س-ش-ص-ط
س	ث-ر-ش-ص-ط	ث-ر-ش-ص-ط	ث-ز-ش-ص-ض-ط
ش	ض	ص	ض
ص	ث-س-ش-ص-ط	ث-ز-س-ش-ص-ط	ث-ح-د-ر-س-ش-ص-ط-ظ

تابع : جدول رقم (3)  
التتابعات الممنوعة في الجذور الثلاثية

الحرف التالي			
لحرف	تابع العروس (72)	لسان العرب (85)	الصحاح (132)
ض	ش - ص	ذ - س - ش - ص	ت - د - س - ش - ص ظ - ق
ط	ص - ص - ط	ذ - ص - ص - ط	ت - ذ - ر - ص - ص ظ - ك
ظ	ت - ث - ح - د - ذ ز - س - ص - ص - ع ق - ك	ت - ث - خ - د - د ذ - س - ش - ص - ض ع - ق	ب - ث - ح - ح - خ - د د - ر - س - ش - ص ص - ط - غ - ق - ك
ع	أ - ح - ح - غ	أ - ح - ح - غ	أ - ح - ح - غ
غ	أ - ح - ح - ع	أ - ح - ح - ع - ك	أ - ح - ح - ح - ط ع - ك
ف	_____	ب	ب
ق	ح - ك	ح - ك	ج - غ - ك
ك	ق	ط - ق	ج - ح - ط - ع - ق
ن	_____	_____	ش
م	ب	_____	ب - ف
ل	_____	_____	ل
ط	ح - ح	ح	ح - خ - غ
و	_____	_____	_____
ي	_____	_____	د

وتظهر هذه لمقارنة ان هناك تتابعات لا ترد في جذور معجم  
تاج العروس ولكنها ترد في جذور معجم لسان العرب وهي : ح ع  
- ح هـ - ذ د - ط ك - م ب - هـ خ .

### التتابعات القوية :

يوضح الجدول رقم (4) النسب المئوية للتتابعات الاقوى في  
الجذور الثلاثية في المعاجم الثلاثة بصفة عامة وعددها عشرون  
تتابعاً . ونلاحظ من هذا الجدول تزايد النسب المئوية للتتابعات في  
معجم الصحاح عنها في لسان العرب عنها في تاج العروس وذلك  
سبب قلة عدد الجذور الثلاثية في معجم الصحاح عنها في لسان  
العرب عنها في تاج العروس .

كما نلاحظ ان هناك أحد عشر حرفاً فقط تكوّن حروف  
الثنائيات العشرين وترتيبها التنازلي على حسب مرات ورودها هو  
كالآتي :

ر (9) - ل (6) - م (6) - ب (5) - و (4) - ف (3) - ق (2) -  
ن (2) - ج (1) - ع (1) - هـ (1) .

**جدول رقم (4)**  
**النسب المئوية للتتابعات القوية**  
**في الجذور الثلاثية في المعاجم الثلاثة**

التابع	معجم الصحاح	معجم لسان العرب	معجم تاج العروس
رب	/0.44	/0.37	/0.30
بر	/0.43	/0.34	/0.32
فر	/0.45	/0.34	/0.30
ور	/0.41	/0.34	/0.32
مر	/0.41	/0.33	/0.30
ذب	/0.38	/0.34	/0.30
مل	/0.37	/0.33	/0.31
رم	/0.38	/0.32	/0.30
وق	/0.36	/0.33	/0.28
ح	/0.36	/0.31	/0.30
سم	/0.34	/0.32	/0.29
سل	/0.37	/0.31	/0.28
سف	/0.37	/0.30	/0.28
ول	/0.34	/0.31	/0.29
هم	/0.36	/0.30	/0.27
رف	/0.34	/0.31	/0.27
عل	/0.32	/0.31	/0.27
رق	/0.33	/0.28	/0.27
وم	/0.24	/0.32	/0.29
لب	/0.31	/0.27	/0.28

## الخلاصة

أظهر البحث ان حرف الراء هو اقوى الحروف العربية اشتراكا في الجذور الثلاثية كما أوضح ان واضع المعجم لا يشترط تقييده بها جاء في المعاجم السابقة عليه. وبالإضافة الى ذلك فقد أظهر البحث تتابعات الحروف الممنوعة والمسموح بها في المعاجم الثلاثة وكذلك التتابعات كثيرة الورد.

علي حلمي موسى

## المعجم العربي التاريخي (مفهومه - وظيفته - محتواه)

بحث . د. عبد المنعم عبد الله محمد

أولا : مفهومه

وقعت مادة (ع ج م) في كلام العرب - كما أشار ابن جني -  
للابهام والاختفاء، وضدّ البيان والافصاح غير أن الواقع العلمي  
للمصطلح - معجم - يقرر خلاف ذلك، فقد استخدم منذ بداية نشأته  
لكشف الغموض وإزالة الخفاء، ولا تناقض بين الأمرين، إذ إن مادة  
(ع ج م) تختلف في البنية والنسيج اللغوي عن مادة (أ ع ج م) تلك  
التي صيغ منها المصطلح، حيث يقرر الصرفيون أن همزة (أ فعل) تفيد  
السلب - أحيانا - كما تفيد الإثبات

ومن ثم قيل : أعجمت الكتاب، أي : أزلت عجمته . . .  
والاعجم : هو تنقيط الحروف للتمييز بين متشابهها في الشكل نحو  
(ب ت ث . . .) .

وعلى هذا النحو كان تفسير الآية القرآنية التي وردت في سورة طه  
(15) «إن الساعة آتية أكاد أخفيها» أي : أزيل خفاءها.

وصيغة معجم من الوجهة لصرفية «تلتقي مع تحديد الصرفيين  
لسمت اسم لمفعول، والمصدر الميمي، واسم المكان» .

أما مصطلح (المعجم) في عرف اللغويين المحدثين فيعني «الديوان الذي يجمع بين دفتيه مفردات اللغة مرتبة وفق نظام معين، ومقرونة بضبطها وشرحها والاستشهاد عليها».

ولكن هل تلك بغية أو غاية المعجم العربي التاريخي؟ إن المعجم التاريخي يبحث عن مزية أخرى، ويتوق إلى مزيد فضل، ويبدو ذلك واضحاً من مسماه، فليس مجرد معجم، ومن ثم لا ينطبق هذا المفهوم انطباقاً تاماً، فما السمات المشار إليها إلا ملامح المعجم اللغوي، وما نحن بصدد تحديد مفهومه دائرته أوسع، وساحته أشمل، وأفقه أرحب، فهو يعنى بالتطور التاريخي.

وفي ضوء ذلك تبدو ملامح الحلقة المفقودة تلك التي تدور في فلك التتبع لمداول الكلمة عبر التاريخ، بمعنى أنه يعرض للفظ فيبين صل معناه ثم يتدرج به عبر العصور مراعيًا ما يعتريه من تطور لفظي، وتعدد دلالي، وتنوع سياقي مؤيداً حركته تلك بالموفور من الشواهد على اختلاف أنماطها وبيئاتها وعصورها غير معتمد بقيود زمانية أو مكانية معينة مستقيماً مادته من ميدان فصحي العصر المؤرخ لدلالة الكلمة على ساحته، متوخياً في كل ذلك السلامة اللغوية وسمت العربية الأصل.

ومن هذا المنطلق فإن مفهوم المعجم العربي التاريخي ينبغي أن يعتمد على دعامتين: إحداهما - البحث عن أصل معنى اللفظ والآخرى - مواكبة المعنى عبر العصور ويمكن في ضوء ذلك تعريف المعجم العربي التاريخي بأنه «ديوان يجمع مفردات اللغة مرتبة وفق نظام معين مضبوطة ومشروحة مع مراعاة التطور الدلالي للفظ بدءاً بالمعنى الحسي وتدرجاً معه عبر التاريخ في ضوء الشواهد المتنوعة مع الإشارة إلى مظهر التطور قدر الإمكان».

ومن هنا يدور مفهوم هذا المعجم حول مساهمة المادة ومواكبة معناها على امتداد التاريخ ليضيف شيئاً ما إلى كم المعاجم الموفور بين جنبات المكتبة اللغوية العربية

وظيفته :

تدور مادة ( و ظ ف ) في معاجم العربية حول إصابة الشيء وتقديره والالتزام به فيقال : وظف البعير . . . أصاب وظيفة . . . ووظف الشيء على نفسه : ألزمها إياه . . . ووظفه : عين له في كل يوم وظيفة ، ووظف له الرزق : قدره . . . والوظيفة : ما يقدر من عمل أو طعام أو رزق أو غير ذلك في زمن معين ، . . . والعهد والشرط . . . ومعانيها المولدة المنصب والخدمة المعينة .

وعنى هذا فالمقصود من وظيفة المعجم ما سيقدر له من دور ، وما سيؤديه من ، خدمة في المكتبة المعجمية .

ويعد من أوجب الواجبات تحديد وظيفة هذا المعجم حتى نلمح تميزه عن أترابه ، وما سيضيفه على المعجمية العربية ، فينأى به عن التكرار .

وتحديد الوظيفة لمعجم ما ليس أمرا جديدا ، فقد التزم به جل المعجميين القدماء منذ القرن الثاني الهجري الى يومنا هذا ، فالخليل بن أحمد - مثلا - وظّف معجمه في حصر الفاظ اللغة واستقصائها بطريقة تتسم بالشمول ، اذ يقول في مقدمه ديوانه «بدأنا في مؤلف هذا بالعين ، ونضم اليه ما بعده حتى يستوعب كلام العرب الواضح والغريب» العين تحقيق درويش 67/1 .

اما ابن دريد فقد اختط لمعجمه وظيفة اخرى بدت واضحة في قوله : وإنما أعرناه هذا الاسم لأننا اخترنا له الحمهور من كلام العرب ، وأرجأنا الوحشي والمستنكر «ومن ثم أطلق على معجمه الجمهرة ، الجمهرة 4/1 .

كما كان من جنة اهداف الازهري في معجمه التهذيب تنقية اللغة ، ومن ثم وظف ديوانه لهذا الغرض اذ يقول في أواخر مقدمته 40/1 «ولم اودع كتابي هذا من كلام العرب الا ما صح لي سماعا منهم ، او رواية عن ثقة ، او حكاية عن حط ذي معرفة ثاقبة ، اقتربت اليها معرفتي ، اللهم الا حروفا وجدت لابن دريد وابن المظفر في كتابيهما



فبينت شكى فيها، وارتياي بها، وستراها في مواقعها من الكتاب ووقوفي فيها» وهكذا عني كل المعجميين على ساحة التصنيف المعجمي بتحديد اهداف ومهام ووظائف معاجهمم «بل إن جلّ المثالب والهنات التي وجّهت الى معاجنا القديمة كانت وليدة التناقض بين وظيفة المعجم ومنهجه، وأثر ذلك على تحقيق غياته».

ومن ثم فإن التعرف على وظيفة ومهام معجمنا العربي التاريخي قبل الشروع في إعداده امر من الاهمية بمكان.

ولعل من نافلة القول الاشارة الى ان وظيفة المعجم تنبثق من هدفه المبتغى له، وتنطلق من الغرض الذي يرمي اليه.

فماذا عن هدف المعجم التاريخي حتى يتسنى لنا تحديد وظيفته؟ لا ريب في ان إطلاق مصطلح «التاريخي» على معجمنا المنشود يصرح بما ينبغي ان يكون عليه من وظيفة، وما يضطلع به من أعباء، فليس الامر مجرد معجم لغوي فالمكتبة اللغوية زاخرة بالمعاجم، ولكنه معجم تاريخي.

إذن ماذا يعني مصطلح التاريخ؟

حدد المعجم الوسيط مصطلح التاريخ بقوله «جملة الاحوال والاحداث التي يمر بها كائن ما، ويصدق على الفرد والمجتمع، كما يصدق على الظواهر الطبيعية والانسانية . . . والتأريخ هو تسجيل هذه الاحوال».

ومن ثم فإن لهذا المعجم عناية خاصة بالتأريخ للألفاظ عبر مسيرتها اللغوية على امتداد العصور، ولا ريب انها وظيفة مفقودة بين ثنايا تراث المعجمي، فقد انحصرت طبيعة معاجنا اللغوية، في جمع الالفاظ وفق شروط معينة، وترتيبها حسب نظام معين، وشرحها في ضوء تنوع سياقاتها، وضبطها . . . الخ.

أما هذه الوظيفة فقد أضفت على منهج المعجم مساحة من السعة والرحابة، اذ يجمع بين المناحي السابقة من جمع الالفاظ وترتيبها وضبطها وشرحها معتمدا في معالجته اللغوية على محورين: أحدهما -

تأصيلي، والآخر - تطوري، أما التأصيلي فيبدو واضحاً في معالجة اللفظ بين ثنايا المعجم التاريخي، حيث البحث في أصل اللفظ لتبيان هويته أو كنهه، عربي أم غير عربي... وهكذا ثم يأتي دور المحور الثاني التطوري حيث البحث عن أصل معنى اللفظ مع تتبع مراحل تطوره عبر العصور.

إن المعجم التاريخي في ضوء هذه الوظيفة ينبغي أن يجمع بين طبيعة سمطين من أنماط المعجم العربي الحديث، التأصيلية والتطورية، كما أنه لن يحصر نفسه في بيئة بعينها أو بين أسوار زمن يعينه، بل سيتتبع معنى الكلمة عبر تاريخها بعد تأصيلها، ليحقق وظيفة قلّرت له، وصار ملتزماً بإنجازها، ولا ضير في ذلك إذ أن مقتضيات أسسه تحتم هذا المسلك. وقد آلف المجمعون في القاهرة معاجهم المتنوعة وفق هذا الأساس مشيرين إلى ذلك في مقدماتها، فالمعجم الكبير - مثلاً - يهدف إلى تدوين الثروة اللغوية دون التقيد بعصور الاحتجاج مع العناية بابرار التطور التاريخي عبر العصور إذ أريد له أن يكون ديواناً عاماً للغة جامعاً شواردها وعريبها، مبيناً أطوار كلماتها، وما طرأ على بعضها من توسّع في الاشتقاق، أو تغير في المعنى في عصور اللغة المختلفة.

بل إن المعجم الوسيط تغنى في مقدمته بكسر الحدود الزمانية والمكانية في ضوء هدف أراد تحقيقه يكمن في «إثبات ما وضع المولدون والمحدثون في الاقطار العربية من الكلمات والمصطلحات والتراكيب» ومن ثم «فتح باب الوضع للمحدثين شأنهم في ذلك شأن القدماء سواء بسواء، وعمم القياس فيما لم يقس من قبل وأقر كثيراً من الالفاظ المولدة والمعربة الحديثة، وشدد في هجر الحوشي والغريب» (مقدمة الوسيط). ومن هذا المنطلق فإنّ أرى أن وظيفة هذا المعجم ينبغي ألا تكون معيارية، أو تعليمية، فلهذه وتلك معاجمها الموفرة، إذ تهدف المعجم المعيارية إلى تبيان الكلمة الصحيحة مرشدة إلى كتابتها ونطقها ودلالاتها، كما تقدم التعليمية المادة اللغوية التي تتناسب مع المستوى

الثقافي لمستخدميها، مع كمّ موفور من المصطلحات العلمية والالفاظ الحضارية التي تواكب ظروف العصر ومقتضياته.

غير ان طبيعة هذا المعجم - كما يبدو لي - تتطلب المزيد من الثقافة، وتهفو الى السعة في المادة والمعالجة، اما عن المادة فقد تضم بين جبايتها شيئا من نمطية الالفاظ المتروكة والنادرة والغريبة تلك التي يتجنبها المعجم الحديث، اذ قد يستفاد بها في الوقوف على التطور المادي او المعنوي للفظ، اما المعالجة فسيغلب عليها الطابع الدلالي والتنوع لسياقي في ضوء التتبع الامتدادي عبر عصور العربية، ولا غرو في ذلك فطبيعة هذا المعجم ووظيفته تقضيان بذلك حيث يقوم بتسجيل حياة كل كلمة من كلمات اللغة من اقدم نص جاءت به متبعا تطور دلالتها على مر التاريخ، وهو بذلك سيكون وثيق الصلة بالدراسات اللغوية الحديثة، بل ثمرة من ثمار دراسة المستوى الدلالي للغة في ضوء مباحث وقضايا علم اللغة التاريخي ومن ثم تبدو جدته، وتنتضح للعيان لمسته لابتكارية بين لمعالم العربية، وحدير بالذكر ان معاجمنا القديمة لم تهمل الملمح الدلالي التطوري اهمالا تاما، بل شغل به بعض اللغويين غير انه لم يتجاوز حدودا معينة ارتبطت بالبيئة والزمن، كما انه لم يكن هدفا رئيسيا في حد ذاته حاولت مباحثهم تحقيقه بقدر ما كان يأتي عرصا، ومن يتأمل تراثنا المعجمي يقف على شذرات هنا وهناك عاجلت كثيرا من قضايا الدلالة، بل سيصادف معاجم خاصة دارت حول بعض الظواهر الدلالية كالفرق، والمشارك، والمترادف، والمتضاد.

ولا يخفى ما ضمنه تراثنا المعجمي - ايضا - من تسجيل لمعاني لغريب في القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وايضا مجازات لقرآن، بالاضافة الى المعاجم الخاصة بالمصطلحات العلمية العربية، غير ان هذه الانماط من المعاجم الدلالية لم تعتمد الى جمع ألفاظ اللغة عموما، وإنما الى مجموعة محدودة منها.

وفي ساحة المعاجم المجسدة - ايضا - لا يمكن التغاضي عن محاولة ابن فارس الدلالية في معجمه لمقاييس من ربط المعاني الجزئية

للمادة بمعنى عام يجمعها، وكذلك محاولة الزمخشري في معجمه (أساس البلاغة) من التفرقة بين المعاني الحقيقية والمجازية.

ومن ثم لا نكون مغالين إذا قلنا ان المنحى الدلالي لعب دورا في التصنيف المعجمي قديما، وانه لم يكن بمبعد عن التنظير والتطبيق، بيد انه لم يحتل مكانه المرموق بين فروع الدرس اللغوي، ومن هنا لم يعرف المعجم التاريخي طريقه الى النور ليحتل موقعه الشاغر في المكتبة المعجمية.

ومع بزوغ فجر النهضة المعجمية، وعذبة اللغويين المحدثين بالدراسات الدلالية، تعالت الصيحات بإخراج المعجم التاريخي، سدا لهذا النقص في تراثنا المعجمي.

وقد عني لمجمع اللغوي القاهري بذلك، بل جعل من جملة اهدافه ان يقوم بعمل معجم تاريخي للغة العربية، وان ينشر ابحاثا دقيقة في تاريخ بعض الكلمات، وتغير مدلولاتها، كما كان للمستشرق الالماني - فيشر - محاولة جادة في هذا الميدان بدأها بالفعل، غير انه لم يكتب لها الاكتمال.

وقد ألمح كثير من الباحثين والدارسين الى رغبتهم الاكيدة في ظهور هذا اللون المعجمي الثمر، ورسموا في إشاراتهم صورة لأطره العامة، وما هو ذا العلايي يشير الى طبيعة هذا المعجم وما ينبغي ان يكون عليه من اتصال بالاساس اللغوي، وتساعد طبيعي حضاري حيوي مع اللغة يستهدف الكشف عن تطورها الفيلولوجي محققا دلالتها القديمة، واصلا بينها وبين ما يحمل الذهن الحديث من طوابع ومفاهيم ليهرغ أخيرا الى فتح باب الاشتقاق على مصراعيه، وتطبيقه بأوسع أشكاله.

وفي ضوء ما سبق يمكن ان نجبي وظيفة هذا المعجم في انه يعرض لألفاظ اللغة مبينا اصل معناها مشيرا الى تطورها عبر العصور على هدى تنوع دلالتها وتعدد سياقاتها مع الاستئناس بالشاهد في إطار اللغة النموذجية الادبية المشتركة المتسمة بالسلامة اللغوية دون اعتداد

بالفروق زمانية كانت او بيئية وعلى هذا يمكن الاشارة الى طبيعة هذه الوظيفة فيما ينبغي ان تعتمد عليه من اسس يمكن اجمالها في الامور الآتية :

أولا : ليست وظيفة هذا المعجم هي جمع الالفاظ بقدر ما هي عرض وتحليل للفظ ووضع سجل تاريخي له .

ثانيا : ليست وظيفة هذا المعجم هي النقل من المعاجم السابقة بقدر ما هي تدرج باللفظ عبر التاريخ في ضوء تراثنا اللغوي والاسلامي بصفة عامة .

ثالثا : ليست وظيفة هذا المعجم تخطى او تجاوز حدود المستوى الفصيح في جمع الالفاظ وعرضها الى المستوى العامي الا بقدر ترويض العامي ورده الى دائرة الفصحى .

رابعا : ليست وظيفة هذا المعجم مقصورة على تصيل ومعالجة المادة المتدفقة من بين أسوار عصور الاحتجاج ، بل ممتدة لتواكب اللغة عبر الارمان ، معتمدة على محور واحد هو السلامة اللغوية ، وعدم الخروج على النهج العربي الاصيل .

هذا عن وظيفة المعجم العربي التاريخي فماذا عن محتواه؟

محتواه :

وردت مادة (ح وى) في معاجم العربية دالة على الاستيلاء والتملك ، اذ يقال : حوى الشيء يحوى حواية : استولى عليه وملكه . . . واحتوى الشيء وعليه : حواه فماذا عن محتويات المعجم العربي التاريخي؟

إن الحديث عما ينبغي ان يكون عليه هذا المعجم او عما يحتويه متعدد لمناحي متشعب الجهات تعدد مقوماته وتشعب اهدافه ومبتهغه

ولا غرو في ذلك ، فالآمال معقودة على ما سيقدمه هذا الصرح بين يدي العربية من ثمار دانية القطاف ، وما سيضيفه الى تراثنا المعجمي

من زاد موفور. وغير خاف ان هذا المعجم التاريخي مسبق بمعاجم لغوية متعددة الاغراض متنوعة الانماط، فركن التصنيف المعجمي بين ثنايا مكتبتنا اللغوية غني في شكله ومضمونه، وقد كان له اثره البين في إثراء الدراسات اللغوية والمعجمية والصرفية والدلالية والاشتقاقية والتاريخية على حد سواء. وقد لعب التصنيف حول هذا التراث المعجمي دورا بارزا في إنهاض فن المعجمة الحديث، اذ يحاول المعنيون باحراج معاجم جديدة ان يتخلصوا من الهنات او المثالب التي اخذت على القدامى من المعجميين مما كان له اثره الواضح في النهضة المعجمية بين ربوع العصر الحديث، تلك النهضة التي كان من ابرز دعائمها إعادة النظر في المعاجم السابقة نقدا لمنهجها، ودراسة لسماتها وحصائصها، او رغبة في إعادة تبويبها وتنظيم مداخلها بما يتواءم مع التيسير.

ومن هذا المنطلق سيكون لي وقفة عجلى مع القديم في ضوء محتواه لاختصر الى الصورة المثل - فيما أرى - لمحتويات المعجم العربي التاريخي بيت القصيد، ولا عجب في ذلك فتلكم شريعة القدامى والمحدثين، بل هي سنة من سنن جمعيتكم الموقرة كما ورد في افتتاحية عدد مجلتها الاول، وليس دل على صدق هذا من لقائنا هذا المبارك الميمون

إن المعجمية العربية في إهابها القديم لبرهان ساطع على عشق العرب للمقتهم وغيرتهم عليها ايمانا منهم بانها ليست كغيرها من اللغات، فهي موصولة بكتاب خالد، ومنوطة بحفظ الله لها في قوله - جلّت قدرته - «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» (الحجر آية 9). واذا كانت هناك بعض الهنات فهناك ايضا كلمة حق يجب ان يقال، تلك التي تقرر ان علماء العربية هم اهم من الف المعاجم قبل العصر الحديث على الاطلاق، وان اي نظرة يسيرة الى هذا التراث الضخم تشهد بجهدهم الموفور خاصة حين «نقيم العمل المعجمي في سياق ظروفه التاريخية حيث اعتمدوا على جهودهم الشخصية دون أي

استعانة بما يتوفر لدينا الآن من وسائل العلم والتكنولوجيا المعاصرة، بل ان واحدا منهم كابن سيده، وكان كيف النصر يقدم بين يدي المكتبة المعجمية قاموسين لا غناء لنا عن واحد منهما» وهما: (المحكم والمختص).

ومما تجدر الاشارة اليه شعورهم بمسؤوليتهم تجاه جيلهم والاجيال التالية، الامر الذي كانت تنطق به اهدافهم في مقدمات اعمالهم سواء كانت معجمية ام غيرها، وتلكم هي الروح الاصلية التي جعلت هذا التراث حيا الى اليوم. ولا عيب ان تكون هناك بعض المثالب فهم رواد، وللريادة مزاياها وتبعاتها غير انه يجب على المحدثين تلمسها - لا لتثنيها بها - وصولا بالمسيرة المعجمية الى بر الأمان.

لقد حصر المعنيون بالدراسة المعجمية مثالب القدامى في دائرة التصنيف المعجمي، في ملامح متنوعة، غير انه يمكن معالجتها في ضوء مكونات العمل المعجمي، مادته، وترتيبه ومعالجته للفظ شرحا وضبطا وفق تنوع سياقاته وتعدد دلالاته بالاضافة الى تحديد وظيفته الصرفية، والتطواف باصله ونوعه واشتقاقه... الخ.

لقد انبثقت مثالب المعجمية العربية القديمة من مجاوزتها لحدود الاسر العامة للتصنيف المعجمي، او خروجها عن وظيفته وهدفه المنشود له.

ويمكن رصد تلك المثالب ليتجنبها معجمنا التاريخي في مادته وترتيبه ومعالجته اللغوية.

ففي اطار المادة دارت جل الانتقادات حول معاجمنا القديمة في ميدان ثروتها اللغوية على محور تجميد هذه الثروة وعدم تتبعها دلاليا عبر العصور، «مما أدى الى ضياع كثير من معالم الحياة والتطور، وبخاصة الالفاظ والمعاني التي ابتكرها العباسيون في مظاهر الحضارة» ناهيك عن عدم تتبعها للتطور الدلالي على امتداد تاريخ اللفظ، وذلك بالوقوف عند عصور لاحتجاج، وفي هذا ما يتناقض مع طبيعة اللغة والمجتمع، اذ تمثل اللغة ظله، ومرآته الصادقة، وما يسمى بعصور الاحتجاج هذا

صَيِّق واسعا، حينما حصر مادة المعجم في زمان بعينه، ومكان بذاته، بل حدد مصادر معينة تنقل عنها اللغة في ضوء قبائل يعتد بها، وأخرى لا يعتد بها... وهكذا ناهيك عن عدم الفصل بين المستويين لفصيح واللهجي لاتسام كليهما بالسلامة اللغوية، ومن ثم افتقدوا متابعة التطور اللهجي من حنب، وملاحظة معالم الفصيح من جانب آخر. ولا يخفى ما قامت به بعض المعاجم من جمع نمطية معينة من الالفاظ كالجمهور الشائع عند ابن دريد، والصحيح عند الجوهري، وفي ذلك مضية لغيره، واحلال بطبيعة المعجم، بالاضافة الى عدم الاعتداد بالمعرب والمولد ولعل ما اتسمت به لمادة المجموعة بين دفتي المعجم القديم من تكرار ونقل واستطراد وحشو كان سببا في التضخم الذي عيب على تلك المعاجم، ويمكن لهذه المناحي كلها ان تتدرج تحت مأخذ عام يجمع شتاتها وهو عدم وجود نظام عام تستوفي على اساسه كل ابعاد المادة الواحدة.

ولا ريب ان هذا المأخذ العام ينسحب ايضا على كيفية ترتيبهم وتنسيقهم للمادة بين دفتي المعجم، ولترتيب شأوه في فن المعجمة، اذ يمثل منهج الترتيب قطب الرحي في عطاء المعجم وجدواه، ولا عجب في ذلك، فشيوع المعجم وانتشاره بين يدي طالبيه موقوف على تيسير ترتيبه، بل اذا ادركنا الغاية المبتغاة من تصنيف المعجم وقفنا على اثر ركيزة الترتيب لشروته اللفظية، فما المعجم لا وسيلة ايضاح وكشف للغموض، ومن ثم ينبغي ان تكون سبله مذللة، ومداخله معبدة، حتى يتسنى لطالبيه تحقيق مأربهم ومن هذا المنطلق وجهت الى بعض النظم لمعجمية مأخذ متنوعة في ميدان ترتيبها، سواء على اطرها العامة ومداخلها، ام على التسيق الداخلي لموادها ومشتقاتها، فقد أخذ على منهج الخليل لصعوبة الكامنة في مسلكه التقليبي الصوتي الكمي الذي ابتكره، وسار على دربه كثير من المعجميين، اذ يصعب على جل الدارسين التعلق بملاحمه لما يلزمه من دراسة صرفية وصوتية قد يكون طالب المعجم بمبعد عن خصائصها وسياها.



كما أخذ على النظام الدريدي الخلط والاضطراب فيما انتهجه من تفتيت وتوزيع للابنية، وكذلك لم يسلم المنهج الترتيبي وفق القافية من غمز دار حول تشتيت نظر الباحث بين لام الكلمة وفائها، ناهيك عن خلط بين الواوي واليائي، أما المأخذ التي انصبت على التنسيق الداخلي للمادة فقد اعتمدت على ركيزتين: إحداهما - الخلط، والاخرى - الاضطراب، ومن ملامح الاولى الخلط في الابنية تبعا للخطأ في التحديد الكمي لكل بناء، وكذلك تحديد نوعية حرف العلة كما ألمحنا، مضافا الى ذلك الخلط في القوالب الصرفية بين الاسماء والافعال، والمجرد والمزيد، والثلاثي والرباعي وكذلك المشتقات، اذ لم يلتزموا طريقة ثابتة في ايراد المشتقات وايضا الخلط بين المعنى الحقيقي والمجازي، والحسي والعقلي.

ومن أمارات الخلط والاضطراب - أيضا - المرج بين نمطي التعبير دون فصل بين الفصيح واللهجي ولا ريب ان منشأ هذا وذاك اي: الخلط والاضطراب كان وليد عدم الالتزام بها ورد في مقدمات معاجهم من مناهج لانفسهم، ولم يتقيدوا بمعاملها في بعض الاحيان. وقد كان لهذه المثالب المنيطة بالمادة والترتيب اثر فيما اخذ عليهم في إطار المعالجة اللغوية، لما بين اركان العمل المعجمي من أواصر وتكامل للوصول الى المراد من بيان اصل اللفظ ومعناه وشرحه وفق ما ورد من سياقاته... الخ، وعلى الرغم مما قدمه المعجميون من جهد في هذه الساحة لم يخل الامر من هنات لعل اهمها اهمال متابعة التطور الدلالي التاريخي للكلمة، وهو امر يعاني منه تراث المعجمي على الرغم من كثرته وتنوع مناحيه.

ومن قبيل ذلك - أيضا - تقصيرهم في شرح بعض الالفاظ كتفسير المادة بما هو اكثر غموضا منها، او بقولهم - إبان تعريف الغامض - معروف، او شرحهم للكلمة بما يرادفها، او يغايرها... وهكذا.

ولا ريب ان من الخلل في المعالجة اللغوية - أيضا - عدم التفريق في دلالة الكلمة بين قبيلة واخرى، وكذلك عدم الاعتداد بالشواهد بما

يؤثر على النضج المعجمي ، كأن يذكر مصنف المعجم الكلمة التي تعد موطن الشاهد فقط او جزء منه او يترك الشاهد للايجاز مما يكون سببا في الالغاز والغرض من المعجم لا يخرج عن الافصاح والابانة .

ومما شاب المعالجة اللغوية في بعض معاجمنا القديمة التقصير في ميدان التنوع الدلالي للكلمة بالاضافة الى التصويب اللغوي الذي هو غرض من اغراض المعجم العربي .

تلكم اهم مشالب المعجمية العربية القديمة نضعها - دائما - نصب اعيننا لتجنبها عند ولادة معجم جديد «ولاثارة حمية العاملين على اعادة طبع المعاجم القديمة ليتجنبوا الاخطاء والاوهم ومختلف العيوب تطلعا الى يوم يبدو فيه المعجم العربي خالي من عيوب الجمع ، واوهم العلم واخطاء التأليف والنشر» .

ولا يخفى ان تلك المأخذ ما هي الا هنات هيئات لا تقلل من صرح ثرثنا المعجمي الشامخ ، ولكنها الرغبة - دائما - في الوصول الى درجة اقرب الى الكمال . ومن ثم ينبغي للمعجم العربي التاريخي الذي هو ميدان مؤتمرننا ان يتخلص من كل هذه الشوائب ليبدو ناضجا واعيا بضح التقنية الحديثة ، ووعي العقلية العربية المحتكة بثقافات العصر ، والمدركة لهنات معاجمنا القديمة .

وسأعرض بين يدي مؤتمركم الموقر صورة نظرية لملامح معجمنا المأمول في ضوء الأمور الآتية :

- 1 - مقدمته وهدفه
- 2 - مادته اللغوية ومصادرها
- 3 - منهجية ترتيبه وملاحمها
- 4 - معالجته اللغوية وأطرها
- 5 - فهارسه ومدققاته

## الملاحم العامة لمحتويات المعجم العربي التاريخي

### 1 - مقدمته :

درج المجمعون على افتتاحية معاجهم بمقدمات يبينون بين ثناياها دواعي تأليفهم لها، والهدف المنشود من وراء التصنيف، وتبيان المناهج العامة والاسس الخاصة التي اعتمد عليها العمل الى غير ذلك مما يروونه واجب الذكر في المقدمة تيسيرا لاستخدام المعجم، وتحقيقا لما يصبو إليه من رواج وشيوع بين المثقفين والمتخصصين على حد سواء. ولا عجب اذا قلنا : إن هذه سنة حسنة، وخلة حميدة، ينبغي الاقتداء بها في انشاء اي معجم جديد.

ومقدمة المعجم العربي التاريخي - كما أرى - ينبغي ان ينص على هدفه وملاحم منهجه، وأطره العامة، وسماته الخاصة، وما تعارف عليه القائمون بتنفيذه من رموز وإشارات في المعالجة اللغوية ترتيبا وضبطا وشرحا، مع التمثيل لما يقررونه من بين ثناياه بغية توضيح مستغلقه، وكشف طرائقه وطبيعة مداخله، ومناحي تقنيته وصولا بطلبيه الى الغاية المرجوة له بين ترائنا المعجمي.

وقد لا يكون في هذا جدة او ابتكار، غير انه تقليد مفيد في ميدانه اما الجديد الذي ادعو الى اضافته في مقدمة هذا المعجم فأن يعقد في بدايته باب يضم بين دفتيه «دراسة وصفية عن الدلالة وتطورها نظريا وتطبيقا» من دائرة مادته.

ويمكن التركيز في هذه الدراسة على عجالة سريعة عن نشأة علم الدلالة عند العرب، وتبيان العلاقة بين اللفظ والمذلول، وعرض قواعد التغيرات التي تعترى المعنى، مع الاشارة الى اسباب التغير وصوره، مع تبيان العوامل التي تتدخل في حياة الالفاظ أو موتها، ولا سيما التاريخية منها.

ولا ريب ان الغرض من هذه الدعاة في صدر المعجم التعرف على طبيعة معالجته للمادة، وهدفه الرئيسي، وخصائصه حتى يأنس طالبه بما ورد بن ثدياه، ويقف على بعض شذرات علم الدلالة فيمكن من استيعاب تقريراته من إشارات حول هذا المعنى او ذاك بصدد سبب التنوع او التعبير الدلالي من ضرورة ملحة، او تطور اجتماعي، او ثقافي، او ظروف بيئية و عاطفية، او انحراف لغوي... الخ. مع مراعاة التطبيق العملي - كما ألمحنا - في ضوء التمثيل بنماذج من مدته، وصفوة لقول ان مقدمة هذا المعجم ينبغي ان لا تكون تقليدية في كل ملاحظها، بل ينبغي ان تضم هذه الدراسة التأصيلية الدلالية لعلاقتها الوثيقة بفعوى المعجم ومضمونه. بالاضافة الى تحديد دقيق هدفه، وأطره العامة، وأسسها الخاصة في الجمع والوضع.

والمقصود بالجمع محتواه، ما لوضع فهو تنسيق المادة، وترتيبها بالاضافة الى ضبطها، وكيفية معالجتها لغويا الى غير ذلك من مناحي لتقنية المعجمية.

كما ينبغي ان يشار في مقدمته - ايضا - الى طبيعة مادته، او ثروته اللغوية من حيث المستوى، والبيئة، والزمن، وموقفه من الانباط المتنوعة للفظ العربي، ونظرته الى المولد والمغرب والدخيل، وكذلك رؤيته للقياس والسمع، ومطوره للصوب اللغوي، ودوائر لاستشهاد.

ولا غرو في ذلك فلا بد لهذا المعجم من موقف ما من كل هذه المناحي المتنوعة، ومن تمام الفائدة ان يفصح عن ذلك في مقدمته ازاء كل هذه الامور حتى لا يحيد عن خطته قيد أملة، ومن ثم يخرج الى النور عملاقا خلبا من عيوب وقع فيها الآخرون.

## 2 - مادته اللغوية

المادة - في عرف اللغويين - كل ما يكون مددا لغيره، ومادة الشيء : اصوله وعناصره التي منها يتكون حسية كانت او معنوية . . . ومواد اللغة : ألفاظها .

فماذا عن الثروة اللفظية التي ينبغي ان يعرض لها معجمنا المأمول؟ ان لهذا المعجم - كما هو واضح - وظيفة خاصة وطبيعة محددة، تلك التي تنحصر في ابراز الملمح التطوري التاريخي لحياة الالفاظ ونموها وتنوع دلالتها عبر العصور، وعلى امتداد البيئات العربية .

وعلى هدى ذلك فلاني أطرح بين يدي المؤتمر هذا التساؤل : هل يقتصر هذا المعجم في مادته على نمط معين من الالفاظ؟ ام ان ذلك يتعارض مع طبيعته؟ يدولي ان المادة اللفظية للمعجم العربي التاريخي ينبغي ان تكون شاملة، حتى لا نقع فيها وقع فيه بعض المعجميين السابقين من اقتصار معاجهم على لون بعينه من الالفاظ كان وراء ضياع جزء من ثروتنا اللغوية، لو اتيح له ان يكون موضع استعمال لحل كثيرا من مشكلات القضايا الدلالية، ولساعدنا على تتبع مراحل التطور للفظ عبر مسيرته اللغوية .

ولا ريب ان إهمال بعض الالفاظ وعدم تدوينها بين ثنايا المعجم كفيل بموتها والقضاء عليها، وقد أشار الى ذلك الفيروزباري معقبا على صحاح الجوهري، وغامزا اياه في مقدمته للقاموس قائلا : «ولما رأيت اقبال الناس على صحاح الجوهري، وهو جدير بذلك، غير انه فاته نصف اللغة او اكثر اما باهمال المادة، او بترك المعاني الغريبة النادرة، اردت ان يظهر للناظر باديء بدء فضل كتابي هذا عليه، فكتبت بالحمرة المادة المهملة لديه» .

بيد ان هذا الشمول والحرص للالفاظ قد يؤدي الى تضخم هذا المعجم وسعته، الامر الذي فرت منه بعض المعاجم السابقة، ومن ثم ينبغي على هذا المعجم ان يعتمد على منهجية معينة في الاسقاط والزيادة، وذلك باسقاط ما لا ينتمي الى وظيفته التاريخية من سرد

للاعلام على اختلاف انماطها، واستطراد في باب التراجم، واحتماء بما هو من قبيل الحشو الذي يمكن الاستغناء عنه من تعلق بالامور الطبية والنباتات، وكذلك الدخيل الذي لا علاقة له بالمدخل العربية، اما الزيادة فينبغي ان تبدو واضحة في تنوع السياقات المختلفة للفظ على امتداد العصور لتبيان ما اعترى اللفظ من تطور وتغير عبر التاريخ اي انها زيادة لتحقيق غاية المعجم وهدفه.

تلك المنهجية في الاسقاط والزيادة ستكبح جماح التضخم الذي لن يكون معيبا اذ ما حقق هدفه هو بيت القصيد من تصنيف هذا المعجم.

ومن ثم فلا معنى لما تذرعه به بعض الباحثين من حيثيات للتخلي عن كثير من الانماط اللفظية تحت دعوى انه متروك او مهممل، او حوشي، او غريب، او نادر، او ما شاكل ذلك من مسميات اطلقت دون روية لتحكم على كم موفور من ثروتنا اللفظية بالاندثار.

أقول : ان طبيعة هذا المعجم العربي التاريخي تقتضي التعامل مع هذه النمطية من تلکم الالفاظ للافادة به في تتبع المراحل التطورية، والملاحح التاريخية للالفاظ بين دفتيه.

ولا عجب في هذا، فما احوجنا الى هذه الالفاظ في ميدان دراسة العربية دراسة تاريخية تطورية، او دراسة مقارنة، وليس المعجم التاريخي الا خطوة رائدة على هذا الدرب.

قد يقال : ان هذه الالفاظ لا تناسب جبهة المحتاجين الى المعجم اليوم، والجواب عن ذلك يكمن في ان المكتبة العربية زاخرة بما يناسب هؤلاء وأولئك من معاجم الالفاظ، والمعجم المطروح على بساط البحث معجم متخصص، ومن الضرورة بمكان ان يحوي هذه النمطية من الالفاظ، فعليها المعتمد في فهم ووعي اطوار اللغة ومسيرة حياتها، وقد يكون التخلص منها مطلوبا في معاجم اخرى غير هذا المعجم، ولا ضير حينئذ في ذلك، اذ لم يعد مقبولا ان تكون واحدة مفردات المعجم الذي يعد للطبيب والمهندس والزارع... الخ.

ومن هذا المطلق تنوعت المعاجم حسب اغراضها واهدافها من قديمة تعنى باللغة وضبطها وتأصيلها للمشتغلين بعلوم اللغة والشريعة، وحديثة متنوعة تنوع الثقافات وتعدد المستويات، تناسب الفئة التي وضعت خصيصا لها، بالإضافة الى المعاجم العامة التي تتفق مع ثقافة الجمهور الشائع، ومستواه اللغوي، ومتطلباته، واصبح من الضروري - في عصرنا - أن تحوي مكتبة كل مثقف معجمين، أحدهما، تخصصي، والآخر عام.

وتأسيسا على ما سبق انبثقت رؤيتي لمادة المعجم العربي التاريخي، وما ينبغي ان تتسم به من شمول وحصر في العرض للألفاظ، اذ يعد هذا المعجم - دون مبالغة - بمثابة الكنز اللغوي الفريد الذي يعنى بتسجيل ثروتنا اللغوية مشفوعة بملاحم تطورها، ومعالم تنوعها الدلالي عبر التاريخ، وجدير بالذكر ان هذه المادة اللغوية لن تكون مقصورة على بيئة معينة او زمن معين، لتعارض هذا وذاك مع هدف هذا المعجم ووظيفته، وليكن لنا في مسلك المعجميين بالقاهرة القدوة الحسنة، اذ جمعوا في معاجمهم بين الفاظ الجاهليين والفاظ القرن العشرين، والا فكيف تبدو امارات التطور، وعلامات التنوع الدلالي الذي اصاب المادة على امتداد تاريخها الطويل.

وغير خاف ان المستوى اللغوي للمادة المجموعة هو المستوى الفصيح، ولا اعتداد بالعامية لا من قريب او بعيد الا بالقدر الذي يخدم الدلالة ويرد العامي الى دائرة لفصحي، لتلاقي ذلك - ايضا - مع طبيعة معجمنا وهدفه، مع الاشارة الى انه ينبغي ان يحتفي باللفظ المولد احتفاء بالغاء، اذ ان عليه قوام الملاحم التطورية والتغيرات الدلالية، والدراسات التاريخية. وفي ضوء ذلك سلك مجمع اللغة العربية بالقاهرة مسلكه في «فتح باب الوضع للمحدثين بالوسائل المعروفة من اشتقاق وتجوز وارتجال واطلق القياس ليشمل ما قيس من قبل، وما لم يقس، كما حرر السماع من قيود الزمان والمكان، واعتد بالالفاظ المولدة».

ومن ثم فان معجمنا العربي التاريخي سيعرض للالفاظ اللغوية

على امتداد العصور دون تفرق بين عصر وآخر، أو بيئة وأخرى، متوخيا السلامة اللغوية، مع اضافة المولد والمحدث والمغرب، معتدا بالسادر، والغريب والمهم، قدر افادته في توضيح لتطور سادّي او المعنوي للفظ، ي: المسيرة الحياتية لألفاظ اللغة عبر التاريخ.

أما عن مصادر هذه المادة فتراثنا المعجمي سيلعب دورا بارزا في توفيرها، اذ حوى جل ألفاظ اللغة، ولا يخفى على الاذهان ن معجمنا ليس ولوعا بالحصر قدر شغفه بالمرحلة التي تنى هذا الحصر، اذ يكمن هدفه فيما بعد الجمع من المعالجة التطورية لتاريخية لمادته، تلك الحلقة المفقودة في ميدان تراثنا المعجمي.

ولعل التقنية الحديثة تمكن القائمين على اخراج هذا المعجم من الحصول على المادة من بين امهات المعاجم القديمة في ضوء استخدام الحاسب الآلي لرصد الجذور اللغوية وتنظيمها، وفق نظام دلالي معين. ولا ريب ان المعجم القديمة لن تكون المصدر الاوحد لهذا العمل، بل ان امهات تراثنا العربي والاسلامي من دواوين الشعراء، والموسوعات الادبية ومصنفات التفسير والفقه والشريعة، ومؤلفات السير والتاريخ، الى غير ذلك من المؤلفات المتنوعة على امتداد تاريخ العربية لعريق، فمصادر هذا المعجم متعددة المناحي دون ريب، ومتنوعة العصور، امتداد تاريخ الكلمة، وتتبع حياتها، ذلا ضابط ولا فيد سوى تحري السلامة اللغوية، وعدم الجنوح الى العامي الا بقدر تأصيله - كما المحنا - ورده الى ساحة الفصح.

وعلى هذا فدواوين شعرائنا المحدثين، ومؤلفات ادبائنا المعاصرين يمكن الاستئناس بأساليبها، وألفاظها في ميدان إبراز مناحي التطور الدلالي للمادة المجموعة بين دفتي معجمنا المنشود.



### 3 - منهجية ترقيبه :

تعددت طرائق الترتيب وتنوعت معالمها بين ثنايا تراثنا المعجمي ، الامر الذي يشهد بأهمية هذه الركيزة في ميدان الصناعة المعجمية من جانب ويؤمى الى مظهر من مظاهر تطور الفكر المعجمي عبر العصور من جانب آخر.

ومما يؤكد هذه الحقيقة ان النظم او المناهج المعجمية الموروثة سببت الى معالم الترتيب التي قامت عليها ، ومن ذلك قولهم : نظام لتقليبات الصوتية ، او مدرسة القافية ، او منهج الابدادية العادية . وهكذا لعب ترتيب المادة اللغوية بين دفعتي المعجم دور رائدا في تثبيت اركان فن المعجمة ، واعتباره عملا رائدا يشار اليه ناهيك عن اثرها في تطويره ، وتذليل جمعه .

ويكفي لاثبات أهمية هذا المحور انه لا يطلق مصطلح «معجم» على اي ديوان من دواوين اللغة الا اذا كان مرتبا .

وقد اتخذ الترتيب بين ثنايا المعجمية العربية القديمة طرائق متعددة ، فتارة وفق الالفاظ ، وآونة حسب المعنى ، ومرة وفق الابنية واخرى حسب النصوص . . . الخ .

ومن يتأمل ملامح الترتيب اللفظي - بخاصة - يدرك تعددها فنظام الخليل اعتمد على جمع الكلمة ومقلوباتها في آن واحد ، مع وضعها تحت ابعاد حروفها مخرجا موزعة باعتبار الكم الى ابنية ، ثنائي وثلاثي ، ورباعي ، وخماسي . . .

ومن ثم فالديوان مقسم الى كتب ، وكل كتاب يحمل اسم ابعاد حروف مادته مخرجا ، وترتيب الكتب تباعا لم يخرج عن الترتيب الصوتي ايضا للحروف وكل كتاب بدوره مقسم الى أبواب باعتبار الكم .

ولا ريب ان الصعوبة كائنة في هذا النمط من الترتيب ، ولذا جنح ابن دريد بالمسيرة المعجمية الى التيسير ، فطبق منهج الخليل في التقليبات والابنية مع التوسع في عددها ، واستعاض عن النظام الصوتي بما يسمى بالنظام الألفبائي ، أي : وضع الكلمة ومقلوباتها تحت أسبق

حروفها ترتيبا ألبائيا (أ ب ت ث ج) . . .

وقد صاحب هذا المنهج نظام آخر يعد أسلس وأيسر، وهو القافية، إذ اعتمد أصحابه على الحرفين الأخير والاول من أصول الكلمة، أي: اللام والفاء معتبرين الأخير بابا، والاول فصلا. وواصلت المسيرة المعجمية تطورها فتحا اهلوها منحى آخر يكاد يخلو من اي صعوبة، وهو نظام الألباء العادية، حيث يعتمدون في ترتيب المادة اللغوية على الحروف الاصلية لاول والثاني، أي: فاء الكلمة وعينها.

ومما تجدر الاشارة اليه ان هذه الانماط الترتيبية جميعها اعتمدت في معالجة لمادة ترتيبيا على حروفها الاصلية دون الزائدة، بدءا من نظام الخليل والى يومنا هذا.

بيد ان هناك نمطا معجميا آخر عالج الكلمة ترتيبيا وفق منظورها معتدا بالحروف الزائدة معللا مسلكه بالرغبة في التيسير على غير المتخصصين إذ ان الاعتماد على اصول الكلمة مجلبة للصعوبة في الوقوف عليها لما يحتاجه من دراسة صرفية، وتعلق بهذاب الاشتقاق، والاعلال والابدال.

أقول: ان الامر لا يخرج عن دائرة المبالغة التي لا تقوى امام الرغبة في الالمام بمنهج المعجم المبغى، والممارسة خير معين، ناهيك عن ان لكل علم قواعده ولكل فن خصائصه، بالاضافة الى ان ذلك طبيعة تراثنا العربي، حيث تتكامل علومه فيما بينها، وإذا كان لكل علم قوانينه، وتلكم طبيعة تراثنا فما بالناس نهمل قوانين الصنعة المعجمية جانحين بها الى ما يجعله اشبه بالفوضى على اصول الكلمة دون زوائدها يمكن واضعي المعجم من جمع مشتقات لمادة وما تفرع منها تحت اصول واحدة، وما كان هذا ليحدث لو رتبنا وفق المنظور.

إن ترتيب المادة اللغوية بين دفعتي المعجمية العربية القديمة وفق الاصول امر يتفق مع طبيعة العربية، وينبغي الاحتذاء به فيما يجد من معاحم فلغتنا اشتقاقية ترد فيها كل مجموعة من الكلمات الى اصل واحد

ترتبط به لفظ ومعنى ، كما يترابط بعضها ببعض كذلك ، وتذكر جميعا مع اصلها ، ولا ريب ان الاعتماد على المنطوق يفتت هذه الوحدة ، ويؤدي الى الاسهاب والتكرار ، ولاضطراب ترتيبا وتبويبا ، لما الملحنا اليه من وفرة المشتقات في لغتنا ، وتنوع مصادرها وجموعها ايضا ، وليس في ذلك من فائدة سوى تجنب امر من اليسر تحصيله وتمييزه لان الذين لا يميزون بين الاصول والزوائد اجمالا لا يحتاجون الى مراجعة المعاجم بقدر ما يحتاجون الى التعلق بحظ قليل من المعارف الصرفية .

وفي صوء ذلك فني ارى ان أسلس بل اسلم طرائق الترتيب لمعجمنا المأمول هو النظام الألفبائي بعد الاعتماد على اصول الكدمة ، ولا مفر لذلك من الامور الآتية :

أولها : جمع مشتقات المادة الواحدة في معقل واحد ، وهذا ادعى الى ملاحظة التطور الدلالي ، ووضوحه في جل مشتقاتها ، وهو هدف اصيل لتأليف هذا المعجم .

وثانيها : عدم التضخم لمعجمي الذي اصاب بعض معاجمنا ، والمعجم التاريخي سحوى ثروة لفظية هائلة مما سيؤدي الى التكرار مع استحضار الاصل لكل منطوق .

وثالثها - تيسير الامر على الباحث ومطالعته كما هائلا من مشتقات المادة ووقوفه على تنوع الدلالات بتسوع السياق وفي ذلك صقل لموهبته وتنمية لوعيه اللغوي ، وتحقيق لهدف المعجم .

هذا عن ترتيب مداخله الرئيسية ، اما عن تنسيق مشتقاته ومواده فلاني اقترح تطبيق منهج المعجم الوسيط الذي يكمن فيما يلي :

تقديم الافعال على الاسماء ، والمجرد على المزيد من الافعال ، والمعنى الحسي على المعنى العقلي ، والحقيقي على المجازي ، والفعل اللازم على المتعدي .

كما ارى تطبيق منهج الوسيط أيضا في ترتيب الافعال على النحو التالي : الثلاثي المجرد :

(1) فعل يفعل ، كَصَرَ ينصُرُ

- (2) فعل يفعل ، كضرب يضرب  
 (3) فعل بفعل ، كفتح يفتح  
 (4) فعل بفعل ، كعلم يعلم  
 (5) فعل بفعل ، كشرف يشرف  
 (6) فعل بفعل ، كحسب يحسب

\* الثلاثي المزيد بحرف

- (1) أفعّل ، كأكرم  
 (2) فاعل ، كقاتل  
 (3) فعل ككرم

\* الثلاثي المزيد بحرفين

- (1) افعلل كانتصر (2) انفعل ، كانكسر (3) تفاعل ، كتشاور (4)  
 بفعل كتعلم (5) افعّل ، كحمر

\* الثلاثي المزيد بثلاثة أحرف

- (1) استفعل ، كاستغفر (2) افعوعل كاعشوشب (3) افعوّل ، كاجلوّد

\* الرباعي لمحرّد : فعلل ، دحرج ، لربعي المزيد بحرف : تفعلّل ،  
 كتدحرج .

وعلى هدى هذا سيحوى المعجم العربي التاريخي الدقة في  
 الترتيب والتبويب ، وينأى عن الخلط والاضطراب وهذا ما يأمله  
 الحريصون على العربية .

#### 4 - معالجته اللغوية

للمعالجة اللغوية دور يكمن في تحقيق المعجم لهدفه، اذ تدور في فلك اختصاصه مجلية خصائصه وسماته وفق مأربه وغايته المنشودة في ضوء منهج يسعى الى تحقيق ذلك، ويبدو أن المعالجة اللغوية لمادة معجمنا التاريخي لن تكون تقليدية، اي لن تعتمد على النقل من تراثنا المعجمي السابق اعتمادا كليا، اذ ينتهي هذا الدور بمغادرة الكلمة أسوار عصور الاحتجاج، وهنا نلمح الجدة والابتكار في المعالجة اذ يطوف القائمون على هذا المعجم بالكلمة عبر العصور مستخرجين دلالتها من بطون المصادر الادبية واللغوية والفقهية ملاحظين تطورها، ومتتبعين تنوع دلالتها في ضوء السياقات المختلفة والمقامات المتعددة وصولا بها الى عصرنا الحديث مع الاشارة الى الوظيفة اللغوية للكلمة في ضوء بيان نوعها.

ومما تجدر الاشارة اليه انه ينبغي ان يتقدم المدخل كم موفور من المعلومات اللسانية المتعلقة به صوتيا وحويا وداليا، وهو امر ليس بعيدا عن طبيعة هذا المعجم على وجه الخصوص.

يجري بعد ذلك عرض كل مادة وفق ترتيب معين على حدة مع التركيز على كل لفظة مدونة وصلتنا، او منطوقة بيننا، ويتابع خبرها وحالها منذ اقدم عهدنا بها الى الآن، او الى وقت انقراضها من الاستعمال، ويبين اصلها الذي احدثت منه، وجذرها في السامية، وتفرعاته في العربية، ونحول الاحوال بها، والبيئات الطبيعية التي عاشت فيها، والاضاع الاجتماعية التي عاصرتها وما احدثه كل ذلك في الكلمة من تغيير، ويرصد تطوراتها لفظا ومعنى والعوامل المؤدية اليها، اي انه باجمال، يعد لكل كلمة ترجمة وافية وسجلا واعيا كانه يترجم لاحد الاعلام البارزين.

وعلى ذلك فأخصر خصوصيات معالجته تدور حول رصد التطورات الدلالية عبر العصور، مع العناية بالدلالات الاجتماعية والذاتية شيوخها بين المتكلمين باللغة، وبخاصة ما اتسم

بالسلامة اللغوية ، واقره جمع موفور عن يعتد بلغتهم ، مع ملاحظة ذلك في ضوء لتنوعات السيقية ربية تلك العصور مع الفصل بين المستويين اللهجي والقصيح .

ولا يخفى ما ينبغي ان تتسم به المعالجة اللغوية لهذا المعجم من مساس خفيف لبعض القضايا الصرفية والنحوية ، ومن ثم حصر فيشر في مقدمة معجمه التاريخي مناحي معالجته في سبعة أمور ، التاريخية والاشتقاقية ، والتصريفية ، والتعبيرية ، والنحوية والبيانية والاسلوبية ومن أمارات نضج المعالجة اللغوية بين دفتي هذا المعجم ان تكون التعريفات دقيقة ومحددة ، وان ينحو بالمصطلح العلمي نحو التحديد والتوحيد معا ، وان يكون التعريف بها من الوجهتين اللغوية والتاريخية ، بمعنى ان يكون الملصح التاريخي الذي يوضح العلاقة بين الكلمة اللغوية والمصطلح العلمي المتوج بحروفها واضحا .

ولعل من نافلة القول التنبيه على ان التعريف بالمرادف ، او اللفظ العامي او المغايرة او بما يحتاج الى تعريف لا وجه للتعلق به هنا ، وكذلك معالجة الاعلام ، والاماكن وما شبه ذلك مما هو بعيد عن الملصح التاريخي المعنى به بين جنبات هذا الديوان ، اما الالفاظ المولدة والمعرية ، وكذلك الفاظ الحضارة فهي بحاجة الى عناية خاصة ، اذ في ضوء معالجتها تبدو لتاريخية المنشودة ، والملاحم الدلالية المفقودة بين ثنايا التراث المعجمي ، شريطة ان لا يقتصر في التعريف بها على المنحى اللغوي الضيق ، حتى لا يعتري المعجم الغموض الذي يأبى ، فلموسوعية مطلب رائد لطبيعة المعجم التاريخي مع الاعتماد على المحور لتطوري ببعديه الافقي والطولي .

ومن كمال المعالجة ودقتها العناية البالغة بالضبط السوري الواضح للمادة ومشتقاتها ، وغني عن البيان ان اختلاف الضبط البنيوي لنسيج الكلمة اللغوي يؤثر في دلالتها ومعناها ويخرج بها عن الاطار الذي رصدت فيه خروجا غير طبيعي ، والمعجم يعني بالتنوع الدلالي المشروع ، ومن هنا وجبت العناية بملاحم الضبط واستخدام كل طرائقه ، ووسائله

تحقيقاً للدقة المبتغاة، واستفادة من دوائر تراثا المعجمي واللغوي في هذا الميدان.

ومن هذا المنطلق لا تجدي الاستعانة في الضبط السوي بالشكل ورموزه فقط بل يستعان على كمال الدقة في هذه الساحة بالوزن الصرفي، أو المقيس أو المثال الشهير، وادق وسائل الضبط تكمن في النص على ملاحظه بالعارة كأن يشير القائمون على اتمام هذا العمل العظيم الى حركة الحرف، واعجابه، أو اهماله، ومن ثم نادى بعض الباحثين بتعميمه، ولا سيما في ميدان التصنيف المعجمي مشيراً الى وضع بعض القواعد التي تجعله بمنأى عن الطول مع مراعاة ان يضبط ما يحتاج الى ضبطه من حروف الكلمة فحسب.

وجدير بالذكر ان العناية بالشاهد امر له اهميته وجدواه في معجمنا، اذ يمثل قطب الرحى في اثبات التنوع الدلالي، من جانب، ويعمل على تنمية الوعي اللغوي، وصقل الموهبة لادبية لطالب المعجم من جانب آخر.

وليكن الاطار الذي يحدد هذه الملامح كلها منضوياً تحت مبدأ الایجاز غير المخل ولذا فهناك اشكالية صعبة ينبغي معالجتها بدقة وخبرة، تكمن في الاستقصاء مع مراعاة الایجاز، والبسط مع التركيز، وهذا امر تفيأه من قبل الفيروزبادي في قاموسه المحيط، كما حققه في عصرنا اصحاب المعجم الوسيط، ومن دواعي ذلك الرغبة في عدم تضخم المعجم، ومن وسائل تحقيقه الاستعانة ببعض الرموز والاشارة شريطة ان تكون من الواضوح بمكان وان يشار الى مفهوماتها ومقاصدها في مقدمة المعجم.

في ضوء ما سبق تبدو الملامح العامة لمنهج المعالجة اللغوية للمعجم العربي التاريخي، ولا ريب في ان تلك الملامح مزيج من المنهجين الوصفي والتاريخي اذ يعنى الاول بوصف اللغة، وفحص ظواهرها من جميع جوانبها الصوتية والتركيبية والدلالية في فترة معينة، بينما يواصل الشق الثاني استكمال الهدف، اذ يتابع تلك الدراسات

للموقف على التطور، او التغير اللغوي لها عبر القرون، منذ نشأتها الى تاريخ دراستها، ومن ثم لا يمكن لاحدهما ان يستغني عن الآخر في عملنا هذا. فالاول يعالج مادة المعجم معالجة افقية، بينما يعالجها الثاني معالجة طولية، وليس ادل على تكامل الشقين من تقرير لبعض الباحثين يشير فيه الى ان الدراسة اللغوية التاريخية لا يتأتى قيامها على وجهها العلمي الصحيح دون الدراسة الوصفية للمراحل المختلفة التي مر بها تاريخ اللغة موضوع الدرس (علم اللغة د. اسعران 263). ومما يؤكد ضرورة الجمع بين النمطين ارتباط الوصفي - غالبا - باللغة الحية او الحالية وارتباط الثاني - التاريخي - باللغة الوثائقية المكتوبة وطبيعة المعجم التاريخي هي الجمع بين القديم والحديث، ولذا يعد من الصعب - على حد تعبير ماريوباي - الفصل بين النوعين في مجال التطبيق العملي.

#### 5 - تقنيته وطبيعة القائمين به

لكل عمل تقنية معينة، وطبيعة خاصة، واذا ما اردنا صورة لما تكون عليه صناعة هذا المعجم فان ظلال هذه الصورة يجب ان تحقق دقته المبتغاة تبويبا، وترتوبا وشرحا، وتفسيرا، وتتبعنا للتطور، وتفصيلا لتاريخ الكلمة في ضوء لغة سهلة ميسورة، ولا غرو في ذلك، فم هو الا اداة بحث، ووسيلة ايضاح، ومنهل علم، وسجل امين لحياة المادة اللغوية، ومن ثم لا بد ان يكون سهل المأخذ، قريب المنال.

وفي ميدان طباعته واخراجه ينبغي ان تتخذ أحدث الوسائل لتنسيقه وتقديمه، ومنها على سبيل المثال:

- جودة الطباعة والتعليق ومراعاة الذوق لعام في الحجم ونوعية الورق
- الاستعانة بالصور الايضاحية عند الضرورة
- كتابة المادة بالخبر لثقيل الملون مع كل مشتقاتها
- ضبط الكلمة بالشكل المخالف للون الكتابة مع النص - ايضا -
- بلسان القلم



- رصد المصطلحات في نهاية المادة، ويخط أصغر من المتن العام للمعجم

- وضع فهارس فنية متنوعة لعلامه ومصطلحاته ومادته اللغوية في نهايته .

اما عن طبيعة القائمين عليه فان هذا العمل العملاق يحتاج الى قوة وعزيمة وحب بل عشق لهذه اللغة ، ومن ثم فالقائمون على اخراجه ينبغي ان يكونوا من اولى هذه الصفات ، وان تتضافر جهودهم لـ اخراجه شريطة تنوع الثقافات والتخصصات .

ولاريب ان هذا المشروع العملاق يحتاج الى كمّ موفور من العلماء العاملين الجاديين المخلصين ، ومن الحقائق التي لا يمكن تجاهلها ما اقره بعض الباحثين المحدثين من ان معاجم اللغات الحية - اجتازت اليوم - مرحلة الفنون واصبحت صناعة ، تحشد للعمل فيها طوائف عدة من العلماء الاعلام ومن رجال الفن الجهابذة ، كل واحد منهم يعمل في نطاق اختصاص معلوم . . . هذا والله المستعان .

د . عبد المنعم عبد الله محمد  
الاستاذ المساعد بجامعة البحرين

## من مواد المعجم التاريخي : الجمع في طائفة من الكلم القديم

بحث : د. ابراهيم السامرائي

كثير الحديث عن «المعجم التاريخي» وربما وصل العرب هذا المصطلح الجديد مما عرف في الدراسات المعجمية الحديثة، ان هذه الدراسات مهما اكتسبت من «التغريب» لا يمكن ان تستغني عن الاصول اللغوية، ذلك ان الجديد اللغوي لا بد ان يحتفظ بشيء من علاقة عضوية بالاصول القديمة.

ولنا ان نسأل أنفسنا : ألنا من تراثنا «معجم تاريخي؟» وهل لنا ان نعد مثلاً «لسان العرب» ضرباً من هذا المعجم؟

والجواب عن السؤالين هو اننا لا نملك هذا المعجم، وليس «لسان العرب» ولا غيره من المطولات هو هذا الذي نتساءل عنه.

ان «المعجم التاريخي» يجب ان يكون قائماً على العناية بالاصول، ثم الفروع عن هذه الاصول، وهذا يعني انه يسرد المسيرة التاريخية منذ نشأتها بل ولادتها الى نهايتها، ولا اريد بـ«النهاية» الموت والفناء وان يكن هذا من الامور احاصلة في جمهرة من الالفاظ التي عفا عليها الزمن، او قل قد انتفت الحاجة اليها.

ان لكل كلمة من الكلمات في العربية، كما هي الحال في كل لغة

«سيرة» وهذه السيرة تخضع لظروف عدة، وتكون حاجة من حاجات العربيين.

ومن هنا كانت الكلمة محكومة بحاجات ما تني تزداد يوما بعد يوم على ان هذا الحديد من الحاجات لا يخلق من اللفظ شيئا من عدم، بل ان العربيين يكونون مسوقين الى البحث عما لديهم من اللفظ فيعملون فيه النظر حتى يكون لهم الحديد في الابنية التي عرفوها في العربية. ولنا ان نقول ان المعجم التاريخي في ضبطه لافراد هذه اللغة لا يكون محكوما بل ساعيا الى البحث عن الصواب والخطأ، ذلك ان «الصوابية» في كثير من الالفاظ لا تخضع للاعتبار، ان النظر الى التطور «الصحيح» يبعدنا عن الخوض في الخطأ.

اننا حين نبحث في سيرة اللفظة فنراها تكتسي لبوسا خاصا في كل عصر اتساعا ومجازا وتشبيها، ونحن نقبل هذا اللبوس، بل قل اننا محكوم علينا ان نقبله، نكون في ذلك غير محصورين في دائرة الضيق ونتجاوز بذلك الحدود الى ابعد من عصر الاحتجاج.

ما زالت العربية القديمة موضع درس، وان الكثير من نوادرها يسترعي النظر، وقد بدأ لي ان طائفة من الكلم المجموع تقتضين ان نعود اليها غير مكتفين بالذي شاع من ابنيتها.

ان مصادر العربية القديمة ولا سيما مطولات المعجمات قد توقفت في طائفة فسدت فيها اقوالا لا تخلو من التضارب، وان الدارس ليقف فيها على حشد من الآراء والتأويلات، وكان لي ان وقفت وقفة طويلة على طائفة من هذه المواد أندوها بمسيرة تاريخية لاشير في خاتمة المطاف الى ما آلت اليه، وسأرتب هذه بحسب اوائلها دون النظر الى اصولها الاشتقاقية، ودونك - صاحبي الدارس المعني - هذه المواد:

#### 1 - سبجال :

ان هذه الكلمة قديمة، ولكنها بقيت في العربية المعاصرة، والعربون في ايماننا درجوا على استعمالها مصدرا كأن أقرأ في «صحيفة

الشرق الاوسط»<sup>(1)</sup> في منظرية في الثقافة والادب، لماذا اختفى  
«السجال» من حياتنا الثقافية؟

والذي يخلص من هذا ان السجال بمعنى الجدال والمناظرة،  
وهذا هو الحاري لدى الكتاب في مقالاتهم وابحاثهم، ومن هذا ما يقول  
آخر: اشتد «السجال» بين الاطراف كافة، وهذا شيء فاش كثير.  
أقول : و«السجال» بهذا الاستعمال وهذه الدلالة شيء جديد

مستوحى من معنى السجال في الاصل.

«السجال» : جمع سَجَل بمعنى الدلو الممتلئة ماءً، ولا يكون  
سجل لا وهو ممتلئ ماءً قال لبيد:

يُحِيلُونَ السَّجَالَ عَلَى السَّجَالِ<sup>(2)</sup>.

وفي حديث أبي سفيان : ان هرقل سأل عن الحرب بينه وبين  
النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال له : الحرب «سَجَال» معناه : إنا  
نُدال عليه، ويُدال علينا أخرى<sup>(3)</sup>.

أقول : وقوله : «الحرب سجال» على التشبيه، اي هي كالسجال  
يتناوب فيها المستقيان من البشر، وهي كما في الاصل جمع «سَجَل» وليس  
فيها شيء مما درج عليه المعاصرون الذين حولوا الكلمة في استعمالهم الى  
«مصدر» وكأنه في استعمالهم مصدر لـ«ساجل» مثل : سابق ومصدره  
«سباق» و«مسابقة».

أقول أيضا : ان الاقدمين ذهبوا في دلالة «السجال» وهي جمع  
الى معنى المبادلة والمعاقبة فاخذوا من السَّجَل وهو الاسم المساجلة ولم  
يجولوا السجال الى مصدر نحو: السباق والمسابقة، والصراع  
والمصارعة، وغيرهما كثير جدا.

واريد ان أقول ان مصدر «فاعس» هو المفاعلة والفعال وهذا لا

(1) لشرق لاوسط في 1989/4/26.

(2) لسان العرب (سجل).

(3) المصدر السابق.

يعني ان كل فعل على هذا يأتي منه هاتان الصيغتان فكثيرا ما اكتفى في العربية باحدهما وهجر الآخر على قياسيته . الا ترى انك تقول : «المباراة» من الفعل «بَارَى» ولا تقول براء ولم يجربه الاستعمال . وتقول . مضاحكة ولا تقول ضحاك وتقول ملاعبة ولا تقول لعاب وتقول مكاثرة ومكاثرة ولا تقول كثار ولا كبار .

ومن هنا كان على المعاصرين ان يكتفوا بـ «مساجلة» لان السجال بقيت في العربية جمعا ، ولم ترد مصدرا وان كانت قياسية كالمساجلة . واستعمل الزملكاني صاحب «الرهان الكاشف عن اعجاز القرآن»<sup>(4)</sup> في كلامه على الاحرف في فواتح السور كلمة التساجل ولم يرد هذا المصدر في كتب اللغة ، ولكن المؤلف جعله من قبيل التبادل والتناوب ونحوهما ، وكان موقفا فيه ، قال :

«انها كالمهتجة لمن يسمعها ، والموقظة للهمم الراقدة من البلغاء لطلب التساجل في الاعلام» . . .

أقول : فكيف نقول في «سجال» في استعمال المعاصرين الذين حولوها مصدرا؟

الجواب عن ذلك : ليس من صير في هذا ، وقد استوحى المعاصرون هذه الدلالة من المعنى في الاصل وانها شيء مثل المساجلة بل قل نظير المساجلة في القياس ، وليس لي ان اهرع الى القول بـ «الخطأ» .

أقول : إن المعاصرين حين درجوا على استعمالهم هذا ، لم يشعروا انهم تجاوزوا الاصل ، ولعل كثيرين منهم لم يعرفوا دلالة «السجال» في استعمال العرب الاقدمين ، ولكنهم يستعملون الكلمة حين يبدوها احدهم فتشيع ، أفلي ان اقول : ان الكلمة قد تُرْزَأُ بشيوعها؟ على ان في العربية شيئا من هذا التحول كما سنرى

---

(4) من منشورات ديوان رئاسه الاوقاف في بعدد ، سنة 1974 وانظر ص 57

## 2 - شَتَّى

استعملت «شَتَّى» في قوله تعالى: ان سعيكم لَشَتَّى<sup>(5)</sup>، والمعنى . مختلف متعدد والكلمة خبر والخبر يفيد الوصف، وكأن «شَتَّى» نعت أو صفة في المعنى في حين وردت لمبتدأ اسم ذات في قوله تعالى «وقلوبهم شَتَّى»<sup>(6)</sup>.

والخبر «شَتَّى» في الآية تومئ الى انها، شَتَّى جمع شَتِيت، كما سنرى في المثل العربي القديم، الذي يشير الى دلالتها على الجمع «شَتَّى يُوُوبُ الحَلْبَةُ»<sup>(7)</sup>.

وكلمة «شَتَّى» في الاصل جمع شَتِيت مثل جريح وجرحى ومريض ومرضى.

وقد فطن الى هذا الدكتور مصطفى جواد<sup>(8)</sup>، وأشار الى انها في الاستعمال قد ابتعدت عن بناء الجمع وتحولت الى ما يشبه النعت أو الصفة.

اقول : والذي ذكرته انا من استشهاد بالآية الكريمة لدليل كاف يؤيد رأي الدكتور مصطفى جواد في تحول هذه الكلمة الى معنى الصفة أو النعت كما ان استشهادي بالمثل القديم يدل على اصالة الجمع فيها.

## 3 - عَزَّى

جاءت هذه الكلمة في قوله تعالى: «أو كانوا عَزَّى»<sup>(9)</sup>، في المصحف الكريم الذي بين ايدينا، وقُرِئت «عَزَاة» بضم الغين وفتحها كما قُرِئت «عَزَّى» بكسر الغين وتشديد الياء، وكلها بمعنى الجمع،

(5) 4 سورة البيل.

(6) 14 سورة الحشر.

(7) مَثَلُ يُضْرَبُ فِي اخْتِلَافِ الْمَسْ وَتَفْرِيقِهِمْ فِي الْاِحْلَاقِ انظر: مجمع الامثال 358/1 (ط. دار لفكر) - بيروت.

«شَتَّى» بمعنى متفرقين، وهي في موضع الحال، اي يُوُوبُ الحَلْبَةُ متفرقين

(8) محاضرات الدكتور مصطفى جواد لطلبة دار المعلمين العالية ببغداد سنة 1943 م.

(9) 156 سورة آل عمران

والمفرد «غَازٍ»، <sup>(10)</sup> وكذلك (غَزِي) مثل (نَدِي) و(سَجِي) وهما جمع (ناد وناج). والذي دل عليه الاستقراء ان بناء «فُعْل» من أبنية الجمع يكون جمعا لـ «فاعل» صحيح اللام لا معتلها نحو: ساجد وراكع، وجمعهما سَجْدٌ و«رُكْع» ومن هنا كان «غَزَى» في لغة التنزيل العزيز من الجمع القليل.

ومجيء «غَزَى» في الآية يقدم فائدة تاريخية نخلص منها الى ان اللغويين حين عرضوا لأصول اللغة لم يميزوا الفائدة القصوى من لغة التنزيل.

#### 4 - فَوْضَى

وهذه كلمة اخرى وُفِّقَ لى معربها الدكتور مصطفى جواد - رحمه الله - حين لمح الجمع في دلالتها وقال: هي «فَضَى» في الاصل ثم عرض

(10) لم يرد فاعل على «فُعْل» في لاقص الا هذا الجمع، والكثير فيه ساء «فُعلة» نحو حام وجمعه «خَماه» وداع وجمعه «دعاة»، وهذا كثير ناش عن ان في العربية بواذر نتعد عن الكثير المسموع، ومن هذا ورد «حُمْل» بمعنى الحمار لعليظة جمع «جُمْل»

ولما ان يستشهد بقوله تعالى: حتى يلعج الحمار في سم الحياض 40، سورة الاعراف وقد جاء في «الحُمْل» في هذه لاية كلام كثير، فقد قرأ اس عاصم «الحُمْل» بمعنى الحمار المجموعه

وروي عن أبي طالب أنه قال: رواه الفراء، قال: ونحن بطر أنه أرد التحفيف قال أبو طالب: وهذا لان الاسماء انما تأتي على «فعل» محفف والجماعه تحي على «فعل» مثل صَوْمَ وَيَوْمَ قال أبو الهيثم: قرأ أبو عمرو والحسن، وهي قرأه بن مسعود «حتى يلعج الحُمْل» مثل «انعر»

وحكي عن بن عباس «لَحْمَل» بالثميل والتحفيف، فاما «لُحْم» بالتحفيف فهو الحبل العليط وكذلك «لُحْمَل» مشدد قال ابن جني: هو «لُحْمَل» على مثال «انعر» واللُحْمَل على مثال «فُعْل»، واللُحْمَل على مثال «طَب»، و«لُحْمَل» على مثال «مُثَل» قال ابن بري: وعنده فسر قوله تعالى: حتى يلعج الحمار في سم الحياض، فاما «لُحْمَل» فجمع «حمل» كأميد جمع «أسد» ولترجح الى «عزى» فوجد الارهري يقول: «العزى على ساء «رُكْع» و«السُجْد» واستشهد بـ لاية وجاء في جمع «عار» «العراء» بالمد مثا فسق وهساق (انظر لسان العرب (عرو)

ومن المصيد أن أشير لى ما ورد في بحيل مى مما يتصل بـ «لُحْمَل»، وقد ذهب الشراح الى ان اسراد هو الحيوان المعروف ثم عرض نعر من الشراح فصححو، شرحهم وذهبوا الى ان اسراد بـ «لُحْمَل» هو الحبل العليط

لها الابدال بعد فك الادغام فصارت «فوضى» وقال: أن المفرد منها فضيض مثل شتيت التي جمعت شتى وقد سبق الكلام عليه.

أقول: لم يكن شيء من هذا لدى اللغويين الاقدمين كما نستفيده من المعجمات ذلك انهم ذكروا: فَوْضَى وَفَيْضَى و«فيضوضا» ولم يلمحوا ان اصلها فوضى على نحو ما ذهب اليه الدكتور مصطفى جواد.

أقول: أن فوضى قد حولت في استعمالهم الى نوع من المصدر، وكأها صارت تفيد ما يفيد «الاضطراب» وعدم النظام وهذا في استعمال الاقدمين ايضا، غير اننا نجد في شعر الافوه الازدي قوله:

لَا يَصْنَعُ لِنَاسٍ فَوْضَى لَا سَرَاةَ لَهُمْ  
وَلَا سَرَاةَ إِذَا جُهِلَ لَهُمْ سَادُوا<sup>(11)</sup>

وكلمة فوضى تفيد الوصف ومعناها مختلطون ومن هنا يصح لي ان المح صواب ما ذهب اليه الدكتور مصطفى جواد<sup>(12)</sup>.

5 - مشاكل

أقول: هي كلمة شاعت في العربية المعاصرة جمعا لـ «مشكلة» وهي في الاستعمال القديم جمع سالم مؤنث «مشكلات».

وقد كثر استعمال مشكلة في العربية المعاصرة، وكذلك جمعها، لقد اختار المترجمون النقلة في المشرق العربي كلمة مشكلة مؤنثة للكلمة الانكليزية Problem فشاعت وكتب لها السيرورة، ولو أنهم اختاروا كلمة اخرى بمعناها نحو معضلة مثلا لشاعت ايضا، في حين

(11) انظر لسان العرب «فوضى» وجاء فيه بما يشعر لصمة وليست جمعا قول الشاعر  
طَعَامُهُمْ فَوْضَى فَصَا رَحْلَهُمْ وَلَا حُسُونُ السَّوَاءِ إِلَّا تَادِيَا

وهم فوضى أي مختلطون لا أميرهم يجمعهم  
ويقال ايض، فيض، فيضض، وفوضوضا، وتمد جميعه.

(12) أقول. رجعت الى مادة «فضض» لاني لم أجد في الاصل واعرف الصلة بينه وبين ما الت اليه بعد الاسال لقد عرفت ان «لفض» هو الكسر، وان الدلالات للكلمة كلها لا تعد عن الكسر حقيقة وعجاءا، و«الفضيض» هو المكسور وذا كانت «فوضى» تعني «المختلط» فكأنهم أحرأ متفرقة احتطت على غير نظام



وجد المترجمون النقلة في المغرب العربي ان هذه الكلمة في الفرنسية مذكرة فاختاروا لها «المشكل» .

ولن تجد التونسي الا قائلا المشكل في هذا الامر هو كذا وكذا كما لن تجد المشرقة لا قائلين المشكلة الكبرى، ثم اعود الى جمعها فأقول ان «مشكلة» هي بناء اسم الفاعل من الرباعي نحو «معضلة» وجمعها معضلات ولا نقول معاضل كما نقول مشاكل ولكن نقف على قوله تعالى : «وحرمنا عليه المراضع»<sup>(13)</sup> .

واسم الفاعل هذا لا يأتي منه «مفاعل» في الجمع الا نواذر قليلة و«المراضع» جمع «مَرْضِعة» لا «مَرْضَع» ومن هنا يكون لنا ان نحكم بصحة مشاكل ولي ن اقول في هذا الجمع ما قيل في جمع مصيبة فقد جمعت على مصائب وهو الكثير ولكنه على غير قياس وجمعت على «مَصَابِ» واسم الفاعل لا يجمع على مفاعل الا انهم توهموا ان المفرد مصيبة على وزن فعيلة لا «مُفَعِّنة»<sup>(14)</sup> .

وكان هذا الذي عبروا عنه بـ«التوهم»<sup>15</sup> صوغ هذا الخروج عن القياس .

(13) 12 سورة الفصص

(14) انظر لسان العرب مادة (صوب) ثم ان الجمع «مصائب» باعمر، فصلا عن حروجه عن القياس كما قدوا، فيه حروح اخر عن القاعدة لصرية التي تقضي بعدم قلب الواو والياء همزة عند جمع كما يقول في جمع «مشيخة» «مشايخ» بالياء، وفي جمع مصيدة «مصيد» ولكن المعاصرين اسيدلوا بالياء همزة ظن منهم انه هو الصحيح فقالوا «مشايخ» و«مصائد» . وعلى هذا خطأ بصريون «معاش» في قراءة باع المدي، وذهب أهل القراءة الى انها قراءة موثقة صحيحة، والقراءة العالية حجة، وباع من اهل الثقة في هذا امر .

(15) جاء في العربية «مسيل» أي السيلاب، وهذا يعني أن الاصل هو مادة «س ي ل» غير ان جمع «مسيل» جاء على «أسئلة» و«مئل» و«مئلان» و«مسئل»، وكذا توهم صالة «لميم» في «مسيل» اي انه على بناء «فعيل»

والذي لاحظته ان الجمع الاحير «مسائل» بالهمزة، والقاعدة الصرفية يقضي ان يكون بالياء «مسائل» لاصالة لياء في «س ي ل» وكان الاستعمال قد خرج عن القاعدة الصرفية، أو ان أصحاب المعجمات وحبوس قد اغفلوا القاعدة الصرفية، نظير ما =



والكلمة الانجليزية Destiny والكلمة الفرنسية Destin او الكلمة  
الآخري Sort يأتي كله مجموعا في هاتين اللغتين :

ولما كنا ننقل عن هاتين اللغتين اضطرابا وحاجة فلا بد ان ننتهي  
الى هذا الذي حصل من جمع هذه الكلمات ، أقول أيضا : ان المعربين  
في عصرنا يجهلون دقائق العربية وهم يحسبون مصائر بالهمز فصيحة ،  
ولو قال احدهم «مصاير» لحسوا ، انه متأثر بالاعراب الدارج العامي ولم  
يعلموا ان «مصاير» بالياء هي الفصيحة وان الياء فيها لا تبدل همزة وهي  
نظير مصايد ومشايخ وليس لنا ان نهمر هذه الالفاظ لان الياء فيها اصل .  
ان الياء في مصاير ليست كالياء في حديقة التي تبدل همزة في  
الجمع فنقول : حدائق لانها زائدة وليست اصلية والفعل «حَدَقَ» .

ثم ان المعاصرين قد جمعو «مصير» على «مصائر» جمع توهم ، فكأن  
الميم اصل في الكلمة ، وهي بذلك وزن «فعليل» كما قيل في «سريـر»  
«سراير» وهو غير «سُرُر» و«أُسْرَة» .

وقد مرَّشيءٌ من هـ في تعيقنا عني «مصيبة» و«مصائب» ، ومصير  
اسم مفعول لا يمكن ان يجمع على مصاير لولا فذلـكة التوهم .

7 - مصاعب

«المصاعب» جمع «مُصْعَبٌ» ، وهو الفعل الذي يودع من الركوب  
والعمل للفحلة .

قال أبو ذؤيب :

كأن مصاعيب رُبُّ الرؤو س في دار صرْمٍ تَلَاقَى مُرِيحَا

قالوا أراد «مصاعب» فزاد الياء لتأتي له «مفعولن» .

أقول : وجدت هذا دليلا على ان حذف الياء هو الفصيح وليس

العكس .

وقد فات الدكتور مصطفى جواد هذا في ذهابه الى ان جمع معجم

هو معاجيم كانه حملها على المسانيد جمع مُسْنَدٍ والمراسيل جمع مرسل من  
مصطلحات الحديث الشريف .

## بين الاصلالة والتوهم

ذكرت ان «المسيل» هو السيلان ومن هنا كانت الميم زائدة، ولما جمع المسيل على «أمسلة» و«مُسَل» و«مُسْلان» و«مسائل»، علم انهم توهموا أصالة الميم، وهي زائدة في الحقيقة.

والامر يتجاوز هذا ذلك ان اللغويين أفردوا لها مادة في المعجم القديم، وكأنها أصل، وزاد فيها العربون وذهبوا كل مذهب فكان منه «المَسَل» لمسيل الماء ايضا وكان منها «المَسَل» باسكان السين للقطر. ومن عجب أن جملة هذا في مادة «مَسَل» ولم يكن له اشارة في مادة «سَيْل» ومن هذا ايضا أن «مدينة» قد جمعت على مدائن، ولم يلتفت الى أصالة الياء بل حسنت مثل ياء «فعيلة» زائدة فجمعت على ذلك فكانت «مدائن». وقد جعلها اللغويون أصلا في المعجم القديم «م د ن». والحقيقة التاريخية تشير الى أنها «دي ن»، غير أن مادة «دي ن» في المعجم القديم قد خلت مما يشير الى «المدينة». إن المدينة تشير في صوغها الى أنها من «الدين» اي الحساب ومن هنا أنصرفت الى معاني التمدن والتحضّر. أن «يوم الدين» في الادب الاسلامي هو يوم الحساب ويوم الحكم.

وهذا المعنى هو نفسه في الاصول السامية، فبيت الدين هو هذا المعنى في اللغة الآرامية، ومن هنا سميت كنيسة «بيت الدين»، وهي من حواضر لبنان. وبيت الدين ܕܝܢܐ في اللغة العبرانية تعني بيت الحكم اي المحكمة

فمن حقنا ان نضع الاصلين في المعجم التاريخي، ويشار في مادة «دي ن» الى مادة «م د ن». وقد فطن الازهري الى شيء من هذا في جموع «مسيل» التي تقدمت فقال: وهذه الجموع على توهم ثبوت الميم أصلية مثل مكان وأمكنة، قال ساعدة بن جؤية: يصف الحل.

منها جوارس للسراة وتحتوي<sup>(17)</sup> كَرَدَتْ أَمْسِلَةً إِذَا تَتَصَوَّبُ

ولكن الازهري حين أتى بالشاهد أراد أن يثبت معنى «أمسلة» فيه فقال: و«الأمسلة» جمع «المسيل»، وهو الجريد الرطب، وجمعه «المُسْل».

وقال: «سمعت أعرابيا من بني سعد نشأ بالاحساء، يقول لجريد النخل الرطب . «المُسْل»، والواحد «مسيل»<sup>18</sup> ومن هذا أيضا قولهم «ماء معين» أي صاف عذب نقي، وقد حسب «المعين» قال تعالى: «يطاف عليهم بكأس من معين» 45 سورة الصافات. وقوله تعالى: «قل أفرايتم أن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتاكم بماء من معين» 40 سورة الملك.

وقد ورد «المعين» في مادة «عين» في المعجم القديم، ووروده هنا يشير إلى أصله وهو «عين الماء». كما ورد في مادة «معن»، ومن دلالات «المعْن» الاستقاء<sup>(19)</sup>. إلا أن «معن» دلت على مواد كثيرة انتعدت عن الماء والاستقاء فصارت مادة قائمة وحدها، لا صلة لها بـ «عين» ومن ذلك «المعان» بمعنى المكان أو المنزل، و«الماعون» بمعنى الطاعة والزكاة وأسقاط البيت.

ومن هذا أيضا «المكان» الذي جمع على أمكنة، وقد سبق الكلام عليه.

ولكنني أضيف هنا إلى أن شهرة «المكان» وسيرورة استعماله جعلها منه أصلا. أقول: «أصلا» لأنهم أخذوا منه الفعل «م ك ن» الدال على القدرة، و«التمكن» الثبوت في المكان والاستقرار فيه ثم اتسع فيه إلى

(17) تحتوي ي تأكل

(18) سان العرب («مسيل») أقول: م يرد شيء من هذا في مادة «سيل»

(19) قيل فيه ماء معين أي معيون وورده «مفعول» وحسب أنهم أصلا قيل وورده «فعل»

القدرة مطلقا. و«المكين»: هو القادر المتمكن ذو المكان<sup>(20)</sup> وكأهم حسبه على «فعل» ولم يُسمحوا الى أنه من «ك و ن».

## خاتمة

وبعد فهذا موجز مفيد عرضت فيه لجملة من ألفاظ الجمع، وشققت فيها الكلام على الاصول وما عرض لها في تاريخها في الاستعمال من ضروب من الاتساع حتى انتهت الى ما انتهت اليه. وكأني أدرك ان المعرب القديم تجاوز فيما دعي بـ «التوهم» مسألة الصواب والخطأ. ومن عجب انه صوّب مسائل ضاق بها المعاصرون فذهبوا فيها الى الخطأ. ويحسن بي في هذا الصدد أن أفيد من سماحة لغة الذكر وشجاعتها فأورد منها: الاول: وهو مفيد كل الفائدة من النحية اللغوية التاريخية، قال تعالى: «إن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما...» (30 سورة الانبياء). فعوملت «السموات» و«الارض» مثني فقال: «كانتا» ثم «ففتقناهما». فليُنظر أصحابنا الذين لا علم لهم شجاعة العربية في هذا الكلم البليغ: الا ترى كيف استقام وضع الجمع مع المفرد ثم الاخبار عن هذه التركيبة بما يشعر أنها مثني. ولثاني: مجيء مُفعِله مجموعة على «مفاعيل» كما في قوله تعالى: «وحرمنا عليه المراضع من قبل»<sup>(21)</sup>. أقول: و«لمراضع» في سياق الآية تشير بوضوح الى أنها جمع مرضعة، وهي أدل من ان تكون جمع

(20) قال تعالى «انك اليوم سيد مكين أمين» 54 سورة يوسف  
«فجعلته في قرار مكين» 21 سورة المرسلات  
«ثم جعلته نعمة في قرار مكين» 13 سورة المؤمنون.

(21) سورة لقاص

«مُرْضِع»، وإن كان هذا لا يمتنع. ومن هنا فهو من الجمع العزيز الذي نستدل به على قوة جمع «مصائب» التي تقدم الكلام عليها. الثالث: وهو قوله تعالى: «فقل لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين»<sup>(22)</sup>.

وفي هذه الآية اجتمعت التثنية والجمع، فالمتحدث عنه مثني، والضمير الذي عاد عليه ضمير تثنية وهو ألف الاثنين في «قالتا»، ولكن المحمول عليها من الوصف الذي جاء حالا من الضمير في «أتينا» كانا جمعا مذكرا سالما وكأن السماء والأرض حين نسب اليهما ما هو خاص بالأدمين، وهو القول، صوّغ ذلك أن يجيء لهما ما جاء في الآية في قوله تعالى: «أتينا طائعين»، وأن تعامل في النحو معاملة العاقل فتحدث بلسان العاقل كما ورد في الآية الكريمة.

أقول: لو كان لي أن أتوسع قليلا لتجاوز مني هذا الموجز الصفحات الكثيرة، وفي الذي أوردته بعض ما أرمي إليه.

وهذه طائفة أخرى من المجموع مما جاء في العربية على «أفاعيل» و«فعلليل» و«تفاعيل»، وقد يجيء على «فعلال» وأبنية أخرى وقد بدا لي أن اعرض لهذه الطائفة من المجموع لخصوصية فيها، ذلك أن المجموع قد اهدى إليها العربون قبل أن يكون في كلامهم ولغتهم مفرداتها. إنهم بنوا المجموع على مصادر موادها كما نرى وسأدرج هذه الطائفة من المجموع على حسب حروف المعجم، ودونك ما وصل إليه استقرائي.

## 1 - أبابيل

«أبابيل» وهي الجماعة في تفرقة ولم ترد هذه في العربية سوى في قوله تعالى: «وأرسل عليهم طيرا أبابيل»<sup>(23)</sup>.

(22) 11 سورة فصلت

(23) 3 سورة الفيل

قال القدامى من علماء اللغة وأصحاب «غريب» القرآن: إنها جمع لا واحد له بمنزلة «عباديد» و«شمايط» و«شعالييل». غير أن نفرا من أهل اللغة أعملوا النظر فأخرجوا لهذا الجمع مفردا، وكانهم تخيلوه وهو بحسب تصورهم: «إبيل» و«إبول» وقالوا أيضا «إبالة»، ولم يرد أي من هذه المفردات في نصوص العربية<sup>(24)</sup>.

## 2 - أساطير

«الاساطير» معناها ما سطره الاولون، وواحد الاساطير أسطورة مثل أحداثثة وجمعها أحاديث أقول: وردت «الاساطير» في آيات عدة بقوله تعالى: «أساطير الاولين» والكلمة جمع، ولم يسبقها المفرد في الاستعمال بدلالة ما قيل في المفرد، فقد ورد في كتب اللغة: واحدة الاساطير إسطار وإسطارة وأسطير وأسطيرة وأسطور وأسطورة. وقال قوم: أساطير جمع سَطَّار، وأسطار جمع سَطَّر فكأن «أساطير» على رأي هؤلاء جمع الجمع.

وقال ابو عبيدة: «سَطَّر وجمع على أسطَّر ثم جمع على أساطير». أقول ايضا: وهي لا تخرج في الدلالة عما يسطر من كتابات وهي في قوله

(24) قلت ان المفرد لهذا الجمع غير معروف في العربية بحسب الاستقراء، ولم يرد كذلك هذا الجمع الا في الآية الكريمة التي ذكرناها وعلى هذا يصح بي أن أحتج بأدب الى سنن اجمع وارتجاله في العربة

ومثل هذا أسية مجموعة أخرى وقد يكون لي ن أثبت ان النعوم في الالس الدرحة قد كان هم شيء من هذا فالعراقيون ولدوا جمع هو «تغالييس» لمجموعة من «الافلاس» التي تهيأ لأحدهم في «حيه» أو محمظة بقوده فيقولون مثلا «م يبق عيدي سوى «تغالييس» وهي «الافلاس» من الحس وليس من شئت أن المفرد غير موجود في درجهم ولكنهم تصوروا الجمع وأفادوه من كلمة «فلس». وليس لنا أن نقول: ان المفرد «تغالييس» بحسب انقياس، ذلك أن هذا غير موجود فيه يدرجون فيه من كلامهم ومن هذا ايضا استعمال عامة العراقيين مع آخر هو «تنتيف»، ويريدون منه لدقق من قطع الأشياء المتفرقة التي يصممها المتكلم بعضها الى بعض مع بفرقتها أو كان أحدهم يأتي بأحراء صغيرة تنصل هذا الشيء وذاك وليس هذه «انتانتيف» مفرد هو مثلا «تنتوف» أو «تنتوفة» أو تنتفة بحسب انقياس

رسائل هذه الطائفة من الجمع بما ولده لعراقيون من العامة من هذا ولم يكن له مفرد



تعالى تحتل النبز أي أن كتابات الاولين لا تعني شيئا ذا قيمة .  
وقد وردت في الجمع وهو المراد لمقصود ولم يستعمل المفرد لهذا المعنى في  
النبز، ومن أجل ذلك أعمل اللغويون نظريهم فوضعوه في عدة أبنية  
ذلك أنهم نظروا في الأشباه والنظائر فكان من ذلك أبنية عدة في المفرد  
وأما ما يذهب اليه المعاصرون من فهم للأسطورة فلم يكن في نصوصنا  
الأدبية التاريخية شيء يوصى الى شيء يسير بما يعرف عن «الأساطير  
لدى الاغريق والرومان وشعوب اشرق القديم و«الأساطير في فهم  
لمعاصرين واستعمالهم جمع مرتجل لا واحد به ولكنهم قالوا :  
«أسطورة» وحمدها ما لها في اللغات الاجنبية «Fable» أو «Mythe» .  
وحقيقة الاسطورة في العربية أنها تدل على غير ما تدل عليه في اللغات  
الاجنبية : إنها مجموعة أسطر أو كتابة شيء مسطور . وهي مأخوذة من  
الجمع «أساطير» قياسا على نظائرها الاضاحيك والألاعيب والأهاجي  
جمع أضحوة وألعوبة وأهجية .

### 3 - أشائب

و«الأشائب» هي الاخلاط ، وهُرْعَ أهل «المعرب» الى القول إنها  
فارسية وان أصلها أشوب  
أقول : وأصحاب المعجمات جعلوها أصلا وهو «أشِب» و«أشِب الشيء»  
أي خلطه و«الأشابة» من الناس الاخلاط قال النابغة :  
وثقت له بالنصر إذ قيل قد غزت كتائب من غسان غير أشائب  
أقول أيضا : ومن حق صاحب المعجم التاريخي أن ينظر في  
الأصول المتشابهة ويصل العلاقات بينها . إذ لا بد لكل منها أن يتصل  
بصاحبه وأن هذه نسيج واحد يتصل سداه بلحمته .  
إن مادة «أشِب» لا بد أن تكون مع مادة «شوب» شيئا واحدا ،  
والشوب هو الخلط . وكل ما جاء في «الشوب» من دلالات كالغسل  
وغيره مثلا كان معنى «الخلط» حاضرا فيه .  
و«الشائبة» وجمعها «شوائب» هي الاقذار والأدناس تسمى

بوضوح الى «الخلط». ومن هنا كان بين المهموز «أشب» والاجوف «شوب» علاقة الشيء الى نفسه. أو قل: إن «شوب» هو الاصل قد ذهب به الى المهموز ومن هذا الكثير في العربية ومنه «شور» ومنه «أشار» نجده واضحا في «أشَر».

ومن المفيد ان يشير صاحب المعجم التاريخي، وحقه ذلك، الى مادة «شيب». إن دلالة «الشيب» معروفة في العربية، وهو ابيضاض شعر الانسان، ومنه الاشيب للرجل، ولا يقال للمرأة «شيياء». والأساس هو اختلاط البياض بالسواد، وَخَصَّ شعر لانسان. وكأن فكرة الخلط حين اكتسبت هذه الخصوصية اتسعت في العربية فأفادت من الواو والياء، فانصرف «شاب يشوب» الى مطلق الخلط، وانصرف «شاب يشيب» الى الخلط الخاص بين اللونين في الشعر وهما البياض والسواد. وهذا معروف في العربية وله نظائر، ألا ترى أنَّ «البُؤن» هو المسافة وأنَّ «البن» هو البعد والفراق، وليس هذا وذاك بعيدا عن كلمة «بين» الظرف المكاني ثم الزماني. ومثل هذا «لَطِير» ودلالته معروفة، و«الطور» ودلالته على التقلب منصرفا الى مصدر أميت فعله هو «طار يطور».

#### 4 - أظافير

و«الأظافير» جماعة الأظفار.  
وقالوا: الطُّفَرُ وجمعه أظفار وأظفور<sup>(25)</sup> وأظافير.

(25) أقول: اد كان «الأظفور» نصب همزة يدل على الجمع مع أنه قد يدل على «الطُّفَر»

فهو في هذا لا يدخل في باب اسم الجمع، وهذا قيل

ومن المفيد أن أشير الى أن بقاء «أفعول» نصح همزة من أسماء الجمع وهو كثير في

ليمن، قال الاستد القاصي سماعيل بن عبي الاكوع في بحث له مفيد بشر في محدة

مجمع لعمدة لعربية ندمشو (مجلد 61 ح 2) في «الأفعول» وما جاء على «رته من أسماء

لأعلام والقائل وللدن في اليمن:

«وكان لساد اليمن الحسن بن احمد همداني المتوفى في حدود منتصف امثة لمرابعة

للهجرة هو أول من تنه الى هذا الامر فقد ورد في كتابه «الاكلیل» ما لفظه وكثير من

وهو الأظفور، وعلى هذا قولهم أظافير، لا على أنه جمع أظفر الذي هو جمع ظُفْر.

أقول: والذي درج عليه العربون في أيامنا أنهم يقولون في جمع ظُفْر «أظافر»، فلم يرد في كلامهم ولا في كتابتهم «أظفر» ولا «أظافير». وقد تكون «أظافير»، وهو جمع «ظُفْر» أو «أظفور» على قول جماعة، غير داخلة فيما أنا فيه، ذلك أنها جمع مفردة معروف، وكنت قدمت أن طائفة الجموع التي تكلمت عليها هي تلك التي اهتدى إليها العربون في ممارستهم اللغوية ولم يفكروا في المفرد لها ولم يرد في استعمالهم. ولكن اللغويين فكروا فيه فذكروه في صيغ عدة كما رأينا في «أبائيل» و«أساطير».

فائل خبر تأتي على «الافمول» (الأكيل) 449/2 وقال في مكان آخر من هذا الكتاب: «وإنما هذا اسم كأنه حُمَاحُ قيسه (الأكيل 1/124) وقد سار ابقاضي اسباعيل بن علي الاكوع على هذا السبع فاستوى في محله الذي اشرنا اليه ما جاء على «أفعول» من أسماء الاعلام والفائل والبلدان وأشار إلى أن هذا الورد موحود في الحشة، وقال «وغلظ ظني أنه انتقل اليها من امثرات الثعالبية في اليمن وأشار إلى ما ذكره: «ديتلف بيلس» في كتابه «التاريخ العربي القديم» ص 31

وأشار إلى قول الدكتور عبد المجيد عابدين في كتابه «بين الحشة والعرب» ص 103، 304 الذي ذهب فيه إلى أن هذا الورد حبشي ثم عرفه أهل اليمن

قال القاضي الاكوع «وبواب الدكتور عابدين اطلع على كتاب «الأكيل» و«صفة حرية العرب» لهماذي غير رأيه ثم قال: وقد تبين أن ما جاء من هذه الصيغة مفتوح الهمزة مثل فوبهم في الاحشاش «أخوش» (كتاب الاشتقاق لاس دريد 193) وفي العبد جمع عند «الأغبود» فهو صيغة جمع، وما جاء مصموم الهمزة مثل الأصوع والأظفور به في الأصنع والظفر، والأسروع واحد لا ساربع وهو الأعصار لوطه التي تخرج من شجر العبد، ولا سوم عصات برعها الاس فهو في لاعل صفة مفرد مثل الأمشوح والأملود وغيره ثم مضى القاضي الاكوع يذكر ما ورد على افعول مسح الهمزة من أسماء الجمع مربة على حروف المعجم وكنه كلمات ممة في الفائل والبلدان جاءت على بناء الجمع.

أقول. والذي ورد في لغوية من بناء الجمع هذا ثلاثة الفاظ ذكرها أهل اللغة وهي: «أفعول» للقطيع من البع، «أخوش» لحيل الحشر، و«أركوب» للجماعة من الركاب، وهي تصم الهمزة ولم يدكروا معها «أظفور» و«أظفور».

وسيقال إذن، لم ذكرت «الأظافير» وهي مخالفة لما اشترطت  
وذهبت إليه ؟

وأنا أرد على هذا القائل محترزا بما ذهب إليه أحد الدارسين  
لمجتهدين من المسلمين الهنود وهو المولوي السيد كرامت حسين  
الكتتوري في كتابه «فقه اللسان» الذي اشتمل على نواذر الالفاظ وما  
عرص لها في أبنيتها من الإبدال وزيد فيها حتى تحولت من الثلاثي الى  
الرباعي . وفي هذا الكتاب جاء ان «حذافير» أصلها «أظافير» وسيأتي  
هذا في حذافير.

والكتاب قد طبع وهو بخط اليد على طريقة «طبع الحجر» في  
مجلدين في الهند.

#### 5 - أظانين

و«الأظانين» على غير قياس، وهي جمع «ظن» مثل «الظنون»  
وهي من النواذر، وهذه قد يلجأ إليها الشاعر عند الضرورة والحاجة،  
أنشد ابن الأعرابي :

لأصبحن ظالمًا خربًا رباعية      فاقعدُ لها ودع عنك «الأظانين»  
وليس لك أن تعمل فيها النظر والقياس فنذهب الى انها جمع  
«أظنونة» أو نقول : إنها جمع اجمع .

#### 6 - بيونات

و«البيونات» جمع الجمع، ذلك أن «بيت» يجمع على «بيوت»  
وأبيات ثم «بيونات» على جمع الجمع . إن جمع الجمع مادة لغوية لا تعني  
ما يراد منها في اللفظ اي الجمع الكثير، بل إنها مادة لإفادة الخاص لا  
العام ان «البيونات» ذهبت الى عدة قليلة من «البيوت» المشهورة ولاسر  
نحو قوهم : «بيونات قريش» .

ومثل هذا قالوا : «رجالات» للجمع القليل من الزعماء والرؤوس  
كقولهم «رجالات العرب» . إن جمع الجمع في مصطلحه هذا أفاد

الخصوصية المتمثلة في القلة.

وقد استفيد من «جمع الجمع» في الشؤون الفنية فتحول الى مصطلحات فنية كما في مصطلح الصيرفة والمصارف في عصرنا ومنها: «الدفوعات» لمجموع ما يدفع في المصارف والبنوك. و«القبوضات» لمجموع ما تقبضه المصارف والبنوك من حرفائها. و«الحسومات» لمجموع ما يُحسَم من الفوائد المصرفية. ومن مصطلحات الصوفية «الفيوضات» و«الإشراقات» و«التجليات» وغيرها.

#### 7 - تعاشيب

و«التعاشيب»: ضروب من النبت، لا واحد له. والعشب: النبت المتفرق. أقول: هذا مما جرى في لغة الاقدمين، ولم يكن بهم حاجة إلى كلمة منه تكون مفردا.

#### 8 - تفاريق

و«التفاريق» في قول ابن الاعراب: انَّ العصا تُكسر فيتخذ منها ساجور، فاذا كُسِرَ الساجور اتخذت منه الأوتاد فاذا كسر الوتد اتخذت منه التوادي تُصَرُّ به الأخلاف. كل هذا من أجزاء العصا يطلق عليه «تفاريق العصا» وهو يعني ان «التفاريق» مفيدة لصاحبها جاء في الرجز:

أَشْهَدُ بِالْمَرْوَةِ يَوْمًا وَالصُّفَا      أَنْكَ خَيْرٌ مِنْ «تَفَارِيقِ الْعَصَا»

والرجز لغنية الأعرابية، وقيل لا امرأة قالت في ولدها، وكان سديد العرامة مع ضَعْفِ أَسْرٍ وَدِقَّةٍ. أقول: ولم نجد في نصوصهم ولا في المعجمات مفردا للتفاريق وأنت لو قلت «تفريق» بحسب القياس لم تفد منه الفوائد التي كانت للجمع «تفاريق» في سلوك الاقدمين كما يشير أدبهم.

## 9 - تلابيب

و«التلابيب» بصيغة الجمع في لغة المعاصرين، وأنت تقرأ في أدبهم: «وأمسك بتلابيبه»، ولو أنك سألت من يقول هذا لأفادك أن المراد بـ «التلابيب» هو أطراف الثوب.

وهذا هو دأب المعاصرين أنهم كثيرا ما يستعملون الكلمة فيعطونها شيئا من معناها أو ما يقرب منه فيحدث في دلالتها ما يمكن أن أدعوه «تطور إلى الخطأ».

أقول إن الكلمة في الأدب القديم مفرد لا جمع، ودونك ما جاء من ذلك: قالوا: وتَلَبَّ المرأة بمنطقتها هو أن تضع أحد طرفيها على منكبيها الأيسر وتخرج وسطها من تحت يدها اليمنى، فتغطي به صدرها، وترد الطرف الآخر على منكبيها الأيسر.

وقالوا أيضا: و«التلبيب» من الإنسان هو ما في موضع اللَّبِّ من ثيابه، وتَلَبَّ الرجل، تحزم وتشمر و«اللَّبُّ» كاللَّبَّة وهو وسط الصدر والمنخر. و«لَبَّ الرجل» جعل ثيابه في عنقه وصدره في الحصى ثم قضه وجرحه، وأخذ بتلبيبه كذلك.

أقول: بعد هذا التوسع نصل إلى ما جاء في التهذيب للازهري قال: يقال: أخذ فلان بتلبيب فلان. وفي الحديث: فأخذت بتلبيبه وجرحته.

ومن هنا يتبين أن الكلمة استعمل مفردا ولم ير المعربون القدماء حاجة في الجمع لانه لا يدخل في خصوصية الدلالة كما ورد في الشرح. ولكن المعاصرين لم يفهموا خصوصية الدلالة وصرفوا الكلمة «مجموعة» إلى المعنى الذي بسطناه فجمعوا ما لم يُعرَف له جمع لانتفاء الحاجة إليه.

## 10 - جراثيم

و«الجرثومة» أصل كل شيء، وقيل: ما اجتمع من التراب في أصول الشجر. واستعملت على التوسع فقالوا: فلان طابت أرومته وعزّت جرثومته.

ولم تكن بهم حاجة الى جمعه على جراثيم وإن كان هو القياس .  
وقال المولوي السيد كرامت حسين الكنتوري الهندي في كتابه  
الذي أشربا اليه وهو «فقه اللسان» : «جراثيم» أصلها «سراشيم» جمع  
«سرش» ، وهو عبراني بمعنى الأصل . وقريب منه «ضرس» في العربية ،  
جمعوا «سرش» على قاعدة العبرانية ، ثم أخذ العرب بإبدال السين جيما  
ولشين ثاء وجمع على الطريقة العبرية «اليا والميم» ، وحُسِبَ جمعا  
للجراثومة ، ولكونها على صيغة منتهى الجموع وضعوا لها مفردا .  
انتهى كلام السيد المولوي .

أقول : والذي في السريانية والآرامية هو «شرش» للجذر من  
النبات والشجر ، وما زالت العامية الشامية تعرف هذه الكلمة وكأن أهل  
لشام أدخلوها في عربيتهم الدارجة فجمعوها على «شروش» نظير  
«جذر وجذور» . وقد عرفت الفصحى المعاصرة في سورية ولبنان .  
أقول أيضا : وقد صرّف المعاصرون الجراثيم الى مصطلح علمي  
يفيد الأحياء الصغيرة والطفيلية التي تولد الأمراض والآفات ، وكأنها  
تعني ما يعنيه لفظ «مكروب» .

#### 11 - حذفير

و«حذفير» الشيء : أعاليه وتواحيه .  
قالوا : فاذا نحن بالحى قد جاؤوا «بحذفيرهم» أي جميعهم .  
أقول : وقالوا : المفرد «حذفور» أو «حذفار» .  
وقولهم : إن المفرد إما هذا وإما الآخر يومىء الى أنهم ولدوا هذا المفرد  
وليس له وجود في كلامهم ، ولم نقف فيما بين ايدينا من نصوص على  
«الحذفور» أو «الحذفار» ، فهو شيء م ولدوه من الجمع الذي فشا  
ستعماله في كلامهم وأدبهم .  
أقول أيضا : إن الحذفير تعني في استعمال المعاصرين الاشياء الصغيرة  
والدقيقة التي تدخل مع الاجزاء الكبيرة في شيء واحد .  
وكنت قد أشرت في «أظافير» الى رأي المولوي الكنتوري الذي

ذهب فيه الى أن «حذافير» أصلها «أظافير» بعد إبدال الحاء من الهمزة.  
أقول أيضا. وقد يرد «حذاريف» على القلب في كلام الناس وهي ليست  
من الكلم الفصيح وستأتي مع جمهرة من الكلم العامي الدارج.

## 12 - حزاquil

و«الحزاquil»: خشارة الناس، لا واحد لها

## 13 - خراطين

و«الخراطين» كما في لسان العرب (خرطن): ديدان طوال تكون  
في طين الانهار.

قال الازهري: لا أحسبها عربية محضة، وربما كان أصل الكلمة انهم  
رأوا ذلك الدود يدب في البقاع الرطبة، ووجدوا من خير مميزات انه يخزأ  
الطين، فكأنهم قالوا: دود خزأ الطين، ثم بكثرة الاستعمال صار دود  
«خراطين» وبعد كونه كلاما واقعا صفة لموصوف حُذف الموصوف وأقيم  
مقامه الوصف. ولمشابهة وزنه صيغة متتهى الجموع. حسبوه لفظا  
واحدا جمع. ولغرابة نشأة الكلمة، ولعدم الحاجة الى ذكر واحد معين  
من تلك الديدان ان ما وضعوا له مفردا.

أقول: وهذا يدخل في طائفة الجموع التي ارتجلت دون أن يكون لها  
مفرد.

قال المولوي السيد كرامت حسين الكتتوري في «فقه اللسان»: «خراطيم» مأخوذ من «خراطين» لمشابهة خراطيم الفيلة المتحركة  
بـ «الخراطين» وحسبوه جمعا لوجود الوزن. ولشدة الضرورة الى استعماله  
مفردا وهو (خرطوم) ثم لكون الخرطوم أنفا مقدما للفيل أطلقوه على  
السيد الشريف المقدم على القوم، وعلى الخمر السريعة الاسكار، وأول  
ما يجري من العنب قبل ان يداس.

أقول. ومنه صاروا الى الفعل «اخرنطم» وما اكتسب من دلالة تومئ  
الى خرطوم الفيل.



#### 14 - خلّابيس

و«خلّابيس»: الابل تروى فتذهب ذهابا شديدا فتعني راعيها،  
يقال: أكفك الإبل و«خلّابيسها».  
وقالوا: «الخلّابيس» بمعنى الكذب، والواحد «خلّابيس»، وقيل: لا  
واحد لها. أقول: ويتجه الظن الى افتعال «خلّابيس».

#### 15 - خنّاطيل

و«الخنّاطيل» صفة لـ «إبل»، قالوا إبل خنّاطيل أي متفرقة،  
وكأنهم ولدوا منه «خنطولة» مفردا ولكنها من صنع القياس على النظائر.  
أقول: لقد قالوا في أحاديث انها جمع أحدوثة ولكننا نجد الشائع الكثير  
أنها جمع حديث، ومنه «الحديث الشريف» الذي جمع على أحاديث.  
وكان الأحدوثة على صلتها بالجمع بقيت معزولة في استعمالها الخاص  
وهي من غير شك صُنعت قياسا على نظائرها.  
أقول: لم نقف على خنطولة في أدب الإبل، ولكن الخنّاطيل معروفة  
لدلالاتها على صفة في الابل هي التفرق.

#### 16 - سهادير

و«السهادير» هو الشيء الذي يتراءى للانسان من الشراب عند  
السكر وهو ضعف البصر، ومنه «اسمدر بصره» أي ضعف.  
قال أدبي شير في «الألفاظ الفارسية المعربة»<sup>(26)</sup>: انه تعريب «شهادير».  
أقول: ولما كانت الكلمة على صيغة الجمع حسبوها جمعا وهي في الأصل  
مفرد، وقد روعي للفظ فيها وسنجد شيء من هذا.

(26) الألفاظ الفارسية المعربة ط الجامعة الأمريكية بيروت سنة 1908 م

17 - شعاريير: (27)

انظر «شعاليل»

18 - شعاليل

و«الشعاليل» في قولهم: ذهب القوم «شعاليل» مثل شعاريير. وقالوا: لا واحد لها (28). أقول: وقد جاء «شُعْلُول» للفرقة من الناس، ولم يشيروا إلى أنه مفرد شعاليل.

19 - شماطييط

و«الشماطييط» في قولهم: جاءت الخيل «شماطييط» و«شماليل» أي متفرقة، وقالوا: لا واحد لها مثل أبابيل وعبايد. وقيل: شمطاط وشمطوط، وهذا من الكلم المصنوع وما أكثره.

20 - ضغابيس

و«الضغابيس» للقاء الصغار وقيل: أصول الثام. أقول: وليس «الضغبوس» مفردا لها، ذلك أن هذا ينصرف إلى الأغصان التي تشبه «العرجون». وقالوا: الضغبوس هو الضعيف.

21 - طحاريير طخاريير:

وكأنهما على الإبدال وهما بمعنى لقطع السحاب المتفرقة. وقالوا واحده طحرورة أقول: لم أقف على هذا لواحد فيما يتصل بالسحاب والمطر.

(27) قالوا فيها ابصا امها جمع «شعروور» وهذه بئر لكلمة شعر

(28) انظر نابيل

## 22 - عبايد

و«العبايد» هي الآكام، وهي الاشياء المتفرقة والبعيدة<sup>(29)</sup> وقالوا لا واحد لها.

## 23 - فراديس

من الكلم الذي جاءنا على صيغة الجمع «فعاليل» وهو من «المعرب» الدخيل، والأصل براديس «من الالفاظ» الفارسية. وقد حسبته العرب جمعا على التوهم، فأعملوا فيه نظره فصنعوا المفرد فقالوا «فردوس».

## 24 - قلاقل

و«القلاقل» جمع لما يُتَوَهَّم مفردة وهو «قلقلة» وليس هو في الاستعمال وقد ورد في البيت المعروف لابي الطيب:

وَقَلِّفْتُ بِالْهَمِّ الَّذِي قَلَّقَ الْحَشَا      قَلَاقِلَ هَمِّ كُلِّهِنَّ قَلَاقِلُ

والبيت من سقطات الشاعر كما في كتب البلاغة.

25 - وجاء في التكملة 81/1 أن أهل اليمن يسمون الطبل «الجبابج» ولا مفرد له.

---

(29) انظر المايل

## خاتمة

هذا ما بدا لي أن أثبتته مما وقفت عليه ، وهو أيضا مما يجتزأ به وغيره معروف في العربية وسأخلق هذا الموجز بما يجري مجراه في لغة عامة العراقيين مما أرتجل من جمع ليس له مفرد<sup>(30)</sup>.

إبراهيم السامرائي  
جامعة صنعاء

---

(30) وسأدرج في هذا الهامش ما هو معروف في عمية هل العراق كما يرتجل حمدا وليس له مفرد ودونك هذه المجموعة :

- 1 - حناريف - لفصلات الصعيرة من الحنر وغيره وهي تسمى ان « الحروف » ، و« حروف » الحنر معروف
  - 2 - حناريف - اللفق الدارح بلحداهر
  - 3 - حرافيش - كلمة للسر ، يقال « الحرافيش » بمعنى الاشقياء
  - 4 - حصيص - كلمة تعني الاصطراب والعوصى
  - 5 - حرافيش - لكناية الرديئة والخط الرديء
  - 6 - دعائير - الاشياء المهمة من متاع ليت وسحوه
  - 7 - حناريج - للاشياء على هيئة كرات صغيرة
  - 8 - شحايظ - للخطوط أو الكلمات غير ذات معنى
  - 9 - شاشيل - للغرفة المظلة على الشارع واحبتها أبواب من الخشب ، والكلمة فارسية
  - 10 - صلايح - للخصى الكبار واحدها صلوح
  - 11 - طحاميع - لقطع لعديطة الكبيرة من الخشب أو الحجر أو نحو ذلك
  - 12 - ماميد - للقطع الكبيرة من اللحم وسحوه .
- فأني ان أذكر « حلافيط » لفصلات اللحم ولعن في هذه لمادة كلمات أخرى تستترك على هذا الموح

## قضية الفصاحة في القاموس العربي التاريخي

د . عبد العلي الودغيري  
كلية الآداب - الرباط

(1)

البحث في قضية «الفصاحة» في القاموس<sup>(1)</sup> العربي التاريخي ،

---

(1) - استعملت في هذا البحث - كما في بحث سابقة - مصطلحي (قاموس) و(معجم) بمعنىين مختلفين، شعورا فني بضرورة التمييز بين مفهومين أصبح يحصل بينهما في دراسات المعجمة لمعاصره أمر واضح تمام والمفهوم الأول يراد به كل كتاب أو تأليف له هدف تربوي وثقافي ، ويجمع بين دفتيه قائمة تصول أو يقصر من لوحدات المعجمية (المدخل) التي تحقق وجودها بالفعل في لسان من اللسان، ويخصها لترتيب وشرح معين وهذا المفهوم هو الذي يناسب ان يطلق عليه مصطلح (قاموس) في مقابل اللفظ الاجنبي (Dictionnaire) وأما المفهوم الثاني فيعني ما هو أشمل وأعمق، وهو لمجموع المفردات (أي الموجود بالقوة لا بالفعل) واللا محدود من الوحدات الجمعية التي تمتلكها جماعة لغوية معينة بكامل امرددها، أو يمكن ان تمتلكها حتملا، بفعل القدرة لتوليدية هائلة لعبة وهذا ما يناسب ان يطلق عليه لفظ (معجم) في مقابل معنى من المعاي الاصطلاحية الحديثة لكلمة (Lex que) الاعجمية وعلى هذا يمكن ان نقول في التمييز بين المفهومين والاصطلاحين ما قاله (لوي غيلير) وهو أن القاموس يسس سوى «عمليه تصغير للمعجم لمورع على أدمعة كل افراد الجماعة» وفي العدد الكبير من الحمل التي تنال بالفعل بداعية

هو في الواقع بحث في صميم مدونة هذا القاموس ومادته اللغوية، وفي كيفية تحديد مصادر هذه المادة ومنابع جمعها واستقائها، ورسم إطارها الزماني والمكاني، وحجمها ومستويات استخدامها.

ومعرفة طبيعة المادة اللغوية لهذا القاموس مسألة أساسية جداً وضرورية جداً، ولكنها متوقفة على معرفة المنهج الذي سوف يتبع في تأليفه، والتصور الذي يضعه له أصحابه بحسب الأهداف والغايات المتوخاة منه. وبصفة محددة ودقيقة، لا بد لمعرفة طبيعة المادة اللغوية التي سيحتويها هذا القاموس أن نعلم أولاً: هل من أهدافه أن يكون شاملاً يؤرخ لسائر الألفاظ العربية، وكل استعمالاتها ومستويات استخدامها،

= النظام اللغوي» وبعباره أخرى ان الفرق بين (القاموس) و(المعجم) كالفرق بين الاحار والقدرة (أو الكفاءة) في اللسانيات التوليدية ثم ان البحث في القاموس بحث يعنى عليه الطابع التصيقي والعملي لانه يندرج عادة تحت علم (صناعة لقوميس) (Lexicographie) بينما يعنى الطابع النظري على البحث في (المعجم)، لانه يندرج تحت فرع آخر من الدراسات المعجمية وهو فرع (علم المصردات) أو (المعجمية) (Lexicologie). وقد أصبح ليوم من صلب اهتمام الفرضية المعجمية (L'hypothèse Lexicaliste)

(انظر حول ما سبق المعجم ج. مرسيليري. تعريب عبد العلي البوعيري - La créativité lexicale par L. Guilbert 46)

وتجدر الإشارة في الأخير الى ان الدكتور ابراهيم السمراني في بحث له منشور بمجلة «البحوث والدراسات العربية» بعنوان: (مع المعجمات اللغوية القديمة ومسألة التصحيح اللغوي) يعنى على صفوة اللغويين والباحثين في العربية استعمالهم لكلمة (قاموس) بمعنى الكذب الذي يشتمل على قائمة الالفاظ المرتبة والمشروحة، ويقول ان لصواب هو استعمال (معجم) لان (القاموس) في اللغة هو وسط البحر، وهم عم على كتاب الفيروزبادي ولا يجوز طلاقة على اي كتاب لعوي. وكان الاستناد السمراني لا يعلم ان هذا الاستعمال الذي أكرهه قد أقره المحقق العلمي بالقاهرة وأنته في (المعجم الموسيقي)، كما أنته قواميس أخرى من (المعجم لعوي الاساسي) و(المعجم في اللغة والادب والعلوم) وغيرها. وقد تطورت كلمة (قاموس) في دلالتها على مراحل ثلاث، فاستعملت أولاً بمعنى وسط البحر أو معطمة، ثم اصححت علماً على كتاب الفيروزبادي، واصححت تعي أخيراً كل كتاب لعوي يحتوي على طائفة من الكميات المرتبة والمشروحة ومن أجل كل ما سبق، أقترح تسمية الكتاب الذي يراد تأليفه من أجل التأريخ لالفاظ اللغة العربية - (لقاموس عربي التاريخي) وليس (المعجم العربي التاريخي)

بعض لنظر عن كونها فصيحة (أي من اللغة المشتركة) أو غير فصيحة (أي من العاميات والبهجات)، أم سيكون اهدف هو الاقتصار على مستوى العربية الفصحى (المشتركة) دون غيرها من اللهجات والعاميات والاستعمالات المحلية التي لم يشترك فيها كل العرب؟  
وأن نعلم ثانيا. هل سيؤرخ للعربية في كل أطوار حياتها: قديمها وحديثها. أم سيقصر على القديم وحده كما فعل (أ. فيشر) في قاموسه؟

ولنفترض الآن أن الاختيار وقع على حصر اهدف المتوخى في كتابة تاريخ العربية الفصحى (أو المشتركة) دون اللهجات والعاميات لأسباب يمكن إجمالها في:

- 1 - أن العربية الفصحى (أي المشتركة) هي اللغة التي كانت وما تزال وستظل تقوم بدور التواصل والتفاهم الكاملين بين سائر أبناء العروبة والاسلام، وهي لى ذلك عنصر توحيد ديني وثقافي وقومي. وأما اللهجات والاستعمالات المحلية فلم تستطع ولا تستطيع في يوم من الايام ان تقوم بهذا الدور، بل هي عامل تجزئة وتفرقة أكثر منها عامل توحيد، وعامل انقطاع وتباعد أكثر منها عامل تقارب وتفاهم وتواصل.
- 2 - قلة المعلومات التي تصلح لوصف اللهجات العربية في عصورها الماضية وكتابة تاريخها بشكل علمي. فالعرب اشتغلوا بالتأليف في الفصحى، ووجهوا عنايتهم للاهتمام بها والمحافظة عليها، وأهملوا اللهجات لأسباب كثيرة، ولم يتحدثوا عنها الا عرضا وفي شكل استطرادات خلال كتاباتهم الفصيحة. والنزر القليل من المعلومات التي نتوفر عليها، من الصعب جمعه في زمن يسير، لانه موزع على طائفة كبيرة جدا من المظان، دفين بين طياتها، وليس كل هذه المظان مطبوعا ولا ميسورا لطالبه<sup>(2)</sup>.

(2) من أنواع المصادر والمطرد التي تساعد على التأريخ للهجات العربية القديمة والمتأخرة  
مذكر  
- كتب الفراء ت القرآنية.

3 - تعدد هذه اللهجات في القديم والحديث، وسرعة تكاثرها وتوالدها. فداخل الجزيرة العربية المحدودة المساحة كانت هناك لهجات تعددت بتعدد القبائل. ولما جاء الاسلام وخرج العرب من الجزيرة وانتشروا في سائر انحاء المعمورة، انتقل معهم هذا التعدد وازداد مع توالي القرون تفاحشا وتفاقما، وأصبحنا نجد داخل الاقليم الواحد من أقاليم البلاد العربية وأقطارها عددا كبيرا من اللهجات التي تحتاج كل واحدة منها الى تاريخ خاص.

فإذ مال بنا التفكير اليوم الى وضع قاموس يجمع في وقت واحد بين التأريخ للمصحى والتأريخ للهجات العاميات، وجب استحضار كل هذه الصعوبات والعراقيل التي يمكن ان تثبط العزائم، وقد تصرف

- = كتب لحن العامة و تصويت الدعوي وتفصيح لعمي
- اقواميس لعربية شاملة وخاصة (لسان العرب) و(شمس العلوم).
- قواميس المفردات لامية والسانية كحفرداد ابن البيطار، وكتاب (صياء سراس في حل مفردات الاسطكي بنحو اهل مصر) للعلمي
- كتب الرحلات ومذكرات لاسفار
- كتب الجغرافيا ووصف الاقاليم ككتاب أحسن التقاسيم
- كتب لتاريخ وأحسن مثال عليها كتاب (عجائب الآثار لبحرقي)
- كتب الطبخ ووصف لأطعمته ككتاب (مناخة الخوان في طبخ الطعام لاس درين تحييي الاندلسي
- كتب الملاحة، ككتاب الملاحة لابي اخبر لاندلسي
- الحكايات والقصص الشعبية ككتاب ليلة وليلة
- كتب وجميع شعر الشعبي والأرسل كديوان اس هزبان وملحة الكهف الرهوي
- كتب وجميع لامتنا الشعبية، كأمثال لرحلي
- كتب لبرار والاحكام، لفهية (مثل المعيار لوسريسي)
- اوثاق الدرماسية ورسائل والعقود لمجموعة في نويس المعاملات (مع شراء روح شركة الحج)
- مستدركات التي وضعها مستشرقون على القواميس العربية القديمة، ككلمة دوري
- بعض القواميس الحديثة كقاموس لارودي الكلا في وصف شحة أهل عرطه
- واما اللهجات المعاصرة فقد وضعت في وصفها دراسات وقواميس كثيرة، ولكن مع ذلك لم تسطع الا حاطة سائر اللهجات ولا تعد كافيه لوضع لتأريخ لمطلوب



النظر عن المشروع - الذي نجتمع من أجله - نهائيا او تؤجله الى أجل غير مسمى .

على أنه بالامكان ان نفصل بين الامرين ، فنضع مشروعين اثنين : أحدهما لتأريخ العربية الفصحى (أي المشتركة) وثانيهما لتأريخ اللهجات العاميات ، وتكون الاسبقية في هذه المرحلة الاولى لانجاز المشروع الاول ، وأما الثاني فيؤجل الى حين استكمال المعلومات والتوفر على الوسائل والوثائق الكافية ، هذا مع العلم أن اللهجات العاميات في حد ذاتها يمكن ان تكون لها توارىخ متعددة لا تأريخ واحد . فكل لهجة على حدة تستحق ان تكون موضوع تأريخ خاص ومستقل - كما سبق - كما أنه بالامكان ان تخصص اللهجات القديمة وحدها بتأريخ ، وكذلك وعلى غرارها اللهجات الحديثة .

ثم إن التفكير في الاقتصار - ولو مرحليا - على التأريخ للعربية الفصحى المشتركة ، لا يعني التفكير في الاستغناء عن دراسة اللهجات والرجوع الى النصوص والوثائق الخاصة بها ، بل على العكس من ذلك سوف تقدم لنا دراسة اللهجات بالطريقة العلمية المطلوبة والموضوعية فائدة في التأريخ للالفاظ الفصحى لا يمكن تجاهلها او الاستهانة بها ، ولا سيما اذا عرفنا حقيقة أساسية وهي أن أغلب الالفاظ والاستعمالات لفصحى كانت ، قبل أن تفصح وتصبح لغة مشتركة ، عبارة عن لهجة محلية أو استعمال خاص ، ومعنى ذلك ان الذي يريد أن يؤرخ للالفاظ العربية الفصحى سيكون مضطرا الى إرجاع أغلبها الى أصولها اللهجية واستعمالاتها الخاصة . ثم ان هناك ألفاظا عربية كثيرة عرفت خلال تاريخ تطورها حركة من المد والجرر ، فانتقلت من الاستعمال المحلي واللهجي الى الاستعمال الفصيح لمشارك ، ثم ما لبثت ان عادت بها دورة الحياة الى نقطة البداية وهي الاستعمال اللهجي ، وربما أدت بها الى الانكماش والتقلص شيئا فشيئا حتى وصلت الى نقطة الموت والاهمال التام . فيكون المؤرخ اللغوي مضطرا في مثل هذه احالة إلى تتبع مراحل الكلمة الثلاث : النشأة ، والتوسع ، والتقلص ، اي مضطرا

بالإضافة الى البحث عن اللهجة العربية القديمة التي انطلقت منها الكلمة قبل ان تفصح . لأن يتتبع حركة تطورها حتى يعرف اللهجة الحديثة التي استقرت فيها في مرحلة التقلص والانكماش ، أو حتى يعثر على المقبرة التي دفنت فيها الكلمة بصفة نهائية ، وهذا كله يعني شيئا واحدا وهو أن دراسة الوثائق والنصوص الخاصة باللهجات العربية مفيدة جدا في التأريخ للفصحى .

## (2)

فاذا أصبح هذا الافتراض الآن مقبولا ، وهو أن الهدف قد تحدد في الاقتصار على التأريخ للفصحى ، وجب بعد ذلك أن نعلم ما هو المفهوم الذي نريد أن نعطيه لكلمة (فصحى) ونحن نضع تصورنا لهذا القاموس؟ وتحديد هذا المفهوم ضروري لأنه يتوقف عليه تحديد نوع المادة اللغوية التي سوف يشتمل عليها قاموسنا التاريخي .

وفي نظرة إجمالية مختصرة يتبين للدارس ان هناك مفهومين للفصحى لا بد من اتخاذ موقف واضح إزاءهما ومعرفة أيهما يلزم الأخذ به والاعتماد عليه . وأولهما قديم والثاني حديث .

أما المفهوم القديم ، فنقصد به مفهوم (الفصحى) أو (الفصاحة) عند المعجميين والقاموسيين وحدهم ، لا عند سواهم من اصحاب لبلاغة والنحو الذين هم بدورهم قد استخدموا هذا المصطلح ، ولكن بمعايير قد تختلف كثيرا أو قليلا عن معايير وشروط المعجميين والقاموسيين .

فاذا كان البلاغيون مثلا لا يعتبرون من الكلام فصيحاً إلا ما تحققت فيه عناصر فنية وجمالية معينة ، فأصبح بذلك يمثل مستوى استخداميا عاليا ينحصر وجوده - أو يكاد - في استعمالات كبار الشعراء والادباء والكتاب ، فإن المعجميين ومؤلفي القواميس على الخصوص لم يتقيدوا بهذا الشرط ، إذ الفصحى عندهم لا تعدو ان تكون هي اللغة التي استعملها أصحابها الاصليون (أي العرب الأقحاح) الذين لم يتأثر

لسانهم بعجمة ولم ينحرف عن أصله بسبب الاختلاط بلغات اجنبية، سواء كانت أدبية ثقافية رفيعة المستوى كلغة الشعر والخطب، أم كانت عادية محكية دارجة على الشفاه في التخاطب اليومي كلغة الأعراب التي أخذت عنهم مباشرة. ومن أجل التأكد من صحة انتهاء اللفظ أو الاستعمال الى العروبة الحق، وسلامتها من الانحراف والهجنة اشترطوا شروطا سنعود اليها بعد قليل.

فللبلاغة إذن الحق في الاعتراض على كلمة (مستشزرات) الواردة في قول امرئ القيس:

✽ غداثره مستشزرات الى العلا ✽

بسبب ثقلها على الاذن وعدم الانسجام في تأليفها الصوتي، وأما القاموسيون فلا يعترضون، لان عندهم ان كل كلمة في شعر امرئ القيس وغيره من شعراء الجاهلية فصيحة ولو كانت ثقيلة على السماع. وللبلاغيين ألا يعتبروا عيسى بن عمر النحوي فصيحاً حين قال: «ما لكم تكأكم علي» لانه استعمل كلمة غريبة حوشية يحتاج الى التنقيح عنها في كتب اللغة<sup>(3)</sup>. ولكن صانعي القواميس القدامى لم ينظروا الى الحوشي تلك النظرة المريبة، فقواميسنا القديمة ملأى بالغريب وبالحوشي.

وبالمقابل، فإن أصحاب الصناعة القاموسية القدامى، قد حصروا إطار الفصاحة في حدود زمانية ومكانية معينة كما سرى، ولم يتقيد بذلك البلاغيون، لانهم أجازوا الاستشهاد بنصوص متأخرة عن عصور الاحتجاج حين توفرت فيها العناصر الفنية والأسلوبية التي يتطلبونها.

وللنحاة كذلك مقاييس في الفصاحة، لم يكن صانعو القواميس العربية ليحترموها جميعها، من ذلك مثلاً، شرط الاطراد في القياس. فإذا كان النحوي لا يستطيع ان يبني قواعده على الحالات الشاذة، فإن

(3) المرمر. 186/7

الأصل في القاموس - كما يقول بحق بعض اللسانيين المعاصرين<sup>(4)</sup> - أن يكون ذيلًا للنحو وملحقًا به، لأنه من المفروض أن يشتمل على كل الشواذ التي لا تنظمها قاعدة<sup>(5)</sup>. وقدما اعترض ابن دستوريه على الذين اعتبروا الأطراد في القياس معيارًا من معايير الفصاحة في الألفاظ فقال: «وقد تلهج العرب الفصحاء بالكلمة الشاذة عن القياس، البعيدة عن الصواب، حتى يتكلموا بغيرها، ويدعوا المنقاس المطرد المختار»<sup>(6)</sup>. وكذلك كان موقف ابن الطيب الفاسي الشركي (أو الشرقي) الذي هاجم ثعلبًا وسواه ممن اعتبروا الشذوذ غلًا بالفصاحة وقال: «والشذوذ لا ينافي الكثرة كما لا ينافي الفصاحة»<sup>(7)</sup>، وقال أيضًا: «قد يكون الشاذ أفصح من المقيس وأكثر استعمالًا في الكلام كما يعلم بالوقوف على متون التصريف وأصول اللغة»<sup>(8)</sup>.

لقد كان مفهوم الفصاحة عند المعجميين والقاموسيين إذن يقوم أساسًا على ثلاثة معايير أو شروط<sup>(9)</sup> هي:

Simone De lasal e et Mane – Noël. Le Lexique entre la lexicologie et (4) **الطرق**  
l'hypothèse lexicale – n. langue française N°80 p.29

(5) والثالث على ذلك أن التأنيث في العربية العصحى وفي لغات أخرى كثيرة لا تضبطه قاعدة مطردة، ندسك تطل خارج القواعد كلمات كثيرة لا يمكن معرفة تأنيثها وتذكيرها إلا بالرجوع لقواميس اللغة، وهذا ما جعل كتاب ابن الأسيدي في (المذكر والمؤنث) يتحول من كتاب لقواعد التذكير والتأنيث إلى قاموس يشتمل على قائمة طويلة جد من الألفاظ التي لا يعرف جنسها لا بالسمع، فكان هذا القاموس لصغير من الألفاظ بمثابة ذيل على قواعد النحو.

(6) تصحيح النصيح 109/1 وما بعده

(7) انظر قصايا المعجم العربي في كتابات من الطيب الشرقي ص 77  
(8) نفسه.

(9) لم يذكر ضمن هذه الشروط (شرط كثرة الاستعمال)، لأنه تنبأ أن صانعي القواميس والمصححين القدامى بصيغة عامة لم يتفقدوا به في كثير من الأحوال بدليل ما سبق قوله وهو أن قواميساً لقديمة ملأى بالغريب والنادر واخوشي، وبدليل أنص أن عملية تسميط (normalisation) المصححي التي تمت عن طريق تأليف القاموسي لم تقتصر على اللغة الأدبية المشتركة وهي التي نظم بها الشعر جاهلي وبربها العرب، وإنما امتدت لتشمل كل لفظ استعمله أعرابي من أعراب القبائل المعدودة في مواطن المصاحبة حتى ولو لم يكن ذلك اللفظ مستعملاً عند قبائل أخرى، وهذا أحد أسباب وجود ظاهرة كثرة الترادف

1 - شرط المكان : وهو الذي تقرر بمقتضاه أن تكون العربية المراد الحكم لها بالفصاحة خالية من كل شوائب العجمة والتحريف، بعيدة عن كل عوامل التأثير بالدخيل، ولذلك تم اتخاذ كل الاحتياطات المشددة في اختيار بيئة هذه الفصحى وتقليص حدودها الجغرافية في أطلس لغوي لا تتسع مساحته لغير القبائل العربية الواقعة في وسط الجزيرة دون بقية أطرافها التي كانت على صلة بأمم أخرى أجنبية، وفي بواديها دون حواضرها ومدنها التي كانت تعج أيضاً بحركة الوافدين عليها من خارج الجزيرة أو من أطرافها بقصد التجارة أو غير ذلك<sup>(10)</sup>.

= والنسب والاشتراك والصيغ المعدة للجمع والمصادر الح فعلية التمييز هي التي رفعت كثيراً من الالفاظ والاستعمالات من مستوى الاستعمال المحلي واليهجي إلى مستوى الفصحى واللغة المشتركة. ومثل هذا حدث أيضاً لكل اللغات التي تم سبيلها عن طريق تحويل لغة معينة إلى لغة مشتركة وتعميم استعمالها على سائر أنحاء البلاد، كاللغة القيسية واللغة الشيعية. انج  
ثم ان تطبيق مبدأ كثرة الاستعمال كان يتطلب القيام باستعراض تارة لغة الموصوفة وهو ما لم يتم بشكل دقيق في عصر الجمع والتدوين، لأن كل لغوي كان يحكم بمقتضى علمه الخاص، ولذلك كثيراً ما كان يحدث أن يختلف اللغويون في الحكم على درجة شيوخ بفظ من الالفاظ. أصف إلى مسبق أن تصيق هذا المبدأ قد يتعارض أحياناً مع مبادئ ومقاييس أخرى كالقول بأن ما ورد في القرآن أو في لغة الحجاز فصيح ولو لم يكثر استعماله. (انظر ص 59 وما بعده من كتاب قصص المعجم العربي) ولعمد من أجل ذلك كله كان بعض القدامى لا يسمون بضرورة اعتبار (كثرة الاستعمال) صفة معيار الفصاحة، ومهم أن درستويه الذي قال في الرد على ثعلب: «وليس الفصاحة في كثرة الاستعمال وإنما الفصحى ما انفص عن المعنى، واستقام لفظه لا ما كثر استعماله» تصحيح الفصحى 109/1 وما بعده، ونسعه أن لفظ لشرقي لغامي في (موطئة الفصحى) وأيد كلامه عدة شواهد (انظر قصص المعجم العربي في كتابات أن الطيب الشرفي - لقسم الأول)

(10) هناك نصوص حددت مواضع لفصاحة عبد العرب أورد عدداً منها صاحب الزهر في الجزء الأول وغيره، وأشهرها نص الفارسي (انظر كتاب الحروف 147 - والمهر 211/1 - 212) لسي بقصر «فصاحة على ست قائل يعين» واد كتب هذه النصوص تختلف فيما بينها في بعض خروئت كتسميه وتعيين القائل الفصحى التي وقع لاحتد عنها وتحديد عدده وتربيه من حيث درجة الفصاحة، كما أشد لذلك مذكور رشاد الحمروني (العربية والحدائق ص 16 - 17) فهي لا تختلف لفظ كون حرية

وفي الحقيقة إن هذا الشرط لا يكاد ينطبق الا على اللغة المحكية التي جمعوها من أفواه مستعمليها مباشرة، وأما اللغة الادبية المكتوبة، ولغة الشعر بالخصوص، فلم يراعوا في شأنها هذا الشرط، لانهم استشهدوا بلغة شعراء عاشوا في كربات الخواضر الجاهلية والاسلامية، وخالطوا أمما غير العرب، كالنابغة وامرئ القيس، وحسان، وعمر بن أبي ربيعة، وجري، والفرزدق، والاختل، وغيرهم . . .

2 - شرط الزمان : وهو الشرط الثاني أو الأقدمية، تم بمقتضاه تحديد إطار الفصاحة زمنيا في العصور الاولى للغة العربية، فأوقفوا من أجل ذلك الاحتجاج باللغة الادبية، وخاصة لغة الشعر، في حدود منتصف القرن الثاني الهجري، وباللغة الشفوية المنقولة عن أعراب البادية مباشرة في حدود القرن الثالث الى الرابع الهجري . وكل استعمال جاء خارج إطار الاقدمية هذا عدّ مولدا أو محدثا ولم يلتفت اليه الا في المجال البلاغي والأسلوبي.

3 - شرط الصحة : وهو الشرط الثالث، يقتضي بأن لا يحكم بالفصاحة للفظ أو استعمال الا إذا ثبتت نسبته الى عربي فصيح سواء بالمشافهة او الرواية الصحيحة . والعربي الفصيح - في هذا المجال - هو الذي نشأ في بيئة وزمن بعيدين عن العجمة والاختلاط كما حدد من قبل . وما شك في نسبته للعرب الاقحاح أصحاب اللغة الأصليين الذين ظلوا محتفظين بسليقتهم دون فساد أو تحريف، ا طرح جانبا ولم يفصح . وقد وردت في القواميس القديمة ألفاظ كثيرة مقرونة بعبارات التحفظ والاحتياط ان لم نقل الطعن والتجريح، كمثّل قولهم : (وفي لغة) و(في لغة) و(لم يثبت) و(لم يصح) و(لست منه على ثقة) و(فيه

---

= العربية هي مهد الفصاحة وموطنها، و ان الرواة تحروا الاحد عن القائل لبعيدة عن التأثير والاختلاط بالاحبي ما أمكن لهم التحري، ولذلك اختاروا لرواية عن الاعراب لصاريين في البداوة الفاطنين في بيئة اعتقدوا انها معلقة وهي وسط الجزيرة لا أطرافها المحاذية للامم

نظر)... الخ . وكثيرا ما عابوا كتاب ابن دريد الذي سماه (الجمهرة) بسبب توسعه في السماع دون تثبيت واحتياط، وطارت شهرة كتاب الجوهرى الذي سماه (تاج اللغة وصحاح العربية) وفضله كثير من الناس على غيره لتقيده بشرط الصحة . وكان ابن الطيب الشرقي الفاسي يقول: «وليس المدار على كثرة الجمع بل على شرط الصحة الذي فاق به الصحاح جميع من تقدمه أو تأخر عنه...»<sup>(11)</sup>.

والذي نريد ان نستنتجه من كل ما سبق، هو ان مفهوم الفصاحة هذا شروطه المذكورة، قد استخدم عند القدماء بمثابة سيف ذي حدين:

أ - فقد استخدم بالنسبة للغة العربية القديمة معيارا للانتقاء والاصطفاء، وليس وسيلة من وسائل الاحاطة والشمول . فالاحتكام إليه هو الذي أدى الى تحديد طبيعة المادة اللغوية التي جمعوها وألفوا منها القواميس، وحصرها في بيئة وزمان معينين، وما خرج عن ذلك ردوه ولم يعتروه داخلا في (لغة العرب) المحكوم لها بالوثوقية والتفصيح . وكانت النتيجة أن ظلت خارج القواميس المؤلفات قديما لغات سائر القبائل التي لم تشملها حدود وسط الجزيرة، كما خرجت من تلك الدائرة لغات كل الحواضر والمدن القديم منها والحديث.

ب - واستخدم من جهة اخرى، حاجزا منيعا وقف في وجه اللغة الحادثة التي طرأت بعد عصر التدوين والاحتجاج، وحال بين القواميس القديمة وبين متابعة التطور الذي عاشته العربية خلال عصور طويلة على أيدي الشعراء والكتاب والفلاسفة وأصناف العلماء على اختلاف تخصصاتهم . فأصبحت تلك القواميس تصد عن كل لفظ أو استعمال لم يخضع لشروط الفصاحة القديمة، بدعوى أنه مولد أو محدث أو أعجمي دخيل، أو مجازي، أو اصطلاحى . وبذلك لم تسمح

(11) نظر (قضايا المعجم العربي في كتابات ابن الطيب الشرقي) ص 129

لنفسها بالتجاوب مع الحركة الثقافية والعلمية والطفرة الحضارية التي كان لها انعكاس واضح على اللغة خارج القواميس الشاملة. بل لقد أقفلت قواميسنا أبوابها ونفضت يدها من عملية الجمع والتدوين في مرحلة سابقة للعصور التي نضجت فيها ثمرات الحضارة العربية ووصلت قمة أمجادها. وتعهدت أن تبتعد عن مواطن هذا الازدهار وعواصمه الكبرى كالبصرة والكوفة والمدينة ودمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة والقيروان، مكتفية برصيداها القديم ويزادها الذي ورثته من الأعراب والأوائل لا تريد أن تنميه أو تضيف إليه.

إن المرء لا يقول هذا بغاية التنقيص من قيمة الأعمال الجليلة التي خلفها لنا أسلافنا القدامى في مجال الدرس المعجمي والتأليف القاموسي، ولا بقصد الطعن في مباحثهم التي اضطروا إليها اضطرارا بحكم الأهداف الدينية والثقافية والحضارية والقومية التي انطلقوا منها، ولكن نقوله من أجل تقرير واقع حاصل لا سبيل إلى إنكاره، ولا فائدة في معاندته مادام الهدف عندنا هو البناء وليس الهدم، وهذا الواقع هو أن هناك قدرا هائلا لا يستهان به من الألفاظ والاستعمالات التي عرفتھا اللغة العربية عبر تاريخها الطويل، طل خارج القواميس الكبرى التي وصلت إلينا، وأن هذه القواميس القديمة قد توقفت حقبة طويلة عن ملاحقة ما يستجد في اللغة خلال العصور الإسلامية، وكان العربية قد اكتمل نموها في عصر الجمع والتدوين واستقرت على حالها النهائي.

ولقد استمر هذا الحصار مضروبا على العربية المحدثّة طوال ما يقرب من خمسة قرون على الأقل، أي منذ القرن الرابع الهجري إلى بداية التاسع الذي ظهر فيه (القاموس المحيط) للفيروزبادي. ذلك أن صاحب (القاموس المحيط) قد حاول تخطي هذا الحاجز، وتجاوز ذلك المفهوم القديم للفصاحة، فأباح لنفسه إدخال عدد لا بأس به من الكلمات والاصطلاحات الجديدة. ولكن عمل الفيروزبادي هذا لم يستطع من جهة أولى أن يحيط بكل المستجدات والمحدثات من الألفاظ والاستعمالات التي أوجدتها العربية خلال القرون الخمسة السابقة.



والسبب واضح، وهو أن عمله كان عملاً فردياً وأنه لم يقم بعملية تدوين جديدة للغة على غرار عملية التدوين الكبرى التي قام بها الرواة واللغويون الرواد المؤسسون.

وملاحظتنا الثانية على عمل (القاموس المحيط) هي أن جرائه تلك، وثورته على المفهوم القديم للفصاحة قد جرتا عليه حملة نقدية شعواء صارية من اللغويين العرب. وكان في مقدمتهم وعلى رأس حريتهم ابن الطيب الشرقي الفاسي الذي قسم ما جاء به صاحب (القاموس المحيط) من زيادات إلى:

(1) اصطلاحات علمية، (2) ومجازات، (3) ودخيل، (4) ومولد، (5) وأسماء أعلام. واعتبر أن كل هذه الأصناف من الكلمات ليس من (لغة العرب) في شيء، لأنها كلها خارجة عن مفهوم الفصاحة القديم. وهذه الحملة النقدية التي قوبل بها عمل المجد الفيروزبادي لم تشجع آخرين على الاقتداء به وتقليده في ثورته، ولذلك وجدنا الركود يعود من جديد إلى صناعة القواميس العربية. وظل هذا الصمت سائداً نحياً مدة قرون أربعة أخرى، إلى أن ظهر (تاج العروس) للزبيدي في مطلع القرن الثالث عشر، فشرح كتاب الفيروزبادي وحاول خلال الشرح أن يضيف تلك الاستدراكات التي أتى بها شراح (القاموس المحيط) ونقاده ومحشوه، معتمداً بالدرجة الأولى على حاشية شيخه ابن الطيب الشرقي الفاسي

وللحقيقة وللتاريخ، لا بد أن نعترف بأنه إذا كانت القواميس اللغوية العامة قد أحجمت عن متابعة تطور العربية في سائر أعصارها وأمصارها، فإن قيام بعض القواميس المتخصصة (كمفردات الطب، والتصوف، والفلسفة... الخ) قد حاول التخفيف من حدة المشكل. ولكن هذه القواميس المتخصصة كان عددها قليلاً جداً بالقياس إلى اتساع المعارف وأنواع العلوم والفنون من جهة. ومن جهة أخرى، فإن هذا القدر القليل من القواميس المتخصصة قد اهتم بالالفاظ الاصطلاحية وحدها، وبقيت خارجه كل الالفاظ العامة ذات الدلالة

(3)

ذلك هو المفهوم القديم للفصاحة في الحقل المعجمي والقاموسي ، وتلك هي بعض انعكاساته ونتائج السلبية على لغتنا وقواميسنا القديمة . فما هو موقفنا منه الآن ونحن بصدد وضع تاريخ لالفاظ العربية ؟ لا شك ان الجواب الواضح هو أن هذا المفهوم قد تجاوزه العصر ، وأنه قد أصبح موضع نقاش ونقد منذ القرن التاسع عشر الميلادي . كما تجاورته المجامع اللغوية العربية وكل القواميس التي ألفت طيلة المائة والخمسين سنة الماضية . وهناك على كل حال أسباب كثيرة تدعونا في هذا العصر لتجاوز هذ المفهوم وإحلال مفهوم جديد محله ، وأهمها :

1 - أنه أصبح اليوم من المسلم به بين الدارسين للغة ، أنه لكل عصر فصاحته الخاصة . وهذا معناه أن كل عصر له معجمه وألفاظه التي يعبر بها عن ثقافته ، وعن الأدوات والمفاهيم الحضارية التي يستخدمها . ولا يمكن لرجل في هذا العصر ان يتفاهم بين مخاطبيه بالالفاظ الجاهلية او العباسية اذا هو قرر الاقتصار عليها وحدها .

2 - أن تاريخ العربية لم يتوقف عند القرن الثالث أو الرابع الهجري ، والعرب لم ينقرضوا بعد ذلك العصر ، بل ازداد ارتفاعا ، وازدادت المساحة الجغرافية التي يحتلونها فوق الكرة الارضية .

3 - أن تشبث القدامى بذلك المفهوم الذي ذكرناه للفصاحة ، كان ناتجا عن اعتقادهم بأن الاعتراف بالتطور اللغوي - وتطور العربية على الخصوص - معناه ترك المجال حرا أمام اللغة لكي تنحرف وتذهب بها المذاهب حتى تصبح لغات بدن لغة واحدة ، ولذلك تنقطع الصلة بالتراث وتحول الامة الواحدة الى أمم وشعوب مختلفة ، وبحول هذا التطور في الاخير بين الناس وبين فهمهم للنص القرآني والصصوص

الدينية الاخرى . ولكن الدراسات الحديثة بينت ان كل هذه التخوفات مبالغ فيها، لان التطور الذي قد يؤدي الى الخطورة المذكورة هو الذي يحدث على مستوى اللهجات، اذ هو تطور عشوائي ولا يتحكم فيه شيء - كما سنرى - أما التطور الذي يحدث على مستوى الفصحى فهو بطيء جدًا وخاصص لقوانين وقواعد متفق عليها، فمادام العرب والمسلمون عامة متشبثين باستعمال الفصحى لغة مشتركة في التخاطب، ولغة للتعليم والثقافة والدين، ومادام الحرص موجودا على تعلم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وعلى تعليم قدر كبير من نصوص التراث الفصيح وتلقينها جيلا بعد جيل، فلا خوف بعد ذلك لما يحدث داخل الفصحى وتحت رعايتها وفي كنفها من تطور وتغير، لان ذلك ضرورة تملئها سنة التجاوب مع التطور الحضاري والثقافي، لأنه كلما جد مفهوم أو مسمى إلا واحتاج الناس للتعبير عنه بلفظ جديد أو دلالة محدثة .

أضف الى ذلك كله أن التطور الذي يحدث عادة على مستوى المعجم، لا يكون فيه خطر على بنية اللغة الاساسية التي قوامها النظام الصوتي والصرفي والنحوي . ولذلك وصفوا المعجم بأنه نظام مفتوح، وقالوا عن الانظمة الاخرى: الصوتية والصرفية والنحوية إنها أنظمة مغلقة . ولا أدل على ما نقول من هذا القدر الهائل الكبير جدا من الالفاظ الحديثة التي دخلت الاستعمال طيلة المائة والخمسين سنة الماضية، والتي كادت تجعل من نصف المعجم العربي القديم تقريبا مهملا ومماتا، ومع ذلك لم يقل أحد إن العربية أصبحت في خطر. فالخطر لا يأتي من إدخال الفاظ ومصطلحات جديدة، وإخراج وطرح ألفاظ ومصطلحات موحودة، لانه من دون هذه العملية الدائبة المستمرة: عملية الدخول والخروج في ألفاظ المعجم، لا يمكن للغة أن تعيش وتضمن لنفسها الاستمرار. ونحن بالطبع نريد للغتنا العربية الحيوية والنشاط والاستمرار.

4 - وبالنسبة لنا نحن الذين نريد وضع تاريخ للغة العربية، لا

يمكن أن نحفظ بهذا المفهوم القديم إلا إذا كنا نريد أن نفتصر على وضع تاريخ اللغة العربية، أي عربية ما قبل القرن الثالث الهجري، أو كنا - بعبارة أخرى - نريد تكرار وإعادة إنتاج محاولة (فيشر) التي أعتقد أن المقصود هو تجاوزها وتخطيها، على أن مجمع القاهرة نفسه حين طبع الجزء الذي طبعه من عمل (فيشر) لم يفعل ذلك لأن مشروع هذا الرجل العالم كان يعبر تمام التعبير عن تصور المجمع ورغبته، بل فعله بعدما رأى أن الغاية التي يسعى إليها، وهي التأريخ لسائر أطوار العربية، غاية ليس من السهل تحقيقها يومذاك، للحاجة الماسة إلى الوثائق والنصوص والمعلومات الكافية.

لا أعتقد إذن إلا أن أهداف الذي ينبغي تحديده لمشروعنا هو نفس الهدف الذي سبق لمجمع اللغة العربية أن رسمه وهو كتابة تاريخ شامل للغتنا يتتبع حياتها من النشأة الأولى إلى يوم الناس هذا، ولا سيما أن أنصب مراحل التطور التي عرفتتها هذه اللغة بعد مرحلة الانقلاب الذي أحدثه مجيء الإسلام. هي تلك المراحل التي اعقبت القرن الثالث الهجري (أي العصر الذي توقف عنده مشروع فيشر) وشهدت ما نعلمه جميعا من الازدهار في العلوم والفنون والآداب، استطاعت لغتنا أن تستوعبه جميعه وتعبر عنه تعبيرا دقيقا وبمقدرة عالية.

ولا أعتقد أيضا إلا أن هدفنا هو كتابة تاريخ شامل ومفصل لحضارتنا وأفكارنا ومفاهيمنا وتصوراتنا ومقولاتنا ومواقفنا ورؤانا للعالم انطلاقا من ألفاظ اللغة، على اعتبار أن الألفاظ هي التي تعكس بصدق تاريخ وحضارة وفكر وثقافة المجتمع الذي يتكلمها. ومعلوم أن حضارتنا - نحن العرب - لم يقف تطورها عند المرحلة الزمنية القصيرة التي توقفت عندها القواميس اللغوية القديمة. بل لقد شرقت هذه الحضارة وغرّبت بعد القرن الثالث الهجري وعمرت قرونا طويلة واستقرت في بيئات متنوعة الخصوبة والمناخ. واستفادت من ثقافات وتجارب لا حصر لها. وكل ذلك كان يعبر عنه بواسطة ألفاظ اللغة. فالذي يريد أن يتتبع تاريخ العرب وحضارتهم في سائر الاطوار، عليه

أن يستقرىء تاريخ ألفاظهم في جميع تلك الاطوار أيضا .  
نحن إذن أمام ضرورة البحث عن مفهوم جديد للفصاحة  
يعترف بوجود فصاحة قديمة ، وهي التي حدد الاسلاف إطارها الزماني  
والمكاني ، بتلك الحدود التي ذكرناها سابقا ، وفصاحة حديثة نشأت  
خارج تلك الحدود في زمن يمتد ما بين القرن الثالث وبداية الخامس  
عشر للهجرة ، وفي بيئة شاسعة واسعة تمتد عبر جميع الاصقاع التي  
استقرت فيها اللغة العربية واستوطنتها بعد لاسلام من أقصى الخليج  
الى أقصى المحيط ، وهي عربية لفكر والثقافة ولادب والعلوم  
المختلفة ، حُشيت بها بطون آلاف الكتب وملايين الأوراق لتي ينوء  
حملها تراثنا الزاخر الغزير .

ولقد مرت لغتنا العربية خلال حياتها الطويلة التي لا تكاد  
تشبهها في طولها لغة أخرى من اللغات الحية ، بعدة طفرات واحداث  
تاريخية كبرى غيرت من ملامحها وتركت آثارا واضحة عليها ، ولعل ابرز  
هذه المعالم هي الثورة الشاملة التي أحدثها الاسلام . ثم الثورة الثقافية  
الكبرى التي أحدثها عصر الترجمة والازدهار العلمي ابتداء من عصر بني  
العباس ، ثم اليقظة الحديثة التي بدأت بمنتصف القرن لتاسع عشر  
الميلادي إثر الاصطدام بالغرب . وفي كل مرحلة من هذه المراحل  
الكبرى كانت العربية تبرز الينا بوجه جديد وملامح متغيرة في مفرداتها  
ودلالة لفاظها وتراكيبها واستعمالاتها ، ولذلك فبالامكان - وهذا ما قل  
به دارسون من قبل - وضع تقسيمات مدرسية للتمييز بين المراحل  
الكبرى البارزة في تطور الفصحى عبر هذا التاريخ الطويل ، كأن  
نقول : (1) فصحى العصر الجاهلي . (2) وفصحى العصر الاسلامي  
الاول . (3) وفصحى العصور العباسية . (4) وفصحى عصور  
الانحطاط . (5) وفصحى العصر الحديث .

(4)

لكن ، إذا كانت الفصحى القديمة قد حددتها معايير القدماء

ورسمت اطارها المعروف لدينا، فما هي المعايير التي تتحدد بها لفصحى أو الفصحيات التي حدثت بعد عصر الاحتجاج والتدوين؟ ذلك انه ليس من المعقول ان كل لفظ أو استعمال تم العثور عليه بعد عصر التدوين الاول يعتبر فصيحاً، حتى ولو ورد على السنة العامة أو لأعاجم. أو انفرد باستعماله شخص واحد دون سواه، أو جاء مخالفاً لأبنية العرب وأقيستها في كلامها؟

والجواب على هذا هو ان العربية بعد عصور التدوين، قد تطورت في اتجاهين مختلفين معروفين:

1 - اتجاه اللهجات والاستعمالات العامية، وهو ما يمكن أن نسميه اصطلاحاً بالاتجاه العفوي، وفيه عاشت العربية حياتها على السنة الناس من مختلف الفئات والطبقات حرة طليقة لا يردّها عن تطورها العشوائي راد، ولا يكبح جماحها شيء، وهذا التطور الذي شهدته العربية في هذا المستوى كان سريعاً ويصطبغ بصبغة البيئة التي عاش فيها، وهو الذي أدى الى ظهور لهجات عربية جديدة محلية وإقليمية لا حدود لعددها ولا نهاية، حلت محل اللهجات العربية القديمة. وهذا الاتجاه الذي تطورت فيه العربية مما صورت بعض مظاهره كتب (لحن العامة) وكتب التصويب اللغوي، لا يهمننا الآن أمره إذا ما تم حصر الهدف خلال هذه المرحلة في التأريخ للفصحى.

2 - اتجاه الفصحى : أو الاتجاه المقنن، وهو الذي شهدت فيه العربية تطورها وتوسعها على أيدي الكتاب والشعراء والمفكرين والعلماء على اختلاف تخصصاتهم، واحتفظت لنا أعمالهم ومؤلفاتهم التي لا حصر لها بشواهد ووثائق التي تساعد على التأريخ له. وخاصية التطور الذي عرفه هذا الاتجاه هي انه محدود وبطيء نسبياً إذا ما قيس بالتطور الذي تم على مستوى العاميات واللهجات. ولكنه من جانب آخر يمتاز بكونه لا يصطبغ بالصبغة الإقليمية والمحلية في الغالب، وإنما له طابع اللغة المشتركة بين سائر أقطار العروبة. وما كانت له صبغة محلية فهو

قليل من جهة وسرعان ما ينتشر عبر لكتب والمؤلفات فتزول عنه هذه الصفة من جهة ثانية، ذلك ان التوليدات والاشتقاقات الجديدة التي تفرزها استعمالات الكتاب والشعراء والعلماء والمثقفين عادة ما تُراعَى فيها قواعد العربية الفصحى (المشتركة) ما أمكن، ولا يصطر لتجاوزها أو اختراقها الا نادرا وفي نطاق جد محدود. فهو تطور إذن يتم داخل القواعد والاقيسة القديمة وفي ظلها وتحت رعايتها ومباركتها.

وأعتقد أننا لو أردنا الآن تحديد ملامح وطبيعة الفصحى في مفهومنا الحديث، لقلنا باديء ذي بدء: إن الفصاحة التي نقصد اليها ونحدث عنها ليست مستوى بلاغيا متميزا يتبارى الناس من أجل اكتسابه او تقليده، ولكنها هي خاصية اللغة التي نحترم حدا أدنى من القواعد الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية المتفق عليها بين علماء العربية، ونصلح لتكون أداة للتفاهم الجماعي والتواصل المشترك بين سائر المتكلمين بها أينما كانوا ومنى وجدوا، ووسيلة للتعليم والتثقيف. وأساسا لتوحيد الفكر وتحقيق الهوية. فاللغة التي تجتمع فيها هذه الخصائص نسميها «العربية الفصحى» او «العربية المشتركة» وذلك في مقابل اللهجات المحلية.

وهذا التعريف الذي أعطيناه للفصاحة والفصحى في مفهومنا الحديث سمح لنا بأن نعبر فصيحاً كل لفظ أو استعمال توفرت فيه الشروط الثلاثة التالية<sup>(12)</sup> وهي :

---

(12) حمل الدكتور الحمزاوي في كتابه . (اعرنة والحداثة 131) من مقاييس الفصاحة يسر التداول والمقصود به احيد اللفظ اسهل المختصر، والملاءمة ومعناها عدم نداحل المصطلح المحتر مع غيره من المصطلحات وأن يعبر في الحالات الفضل عن ميدان واحد، فيكون لفظ واحد لمعى واحد، وتكون تلك الملاءمة ضعيفة أو قوية على قدر نقلص أو تعدد الميادين التي يستعمل فيها . والحوافز: أي «كل ما يحصر المتكلم أو المستعمل على اختيار المصطلح الذي يولد منه مشتقات أكثر»  
وحتى يعتمد . مثل هذه لمقاييس صالحة فقط عند ارادة وضع المصطلحات احدثة، =

(1) ان يرد في نص مكتوب، اي لابد من أن يكون بعض كبار الكتاب او الشعراء او العلماء قد استخدموه في مؤلفاتهم واعمالهم المكتوبة لان الفصحى التي حدثت بعد عهد التدوين والجمع انما نشأت وتطورت - كما سبق القول - على أيدي هؤلاء الكتاب والشعراء والعلماء، أي نشأت وتطورت داخل النصوص المكتوبة، وليس على السنة العامة.

(2) أن يكون قد شاع استعماله بين اكثر من كاتب او مؤلف، والا وجب عده من المفردات الخاصة بكاتب بعينه او مؤلف بذاته. وهذا لا ينبغي اعتباره من اللغة المشتركة حتى يتداوله اكثر من مستعمل واحد.

(3) ان يكون جاريا ولو بوجه على قواعد العربية وأقيستها في أبنيتها وسنتها في الاشتقاق والتوليد والتعريب. فمخالفة وضع القواعد والصيغ والابنية المعترف بها مخالفة تامة لم يعتبر من الفصح (أي من اللغة المشتركة) اللهم الا إذا أقره واعترف به مجمع من المجامع اللغوية العربية، فاكسب بذلك الاعتراف حق «الموطنة» وانضم الى عائلة أخواته.

## (5)

والآن، وبعد ان فرغنا من تعيين احد اهداف القاموس العربي التاريخي، بان قلنا إنه يجب أن يقتصر - ولو مرحليا - على التأريخ للفصحى وحدها دون اللهجات العاميات، ثم خطونا خطوة ثانية

---

- وخاصة عند اردة اختبار و نمط صيغة معينة من بين صيغ والفاظ أخرى موجودة لمعنى واحد كأن يختار بين (هاتف) و(مسرة) و(تفوق) و(إرس) أما في الحالة الأخرى وهي التي يكون فيها اللفظ موجود، ومستعملا بالفعل وليس له ألفاظ أخرى ترجمه في معناه، فلا يكون هناك مجال لاستخدام هذه المفردات، لابد من صيغ للاعتراف بصحته حتى ولو حالها، ولا يشترط فيه الا الشروط الثلاثة التي ذكرناها لانها تمثل الحد الأدنى الذي لا يمكن تجاوزه



وحددنا هدفا آخر هذا القاموس فقلنا : يجب ان يشمل التاريخ الذي نريد كتابته كل عصور الفصحى ومراحلها منذ الجاهلية الى اليوم ، وأعطينا أفكارا واقتراحات حول ملامح الفصحى المتأخرة وبيننا المقصود بها عندما ، عليّ إذن ان نضيف خطوة ثالثة فنسأل : هل نريد لقاموسنا هذا ان يهتم بوضع تاريخ لكافة الفاظ واستعمالات الفصحى القديمة والمتأخرة ، ولا يترك منها شاذا ولا مقيسا ، ولا عاما ولا خاصا (اي سواء كان من اللغة العامة ام كان من اللغة الاصطلاحية الخاصة بعلم من العلوم أو فن من الفنون) ، ولا حيا ولا ميت (أي سواء كان اللفظ ما يزال جاريا في الاستعمال أم كان قد أهمل وعفى عليه النسيان) . . . أم أن الاختيار سيقع على طريقة أخرى وهي الانتخبات من هذه الفصحى كلها قدرا معينا من الالفاظ والاستعمالات وترك لباقي ؟

وأعتقد أنه في الحالين معا لا بد من توسيع مصادر هذا القاموس توسيعا يتجاوز حدود القواميس القديمة والحديثة بشمل كل المادة اللغوية الموجودة في تراثنا المكتوب بالعربية في سائر الأعصار والأعصار مهما كانت طبيعته ومهما كان نوعه . أي لا بد من القيام بعملية مسح وتفرغ شاملة لكل تراثنا المكتوب بالعربية ابتداء من أقدم نص وصل إلينا وهو النقوش القديمة ، الى آخر نص نريد الوقوف عنده ، ولا تقتصر على القواميس وكتب اللغة وحدها . فمن جهة لان هذه القواميس والكتب اللغوية قد أهملت عددا كبيرا من الالفاظ والدلالات ولم تدونها كما مر . ومن جهة ثانية لانه حتى هذه الالفاظ والدلالات التي دونت في القواميس لم تدون معها تواريخ استعمالها وتغيرها وتطورها . فافرض أنك عثرت على كلمة في كتاب (العين) وهو أقدم قاموس لغوي شامل وصل إلينا . فظهور هذه الكلمة في القرن الثاني الذي ألف فيه (العين) لا يعني بحال أنها وليدة ذلك العصر ، فقد تكون في الغالب أقدم من ذلك بكثير ، وقد يكون استعمالها - قبل ان تستقر على الصيغة والدلالة اللتين وجدت عليهما في كتاب الخليل - عرف مراحل عديدة من التطور والتقلب والنمو ، وهذا ما يفرض الرجوع في التاريخ لتلك الكلمة الى

ما هو أقدم من (العين) من الوثائق والنصوص . ثم افترض أنك عثرت على كلمة أخرى في (القاموس المحيط) وهو كتاب ألف في بداية القرن التاسع الهجري ، ولم تعثر عليها في قاموس قبله ، فهذا لا يقطع بأن بداية استعمالها كانت في ذلك العصر وهو القرن التاسع ، فربما استعملت قبله بأعصر وقرون لأن قواميسنا لم تتابع التطور اللغوي مرحلة بعد مرحلة وسنة بعد سنة وقربا بعد قرن . ولذلك فإن القواميس (القديم منها والحديث) لن تفيدنا إلا في وضع المعالم الكبرى لهذا التاريخ ، أما حدوده الدقيقة أو القرية من الدقة فلا بد فيها من مسح التراث وتفريغ النصوص .

ولاشك أن إنجاز هذه العملية : عملية المسح والتفريغ لكل النصوص المكتوبة بالعربية حتى ولو اقتصرنا على المطبوع منها دون المخطوط ، ليس من السهولة بمكان ، ولا سيما أن تراثنا العربي المكتوب ربما كان هو أغنى تراث تملكه الانسانية واغزره في الوقت الحاضر . ولكن لا مناص منه على كل حال مهما تطلب من وقت وجهد ومال . ولقد كان المجمع اللغوي القاهري قد تهيأ لمشروع فتركه الى حين يتم نشر وجمع وتحقيق كل تراثنا المكتوب<sup>(13)</sup> ، ونحن لا نرى هذا الرأي ، ولا نقول بضرورة هذا الانتظار ، وما لا يدرك كله لا يترك جله كما يقال . إذ بالامكان الاقتصار في عملية الجرد والمسح على النصوص المطبوعة دون انتظار المخطوط أولا ، وبالامكان ثانيا الاشتغال بالطبعات العادية للنصوص المنشورة دون انتظار تحقيقها مع إمكانية الرجوع الى أصولها المخطوطة عند الحاجة والضرورة . وبالجملية يمكن البدء بما يتوفر لدينا حاليا من النصوص . وهو أكثر من كثير ، بدل التوقف وانتظار الذي يأتي وقد لا يأتي ، لأن النقص سوف يظل موجودا في جميع الاحوال . ولو كان المجمع القاهري قد بدأ العمل بدل التوقف والانتظار لكان قد قطع

---

(13) المعجم العربي لحسين نصار 739/2 .

مراحل كبيرة في المشروع . على أن هذا الكتاب الذي يراد وضعه ، سوف يظل - شأنه في ذلك شأن سائر القواميس - قابلاً بصفة دائمة ومستمرة لعمليات متلاحقة من التنقيحات والمراجعات والتصويبات ، وسيضاف إليه عبر السنين اللاحقة كل ما يتم الوصول إليه من جديد تكشف عنه عمليات المسح والمتابعة التي من المفروض أن تستمر على أيدي باحثين مختصين موزعين على أقطار العالم .

عبد العلي الودغيري

## مراجع

- تصحيح الفصحى / لابن درستويه : تحقيق الجبوري (بغداد 1975).
- كتاب الحروف / للفارابي ، تحقيق د. محسن مهدي (بيروت 1969).
- المزهري / للسيوطي ، تحقيق محمد أحمد جاد الله وصاحبه (مصر - بدون تاريخ).
- المعجم اللغوي التاريخي / أ. فيشر (القاهرة ، ط. 1. سنة 1967).
- المعجم العربي : نشأته وتطوره / د. حسين نصار (مصر 1968).
- العربية والحداثة أو الفصحى فصاحت / د. محمد رشاد الحمزاوي (دار الغرب الاسلامي 1986).
- قضايا المعجم العربي في كتابات ابن الطيب الشرقي / د. عبد العلي الودغيري / منشورات عكاظ (الرباط 1989).
- المعجم / ج. ب. مارسيليزي - تعريب : د. عبد العلي الودغيري / مجلة (دراسات أدبية ولسانية) ع. 6. سنة 1987 (المغرب).
- مع المعجمات العربية ومسألة التصحيح اللغوي / د. ابراهيم السامرائي / مجلة البحوث والدراسات العربية . (الكويت ، ع 15 سنة 1988).

- L. Guilbert - La créativité lexicale  
Larousse. Paris 1975.

- Simone De laSalle et Marie Noel :  
Le lexique entre la lexicologie et l'hypothese lexicaliste in : Langue  
Française N 30

## دور العامية والساميات في

### المعجم العربي التاريخي

بحث: ا. د. فيديركو كورينطي

من البديهي أن تأليف معجم عربي تاريخي يعد مباشرة طماحة لن يتسنى إنجازها بدون تخطيط مصيب وتنفيذ محكم وتمويل غير ضنين ولا يخفى على أحد أن إلقاء الضوء المطلوب على قصة كل لفظ عربي، بما يقتضيه شأن الثقافة العربية وأهميتها العالمية من الدقة والاستيفاء في الشواهد والتأصيل، ليس أمراً هيناً وذلك نظراً لطول تاريخ لغة الضاد وبعد اتساعها على ثلاث قارات، وهما خصلتان لم تشاركها إياهما فيما مضى من الزمان إلا أربع لغات عالمية أخرى، وهي اليونانية واللاتينية والسنسكريتية والصينية الكلاسيكية، فأما اللغات الأوروبية الحديثة الرئيسية التي قد تمّ لبعضها إنشاء معجم تاريخي بعد لأي فإن جميعها أقصر عمراً من العربية وأحدث عهداً بإنتاج أدبي منتشر على أقاليم المعمورة.

وقد لخصنا بهذا الكلام مفهومنا عن المعجم التاريخي الذي يجب في نظرنا أن يجمع بين ذكر أصول ألفاظ اللغة وبين الأدلاء بالشواهد المؤرخة لاستعمالها الأدبي والحواري اعتماداً على محتويات جميع المؤلفات

الباقية إلى يومنا هذا وعلى كل ما جرى أولا يزال يجري على السنة الناطقين من كلام فصيح أو عامي وأصيل أو دخيل . وإن لم يكن المعجم العربي التاريخي الذي يقصد تأليفه على مثل هذا النمط فغني عن القول إنه سيكون معجما لبعض تاريخ العربية ولبعض العربية فقط ناقصا من حيث كلتا الصفتين ، وأن منفعة مهما عظمت لن تخلو من ثلم خطيرة ، لأن اللغة وحدة لا تتجزأ كيفما أرادت أو همتنا أو هي ، كما يقول اللغويون البنيويون ، منهج آلي متكوّن من مناهج متدرجة وعناصر متصلة لا يمس أو لا يهمل بعضها دون بعض .

ونحن لا نجهل أن مثل هذا الاقتراح سيثير اعتراضات معقولة لدى المستمعين الكرام وعند المسؤولين عن تحقيق هذا المشروع ، إذ قد يرى بعضهم العناية بالعامي والدخيل مقرونين بالفصيح الأصيل مجرد تضييع باطل للوقت والجهد والأموال بل واستهانة بكرامة الفصحى ، وليس الأمر كذلك كما سيتضح فيما بعد . أو قد يحتاج غيرهم بأن هذا المشروع على صفته المذكورة لن تفي بإنجازه أعمار عدّة أجيال من الباحثين مع ما يحتاج اليه من مساعدة غير منقطعة من طرف الأنظمة المنسّقة الممولة له ، بحيث ينبغي أن تجعل له منذ البداية حدود واقعية ، عملا بالمثل العربي الذي يقول « امدد رجلك على قدر اللحاف » .

والحقيقة أننا بكل صراحة مقتنعون بصحة الاعتراض الثاني ، مائلون مع أصحابه إلى تحديد نطاق هذا المعجم ، على الأقل في مرحلة أولى ، من حيث استيعاب مراجعه وتعيين عدد المشاركين في أعمال إنشائه ووجوب تعهد الانظمة المنسقة بإنتاج تأليف ذي حجم متفق عليه مبدئيا في مواعيد مسماة ، وذلك لاعتبارات عملية واضحة ، منها أن نجاح مشروع متوسط النطاق في غضون أجل غير بعيد خير وأنفع في قضية مستعجل فيها كهذه من طول الانتظار للتأليف الشامل الكامل الموعود بدون أجل مسمّى ، ولا نقول هذا إلا بصفتنا مؤلفين لقواميس اللغتين العربية والإسبانية التي أكسبتنا بعض الخبرة في هذا المضمار حتى أصبحنا فيه عن يدري من أين تؤكل الكتف .

أما الاعتراض الأول، أي عدم مناسبة إدراج الألفاظ العامة والدخيلة في معجم تاريخي للغة العربية لكونها غير متبعية اليها، فلا يسعنا بكل صراحة أيضا موافقة ذلك الرأي ولا نحسب إسقاط ذلك الرصيد اللغوي المهم عن مضمون هذا التصنيف، ولو على سبيل الاختصار الاضطراري في مرحلة أولى، إلا خلافا كبيرا فيما يراد من استيفائه وعييا شنيعا في مبادئ تصنيفه ومنهجه.

ولماذا خروجنا الطارئ هذا هنا واليوم على المبدأ المطرد قبوله المعمول به حتى في قواميسنا نحن إلى الآن من أن معاجم العربية لا تحتوي على غير الفصحى أو على الأقل على غير الألفاظ المقيدة في الآثار المكتوبة؟ إن للضرورة أحكاما قد فرضت علينا مثل ذلك التقصير، وإن كانت هذه المناسبة غير صالحة للتعرض للفصل بين حقوق الفصحى والعامة، فإن الجلي من جهدنا وحرصنا على استعمال الفصحى في حديثنا هذا على الرغم من الرطانة والعجمة أننا من الذين لا يجدون لها بديلة فيما يخص أغراض الثقافة، إلا أن هذا التفضيل والإيمان بكفاءة الفصحى لمواجهة تحدي الحاضر والمستقبل لا يضربان غشاوة على أبصارنا تعميها عن الحقائق الآتية:

(1) لم يتوخ اللغويون العرب القدماء، أي جامعوا المعجم أو، كما قيل، اللغات من حامديها، طريقة انتقائية مطورة جدا، على خلاف شأن النحاة عند تمييزهم للفصحى دون غيره، وهذا لسببين أولهما أن اكتشاف العشرات من القواعد الصرفية ولنحوية المتجسمة في متون اللغة الماثلة بين أيديهم كان أيسر بكثير من انتقاد درجة فصاحة الألف من الألفاظ الموجودة فيها مع انعدام المعيار الفاصل، لما يثبت لدينا من أن إجماع كلام فصحاء العرب كان أتم على الأصوات والصرف والنحو، مع وقوع خلافات تافهة فيها بينهم، منه على المعجم. وأما السبب الثاني في حيرة اللغويين عند اختيار الفصحى من الألفاظ وتفرقة دون غيره أو دون المحرف من صيغته، وهو مترتب على السبب الأول، فذلك أنهم لنفس حيرتهم تلك ولرغبتهم الشديدة وتنافسهم في جمع

اللغة لم يكتفوا بها ألفوه من النماذج في متون القرآن الكريم والشعر  
لمعتمد، وإياها تخطوها إلى كل ما نطق به العرب المسمون بالثقاة أو  
الحجج، وأنى لنا أو لأولئك اللغويين التأكد التام من تلك الثقة أو  
الحجة في كل حالة من الأحوال ؟

ومعنى ذلك أننا عندما نراجع معاجنا العربية المشهورة نجد فيها  
ألوفاً من الألفاظ العادمة الشواهد المستخرجة من السنة الناس مباشرة  
بحيث لا فرق بينها وبين كثير من أخواتها المنبوزة بالعامية إلا أن بدوي  
أكثر أو أقل فصاحة فاه بالأولى عوضاً من الثانية عند مصادفته لغويًا،  
وليس من الانصاف ولا يليق بمهجع علمي أن نهمل كل الإهمال ما  
أهمله البدوي صدفة ولا أن نقبل كل الإقبال على ما تكلم به غير واع  
إلى أهمية اختياره وغير مسؤول عما علقه منها عليه اللغوي المقيد  
لكلامه، ولكن العلم الصحيح يقضي بأن نعتني على حد سواء بما نقل  
إذاًك وبما لم ينقل إلا أنه ظل متداولاً غير مسجل على مر الزمان إلى أن  
حظي بعناية أحد اللغويين الدارسين للهجات في القرن التاسع عشر أو  
في القرن العشرين

إن كلاً من الألفاظ المسماة بالفصيحة ومن أخواتها المنسوبة إلى  
العامية لعدم ثبوتها في المعاجم أو في الأدب هي ألفاظ عربية أو على  
الأقل معربة ما دام العرب أي العرب قد أجروها على أنسهم، وهي  
جديرة بالدراسة المعجمية، إن نرد أن تكون هذه الدراسة وافية علمية  
غير معرضة، إذ ليست اللغة إلا كالأمة من حيث حق الانتساب إليها،  
فمن عساه أن يعد عربياً إن اتخذنا شرطاً للعروبة النسب العربي القح  
كأبراً عن كابر إلى عدنان ؟ ولعل في العاميات المحترقة، كما سيبين،  
كثيراً مما قد يساعدنا على إدراك أسرار الفصحى وعلاقتها بسائر اللغات  
السامية بل ولنشوتها كلغة مصطلح عليها لدى الشعراء والرواة في  
الجاهلية، وهي منية على أساس اللهجات المسماة بالعلية، وذلك إلى  
جانب تولد العربية التي دعيت نبطية في بادية الشام وسواد العراق،  
وهي أم العاميات الحديثة، وإن كانت لا تخلو من تأثير هام بالمصحى



عقب صيرورتها لغة رسمية للحضارة الاسلامية .

(2) ليس حكم الدخيل ببعيد من حكم العامي ، مادام شائع الاستعمال مطرده لدى لعرب غير منحصر في مصطلحات أصحاب بعض العلوم والفنون ، لاسيما منه ما لم ينبُ على هذا اللسان ، فربّ دخيل قد هضمته العربية حتى لم يكد يشك أحد بنيتها في أصالته ، كالقصر والسرّاط والبنيقة المقتبسة من اللاتينية *strata* و *castra* و *paganica* ، أو كالفندق والبطاقة واللصّ المقتبسة من اليونانية *Pandokeion* و *Pittakion* و *Léstēs* أو كالسراج والرونق والدئوس المقتبسة من الفارسية لمحدثة أو الفهدوية *čīray* و *rōynēk* و *dobazu* أو كالبرهان والمشكاة والمنبر المقتبسة من الحبشية *barhan* و *maškot* و *mānbār* أو كالعشرات من المقتبسات الآرامية أو القبطية أو الهندية الأصل ، فالأولى بنا أن نقول إن العربية ، على خلاف ما وصفها به بعض الناس من الانعزال في صحارى الجزيرة وجبالها ومن الكراهية للتأثر بلغات وحضارات أخرى ، كانت على عكس ذلك وبحكم الوضع الجغرافي ولاحتراف كثير من أهلها للتجارة عرضة للاتصال المستمر بأمم أخرى فقد اقتبست عند اللزوم نصيبا وافرا من معاجمها . وحسبنا مثلا ودليلا على ذلك أن عدد الألفاظ المصرية القديمة في العبرية على الرغم من إقامة أهلها بمصر أقل من المقتبسات المصرية في العربية الناتجة عن العلاقات التجارية بين ضفتي البحر الأحمر ، ومنها السيف والصندوق والتابوت والطوب والصل والفلو والتمساح والبلشون الخ ، وكذلك موسى واسم النبي موسى . وهما لفظ واحد قد أطلق عليه لشده خلقه المشهورة في التنزيل ، وكفى بهذا حجة على أن لدخيل المعرب ، حديثا كان أو قديما ، لابد من اعتباره عند الدراسة المعجمية التاريخية ، أولا لإثبات وجوده وظروف استعماله كسائر ألفاظ ، وثانيا لارجاعه الى أصله الأول الخفي على الانسان ، وإن كان مثقفا ، أحيانا كثيرة .

فمن الواجب ، بناء على هذا ، أن تكون الدراسة المعجمية التاريخية مقارنة في آن واحد حتى تكون وافية ، مهما كان نطاق التأليف

المقصود محدودا متوسطا كما لحذا إليه سابقا. ولا يمكن المقارنة في اية لغة من اللغات. فضلا عن العربية لتي هي أحوج الى ذلك لظروفها الخاصة، على غير أساس اعتبار العامي والدخيل مع الفصحى والأصيل. نضرب مثلا لذلك ما يجب ان توردته مادة (عود) في مثل هذا المعجم، فلا يكفي من راجعها ان يجد تحتها كالمعتاد جميع الألفاظ المشتقة عن هذا الأصل مع إضافة شواهدا التاريخية بأول وقوعها وبأدوار تطورها المدلولي ودون اية إشارة الى (عاد) اللهجية القديمة والحديثة بمعنى (بعد)، وهي اشتقاقها بإسباق الباء، أو بدون ذكر الشواهد من اللغات السامية المحتفظة بـ (عد) هذه، فالغالب على الطن أن شيوعها في الحميرية هو السبب الذي أوهم المضربين أنها قحطانية حتى أخرجها النحاة عن الفصحى، وإن كان المعجم لا يفيد بمثل هذه المعلومات فإن تأصيل الكلمة بقي غامضا، وقد يستغلن معناها على القارىء في جملة مثل «عادها ما افتحت»، وذلك على الرغم من اطلاعه على المرجع وتأريخه.

وإذا قبلنا مبدأ وجوب تضمن المعجم التاريخي لهذا النوع من المقارنة والتأصيل اللذين تكتمل بهما هوية اللفظة وقصتها، فماذا ياتراكم يكون منهج تأليف مثل هذا المعجم أو من أين يجلب مصنفوه جميع هذه المعلومات المطلوبة المنتشرة حاليا في مئات بل ألوف من المقالات والكتب من آثار المستشرقين أو في السنة العرب المعاصرين وهي غير مقيّدة كتابيا في الغالب ؟

لسنا نطلب لبن الطير. يا ليتنا استطعنا أن نعهد الى ألوف من الخبراء في الدراسات الميدانية بتسجيل اللهجات العربية الحديثة المهددة بالانقراض أو بالتغير السريع في بيئة لم تعد تحول دون اختلاطها بلهجات أخرى قبل ان تذهب اهم خصائصها وجزء كبير من معاجمها الى غير عودة، ولكننا نعلم ان هذا حلم لن يتحقق ورغبة مستحيلة التلبية، وحتى لو كان هذا الامر بوسعنا لما جار أن نرجى تأليف المعجم التاريخي الى تنمية تلك المهمة، كما لا يجوز تسويفه الى ما بعد استخراج

جميع الفوائد المكنونة في الساميات وفي غيرها من اللغات المجاورة للعربية التي قد تمكّنا من حلّ ألغازها المعجمية، وانما في استطاعتنا أن نكتفي في المرحلة الأولى الموما إليها المرّة بعد المرّة بحل وسط في هذا الميدان أيضا.

نعني بذلك أن ثمة عددا لا يتجاوز لخمسين من المؤلفات المعجمية الأساسية الجاهزة الخاصة باللهجات العربية من أمثال قاموس بارتيلمي لشام وقاموس ميرسيه للمغرب الخ، وكذلك في الساميات والفارسية والقبطية التي يمكن الاعتماد عليها لأهل الدربة بالدراسات اللغوية المقارنة بدون جهد جهيد بحيث يتممون بذلك في فترة رمانية وجيزة نسبيا لمعلومات اللغوية والتاريخية المعدّة لهذا التصنيف حتى يكتمل ويهي بالمقتضيات المنهجية على م يرام.

إن خلاصة كلامنا أن مباشرة تصنيف معجم تاريخي للغة العربية عمل جبار طالما افتقد لإنجازه المثقفون العرب وغيرهم ممن يعتنون بها ويرونها تراثا ثميناً للإنسانية كلها، مرحبين ببشرى الشروع في تحقيق هذا المشروع الذي يستحق إعانة أعلى المؤسسات الثقافية العربية والعالمية. ولعل خير طريقة لإنجازه ليس التخطيط الرامي إلى استيفاء الموضوع بالمرّة بإصدار كتاب نهائي بعد أجيال، ولكن المستحسن تقسيم المشروع إلى أشواط يكون أولها تحضير تأليف متوسط السعة قابل للنمو والزيادة في طبعات متتالية على حسب الامكانيات المتوفرة والاحتياجات المحسوسة في كل حين، على انه يكون منذ البداية تأليفا يستهدف أتباع منهج لغوي سليم حديث متعدد الأوجه معتمد على المقاربة والتأصيل لجميع الألفاظ التي استعملها العرب في أي مكان وزمان وتسجيله.

إن طالب العلم يستغفر له. فاستغفروا لنا واغفروا لنا هفواتنا الكثيرة لغة ومعنى، إذ لم يحملنا على جسارتنا هذه سوى رغبتي في المشاركة، ولو بنصيحة بسيطة، في هذا المقصد الحميد الذي دعينا من

أجله إلى حضور هذه الندوة تحت رعاية جمعية المعجمية العربية  
المشكورة. ولكم منا السلام والامتنان.

فيديريكو كورينطي

# منزلة اللهجة التونسية في المعجم التاريخي العربي «واحة بلا ظل» نموذجاً

دراسة محمد العروسي المطوي - تونس

## العربية والحياة

إن منزلة أيّة لغة تتمثل في المهمة التي تؤديها . ويقدر ما تكون تلك المهمة شاملة «لمرافق الحياة تكون تلك اللغة حيّة» في مستوى حياة المجموعة التي تتكلّم بها . وعلى سببة ذلك - شمولاً ومحتوى - تكون سببة تلك اللغة في أداء وظيفتها في المجتمع .

ولهذا لا أكون مغالب أو عجائبا للواقع والصواب إذا قلت: إن اللغة العربية في جاهليتها هي أشدّ حيوية و«حياة» بالقياس إلى ما هي عليه اليوم . لأنها في عهدها الأول كانت لغة الحياة اليومية في مختلف مرافقها وشعبها مهما كانت بسيطة أو سادجة

ومن هنا يمكن لقول: إن اللغة العربية عندما تحملت رسالة الاسلام والحصارة دخلت حياتها متعرجا جديدا . وكان عليها وعلى أهلها أن تكون ويكونوا في مستوى ذلك الانعراج الجديد . فماذا حصل بالفعل ؟

الذي حصل هو أن العربية وجدت نفسها أمام مرافق جديدة ومسميات لأشياء لم تكن على صلة بتلك اللغة عليها أن تتعلمها وتحاول أن تتكلم بها لا سليفة كما يتكلمها العربي بل اكتساباً لا يخلو من شوائب العجمة، ومن إقحام صيغ وتراكيب لم تكن على نمط الأسلوب العربي المعتاد.

وتّمّ الامتزاج مع مختلف الاجناس التي احتك بها العرب بما تم لهم من فتوحات في سبيل نشر الاسلام وتعاليمه الخالدة. وشيئاً فشيئاً بدأ الاحساس بما يهدد هذه اللغة من كسر لقواعدها ولحن في ألفاظها وإعرابها حتى جعل ذلك العربي الذي يصيح على بضاعته - في سوق البصرة - بلسان عربي فصيح دون أن يلقى إقبالا يضاهي الاقبال على بضاعة منافسه الأعجمي - وهو يصيح على بضاعته بعربية ملحونة - حتى قال في حسرة: عجباً لهم يلحنون ويربحون.

وهو الشعور الذي جعل علماء اللغة الأولين يحرصون على جمعها خوفاً عليها من التلاشي، وعلى ضبط قواعدها خوفاً عليها من اللحن وحتى العجمة.

ولكن هل يكفي ذلك لصيانة اللغة العربية وجعلها لغة تتصاعد مع متطلبات مجتمعتها الجديد، وتواكب ما جدّ فيه من أنماط مستحدثة جديدة في المعاش اليومي مادية كانت أو معنوية ؟

صحيح ان للقرآن الكريم الفصل الأساس للحفاظ على اللغة العربية باعتبارها لغة الدين الذي كانت القالب السليم لمبادئه وتعاليمه. ولكن هذا جانب آخر نكتفي به إذا اعتبرنا اللغة العربية لغة العبادة لا لغة الحياة.

ومن هنا تأتي مسؤولية ذوي الاختصاص في السياسة والمعرفة عندما انصرفوا عن رعاية حياة اللغة وصيانتها من الانزواء والانعزال. ذلك: «أن اللغة العربية منذ أن استقرت فقدت الكثير من المرونة

الضرورة لتطور اللغة لاسيما فيما يتصل بالحياة اليومية والمعاملات»<sup>(1)</sup>. وجهود العلماء الأولين في جمع اللغة وحفظ شواردها يعتبر مرحلة أساسية لما ينبغي أن يأتي بعدها وهو العناية «بناحية التطور في دلالة اللفظ» وما نجم من مستحدثات، وما طرأ على الألفاظ لا من جهة النطق فقط بل من جهة المدلول كذلك. وكانت جهود الساسة لا تهتم بتوفير الاطار الضروري من نشر المعرفة جماهيريا بما يحول دون الهوة التي أصبحت تفصل العربية الفصحى عن الحياة العامة حتى بالنسبة لمن هم عرب صليبة. «فنشأ عن ذلك شيء من الانفصال بين لغة الثقافة والأدب والفكر وبين لغة الأسواق والمعاملات اليومية وما إليها»<sup>(2)</sup>.

وكان انتشار الأمية مما زاد في التباعد بين العربية والجماهير الشعبية حتى «أصبحت الفصحى دراسة بعيد أن كانت أداة الحياة في كل ميادينها»<sup>(3)</sup> ويعني ذلك بصورة أوضح أن اللغة العربية أصبحت لغة نخبة في ميادين خاصة: الكتابة والخطابة.

وهي العلة التي مازلنا نعانيها الى اليوم رغم ما ندعيه من عناية وجهود وبذل وما نعقده من ندوات ومؤتمرات، وحتى ما نقدمه من أموال جعل اللغة العربية إحدى اللغات العالمية بينما هي في شعوبها ومجتمعاتها ما تزال منعزلة عن الحياة، محاصرة بين لغة «حية» أجنبية ولهجات محلية. وذلك داء لا يخص قطرا دون قطر، ولا دولة واحدة من هذه الدول المتكاثرة والتي - ربما - ستتكاثر إذا استمر التمزق والتشرذم في هذا الوطن «العربي الكبير»، وهو تشرذم لا في السياسة فقط بل حتى في جهودنا اللغوية في الجامعات والمجامع، وفي الندوات والمؤتمرات. وهي جهود لم تتوصل - حتى الآن - الى وضع معجم حديث يدل على

(1) محمد فريد أبو حديد / مجلة مجمع اللغة العربية ع 7 ص 205 (1953)

(2) لمصدر نفسه

(3) لمصدر نفسه

استيعاب هذه اللغة لحاجات هذا العصر الذي نعيشه، حتى «وسيط» مجمع القاهرة، والمعجم الأساسي للمعتلوم<sup>(4)</sup> لم يسدّا الخلة، ولم يفضيا الحاجة. ونقوى - مع ذلك - نتغنى وتبجح، وكلّنا أسرى لغات وثقافات أخرى تختلف صلتنا بها بين استمرار الاستلاب والسيطرة إلى الغزو المظن والظاهر.

### اللهجات أو اللّغات العامية :

كان من نتيجة ذلك الانفصام بين العربية الفصحى والجهامير الشعبية ان أصبحت لتلك الجهامير أدوات اتصال خاصة بحياتها تبعد كثيرا أو قليلا عن العربية الفصحى حتى اعتبرها البعض لغات قطرية<sup>(5)</sup> تقطع النظر عما يتهم به البعض من نزعة إقليمية انفصالية أو نزعة استعمارية تهدف الى أعراض خاصة<sup>(6)</sup>.

وأصبحت اللهجات في العقود الأخيرة محل دراسات بعنوان الأدب الشعبي أو الدراسات اللغوية والاجتماعية، كما استغلّها الساسة في اجتلاب الجهامير لشعبية التي ما تزال الأمية سائدة فيها، أو حتى بالنسبة لعدد كبير من المتعلمين بلغات أجنبية متعلّنة.

وفي شعبة من شعب ذلك الاهتمام بالعاميات العربية محاولة لربط الصلة بين الفصحى وبين الكثير من الكلمات المعدودة من استعمالات العامة، وقد يعثرها لبعض بعيدة عن الفصحى ولا يحسن استعمالها وإدماجها في الفصحى المتعارف لاسيما في الابداع الادبي. وقد كانت لي - وما تزال - اهتمامات بهذه القضية.

وكان اهتمامي بالفن القصصي من العوامل التي جعلتني التفت الى العامية التونسية، وما يمكن اقتراضه منها من ألفاظ أو تعابير،

(4) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

(5) حلال حمي، معجم اللغة العامية العددية 1001

(6) يطر مثلا مقدمة «قاموس الدهشة العامة السودانية» د عون شريف قاسم



واستعمالها في السرد القصصي باعتبار أن القصة هي أشدّ الفنون الأدبية التصاقاً بواقع الحياة. وأن الفصحى في واقعها الحالي قد تجعلك في مجال العموميات ولا تدخل مجال التفصيل والتدقيق في الوصف كما قال لمرحوم أحمد أمين منذ نصف قرن أو أكثر.

هذا بالإضافة إلى أن الكثير من الاستعمالات والتوظيفات التي لبقاها في كلمة فصيحة وكلمة دارجة لا تجد لها شرحاً أو بيانا في معاجم اللغة. وهذا من شأنه إذا عمّ أن يطوع الفصحى ويطورها ويقرها من لمعاملات اليومية والحياة العادية لواقع الاهتمام به الاهتمام اللازم، لأنه يساعد كثيرا على تأريخ المعجم العربي.

#### في العامية التونسية :

تعتبر العامية التونسية<sup>(7)</sup> من أقرب اللهجات إلى العربية الفصحى لاسيما في لمناطق الريفية التي كانت أقل امتزاجا بالبرطانية والدخيل، وأنها كثيرا ما طلت معزولة عم يجعلها تفقد تلك الخاصية التي أشرنا إليها. وهي إلى جانب ذلك لا تشوبها شائبة في النطق للحروف الهجائية كلها.

ونجد الكثير من الاستعمالات يكشف عن مدى مهارة العامي التونسي في توليد المعنى الجديد أو اقتباسه لذلك الفصحى. وسأكتفي في هذا المجال بذكر بعض الأمثلة في «مختاري» لبعض الألفاظ التي يغلب على ظن الناس أنها موعلة في العامية، وأنها من الدارج الرحشي، وأنها لا صلة لها بالفصحى<sup>(8)</sup> ومعاجم اللغة :

#### 1) خرمد

المخرمد في كتب اللغة. المقيم لمطرق الساكن ويطلق في العامية

(7) المقصد العام في ذلك المناطق التي كانت تسمى إفريقية في تاريخ المغرب العربي وهي

تكد تحصر - مع تونس الحالية - شرقي الجزائر وعربي ليبيا

(8) يصر العدداً الأول وثاني من محبة المعجبة

التونسية على الكسول وقليل الحركة. يقال: فلان يتحرم. والصلة قوية وواضحة بين الاستعمالين.

## (2) شتّر

في معاجم اللغة شتّر الشيء يعثره وفرقه على الأرض. وفي العامية التونسية يقال: الحشيش مشتّر في الحوش. أو يقال: ضربه على رأسه وخلاه مشتّر على الأرض.

## (3) عجرود

في كتب اللغة: المعجرد العريان. وشجر معجرد عار من الأوراق. وفي العامية التونسية تطلق لمظه «عجرودة» على المحصول الزراعي القليل. ويقولون: العام صابه او عجرودة.

## (4) دقر

من معاني دقر في اللغة العربية: الامتلاء، يقال: دقر امتلاء الطعام. وفي بعض المناطق يطلقون كلمة «الداقرة» على الصفحة الصغيرة من الخشب عادة. وهذا الاستعمال من أساليب اللطف والتفاؤل في العامية التونسية، فستعمل كلمة «الداقرة» يقصد التمني بأن تكون دائها ملأنة مثلها يستعملون كلمة «العامر» في المقاهي والمطاعم للكؤوس والصحاف الفارغة تفاؤلا بأن تكون مملوءة.

## (5) بنك

في العربية الفصحى يقال: بنك الخدم أي تحدثوا بأسرار البيوت. واللفظة تستعمل كثيرا في الدارجة التونسية ولا تبعد عن معناها الأصلي. فالتبنيك تعني الجلوس الطويل والحديث المتواصل. وفي القرى والارياف خاصة تكون كؤوس الشاي تدار على الجالسين وهم ينتقلون في حديثهم من موضوع الى آخر على قاعدة «الحديث ذو شجون» والتأويل بأن الاستعمال مشتق من «البنك» المقعد الطويل فيه بعد وتكلف.

## 6) المغيثة

ومما عثرت عليه في العامية التونسية لفظة «المغيثة» وهي عربية فصيحة لكنها مهمة في معاجم اللغة. والمغيثة تعني المحجمة وهي الأناء الصغير الذي يمتصّ به دم الإنسان من قذاله أو منكبيه. وقد استعملتها العامية التونسية واحتفظت بها استيحاء مما جاء في الطبقات الكرى لابن سعد... قال عقيل «وحدثني غير واحد ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يسميها المغيثة وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الحجمة في الرأس هي المغيثة»<sup>(9)</sup>

## «واحة بلا ظل نموذجاً»

في هذا المجال يمكن ان نجعل رواية القصاص عمر بن سالم «واحة بلا ظل» نموذجاً لمحاولة التقريب بين الفصحى والعامية في الابداع الادبي. وقد عمد هذا الكاتب الى صيغ ومدلولات عامية بتفصيلها ونقلها بنصها - في الغالب - من لهجتها العامية الى اللهجة الفصيحة، محاولاً بذلك إيجاد تكامل بين الاستعمالين دون أن يتقدم بشرح لذلك أو تعليق، ودون ان يبين كيفية استعماله لهذه الطريقة. وكانت اللهجة التي استقى منها هي لهجة سكان قرية بالجنوب التونسي وهي مسقط رأسه في نفس الوقت وبعض الصيغ التي نقلها في قالب فصيح قد يعسر فهمها على من يجهل ذلك الاستعمال العامي خاصة ان ذلك من المدلولات التي لا تيسرها معاجم اللغة.

أما بخصوص موقف الكاتب من اللغة الفصحى واللهجة العامية فيمكن استرواحه من الحوار الذي ورد على لسان بعض شحوص الرواية عندما كانوا يتحاورون في طريقة التبليغ والاتصال بالجمهور الشعبية. وجاء في ذلك الحوار التالي:

(9) الطبقات الكرى 201 ص 145.

- ليس من حَقِّك أنت أن تحكم على قيمة هذه التعلّيق بالدارجة. بل  
سأل عنها الذين لم يبدعوا مستواك من التعلم، فهي موجهة اليهم.  
- حتى هؤلاء يفهمون الفصحى، ويحسون الاستماع إليها.  
- قد يفهمون منها بعض الكلمات. أما المعاني فهي ليست دائما في  
متناوهم

- ادا أردتم ان يكون كل شيء في متناول الشعب فارفعوا من مستواه  
بالتعليم لا بمحاطبته بالعامية.

ان هذه اللهجة تزيد جهلا على جهل وتعلمه الكسل الذهني،  
وتفقر حصيلته اللغوية بينما تجبره الفصحى على بذل المحهود وعلى إثراء  
كلماته في الفهم والتعبير.  
وينتهي الحوار بهذه الفقرة.

... نحن عرب. ولا نحد صعوبة لا في النطق بلغة أجدادنا ولا في  
فهمها. بقي الاعراب. هذا يمكننا التساهل فيه»<sup>(10)</sup>.

فهل هذا هو الحل الذي يهدف اليه صاحب الروية ؟ وهو الذي  
يمكن تحديده بأنه الوصول الى تقارب كبير بين الفصحى والدارجة بأن  
يتلاقى الاستعمالان في البنية والصيغة واللفظة. وأن يتباعد في الاعراب  
وحركاته

مهما يكن فاني - شخصيا - أعتقد أنه بعد تعميم التعليم في كل  
الوطن العربي وتطعيم الفصحى بمدلولات العصر والمعيشة والحياة فان  
حدّ التباعد يقلّ بلاشك حتى يتلاشى أو يكاد. ويزول التحوف الذي  
أبداه لعلامة عبد الله العلائي في قوله : «نحن اليوم في المجتمع العربي  
إزاء تراكم في الكمية لأشكال العاميات وهو يأذن حتما بتحوّل الكمية  
إلى كيفية، فإذا عرفنا من جديد كيف نهيء العربية تهيّئا يتفق وهذا  
التكيّف نكون قد اعما التطور على عمله حقا في هذا الجنب. وبالتالي  
نصل : - نطه»<sup>(11)</sup>.

(10) راحة بلا طر ص 56 57

(11) تقديم «اصحاح في اللغة والعلوم» ص ح

## مسرد لغوي لبعض الاستعمالات \* في رواية «واحة بلا ظل»

النص المصحح

ص النص في الداريجة \*\*

16	لا هذا خفط ولا هذا ضبح	16	لا هذا حمط ولا هذا صلح
16	لا بحتاح للشبح في مضروف	16	وأن لا بحتاج إلى الشيخ في مصروف
	ولا اشتراك		أو اشتراك
17	تراه يهمز فيه كل مرة	17	فتراه يهززه كل مرة
17	وصباغ لوقت فيما لا يعني	17	واصاعة الوقت فيما لا يعني
18	لطفال للفرا ك لغروف للشخرة	18	الاطفال للمرأة كالغروق للشخرة
21	وحز في الرخوع لعله يسقي <sup>(1)</sup>	21	تأخر في الرخوع لعله يسقي
22	نعطيه خحز الواد <sup>(2)</sup>	22	سوف نعطيه حجر الوادي
22	يا سعدهم وسعد غيالهم	22	يا سعدهم وسعد عائلاتهم
23	فرانصا نلاد الحيز والحمير <sup>(3)</sup>	23	فرنس بلاد الحيز والحمير

\* اعتمدت الطبعة الأولى من الرواية واحة بلا ظل شر صعاء / تونس 1399 / 1979

\*\* ما سبق علامة ( ) شرح ويبس مقابلا للاستعمالات الدارجة

(1) يسقي بحذف المفعول به يعني «يسقي الحاد» الصيغة بالاء

(2) يعني لا نعطيه شيئا اللهم صربه بحجر الوادي الشديد الصلابة

(3) الحمير في صيغة اتساع ويعنى به كثرة الحيز ولرحاء والعيش

لا سَهْمٌ ولا نصيبٌ	24	لا سَهْمٌ ولا نصيبٌ
يَتَوَوَّنُ إِحْلَامَهَا بِالنَّصِيبِ	24	يَتَوَوَّنُ إِحْلَامَهَا بِالنَّصِيبِ
قَسَمْتُكَ وَقَسَمْتُهَا عَلَى اللَّهِ	25	قَسَمْتُكَ وَقَسَمْتُهَا عَلَى اللَّهِ
يَرَى نَفْسَهُ الْفَاتِي السَّاطِقِ	26	يَرَى نَفْسَهُ الْفَاتِي السَّاطِقِ
بُنُ الْعَبِيَّوْنَ لَا تَطْعَمُ إِذَا كَانَ النَّاسُ	29	بُنُ الْعَبِيَّوْنَ لَا تَطْعَمُ إِذَا كَانَ النَّاسُ
فِي حَاجَةٍ إِلَيْهَا		فِي حَاجَةٍ إِلَيْهَا
أَصْمَى مِنْ لَحْلِبِ	30	أَصْمَى مِنْ لَحْلِبِ
أَحْوَا زَرْطُ	34	أَحْوَا زَرْطُ
وَمَا بِحُصْصِي	38	وَمَا بِحُصْصِي
تَسُدُّ أَعْصَانَ الظَّمْطَمِ	33	تَسُدُّ أَعْصَانَ الظَّمْطَمِ
لَمْ يَنْقُ لَهَا فَاصِلُ اللَّيْلَةِ	44	لَمْ يَنْقُ لَهَا فَاصِلُ اللَّيْلَةِ
أَتَتْ سَتَّ لَدَارِ	41	أَتَتْ سَتَّ لَدَارِ
قَلْبُ الْإِسَانِ حَيْرَةٌ	50	قَلْبُ الْإِسَانِ حَيْرَةٌ
رَحْمَةُ رَبِّي أَوْسَعُ مِنْ حَلْقِهِ	51	رَحْمَةُ رَبِّي أَوْسَعُ مِنْ حَلْقِهِ
أَتَحْسِبِينَ تَوْسِ دَرَّ عَجَائِبِ	53	أَتَحْسِبِينَ تَوْسِ دَرَّ عَجَائِبِ
عَشَّ بِالْمُتَمَّى بِكَ مَوْنُ	55	عَشَّ بِالْمُتَمَّى بِكَ مَوْنُ
بَدَأْنَا نُصَلِّي	58	بَدَأْنَا نُصَلِّي

(4) صاحب المور و معص

(5) طمرت لشيء مبره طمرت عنه دحبه عود مثلا

(6) لم يبق منها شيء

(7) كدية عن العبد والساحل منطقة تقع على ساحل الشرقي لبلاد لتوسية شهرة

مد القديم باريويه

(8) دار العجائب اطلاق شعبي قديم يعني المتحف

(9) يعني هجوم النوم و رتداء العنق فيكسر للرأس

سرطها أَلْعُمُودُ	60	سُرْطُهَا لَعْمُودٌ <sup>١٠</sup>
العرح به لَمَسْرَبُ	61	- دره لَطْرِبِ
عير الراحل ميرانه	62	عير الراحل ميرانه
طاف صالح بأطراف الرقعة	63	طاف صالح بطراف لِرُقْعَةٍ <sup>١١</sup>
شجرة التوت قصُصَتْ	63	سَحْرَةُ التَّوتِ قَصَصَتْ <sup>١٢</sup>
يَشْرَبُ الماءَ وَيُصْبِقُ الشَّحَر	64	شَرِبَ نَمًا وَيُصَابِقُ السَّحَر
لمهمُّ أنْ نَكُونُ لِحَبَّارَةٍ حُنُونًا	65	الْمُهَمُّ نَكُونُ احْبَارِهِ تَحَلَّتْ مُدِيحٌ <sup>١٣</sup>
نَفْسِيَّةٌ لَمْ يَمُصْ عَلَى قَتْلِهَا أَسْوَعُ	65	مَا تَعَذَّشَ عَنِ قَتْلِ اللَّمْسِيَّةِ
		شُسُوعٌ <sup>١٤</sup>
شَرِبْتُ اللَّاقِمِيَّ الْحَيَّ فِي الصَّاحِ		
وَالْمَيِّتَ فِي لَمَسَاءٍ <sup>١٥</sup>		
الصُّنْعُ وَالرَّيْحُ، الصَّاحُ وَالرَّيْحُ	68	- للرد على طلب معاجي، أو عير
		مَسْرُ صَاخًا
واحدة واحدة	72	- على مهْلِك
الاشترَاكِية طَائِفَةٌ عَامَّةٌ	72	= تَصِيبُ كُلِّ أَحَدٍ مِثْلَ السَّيْلِ الْجَارِفِ
يَمُصُّونَ مَرَاتِمَهُمْ بَارِدَةً مُرَدَّةً	73	= يَكُلُّ سَهْوَةً وَرَاحَةً
لا يَكُلْ وَلَا يَجْمَلْ	76	لا يَكُلْ وَلَا يَجْمَلْ
الحائِطُ الْخَرِي	82	- السَّيْلُ لِجَانِبِ السَّحَرِ شَرِقِ

(10) ابتلعها لولب الأعصار

(11) لِرُقْعَةٍ مررعة صغيرة المساحة

(12) قصص اعنى هزوعها

(13) احبارة النحلة نقوب يد المتناول

(14) لِنَفْسِيَّةٍ نوع من الحنوق قتلها قص حريده وتحميم حماره

(15) اللاقمي، عصير حمار اسحنة حي حلو ميت حامض مسكر

النُّخْلُ كَالْمَسَامِيرِ	84	النُّخْلُ جَيِّدٌ كَالْمَسَامِيرِ
لَا صَدَبَةَ وَلَا إِنْتَاجَ غَابَةِ	85	- جذب في الزرع والنخل
إِذَنْ تَغْدِيْنَا بَاكِرًا	88	= بأكرا مبكرا. المقصد لا عدا
تَطْرِي دَاءَهَا فِي رِذَائِهَا	88	= تَكْتُمُ مَا أَصَابَهَا أَوْ سَاءَهَا
لَا يَبْلُلَنَّ عِلَّةٌ وَلَا يَحْمِلَنَّ فَنَةٌ	88	= لا يصلح لشيء
سَيُحَرِّبُنَحْمِهِ	90	= كناية عن شدة العقاب وقوة الضرب
تُهَجِّرُ إِلَى الْخَارِجِ ! مَا أَسهَلَكَ	102	
يَا هَجْرَةً		
مَا رَلْتُ اسْمَعُ ؟	103	= للاستغراب
خَلِيِّي حَرَامٌ عَلَيْكَ	103	= تقوله الام تهديدا أو استنكارا
نَدَحْتَهُ لَهُ أُمُّهُ فِي سَعْرَاتِهِ	106	= استجدت بالولي لحماية ابنها <sup>(6)</sup>
لَا يَهْمُنَا «الشَّعْبُ الْكَرِيمُ»	107	= اشعب الكريم : عامة الناس
لَانْهَمُ جَمِيعًا مِنْ طَلِيَةِ وَاحِدَةٍ	108	= نفس التكوين والاختلاق <sup>(17)</sup>
يَفْسِلُ اطْرَافَهُ	111	= يعسل أطراف اليدين والرجلين
الشَّمْسُ قَدْ عَلَتْ قَامَتَيْنِ	111	= القامة : مقياس ، طول الانسان
		أو اعداد يديه
نُتَلَقُّ عَلَى فَنَطْرَةٍ صَحِيحَةٍ	120	= نمشي أو نهم على أسس صحيحة
مُحَصَّنَةٌ بُيْتِي	190	= مُصَنَّةٌ من أي صرر أو حشش <sup>(18)</sup>
تَقْلَى فِي مِرَاشِيهِ	140	= لم يستقر على وضع <sup>(19)</sup>

(16) يده الابل : ساقها ونده البقر حرد بالصباح . وللمقصود : الاستنجاد بالاولياء ليسعفوا المدعوله .

(17) من أمثلهم : من طينك ملمس طاجيكت .

(18) يقولون كذلك : محصنة مضممة

(19) بات يتقصب في مراشه من وضع الى آخر فلقا وحيرة .



166	الأكتاف التي تتكىء عليها	إن الأكتاف التي تتكىء عليها
	أمنش وأصح	أمنش وأصح
154 =	القضاء عليه بهاتيا	والله يمحو سمة من سجلات
		البلدية
187	أوقف حرار البلدية بجناح	أوقف حرار البلدية بجناح
		درناله (20)
187	صيد الحنقة (21)	صيد الحنقة (21)
189	جدي الليلة متخرش (22)	جدي الليلة متخرش (22)
189	ما حمنا إلا الفقيرة عائشة (23)	ما حمنا إلا الفقيرة عائشة (23)
189	وكردته من حوارها كردا (24)	وكردته من حوارها كردا (24)
190	وبدأنا في الهراش (25)	وبدأنا في الهراش (25)
192	ب حطة ب حطة (26)	ب حطة ب حطة (26)
198	وحقنها العبرات (27)	وحقنها العبرات (27)
198	الذبا فراه	الذبا فراه
198	التف بوزنه (28)	التف بوزنه (28)

(20) نوع من الارديه يلبسه الدراويش : يكون مرقعا عادة .

(21) الصيد الاسد، الحقة مصيق في الجبل

(22) عاصب وفي هياج

(23) أنش قم بسمون بالدراويش أو المتصوفة

(24) كرده : طرده ودافعه الكرد : الحجاره ترمي بالملاع .

(25) هارشه ناوشه ، واثه ، حاصمه

(26) اتباع للذم من الحطة والسحة

(27) بكت

(28) نوع من الاراز مثل الاحرام يصنع من صوف ملون أو وبر .

## تراث لحن العامة مصدرا من مصادر المعجم التاريخي

بحث د . أحمد محمد قدّور  
جامعة حلب - سورية

### 1 - تمهيد :

تطرح مسألة الاتصال باللسانيات الحديثة أمورا تتعلق بدرسنا اللغوي، حين يتصدى الدارسون المعاصرون لبحث أوجه الافادة منها، أو مصادرها بالمجالات لدرسية التي وقفوا عليها في تراثنا اللغوي . فاللسانيات - كما هو معروف - تضم جميع ما يتعلق باللغة من مسائل علمية في الجوانب الصوتية ولفظية والنحوية والدلالية . وإن أول ما يلاحظه الدارس هو الاختلاف المبرر في تطبيق المناهج الدراسية الحديثة على درسنا اللغوي الحديث، وما يتصل بذلك عادة من تقييم للمناهج العربية القديمة في ضوء ما استجد في هذا العصر من مناهج . وقد ظهر ذلك بصورة جلية حين اتخذ المنهج الوصفي منهجا أساسيا لدرس اللغة . فقد لوحظ في دراسات كثيرة أن تطبيقات هذا المنهج لأجنبية كانت تفرض على الدرس اللغوي العربي قديمه وحديثه دون أن تؤخذ الأمور ضمن إطارها الزمني ومعطياته الثقافية . وقد آل هذا حقيقة إلى الهجوم على مناهج العربية الفصحى وطرق

تدوينها، وعلى مواقف اللغويين الذين وضعوا قواعد وحدودا لجمع اللغة والاحتجاج لها<sup>(1)</sup>.

فالعربية الفصحى تتهم لدى أولئك بأنها «معيارية» تهتم بالمستوى الصوابي ولا تعتد بالاستعمال، وهو ما أفضى باللغة الى الجمود والتخلف عن الحياة وتطورها الدائم. ولنا نريد في مفتتح هذا البحث الوجيز ان نستطرد لمناقشة تلك المسألة، بل نقصد الى التفريق بين الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية من جهة، والجانب الدلالي الذي يضم المعجم من جهة اخرى في ضوء ما عرف عن العربية الفصحى من معيارية. فالمعيارية في الجوانب الاولى كانت ولما نزل ذات نفع كبير في المحافظة على كيان العربية، وحميتها من أخطار التشتت. إذ لو لم تكن المعيارية ههنا متشددة لكان من الطبيعي في ضوء قوانين اللغة استقلال بعض اللهجات وانفصالها عن الفصحى التي قد تتحول الى لغة مقدسة يقتصر استعمالها على الشعائر الدينية.

أما دلالة المفردات فقد كان بالامكان إخراجها من نطاق المعيارية الصرامة دون ان ينطوي ذلك على كبير خطر على وحدة اللغة وأنظمتها. فالدلالة التي تتصل بالمجتمع اتصالاً وثيقاً لا يمكن ان تبقى محصورة في الانماط البدوية من العيش والفكر وغير ذلك من جوانب الحياة. والجوانب الصوتية والصرفية والنحوية هي في الحقيقة انظمة قياسية يفترض استقرارها بحسب قواعدها التي تتيح امكانيات التوليد الداخلي. فالقواعد الأساسية في هذه الانظمة - مع النظر اليها على انها عامة وليست شاملة - لا تقدم كمًا محدوداً من الصيغ والاستعمالات كما توهم بعض الدارسين، بل تقدم أساليب متنوعة يجري عليها الصوغ القياسي الذي يتضمن قدرات توليدية تتأبى على

(1) نظر : دراستنا في المحلة العربية للعلوم الاساسية «من أثر الساسيات في الدرس اللغوي العربي ومناهجه» العدد 27، المجلد 7 صيف 1987، ص 162

الحصر. والامر في جانب الدلالة مختلف عما سبق، لأن المفردات لا تستقر على حال لأنها تتبع الظروف. فالحياة تشجع على تغير الدلالة بصورة مطردة. ومن المعروف في قياس هذه المقارنة ان ما يفصل لغة عن اخرى ليس المفردات - إذ قد تشترك لغة وأخرى في كثير من المفردات - بل هو ما يتعلق بتلك الجوانب ولا سيما نظام الجملة.

ومع أن اللغويين القدامى وقفوا من تغير الدلالة ذلك الموقف المشدد، فإن الدارس يجد شواهد كثيرة على تغير الدلالة من عصر الى آخر، منها ما ورد في تضاعيف بحوثهم المعجمية والأدبية. ومنها ما اتخذ شكلا قريبا من البحوث المنظمة والواضحة المقامد، ولا سيما في المصطلح والألفاظ الاسلامية. إضافة الى جانب غني هو التأليف في لحس العامة والتثقيف اللغوي.

وينفرد المعجم بجانب مهم في هذا السياق من التقابل بين اللسانيات الحديثة، وعلوم العربية. فقد لوحظ أن الاطلاع على معاجم اللغات الاجنبية الحديثة ودراستها، دفع كثيرا من الدارسين الى مقارنات سريعة بين تلك المعاجم من جهة، ومعاجم العربية - وجلها قديم - من جهة أخرى. ومن هنا كانت بدايات التأليف المعجمي الحديث عندنا تحمل سمات من آثار ذلك الاتصال. وقد أثمر هذا مع الدوافع الذاتية نحو النهوض والتحديث حركة معجمية ونقدية يمكن ان يعد منتصف القرن التاسع عشر بداية لها.

لكن الدعوة الى التحديث وسدّ النقص كانت تبدأ في أكثر الأحيان بالتعرض الى عيوب المعاجم القديمة، وملاحظة عدم وفائها بحاجاتنا المعاصرة<sup>(2)</sup>. وإن أهم ما يتصل ببحثنا هنا هو اتهام المعاجم العربية كافة بأنها تقف عند حدود معينة من الزمان الذي

(2) انظر نصار، د حسين المعجم لعرب، مكتبة مصر، القاهرة، ط 2

251-242/2، 1968

عرف بعصر الاحتجاج . وأنها تقتصر على نقل جانب من لهجات العرب دون سواها، لأن منهج اللغويين لقدامى كان انتقائيا . أما جهود التالين فقد اقتصررت عند هؤلاء على تنظيم تلك المادة وتبويبها طبق لمناهج مختلفة .

وبلاحظ المدارس أن مسائل متعددة شغلت أذهان المعجميين . منها ما يتصل بترتيب المواد ومدخلها، ومنها ما يتصل بالمادة نفسها من حيث مصادرها وشواهداها، ومه ما ينصل بنطور المعاني وتدرجها، والبيئات وأثرها في انتشار الدلالة أو تقليصها . ولا شك حقا في أهمية هذه المسائل، وما دار حولها من مناقشات امتدت عقودا متتالية من هذا القرن، إذ شغلت وما تزال تشغل الدارسين في مختلف نواحي الاختصاص . ومن المعروف أن بعض ما سبق ذكره من مسائل يتطلب تضافر الجهود واستشارة أهل الذكر من أولي العلم واللغة في المجامع اللغوية والمراكز العلمية .

أما ما يتصل بالنطور الدلالي للمفردات - وهو مدار بحثنا - فقد سعت لى تحقيقه معظم المعاجم الحديثة على اختلاف مناهجها وتفاوت قدرات مصنفها . فالأمر هها يحتاج الى مراجعات واسعة ومفصلة للتراث الثقافي في التاريخ والجغرافية والفلسفة والدين، إضافة الى استيفاء جوانب التراث اللغوي .

ومهما يكن من أمر فإننا نرى أن ما نحتاجه من معاجم ضمن إطار اللغة العربية الفصحى هو ثلاثة أنواع، هي مع مناهجها ومحتوياتها كما يلي :

أولا : المعجم الأساسي، وهو معجم يسجل الرصيد المشترك (Lexique Commun) . ومنهجه معياري يتقرى الصحيح والقياسي والشائع، وكل ما هو متصل بالفصحى بسبب . ومراجعته الرئيسية هي مجامع اللغة ومراكز البحوث القومية لا القطرية .

ثانيا . المعجم الفني، وهو معجم يدون مصطلحات علم من العلوم أو فرع من فروع المعرفة . ومنهجه وصفي يعلب عليه الاجتهاد

ومحاولة التقريب بين مصطلح وآخر مما هو متداول في أقطار العروبة.

ثالثاً : المعجم التاريخي ، وهو المعجم الذي يهتم بتاريخ المفردات بدءاً من أقدم النصوص وحتى آخر ما وصلت اليه في هذا العصر. ومنهجه وصفي - تاريخي ، لأنه معني بتسجيل تاريخ الاستعمال ومكانه كما كان دور توجيه أو تقييم<sup>(3)</sup>.

## 2 - نظرة في تراث لحن العامة :

يبدو أن تحديد الزمن الذي تم فيه نقل دلالة «لحن» الى معنى الخطأ في الكلام تكتنفه صعوبات جمة ، بسبب اختلاف الروايات ونقص الأدلة<sup>(4)</sup>. ومع ذلك فإن الدارس يجد في قصة أبي الأسود الدؤلي مع الامام علي حين شكاه لحن ابنته ، وما سمعه من الناس بداية للتنبيه الى اللحن بوصفه ظاهرة متفشية في الناس. وعلى هذا يمكن ان نعد هذه البداية منطلقاً لتحويل دلالة لحن الى معنى الخطأ في الكلام. ويلاحظ ان التصنيف في اللحن كان مبكراً ، اذ كان مرافقاً لتدوين العربية على أيدي النحاة واللغويين. ومن المعروف أن أسباب التدوين ، هو الخوف من العربية من ذلك اللحن الذي شاع في إقليم العراق قاعدة الخلافة شيوعاً مروّعاً. ومن هنا نجد أن معظم أهل اللغة كانت لهم رسائل وتصانيف في اللحن بدءاً من الكسائي والفراء والأصمعي وأبي عبيد القاسم بن سلام وغيرهم.

وإذا ما تجاوز المرء القرن الرابع ، فإنه يقف على اتساع اللحن في فئات المجتمع من جهة ، وامتداده الى معظم الامصار أي كان قريباً من

(3) قدرون حول هذا الاقتراح ما سبق ليه عبد الله العلايلي في تهذيب المقدمة النعوية المذكور أسعد عيسى ، در اسؤال ، دمشق ، ط 3 ، 1985 ، ص 269-272 ، واطر بشار ، د حسين ، المعجم العربي 762/2

(4) اطر ، فث ، بوهان ، العربية ، ترجمة د رمضان عبد اتوب ، مكتبة الخديجي بمصر ، 1980 ، ص 243-250

قاعدة الخلافة، أو بعدها عنها من جهة أخرى. وبناء على ما سبق يلاحظ الدارس أن التصنيف في اللحن غدا جانبا من جوانب الدرس اللغوي على امتداد العصور وتعدد البيئات.

ولقد أتاحت لنا فرصة التعرف الى أهم ما بقي لنا من تراث لحن العامة في سياق دراسة مستقلة<sup>(5)</sup>، خصّصت للجوانب الدلالية المستفادة من مجموعة من المصنفات التي بلغت ثمانية عشر مصنفا بدأت بالقرن الثاني عند الكسائي وانتهت عند الخفاجي في القرن الحادي عشر الهجري<sup>(6)</sup>

(5) كان هذا في الاطروحة التي تقدمها الى كلية الآداب بجامعة دمشق ليل درجة الدكتوراه، وهي بعنوان «التطور الدلالي في مصنفات اللحن حتى القرن العاشر الهجري»، وقد احريت عليها تعديلات معدت، بعد إعدادها للشر، تحمل عنوانا آخر هو «مصنفات اللحن والتشيف اللغوي حتى القرن الحادي عشر الهجري دراسة تطبيقية في حونها الدلالية وهي تحت الطبع الآن في دمشق

(6) لمصنفات المعتمد في دراستنا المذكورة هنا هي بحسب الترتيب الرسمي لسي وفاة أصحابها

- 1 - ما تلحن فيه العوام للكسائي (ت 189 هـ)
- 2 - اصلاح المطر لاس السكت (ت 244 هـ)
- 3 - أدب الكتب لاس قتيبة (ت 276 هـ)
- 4 - المعصح شعلت (ت 291 هـ)
- 5 - لحن العوم للرديدي (ت 379 هـ)
- 6 - التلويع في شرح الفصيح بلهروي (ت 433 هـ)
- 7 - تشيف اللسان وتلخيص الحمار لاس مكي (ت 501 هـ)
- 8 - درة لعوام في أوهم الخواص للحريري (ت 516 هـ)
- 9 - الاقتصاد في شرح أدب الكتاب لاس السيد (ت 521 هـ)
- 10 - شرح أدب الكتب للحواليقي (ت 539 هـ)
- 11 - بكملة إصلاح ما علط فيه العامة للحواليقي
- 12 - المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم اليل لاس هشام النحوي (ت 577 هـ)
- 13 - تقويم اللسان لاس الحوري (ت 597 هـ)
- 14 - دبل فصيح نعلت لسعدادي (ت 629 هـ)
- 15 - الحماة في إدارة الرطانه لاس الإمام (ت بعد 827 هـ)
- 16 - التشيه على علط الحماة والسيه لاس كمال باشا (ت 940 هـ)

ويلاحظ أن هذه المجموعة تضمّ جلّ المصنفات التي وصلتنا من ذلك التراث الضخم . كما تفي - بما حوته من موادّ كثيرة - بالجوانب الدلالية على نحو لا يتعد عن مناهج علم الدلالة الحديث ، مع الاختلاف في وجهة النظر بين الدرس الدلالي المعياري ، والدرس الدلالي الوصفي .

وتتوزّع أمثلة اللحن على أنواع تصم ما يتّصل بالأصوات والصرف والنحو والدلالة والخطّ . ويلاحظ من خلال النظر في المصنفات التي جرت عليها الدراسة أن أمثلة اللحن في النحو قليلة ، بل نادرة ، وأن أمثلة اللحن في الأصوات قليلة أيضاً . أما أمثلة اللحن في الصرف فهي التي تمثل القسم الأكبر من الأمثلة . وبديها ما يتّصل بالدلالة من أمثلة ومسائل .

أما من جهة التصنيف فيلاحظ أن معظم المصنفات أوردت ما يتّصل باللحن في الدلالة تحت عنوان «تأضعه العامة في غير موضعه» ، وهو النقل في مصطلحنا . كما أن كثيراً من المصنفات وزّعت موادها على أقسام ضمت إضافة إلى ما ذكر بابين هما : «ما جاء لشيئين أو أشياء فقصره على واحد» ، وهو التخصيص . و«ما جاء لواحد فأدخلوا معه غيره» ، وهو التعميم . ولا بدّ من الإشارة في هذا الصدد إلى أن مؤلفاً هو ابن مكّي اجتمعت لديه جوانب التصنيف المنطقي لتغير الدلالة ، أي النقل والتخصيص والتعميم ، إضافة إلى أنه فرق بين لحن العامة والخاصة ، ونظر في مستوى الكلام على نحو دقيق فعلاً .

والحق أن تلك المصطلحات التي ذكرناها ، هي نفسها لدى علماء الدلالة المحدثين ضمن ما سمّوه بقوانين المعنى ، أو سبل التغير الدلالي ( Changements de sens ) . لكن ما ينغص علينا هذا الكشف العلمي السباق لأجدادنا اللغويين هو النظرة المعيارية الصارمة التي شملت

17 - بحر العوام فيما أصاب فيه العوام لاس الحسبي (ت 971 هـ)

18 - شرح درة القواص للحفاجي (ت 1069 هـ)



الدلالة فيها شملته من جوانب اللغة . فالأمثلة التي أوردها تحت تلك العناوين الاصطلاحية الدقيقة حكم عليها بالخطأ مقدّما، لأنّها من اللحن . ولا يستثنى من ذلك إلا حالات قليلة أو أمثلة محدودة .

ويقود هذا الى المرور بالموقف الرئيسية من اللحن كما ظهرت في المصنفات المشار اليها آنفا . ويلاحظ أنّ هناك نزعة عامة غلب عليها التشدد في المقياس الصوري واختيار الفصيح وحده، ولا سيما لدى المتقدمين كابن السكيت وابن قتيبة وثعلب والهروي والزبيدي والحريري والحواليقي وابن الجوري وابن الامام . ويمكن ان نعدّ الاصمعي (ت216هـ) رأسا لهذه النزعة . وهناك من بعد نزعتان، إحداهما لا تختلف عن الاولى الا في التوسع في قبول وجوه اللغة ن كانت من المسموع عن العرب نصّا . فهي في هذا لا تختلف عن سابقتها الا في درجة الاحتجاج بالمسموع . ويمثل ابن مكّي وابن هشام اللخمي وابن الحنبلي هذه النزعة . وقد انتهى ابن هشام الى خلاصة هي انه لا تدخّن العامة الا بما لم يتكلم به عربي، أما ما استند الى سماع مهمل كانت درجته، فلا يعدّ لحما لأنه ورد عن أهل اللغة واصحاب التصرف فيها . اما النزعة الثانية فيتقدم اصحابها خطوة ذات اهمية حين أضافوا الى التوسع في المقياس الصوري الاعتداد بالمجاز وسبل التطور الاخرى في تصوير كثير مما جرى على ألسنة الناس . فابن السيد البطليوسي احد هؤلاء يعتد كثيرا بالمجاز لأن أكثر كلام العرب مجاز، ولذلك غمض كثير منه على من لم يتمهّر فيه<sup>(7)</sup>، ثم سجد عبارة صريحة لدى البغدادي يقول فيها بأن تخصيص العام ليس غلطا<sup>(8)</sup>، وأن ما جرى على القياس صحيح<sup>(9)</sup> كذلك نرى الخفاجي، وهو من أصحاب هذه النزعة، كثير

(7) نظر ابن السيد، لأقصاب، المصنعة لأديبة، بيروت، 1901، ص 150

(8) نظر البغدادي، دبل الفصيح، مطبعة السعادة بمصر، ط 1، 1902 ص 103 - 104

(9) انظر لمصر السبق، ص 108

الاعتداد بالمجاز والقياس والتأويل .

ولن نتوقف بعد ان توضحنا لنا مقاصد أولئك اللغويين ، وعرفنا منطلقهم في المحافظة على العربية الفصحى عند بعض المحدثين الذين نصرفوا عن دراسة هذا التراث الكبير الى مجازاة بعض المستشرقين في الهجوم على اللغويين القدامى ، واتهامهم بنقص الاستقراء وإهمالهم تدوين كلام الناس ، أو لومهم على موقفهم من اللحن إذ عدّوه خطأ<sup>(10)</sup> . فمدار الأمر عندنا هو ما مدى الافادة من هذا التراث في رسم صورة مقبولة لتطور العربية الفصحى عبر الزمن ، وفي مسألة التنقية اللغوية الحديثة والوفاء بمتطلبات التعبير الجديدة .

### 3 - المعجم العربي وصلته بأمثلة اللحن :

كنا أشرنا الى بعض الآراء المحدثّة التي اتهمت المعاجم العربية بالوقوف عند حدّ زمني لم تتجاوزه ، فقصدت بذلك دورها في تسجيل ما طرأ على اللغة من تغير ، كما هو مفترض في المعاجم التي تتابع الزمن ولا تقف عند حدّ معين . ولعل فيما نقدم الآن ردّا على تلك الآراء المتسرّعة . فلقد أظهرت لنا مجموعة كبرى من أمثلة اللحن التي حللناها في مواضع مختلفة من دراستنا ، أن كل ما قيل حولها وارد بنصه في المعاجم<sup>(11)</sup> . ولا يقتصر هذا على المعاجم المتأخرة وحدها كاللسان والتاج ، بل لقد ظهر منه شيء كثير في المعاجم التي ظهرت بدءاً من القرن الرابع الذي شهد حركة تأليف معجمية كبيرة . والسبب في هذا أن أوائل مصنفات اللحن ظهرت في الفرع الثاني كرسالة الكسائي ، أي أنها كانت مواكبة لظهور أول معجم عربي هو العين للتحليل المتوفى 175 هـ . فاشتمال المعاجم على تحليل امثلة من لحن العامة وارد مع أوائل المعاجم ، كما انه مستمر

(10) انظر رسالتنا ، التطور الدلالي في مصنفات اللحن ، ص 46

(11) انظر المصدر السابق ، ص 363 - 366

لحن العامة وورد مع أوائل المعاجم، كما انه مستمر الى أواخرها. فما جاء في المعاجم من أمثلة اللحن يكاد يفوق الحصر ولا سيما في المعاجم المتأخرة.

فإطلاق الكلام بأن المعاجم اغفلت التعرض للحن العامة، او لما طرأ على اللغة بعد عصر الاحتجاج زعم مبالغ فيه. ولا يعني هذا بحال من الأحوال ان المعاجم سجلت كل ما طرأ على اللغة من تغير في جميع مجالات الاستعمال، وفي المستويات العلمية والثقافية والحيوية النفعية كافة. لأن هذا ليس من مهمة المعاجم اللغوية وحدها، فهي على الرغم مما حوته من أشتات مجتمعات من الأعلام والمصطلحات والأسماء وغيرها، لا تطالب بأن تقوم بتبعة كل ذلك على سبيل الاستيعاب.

والمسألة من بعد ليست في تقصير المعاجم في تدوين ما ستحدث من تطور، ففيها - كما رأينا - الكثير منه، بل في المواقف التي منعت اللغويين من ربط اللحن وغيره من مظاهر التغير بما استقر من الدلالات وضّمه إليها على انه حلقة جديدة في سلسلة التطور التاريخي للغة. ولقد قام تحليل معظم الأمثلة لدينا على الاجتهاد في سدّ ذلك النقص، فربطنا التغير الطارئ بما استقر في اللغة. ومع أن المنهج كان يتخلله الاجتهاد والجنوح الى الافتراض فإن ما ظهر فعلاً هو أن كلام العامة كما جاء في المصنفات ليس منبأ الى درجة يطر فيها الانقطاع الذي لا يبنى بأي صلة. فالعامة لم تأت بلغة جديدة، او ابتكارات من عدم. وإذا ما أخرجنا من حسابنا تلك الأمثلة التي لم تكن إلا بسبب الاختلاف حول درجات الفصيح، لأنها واردة غالباً في المعاجم ضمن ذلك النحو من النقاش والخلاف الذي لا تخلو منه مادة من مواد المعجم تقريباً، فإننا نرى أن سائر الأمثلة ترتبط بالدلالات المعجمية وتكمّلها ضمن التدرج الملاحظ في تطور الدلالة عبر الزمن، ووفق السنن التي جرى عليها كلام العرب. أما ما كان منها منقطعاً، فهو إما من الذي قصرت جهودنا وأدواتنا الدراسية عن كشف صلاته بالتدرج المعهود، أو مما ظهر

فجأة في ضرب من الارتجال الذي يعول على احتساب أي علاقة ظاهرة. ومن الملاحظ أن هذا قليل إذا ما قيس بالجسم الغفير من الأمثلة الأخرى.

#### 4 - السمات العامة لأمثلة اللحن :

##### أ - معطيات المكان :

ينصل المكان بقضية التغير اللغوي، وانتشار اللغات، ونشوء اللهجات وغير ذلك. وقد توسع مجال النظر في صلة المكان باللغة مؤخرًا، فنشأ فرع من اللسانيات يعنى بآثار البيئة والجغرافية في اللغة والثقافة والحضارة ونحوها، وهو علم اللغة الجغرافي. فالأمور التي تتعلق بتنوع اللغات والانتشار اللغوي وتعايش اللغات في بقعة واحدة، والفروق التي تلمس بين اللغة المشتركة واللهجات المحلية، هي من اختصاص هذا العلم. ولعلنا نشير في الفقرات التالية إلى جوانب من تلك الصلة بين المكان واللغة.

ومن المعروف بداية أن العربية الفصحى انتشرت مع خروج الفاتحين من الجزيرة العربية، وامتدت حتى بلغت أقصى المغرب وأواسط أوروبا وأقصى آسيا وصحاري إفريقيا. ولم يكن هذا الانتشار والامتداد في فراغ، بل لقد لاقى العربية أمامها لغات ولهجات متعددة دخلت وإياها في صراع مستمر. كما تعرضت العربية الفصحى بعد ذلك بقرون لشيء من الانعزال في البيئات الجغرافية بسبب السياسة والحروب وغير ذلك من عوامل الانغلاق. لكن الملاحظ أن العربية الفصحى حين تعرضت لكلا الأمرين: الانتشار والانعزال، سلمت من التشعب إلى لهجات أو لغات مستقلة.

والحق أن هناك عوامل قللت إلى حد كبير من تأثير العربية الفصحى بالمكان والزمان. وهذه العوامل هي: القرآن الكريم والمنهج

المعياري والتراث الأدبي<sup>(12)</sup>. وقد عملت هذه العوامل على إبقاء عناصر الثبات والاشتراك جامعة بين الامصار الناطقة بالعربية، وإن كانت بعيدة عن مراكز انتشارها، أو معزلة عما سواها، في صورة عزّ نظيرها قياساً على غيرها.

ويجد مصداق ذلك في أمثلة اللحن التي درسنا، إذ شهدت معظم الامصار الناطقة بالعربية تأليفاً في اللحن بدءاً من العراق قاعدة الخلافة، ومروراً بالشام ومصر، وانتهاءً بالأندلس وغيرها من أقطار المغرب. ففي العراق كانت البداية ثم تشعب التأليف منذ القرن الرابع الهجري، فظهر في الأندلس وصقلية وتونس لغويون عُمو بموضوع اللحن. وظهر بعد ذلك بقرنين تقريباً في الشام ومصر لغويون آخرون ألّفوا في اللحن، ثم ظهرت بعد ذلك مصنفات في العراق وتركيا وغيرها.

ويبدو للوهلة الأولى كما ظن بعض الدارسين أن هذه المصنفات تحوي هجات الامصار التي الفت فيها أو سبت اليها. لكن الحقيقة غير ذلك، لأن معظم المصنفين لم يقصدوا التعبير عن أي استقلال للخصائص اللغوية اجارية في بيئاتهم. كما لم يقدّموا - وهذا هو الأهم - مادة تصلح لاستخلاص شيء من ذلك وإن لم يقصدوه. فهم ذكروا بعض ما يتصل بالمكان من أثر في بعض الاستعمالات، وقارنوا بين أمثلة من المشرق بأخرى من المغرب، لكنهم لم يتوسعوا في ذلك نظراً لاعتصامهم بالعربية الفصحى واعتدادهم بشواهد القرآنية والشعرية، وقياسهم كل تغير على ما صحّ من لغة العرب الأوائل.

ولقد كانت تراودنا فكرة التقسيم الجغرافي حين بدأنا بضمّ المادة التي عملنا فيها في الدراسة التي أشرنا اليها مراراً، لكن المقارنة الأولية بين أمثلة هذا المصنف وذلك - وإن تاعدا في البيئة أو الزمان - لم تكن

---

(12) نظر عبد التوب، د. مصداق، نحو وملاحظات في اللغة، مكتبة حاسي بالفهرة، ط 1988، ص 179 - 80.

تشجع على التصنيف المكاني الخالص، أي فصل أمثلة هذا الاقليم عن غيره، وتحليلها منعزلة عما سواها. ولو أن هذا تم لوقعنا في تكرار يكاد يشمل معظم الأمثلة لأنها مشتركة بين أمصار المغرب والمشرق. لكن هذا لا ينفي وجود أمثلة قليلة اختص بها هذا الاقليم أو غيره، وإن لم تسلم في زعمنا من أن تكون متصلة بلهجة من لهجات العرب القدامى في أغلب الأحيان.

وتما يقلل من الأثر المكاني أن بعض المصنفين كانوا ينقلون معظم الأمثلة من المصنفين السابقين، لا من بيئاتهم، أو تما وقفوا عليه لدى معاصريهم. كما أن بعض الشراح وأصحاب الردود تناولوا مصنعات متعددة بالنقد والرد، على الرغم من اختلاف البيئة. من ذلك مثلاً «أدب الكاتب» لابن قتيبة، وشرحه «الاقتضاب» لابن السيد. وكتاب الاصل في ظهير في العراق، على حين أن صاحب الشرح أندلسي. ومنه أيضاً «درة لغواص» للحريري، وشرحها للخفاجي. ولدرة من لحن الخواص في العراق كما يستفاد من عنوانها، وبيئة مؤلفها، على حين أن شرحها الخفاجي مصري.

وليس هناك من بعد خلافاً أساسية بين بيئة وأخرى من البيئات العربية. وعلى افتراض أن شيئاً منه وجد حيناً من الدهر، فقد تلاشى أمام تمسك الناس بالعربية الفصحى المشتركة. ويكفي المرء أن يشير هنا إلى الآثار الإيجابية للمهجات العربية التي انطلقت مع الفتح الإسلامي، واستمرت بعد ذلك ناشرة القبائل العربية في أمكنة جديدة غلب عليها اللسان العربي الذي اعتصم به أصحابه اعتصمهم بالدين. وعلى هذا يستطيع الدارس تفسير كثير من الخصائص المشتركة بين قطر وآخر بالنظر إلى وجود صلات القربى والنسب على الرغم من بعد الديار. أية ذلك أن أمثلة كانت ترد في مصنعات الاندلسيين والمغاربة، فترد إلى أصولها اليمنية القديمة، أو إلى حيث شاعت في مكان معين لأحدى القبائل العربية.

ومن أجل ذلك كله نرى أن وصف هذا الكتاب مثلاً بأنه كلام

عامّة صقلية، أو عامّة بغداد، أو مصر، أو الشام، ونحو ذلك لا يشير إلى أنه كلام منعزل عن غيره أو أنه ينفرد بخصائص واسعة لا نجدها في غيره. بل هو غالباً جزء من كلّ، فيه من عوامل الاتصال ما يفوق كثيراً ما يكون من عناصر الانفصال.

#### ب - قواعد الاحتجاج :

لم تشهد قواعد الاحتجاج لأمثلة اللحن تغييراً كبيراً يمكن أن يعدّ خروجاً على ما تعارف عليه أهل اللغة من قواعد مطّردة. فالاحتجاج بالشعر، وبالقديم منه خاصة لما يزل يحتل مكان الصدارة. كما أنّ أقوال اللغويين المتقدمين ما فتئت تدور على ألسنة المتناقشين من أصحاب المصنفات فتجيز قولاً وتمنع آخر. أما ما يشير إلى شيء من التحول عما عرف عن قواعد الاحتجاج، فقد جاء في المرتبة الثانية، إذ لم يكن يزيد على التوسع في الاستشهاد بالحديث والآثر، وقبول بعض آراء اللغويين المتأخرين وأقوالهم، والاستئناس بالشعر المولّد بعد عصر الاحتجاج. لكن هذا التحول الطارئ لم يشمل أغلبية المصنفات، بل اقتصر على بعضها، كما أنه لم يأت ضمن خطة واضحة لتعديل قواعد الاحتجاج المعهودة على أيّ نحو من الأنحاء<sup>(13)</sup>.

والحق أن الاتجاه السائد في مناقشات الاحتجاج لصحة الأمثلة أو عدمها، لم يزل يدور حول ما نقل من اللغة نصاً ضمن الحدود التي وضعوها، مع الاختلاف الذي رأيناه بين مصنف وآخر حول تقدير مستوى الاحتجاج كالفصيح ونحوه، أو ما كان لهجة، أو شاذاً، وغير ذلك. ويبدو هذا جلياً في المناقشات التي حفلت بها كتب الشروح والردود، إذ لم تخرج عن سبيلين اثنين إلا نادراً، وهما: إيراد شاهد لم يذكره المصنف السابق، أو صاحب الكتاب الذي يشرح أو يردّ عليه. وبهذا الشاهد الذي هوّما يعتدّ به يكون الردّ. أو تأويل الشواهد التي

(13) انظر: رسالت، التطور الدلالي، ص 357 - 363

أوردها المؤلف السابق لاثبات سوء فهمه لموضع الاستشهاد وخطأ تفسيره له .

فالمشكلة الرئيسية في هذا الصدد هي أن معظم المصنفين تقيّدوا بما جاء عن العرب، وإن اختلفوا فيه . أما ما لم يتكلم به عربي محتج به فلم يقبل . وهذا نحو من التشدد الذي إن جاز في النحو ونظامه لم يجر في المفردات ودلالاتها . فإيقاف المعاني عند حدود صارمة لم يكن تؤيده الوقائع اللغوية المتداولة، إضافة إلى أنه في زعمنا موقف نظري ينسجم وما تواضع عليه اللغويون من رفض التغير أساساً وفي كل جانب . فتغير المعاني لم يعرف أنه توقف عند حدّ بدءاً من الألفاظ الإسلامية، ثم ما ولّدته الحضارة والعلوم المستحدثة في العصر العباسي وما تلاه، وهو جار في تضاعيف الكلام عصرًا بعد عصر .

ومع أن الاتجاه السائد في المصنفات هو ما ذكرنا، فقد وجدنا بعض المصنفين يتوسعون في تطبيق معايير أخرى حين الاحتجاج هي :  
1 - أصل الدلالة، 2 - معنى الصيغة، 3 - المجاز، وبذلك تم إخراج عدد من الأمثلة من نطاق المسموع إلى نطاق المقيس .

### ج - المستوى اللغوي :

يقود الحديث عن المستوى اللغوي لأمثلة اللحن في الدلالة إلى الوقوف عند من صدر منهم اللحن . فالعامة الذين يذكرون في تلك المصنفات هم كما تبين لنا جماعات من التجار والصناع والطلاب وبعض المتعلمين الذين لم يحصلوا الكثير من المعارف . أما الخاصة الذين يرد ذكرهم في بعض المصنفات فهم علماء اللغة والأدب وأهل الفقه والدين، والأطباء والفلاسفة والحكماء ومن في مستواهم . ولقد رأينا من يزعم أن العامة ليسوا هنا الدهماء وخشارة الناس، بل هم المثقفون الذين تتسرب إليهم أمثلة من لغة التخاطب اليومية فيستعملونها في أحاديثهم وفي كتاباتهم . وهذا زعم فيه خلط واضح بين مفهومي «العامة» و«لحن العامة» . فالعامة هم كما رأينا فئات متوسطة من



المجتمع تمثل عامة المتعلمين. على حين أن «الحن العامة» مصطلح شامل يمكن ان ينطبق على معظم أمثلة اللحن<sup>(14)</sup>. فبداية اللحن كانت لدى العامة ثم تسرب منه شيء الى الخاصة. اما «الحن الخاصة» فهو مصطلح ينطبق على قليل من الأمثلة التي تفرد بها الخواص والتي يصعب فصلها عن أمثلة العامة الا اذا كانت الادلة متوافرة، كما هي الحال لدى ابن مكي الذي جمع أمثلة مما يشيع لدى فئات الخاصة تفصيلاً. ولا يكفي دوماً الاقتناع بما يذكره المصنف من فصل أمثلة الخاصة عن العامة، اذ تختلط الامور فيضيع المرء اذا تابع مصنفاً كالحريزي الذي جعل الخواص في عنوان كتابه «درة العواص في أوهم الخواص»، لأن معظم أمثلته ليست للخاصة بل للعامة، وهذا ما جرى التدليل عليه في موضعه من الدراسة.

والعامة ليسوا الدماء ونخشارة الناس لأن المقصود هو العامة العليا أو الأولى. أما لعامة السفلى فقد أعرض عنهم المصنفون لأن أخطأهم مما لا يعزب عن تمسك بطرف من الفهم ولعلم<sup>(15)</sup>. فالمستوى اللغوي لأمثلة اللحن كان من «المتوسط» الذي شاع لدى من تلقوا شيئاً من لتعليم، او كان لهم بالثقافة سبب، وهم يتحدثون العربية الفصحى او يتناولون اليها متفاحين، ولا شك في أن تحفظاً طراً على الاعراب ونظام الجملة لدى هؤلاء وغيرهم، لكن هذا لا يؤثر في اتصال امثلة الدلالة بالعربية المصحى. واستناداً الى ذلك

(14) اسطر مطر، د. عبد الحريز، لحن لعامة في ضوء الدراسات المعوية الحديثة، الدار لقومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1966 ص 40، واسطر بشار، المعجم العربي، 1 96

(15) اسطر ابريدي، لحن العوم، تحقيق د. رمضان عبد النوب، مكتبة دار العرونة، القاهرة، 1964، ص 7 - 8، والحواليقي، الكلمة، تحقيق عمر الدين اسحوي، للمجمع العلمي العربي بدمشق، د. ت، ص 42، واس الحوري، تقويم اللسان، تحقيق د. عبد الحريز مطر، دار المعرفة بالقاهرة، ط 1، 1966، ص 74، ومقدمه د. مطر تقويم لسان،

نجد أن المستوى الموصوف لا يساعد على تبيين خصائص محلية متكاملة ومطرقة

ولقد ذهبنا في سبيل التأكد كما ذهبنا إليه انفا الى اجراء احصاء شامل لأمثلة التطور الدلالي بسبيله المعروفة: التخصيص والتعميم ونقل، فتبين لنا ان المجال الذهني لم يحط لا بتسعة امثلة من مجموع مائة وثلاثة امثلة درست في فقرة «النقل والمجاز». على حين أن ما تبقى وهو الأكثر حازه المجال الحسي بأنواعه الطبيعية والصناعية والأفعال ولصفات الحسية. ويلاحظ من بين المحسوسات أن الأسماء الدالة على خلق الانسان وصفاته الحسية، والحيوان، والنبات، والارض، والطبيعة عامة تمثل النسبة الكبرى من الامثلة. ثم تتلوها الاسماء الدالة على مسميات صناعية، كالادوات واللباس والاثاث والبناء ونحوه. وتأتي أخيرا أمثلة الافعال الدالة على حركات محسوسة.

ويؤيد ما جاء في التخصيص والتعميم من امثلة النتيجة التي ستخلصها انفا. فالامثلة التي وردت هـ بلغت اربعة وتسعين مثالا. نال أكثر من ثمانين مثالا منها المجال الحسي بأنواعه المختلفة ولعل في هذا وذاك دليلا على ان الامثلة التي شاعت من اللحن تقع في درجة وسطى بين كلام اهل العلم والادب ومن في مساوئهم، ولا سيما حين يؤلفون او يتحدثون في شؤون علومهم من جهة، وكلام السوق من لدهماء الذين يطبق عليهم اسم «العامة لسفلى» من جهة أخرى.

#### د- الجوانب الفنية :

يقصد بالجوانب الفنية هنا تصنيف أمثلة اللحن في الدلالة جميعا وفق قوانين تغير المعنى لكشف الاتجاهات التطورية في الدلالة. فالامثلة المسجلة من هذه الوجهة لا تخرج عن أن تكون ضمن واحد من هذه الاقسام :

1 - ما يتعلق بالفروق، والتقيد، والعلاقات الدلالية الاخرى كالاشتراك والتضاد.

- 2 - ما يتعلق بالعموم والخصوص
- 3 - ما يتعلق بالنقل ضمن مجال واحد، أو من مجال إلى آخر
- 4 - ما يرد الى سبيل من سبيل المجاز بأنواعه
- 5 - ما يعد في الارتجال الذي لا يمكن رده الى واحد من الاقسام السابقة .

وتجدر الاشارة الى اننا خرجنا كثيرا من الامثلة الصرفية قياسا على ما سبق من قوانين المعنى . كأن يكون هناك تخصيص لهذا الوزن او تعميم، او نقل من دلالة الفاعلية أو أن تكون هناك فروق بين صيغة وأخرى لا يعتد بها العامة ونحو ذلك . كذلك ألحقنا ما جرى على القياس من الاشتقاق على القواعد المعروفة بما سبق، لأن فيهما يقاس على صيغة معروفة استكمالاً لامكانيات موجودة بالقوة، واستثمارا لها بإيجادها بالفعل .

ولقد ظهر لنا بوجه عام ان العامة لا ينظرون في الفروق، ويميلون الى الاقتصاد في بذل الجهد، ويتجهون غالبا الى التعميم، ولا يحرصون على الدقة في التعبير الا نادرا . كذلك يلاحظ ان الاشتقاق القياسي قليل لديهم، على حين ظهر بعض الدخيل في استعمالهم .

##### 5 - خاتمة : توظيف المعطيات :

لقد كانت دراستنا ابتعانا لجوانب من الدرس اللغوي القديم لابرازها في صورة جديدة استعنا في رسم حدودها وتوضيحها بالمناهج اللغوية الحديثة التي لا يسع الدارس تجاهلها آيا كان موقفه منها . وكان من وراء ذلك قصد الى تبين شيء من مسيرة اللغة عبر الزمن خدمة لقضية التطور . ولذلك اتجهنا الى امثلة اللحن سعيا الى الوقوف على المادة الصالحة لهذا الدرس .

ولابد من أن يلاحظ ان الدرس اللغوي التاريخي ما يزال عندنا جديدا، ولم يؤت النتائج المرجوة منه . ولذلك راينا ان ما يقدمه دارس واحد في هذا المعترك الصعب ليس الا لبنة في بناء متعدد الانحاء كثير

الارضاء يتطلب انجازه تضافر الجهود واجتماع الخبرات .

ومهما يكن من امر فاننا نخلص الى ان الافادة من تراث لحن العامة في مشروع المعجم التاريخي امر ضروري ويمكن ايضا بالوسائل المتوافرة الآن . واذا كان المعجم التاريخي يحتاج الى معظم ما ورد في مصنفات لحن العامة لرسم التطور التاريخي للدلالات والصيغ ، فان المعجم الاساسي لا يستغني عما ورد في تلك المصنفات من جديد يضاف الى رصيد اللغة المتداول بعد عرضه على الجهات التي اخذت على عاتقها مراقبة التغير اللغوي وحراسة الفصحى من الشطط في الابتداء .

ففي تراث لحن العامة استكمال لتسلسل المعاني في كثير من الدلالات والصيغ ، مع إشارات قد تكون ذات فائدة في النظر الى بعض الاستعمالات الخاصة او المحدودة . فالجانب الزمني كما مر بنا واضح المعالم في معظم امثلة اللحن مما يساعد الباحثين المحدثين على السير قدما في هذه السبيل التي ظن كثيرون انها لم توطأ من قبل . وتراث لحن العامة وفق ما رأينا من المصنفات المخصصة له ، جانب أساسي ومقعد من جوانب الدرس اللغوي ، وهو لذلك اقرب منالا من غيره ، إذا ما شاء الدارسون توظيفه في مشروعات المعجم العربي ودراسات التطور التاريخي . فاذا ما قورن بجوانب الثقافة الاخرى كالمصنفات التاريخية والجغرافية وكتب الرحلات ومصنفات الفقه والحديث ومآثر كتب التراث الادبي والفكري ، بدا ما فيه من قرب الى المعجم دراسة وتصنيفا . على حين ان معظم ما ذكرنا من جوانب التراث التي يرجى الافادة منها في مشروع المعجم التاريخي خصوصا ليس متيسر المأخذ ، نظرا لتشعبه وطبيعته التي نأت عن توضيح ملامح التغير قصدا على نحو ما رأينا في مصنفات لحن العامة .

ثم إننا نجد أن هذا التراث - مع ما ذكرنا من تحفظ حول تمثيله العامة - هو اوسع النواحي التي يمكن للدارس ان يجد فيها ملامح التغير القريبة من لهجات الخطاب اليومي وصور الاستعمال الحي الى

حد معلوم . على حين ان معظم الجوانب الثقافية الاخرى صمت ما يتصل بالمصطلحات والمواضيع المتعلقة بالعلم والمعارف ذات الانتشار المحدود . ونودّ ههنا أن نشير الى ان معظم ما ورد في هذه الجوانب ليس الا من «المولّد» الذي ظل مرتبطا بالعربية الفصحى في معركة تحديثها العلمي . وقد امّدها هذا المولّد دلالة «صيغة» بطاقات غنية استطاعت بها ان تكون لعة العلم والفلسفة والمنطق والطب والفلك والجغرافية وغير ذلك من العلوم المستحدثة ، إضافة الى استيعابها مصطلحات العلوم العربية وفنونها المحدثّة . ويلاحظ ان المولّد صادف قبولاً لدى اللغويين ون كانوا متشددين ، لانه كان يلبي حاجة ماسة لدى الدوائر العليا من الناس الذين كانوا على قدر كبير من العلم باللغة . ومن الممكن الافتراض ان المولّد كان من «التطوير» الواعي الذي يصدر عادة عن تلك الدوائر ، فيسارع الناس الى تقبله واستعماله ، ولا سيما اذا ما أتاحت له فرص الشيوخ .

ولأجل توظيف أمثلة لحن العامة في مصادر المعجم التاريخي نرى ان يجري احصاء شامل لكل ما يتعلق بالدلالة والصرف في جميع مصنفات اللحن التي وصفتنا ثم يكون بعد ذلك ضم جوانب المنشاه والمكرور في تسلسل زمني . ويُنظر بعدئذ ، وفي سياق كل تغير في ثلاثة أمور هي :

- 1 - قربه أو بعده عن الفصحى المدونة في المعاجم
- 2 - درجة الشيوخ ومدى الاستعمال زماناً ومكاناً
- 3 - دائرة الاختصاص او الاشتراك

ولس يكون المقصود من هذا النظر الحكم على اي مثال بالخطأ او الصواب ، بل توصيح التغير الطارئ ومداه ضمن تاريخ وصفي خالص لحياة المفردات ودلالاتها عبر تقاطع لزمان ومكان وسوف يكون في هذا من دون شك نفع عميم يوظف في قضايا العربية الفصحى مصطلحاً وتعريباً وفتحاً لمجالات لم تكن تستثمر من قبل .

أحمد محمد قدّور

# اللفظ الأعجمي في معجم العربية التاريخي ملاحظات حول قضيتي الجمع والوضع

بحث: إبراهيم بن مراد

من أشدّ مسائل اللغة العربيّة تعقيد وغموضاً مسألة «اللفظ الأعجمي» المعروفة عند القدماء بمسألة «المعرب والدخيل» وعند المحدثين بمسألة «الاقتراض». ولتعقيدها وغموضها أسباب كثيرة أهمها ما اتصل منها بالموقف المذهبيّ العقائديّ من اللغة، وما نتج عن ثقافة اللغويين العرب، القدماء والمحدثين على السواء. ذلك أن لمسألة قد ارتبطت في أذهان كثيرة - منذ القرن الأوّل الهجريّ وإلى يوم الناس هذا - بما ثار من جدال حول طاهرة العجمة في النصّ القرآني<sup>(1)</sup>، وتأثرت بها جدّ من حصومة بين العرب والشعوبيّة حول الظاهرة اللغويّة العربيّة

---

(1) ينظر حول مواقف المذهبيّة من قضية الاقتراض في لقول لكريم د. محمد رشاد الخمراني «سبعة مرآة العقيدة، بحريج اجتماعي لغوي من خلال نظره مصفّي لمراد واقعه، مسألة لاسمارة للغة» في كتاب لغويته وحدثه، ط 2، دار العرب الإسلامي، بيروت، 1986 (237 ص) ص 39 - 156، إبراهيم بن مراد، المصطلح الأعجمي في كتب العرب ولصيغة عربيّة، دار عرب لاسلامي، بيروت، 1985 (حران)، 1 - 50 - 70

عموماً. ثم إن لثقافة لغويّنا أثراً آخر في هذه المسألة بارزاً. فقد كان معظمهم يجهل اللغات الاعجمية جهلاً يكاد يكون تاماً. وما يعلمونه منها كان منحصراً في الغالب في اللغة الفارسيّة بسبب تأثيرها المباشر وقرها من علماء اللغة في العراق. وقد كان عدد كبير منهم من الفرس. أما المحدثون من العارفين باللغات الاعجميّة منهم يكادون لا يخرجون في معارفهم من دائرة اللغات الاورويّة الحديثة، كالفرنسيّة والانقليزيّة. أما اللغات الساميّة، أخوات العربيّة، واللغة اليونانية واللغة اللاتينية واللغة التركيّة واللغة الاسبانية واللغة البربريّة - وقد أثرت كلّها في العربيّة على مرّ العصور الاسلاميّة - فإن المعرفة بها تكاد تعدّ من الترف والاسراف.

على ان لتعقيد مسألة اللفظ الاعجمي وغموضها في العربيّة سببا ثالثاً لا يقلّ خطراً عن السببين السابقين. ونعني به موقف علماء اللغة القدامى من الفصاحة والفصحاء. فقد حدّوهم مكاناً وزماناً وقيدوا البحث في المصادر اللغوية بها أسموه «عصر الاحتجاج» الذي لا يخرج عن القرن الثالث الهجري إلا قليلاً. ولا يخرج مكانه عن جريرة العرب وتخومها. بل إن العصر والمصر للذين حدّ بهما الاحتجاج اللغوي وقيدت بهما لفصاحة لم يخلصا من الانتقاء أيضاً. فان المصادر الفصيحة المستقرّة تكاد تنحصر في الشعر والنص القرآني والحديث النبوي، والنصوص اللغوية المعتمدة بدورها على المصادر المذكورة نفسها، وعلى ما دوّنه اللغويّون عن الاعراب. وقد أقصيت بسبب هذا المفهوم الضيق للفصاحة مصادر كثيرة تنتمي الى العصر نفسه فلم تستقرّ، وأقصيت لذلك ألفاظ كثيرة فلم تدوّن في المعجم العربي، وقد كان كثير من تلك الالفاظ أعجميّاً.

لقد كان للأسباب الثلاثة التي ذكرنا أثر بارز ملموس في المعجم العربي، في القديم والحديث. فان أهم سبب قد غلبت على معالجة مسألة اللفظ الاعجمي في المعجم العربي هي الاضطراب، سواء في

مستوى جمع المادّة المعجميّة، أو في مستوى وضعها وتدوينها<sup>(2)</sup> وهاتان القضيتان هما اللتان تعنياننا في الحديث عن مسألة اللفظ الاعجمي في معجم العربية التاريخي.

#### 1 - قضية الجمع :

لقد انطلق المعجميون العرب القدامى في جمع مدوّناتهم اللغوية من مفهوم ضيق للفصاحة قد حصرها في المكان والزمان وقصرها على جماعات بعينها من الناس هم الاعراب - وقد كانت المواقف من بعضهم محترزة - ومن تشبّه بهم وقفاً آثارهم وتفرّع عنهم من الحضر. فكان الرصيد المعجمي العربي في معظمه - لذلك - معبراً عن مظاهر الحياة في البادية وأنماط العيش والتفكير فيها. وقد أخضعت الالفاظ الاعجمية لما أخضعت له بقية المستويات اللغوية المدوّنة. فقد عُني المعجميون بتدوين المعرب الأدبي الذي أصبح لا يعتد بعجمته لخضوعه لمقاييس كلام العرب ولسيرورة على ألسنتهم ولوروده في مصادر مشهود لها بالفصاحة. وقد أسقطت نتيجة هذا الاختيار ألفاظ ومصطلحات أعجميّة كثيرة جدّاً قد دخلت العربية في عصر الاحتجاج نفسه، فلم تدوّن ولم يعترف بها. وأكثرها عدداً تلك التي وردت في كتب المولدين من الأدباء، مثل عبد الله بن المقفّع وأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، وفي كتب العلماء، مثل أبي يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي وإسحاق بن عمران، وفي كتب المترجمين الذين نقلوا آثاراً أعجميّة إلى العربيّة وألفوا أيضاً كتباً علميّة، ومن أهمهم حنين ابن إسحاق، وقد عاش هؤلاء الذين ذكروا جميعاً قبل سنة 280 هـ، فهم غير خارجين عمّا سمي بعصر الاحتجاج.

(2) يظن في ذلك خطأ «اللفظ الاعجمي في لسان العرب لابن منظور: مزكته ومصح معالجته»، في كتاب «دراسات في المعجم العربي»، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1987 (399 ص)، ص 155 - 197، ومبحث «مشاكل الترتيب المنهجية في المعجم لعامن العربي الحديث» تطبيق على المعجم الوسيط، في مجلة المعجميّة، 3 (1987)، (ص ص 11 - 39)، ص ص 23 - 32.



وظاهرة الاسقاط هذه تطرح اشكالية الجمع في معجم العربية التاريخية، وقضية الجمع فيه هي في الحقيقة قضية الجمع في المعجم العربي العام عاقبة، لان المعجم التاريخي هو المعجم العام المثالي الذي يُؤرّخ فيه لولادة اللفظ وتطوّره الدلالي بحسب العصور. إلا أن تلك المثالية لا تتحقق إلا اذ حطمت القيود المانعة لمفهوم الفصاحة من الاتساع ولتطوّر، ونظر الى الفصاحة نفسها على أنها ظاهرة متطورة متغيرة لا يختص بها عصر دون عصر ولا مصر دون مصر. وكل ما تولّد في لغة ما من ألفاظ قد فرضت الحاجة استعمالها في وقت ما من تاريخها وفي رقعة ما من الفضاء الذي تستعمل فيه، كان حريّا بالتدوين. والألفاظ الاعجمية المولدة عبر العصور الاسلامية في الاصطلاح والامصار المعربة، ذات منزلة لا يستهان بها.

وهذا المحي إلى توسيع مفهوم الفصاحة أثناء تدوين المادة المعجمية ذو ارتباط بمصدر الاستقراء أيضا. والمصادر التي اعتمدها المعجميون العرب في جمع المدونة اللغوية - حتى نهاية القرن السابع الهجري مع ابن منطوق في لسان العرب - خمسة أساسية. ولها هو الشعر، وخاصة الجاهلي والاموي، وثانيها هو القرآن الكريم وما ألف في غريبه، وثالثها هو الحديث النبوي وما ألف في غريبه، ورابعها هو كلام الاعراب الذي حرص علماء اللغة على تدوينه من أفواههم في مطابخهم ببواديه، وخمسها كتب اللغة والأدب المؤلفة قبل نهاية القرن الرابع الهجري، مثل كتاب النبات لابي حنيفة الديبوري (ت. 282 هـ/895 م)، وكتاب الكامل للمبرد (ت. 285 هـ/898 م)، وكتاب الفصيح لتعلب (ت. 291 هـ/904 م) وقد أضيف الى تلك المصادر الخمسة بعد القرن السابع مصدر سادس هو كتب الأطباء والحكماء، وقد كان الفضل في هذا الخروج عن المصادر القديمة المتعارفة لمجد الدين الفيروز ابادي في معجمه «القاموس المحيط». فقد اعتمد الفيروزا بادي (ت. 817 هـ/1414 م) في قاموسه مؤلفات الطب والفلسفة ودون من مصطلحات كثيرة، فكان ذلك خروجاً شأناً على

مفهوم الفصاحة الذي كان سائداً إلا أن نزعة الفيروزا بادي إلى الاحتصار وتقيده بالايحاز في معجمه قد جعلاً إفادته من المصدر السادس محدوداً. ولذلك فإن المصادر الخمسة الأولى قد ظلت في الحقيقة المصادر السائدة في أذهان الناس وفي أعمال المعجميين عامة، بل أن المصادر الثلاثة الأولى - وهي الشعر والقرآن والحديث - قد ظلت الاغلب، ومازلنا نرى لها اليوم شأنًا كبيراً، وخاصة في الشواهد.

ولا شك أن تلك المصادر الستة تضيق اليوم على معجم العربية التاريخي، ولا بد من اضافة كل ما عداها من المصادر، على اختلاف اصنافها وانواعها وضروبها حتى يكون الاستقرار شاملاً ويكون تتبع تطور الالفاظ الدلالي عبر تاريخها دقيقاً، وتلك المصادر المعتمدة جميعاً هي نفسها بالطبع مصادر استقرار الالفاظ الاعجمية، على أن لهذا الصنف من الالفاظ مصادر أخرى خاصة به، وأهمها نوعان:

أولهما تمثله المعاجم اللغوية العامة التي عُني مؤلفوها بظاهرة اللفظ الاعجمي بحسب طاقتهم وما انتهت إليه معارفهم، وأهم تلك المعاجم كتاب العين للخليل بن أحمد، وجمهرة اللغة لابن دريد، ولسان العرب لابن منظور والقاموس المحيط للفيروزا بادي، وتاج العروس للزبيدي، ومحيط المحيط لبطرس البستاني، والمستدرک على المعاجم العربية لدينهارت دوزي، والمنجد للويس المعلوف في طبعاته المختلفة، والمعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة

وثاني النوعين تمثله الكتب المؤلفة في ظاهرة اللفظ الاعجمي في اللغة العربية، وهذا النوع بدوره ضربان: أولهما تمثله الكتب المؤلفة باللغة العربية، وأهمها تسعة هي «المعرب من الكلام الاعجمي» لابي منصور الجواليقي (ت. 540 هـ / 1145 م)<sup>(3)</sup>، و«حاشية على كتاب

(3) المعرب من الكلام الاعجمي لأبي منصور موهوب الجواليقي، (ت. 540 هـ / 1145 م)، تحقيق احمد محمد شكري، ط 2، القاهرة، 1969 (303 ص)

المعرب» لأبي محمد عبد الله ابن برّي (ت. 582 هـ/1187 م) <sup>(4)</sup>،  
 و«المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب» لجلال الدين السيوطي (ت.  
 911 هـ/1505 م) <sup>(5)</sup>، و«شفاء الغليل فيما في كلام العرب من  
 الدخيل» لشهاب الدين الخفاجي (ت. 1069 هـ/1658 م) <sup>(6)</sup>،  
 و«كتاب الألفاظ الفارسية المعربة» لأدي شير الكلداني <sup>(7)</sup>، و«تفسير  
 الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية» لطوبيا العنيسي <sup>(8)</sup> و«الألفاظ  
 السريانية في المعاجم العربية» لمار اغناطيوس أفرام الأول يرصوم <sup>(9)</sup>  
 و«المفصل في الألفاظ الفارسية المعربة» لصلاح الدين المنجد <sup>(10)</sup>،  
 و«المصطلح الأعجمي في كتب الطب والصيدلة العربية» لصاحب هذا  
 البحث <sup>(11)</sup>.

والضرب الثاني من هذه الكتب تمثله الكتب المؤلفة بلغات  
 اعجمية، وأهمها أربعة: اثنان منها باللغة الألمانية، وهما كتاب «الألفاظ  
 الآرامية في اللغة العربية» لسيغموند فرنكل <sup>(12)</sup>، وكتاب «الألفاظ

(4) حاشية على كتاب «المعرب» [للجوالقي]، لأبي محمد عبد الله ابن برّي (ت.  
 582 هـ/1187 م)، تحقيق ابراهيم السامرائي، بيروت، 1985 (180 ص)  
 (5) المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب، لجلال الدين السيوطي (ت. 911 هـ/1505 م)، تحقيق  
 عبد الله الجبوري، محله المورّد، 1 و2 (1971)، ص ص 97 - 126.  
 (6) شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل لشهاب الدين أحمد الخفاجي (ت.  
 1069 هـ/1658 م) القاهرة، 1282 هـ/1865 م (245 ص).  
 (7) كتاب الألفاظ الفارسية المعربة، للمطران أدي شير الكلداني، بيروت، 1908 (194 ص).  
 (8) تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية، مع ذكر أصلها بحروفه، ج 2، دار العرب، القاهرة،  
 1964 - 1965 (78 ص).  
 (9) الألفاظ السريانية في المعاجم العربية، في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، في المجلدات 23  
 (1948)، و24 (1949)، و25 (1950)، و26 (1951).  
 (10) لمفصل في الألفاظ الفارسية المعربة في الشعر الجاهلي والقرآن الكريم والحديث النبوي والشعر  
 الأموي، بيروت، 1978 (287 ص).  
 (11) المصطلح الأعجمي في كتب الطب والصيدلية العربية لأبراهيم بن مراد، وقد سبق ذكره في  
 التعليق (1)

(12) Die Aramäischen Fremdwörter im Arabischen, von Siegmund FRAENKEL, Leiden - (12)  
 E.J. Brill, 1886 (327 p).

الفارسية في العربية الفصحى، لعبد الستار صديقي<sup>(13)</sup>، وثالثها باللغة  
الاسبانية وهو كتاب «الالفاظ الاسبانية واللاتينية في لغة المستعربين»  
لفرنشيسكو سيمونيت<sup>(14)</sup>، ورابعها باللغة الانكليزية وهو «الالفاظ  
الاعجمية في القرآن الكريم» لأرثور جفري<sup>(15)</sup>.

تلك إذن ثلاثة عشر كتابا قد عنيت جميعا باصول الالفاظ  
الاعجمية في اللغة العربية، ومعظم هذه الكتب كما يلاحظ في  
اختصاصات بعضها، كالاختصاص بالفاظ لغة ما، كالفارسية  
والسريانية واللاتينية، والاختصاص بالفاظ كتاب او كتب بعضها،  
كالفاظ القرآن الكريم ومصطلحات كتب الطب والصيدلة، وليس من  
تلك الكتب الا ثلاثة هي كتب عامة بحق، وهي كتاب «المعرب»  
للجواليقي وكتاب «شفاء الغليل» للخفاجي وكتاب «تفسير الالفاظ  
الدخيلة في اللغة العربية» لطوبيا العنيسي، والكتابان الاول والثاني  
مهمان بدون شك لكن مادتهما المنقوصة والمنهجية الساذجة المتبعة في  
تأليفهما تجعلان من جدواهما اليوم ضعيفة، وليس بعيدا عنها في الحقيقة  
كتاب العنيسي، فإن مجمل الالفاظ المدونة فيه لا يتجاوز الألف، ومن  
ذلك الألف ألفاظ كثيرة عامية حديثة، والعدد الذي دونه المؤلف ضئيل  
جدا اذا نظرنا الى ما يوجد في كتب التراث عامة من الفاظ أعجمية.

وما يستتج مما سبق هو ان العربية ليس لها معجمها الاصولي  
الاقتراضي الذي يجمع شتات ما دأخلها من ألفاظ اعجمية منذ قديم  
عصورها، ويعرف بتلك الالفاظ تعريفا منهجيا دقيقا. وانعدام المدونة

---

Studien über die Persischen Fremdwörter im Klassischen Arabischen. (13)

Göttingen, 1919 (VII + 118 p).

Glosario de voces ibericas y latinas usadas entre los Mozarabes. Madrid. (14)

1888 (CCXXXVI + 628 p)

The Foreign vocabulary of the Qur'ân, by Arthur GEFERY, Baroda, 1938 (15)

(XIV + 311 p)

الموحدة الشاملة في الالفاظ الاعجمية المقترضة يطرح في مستوى الجمع في المعجم التاريخي بعض القضايا، وأهمها اثنتان:  
أولاهما هي التيقن من عجمة اللفظ، فإن الفاظ كثيرة قد استعملت في اللغة العربية تثير شكوكا حول عجمتها، وهي ثلاثة أصناف:

أولها هو صنف الالفاظ التي دونتها المعاجم ولم تصرح بعجمتها او صرحت بانها عربية فاسقطت عنها لعجمة، وهذا الصنف كثير العدد في العربية ونذكر منه فيما يلي مثالين: الاول هو كلمة «دَقْل» وهو التمر، وأردأ أنواع التمر وما ليس له منه اسم خاص، واحدته دَقْلَةٌ<sup>(16)</sup>. وقد انقلت هذه الكلمة الى العربية التونسية لكن لتدل على احوذ أنواع التمر، والكلمة ليست عربية بل هي من اليونانية *Daktulos* وقد حذف من الكلمة اليونانية مقطع التاء المضمومة، وهذا الحذف ظاهرة مطردة في تعريب الالفاظ الاعجمية، ومعنى الكلمة اليونانية هو الاصبع، وكل ما كان على هيئة الاصبع أو طوله، والتمر نفسه والمثال الثاني هو كلمة «ملوخيا»، وهي تُطْلَق على نبت الحَبَّاز، وهذه الكلمة مما أهملته المعاجم اللغوية العامة وذكرها مؤلفو معاجم الادوية المفردة، ولها ذكر في كتاب «شفاء الغليل» للخفاجي، وقد حاول الخفاجي التأريخ لظهورها فقال إن هذه الكلمة «لم تكن معروفة قديما، وحدثت بعد سنة ثلاثمائة وستين من الهجرة، وسببها ان المعز [لدين الله الفاطمي] باني القاهرة لما دخل مصر لم يوافقها هواؤها وأصابه يبس في مزاجه، فدبر له الاطباء قانونا من العلاج منه هذا الغذاء فوجد له نفعا عظيما في التريد والترطيب، وعوفي من مرضه فتركها وأكثر هو واتباعه من أكلها وسموها الملوكية، فعرفتها العامة وقالت ملوخيا»<sup>(17)</sup>.

(16) ابن منظور الاقريطي (ت 711 هـ/1311 م) لسان العرب، عداد وتصنيف يوسف الحياط، در لسان العرب، بيروت، (د ب )، (3 أجزاء)، 998/1 (دقل)  
(17) الخفاجي شفاء العليل، ص ص 222 - 233

والخفاجي قد وهم هنا لأن كلمتي «الملوكية» و«الملوخيا» قديمتان كانتا مستعملتين منذ القرن الثالث الهجري. فقد جاء في ترجمة «مقالات» ديوسقوريدس العربية: «ملوخيا: وهو الذي يسميه أهل الشام الملوكية»<sup>(18)</sup> وهذه الترجمة موضوعة في النصف الأول من القرن الثالث، ثم إننا نجد ههما مذكورتين معا في كتاب الاعتماد في الادوية المفردة لأبي جعفر أحمد بن اجزار، فقد قال عند الحديث عن «الخطمي»: «ومنه صنف يقال له الملوخيا وهي الملوكية»<sup>(19)</sup>. والاعتماد مؤلف قبل 334 هـ/945 م، أي قس خلافة المنصور الفاطمي، واند المعز، على إفريقية. والكلمة بعد هذا من اليونانية Mo okhê<sup>(20)</sup>.

والصنف الثاني هو صنف الألفاظ الاعجمية السامية، ذلك أن ألفاظا كثيرة قد دخلت العربية من اللغات السامية، كما أن ألفاظا عربية كثيرة قد دخلت اللغات السامية من العربية، ولاشك أن دراسة حركة التقارص وانتقال الألفاظ بين لغات تنتمي الى عائلة واحدة مثل اللغات السامية، مغللة في القدم، دراسة على قدر كبير من الصعوبة الموقعة في المزالق الكثيرة، والامر بالطبع ليس صعبا اذا خصص ألفاظا ذات ابنية مستعصية على أقيسة كلام العرب، مثل كلمة «قَلْسِيدَ نَارِدِينَ» - وهي سريانية معناها «عود السيل»<sup>(21)</sup> وكلمة «فَاشِرَاشِينَ» - وهي سريانية أيضا ومعناها «الكرمة السوداء»<sup>(22)</sup> فهاتان كلمتان ظاهرتا العجمة. أما اذا كنت الكلمة المرححة عجمتها ذات أصل طاهر في العربية،

(18) المقالات الخمس لديوسقوريدس اعين دربي (القرن الأول الميلادي)، تحقيق قبصر

ديلار واليس ترانس، تطوان، 1957 (626 + 180 ص)، ص 192

(19) كتاب الاعتماد في الادوية المفردة لأبي جعفر أحمد بن اجزار الفيروني (ب 369 هـ/980 م)،

مخطوطة مكتبة الخزانة الوطنية رقم 1746 (ص 113 ط - الى 216 ن)، ص 169 وجه

(20) يطر: المصطلح الاعجمي في كتب الطب ولصيدلة العربية، 46/1 - 47

(21) المصدر نفسه، 628/2 (رقم 1515)

(22) المصدر نفسه، 564/2 - 565 (رقم 1341 - 1342)

خاضعة لآبنية العربية وأقيستها ، فان البت في انتهائها الى لغة سامية ما  
وليس الى العربية يصبح في احيان كثيرة صعبا .

والصنف الثالث من الالفاظ التي تثير شكوكا حول عجمتها هي  
الالفاظ التي استعملت في العربية ولم تدوّن في المعاجم البتة ، فهي في  
مظاهرها غفل تنتظر نفص العار عنها ، والرصيد الاعجمي من هذه  
الالفاظ لا يستهان به ، وتدوينها في المعجم التاريخي يقتضي البحث في  
أصولها ، وامر التيقن من عجمتها هين هي ايضا اذا كانت مستحصية  
على أبية العربية وأقيستها ، أمّا اذا كانت مشتقات او مقيسة على بناء  
بعينه فان الترجيح يصبح صعبا ، ولنا من هذا الصنف مثالان ، اولهما  
هو فعل «تملخن» . واول نصر عثرنا عليه فيه لابن الجزار القيرواني ، ويبدو  
انه من كتابه «أخبار الدولة» الذي ألفه في ظهور دولة العبيدين  
بإفريقية ، وقد نقل عنه سليمان بن حسان بن جليل هذا النص ، في  
ترجمة اسحاق بن عمران الذي مات مصلوبا بالقيروان سنة  
279 هـ / 892 م ، ونصر قوله «وكان مما قال [اسحاق بن عمران] لزيادة  
الله في تلك الليلة [التي صلب فيها] : يا ملخوني والله انك لتدعى  
سيد العرب وما انت لها سيّد . ولقد سقيتك منذ دهر دواء ليفعلن في  
عقلك . وكان زيادة الله مجنونا ، فتملخن ، ومات» .<sup>(23)</sup> وفعل تملخن هنا  
فعل رباعي مزيد بحرف هو التاء ، وليس هو بمشتق من جذر عربي بل  
إن اشتقاقه من اسم أعجمي هو المالخنوليا ، وهو يوناني أصله  
Melankholia ومعناه الاصلي «المرة السوداء» ، ثم أطلق على مرض بعينه  
هو المسمى بالوسواس وبالسوداء ايضا . ولاسحاق بن عمران فيه كتاب  
جيد هو كتاب «المالخنوليا» .

والمثال الثاني هو كلمة قَيْفَلَة ، التي تكتب فيقلة ايضا بفاء فقا ف .  
وكلتاها على وزن «فَيْعَلَة» مثل غَيْطَلَة وهي البقرة الوحشية ، ومثل

(23) طبقات الاطباء والحكماء لابي داود سليمان بن حسان بن جليل (ت بعد 384 هـ / 994 م) ،  
تحقيق مؤاد سيّد ، القاهرة ، 1955 (138 ص) ، ص 86

«هَيْقَعَة» ومعناها وَقَعَ الشيء اليابس على مثله . وأقدم نص عثرنا فيه على هذه الكلمة هو كتاب الاعتماد في الادوية المفردة لأبي جعفر أحمد بن الجزّار، وقد ألفه قبل سنة 334 هـ / 945 م ، وقد وردت عنده في صورة «فيقلة» بالفاء في الاول، ومن امثلة استعماله لها قوله عن النبات المسمى «اسطوخودوس» : «وفي رؤوس قضائه فيقلة كجمة السُّعْتَس»<sup>(24)</sup> . وقد استعملها ابن الجزار في صيغة الجمع ايضا وهي فيقل . والكلمة كما بينا في بحث لنا سابق<sup>(25)</sup> من اليونانية Képhalê ومعناها الاصل هو الرأس . وقد استعملها المؤلفون العرب في لادوية المفردة للتدليل على ما يسميه علماء النبات العرب اليوم في الزهرة بالرؤيس ، ترجمة لمصطلح Capitulé الفرنسي .

تدث إذن هي أصناف الألفاظ التي تثير شكوكا حول عجمتها . واما القضية الثانية التي تطرح في مستوى جمع المادّة المُفْتَرَضَة في المعجم العربي التاريخي فهي التيفن من اللغة المُفْتَرَضَة أو اللغة الاصل التي انتقل منها اللفظ الى العربية ، فان في العربية ألفاظا كثيرة قد أُقِرَّت عجمتها لكن انتماءها الى لغة بعينها قد بقي محل خلاف . وهذه الالفاظ الاعجمية صنفان :

أولهما هو صف الألفاظ المختلف في نسبتها ، وهي التي ينسبها كل شق الى غير ما ينسبها اليه الشق الآخر ، وعدد هذه الألفاظ في العربية كثير ، ومن أمثلة هذا الصنف كلمة «الكتان» وهو في الاصل اسم جنس من النباتات معظمها عشبي زراعي ، منها نوع شائع يزرع للحصول على أليافه واستعمالها في النسيج ، وقد تطور معنى الكلمة فاطلق «الكتان» على النسيج نفسه ، وقد اختلف في أصل الكلمة .

(24) اس احرر كتاب الاعتماد، ص 129 ط

(25) سطر حول العنقة والقبعة بحث «العنقة والقبعة» ، كلمتان مهمتان المعجم في كتاب دراسات في المعجم العربي، ص ص 21 226



فابن دريد في الحمهرة<sup>(26)</sup> وابن فارس في مجمل اللغة<sup>(27)</sup> وابن منظور في اللسان<sup>(28)</sup> قد اتفقوا جميعاً على ان الكلمة عربية وان الكتان سمي كتانا لانه ينجس ويبقى بعضه على بعض حتى يكتن اي يتلصق ويتلّج. أما الجواليقي في كتاب المعرب فقد اعبر الكلمة فارسية<sup>(29)</sup>. واما فرنكل في كتاب الالفاظ الارامية في اللغة العربية<sup>(30)</sup> فقد جعل الكتان من لارمية Ketono. وقد ذهب مذهبه مار اغناطيوس برصوم في «الالفاظ السريانية في المعاجم العربية»<sup>(31)</sup>، وقد ارتأى الراي نفسه رفائيل نخله اليسوعي في كتابه «غرائب اللغة العربية»<sup>(32)</sup>. علي أن دوزي في المستدرك على المعاجم العربية<sup>(33)</sup> قد أرجع الكلمة لى أصل يوناني هو «Khitōn» ومعناه الاصبي «اللباس عامة، ويخص به قميص من صوف يلبسه الرجل، وغلالة طويلة من الكتان تلبسها المرأة». وقد تابعنا بدورنا دوزي في هذا المذهب في كتابنا «المصطلح الاعجمي»<sup>(34)</sup>.

والصنف الثاني من الالفاظ المختلف في لغتها ذو صلة بالاول، وشمته ألفاظ أعجمية قد انتقلت الى العربية انتقلاً غير مباشر، اي عن طريق لغة وسيطة كانت مجرد منخريين العربية واللغة لمقرضة الاصلية. وهذا الصنف كثير العدد ايضاً، ومن أمثلته كلمة «أفيون» فقد أقرت

(26) كتاب حمرة اللغة لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت 321 هـ / 933 م)، تحقيق رمزي

عديكي، در العلم للملايين، بيروت، 1987 - 1988 (3 أجزاء)، 409/1

(27) مجمل اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس (ت. 395 هـ / 1004 م)، تحقيق هادي حسن حمودي،

مشتورات معهد لمخطوطات العربية، الكويت، 1985 (4 جزء وجزء للمهارس)، 214/4

(28) ابن منظور اللسان، 222/3

(29) الجواليقي المعرب، ص 345

(30) Fraenkel Aramäischen Fremdwörter im Arabischen, p 42

(31) غرائب اللغة العربية لرفائيل نخله اليسوعي، ط 2، بيروت، 1960 (328 ص)، ص 203

(32) Dozy (Renhart) Supplément aux Dictionnaires Arabes, 3ème éd. Paris - Leyde, 1967 (33)

(3 vol ), 2/444

(34) ابن مراد المصطلح الاعجمي 660، 25 (ف 1594)

مراجع كثيرة<sup>(35)</sup> أنها من اليونانية «Opion» وأن اليونانية قد أقرضت الفارسية أيضاً فقليل فيها «أبيون»، إلا أن أدبي شير الكلداني في الالفاظ الفارسية المعربة<sup>(36)</sup> قد جعل «أفيون» من الفارسية مباشرة، والفارسية عنده من اليونانية، والافيون المعربة في نظره يونانية قد انتقلت الى العربية من الفارسية. والحسم في هذه المسألة في الحقيقة صعب لان من الكلمات المتنقلة من لغة الى اخرى ما يمر بمراحل يصعب تحديدها، ويحط بمحطات قبل وصوله يعسر تبين معالمها، فيضطرب الامر على المعجمي ويقع في أخطاء منهجية كثيرة.

## 2 - قضية الوضع :

ويعني من الوضع ترتيب اللفظ الاعجمي في المعجم التاريخي وتعريفه، والترتيب والتعريف ما زالا مثاراً لمشاكل منهجية كثيرة في المعجم العربي عامة، ونبدأ بالنظر في مشاكل الترتيب. ومسألة ترتيب اللفظ الاعجمي - عامة - ذات صلة بمسألة اخرى هي إمكان اشتقاقه او عَدْمُه، وقد حسم القدماء هذا الامر اذ فرقوا بين الاعجمي والعربي من الالفاظ تفريقاً ظاهراً، وقد قال جلال الدين السيوطي في ذلك «ومحال ان يشتق العجمي من العربي او العربي منه لان اللغات لا تشتق الواحدة منها من الاخرى مواضعة كانت في الاصل او إلهاماً، وانما يشتق في اللغة الواحدة بعضها من بعض لان الاشتقاق نتج وتوليد ( . . . ) ومن اشتق الاعجمي المعرب من العربي كان كمن ادعى ان الطير من الحوت»<sup>(37)</sup>.

الا ان المعجميين القدماء - منذ الحليل بن احمد في كتاب العين - لم يتقيدوا بهذا المدعى فاحضروا الاعجمي للعربي وربطوا بينهما بصلات

(35) المصدر نفسه 101/25 - 102 (ف 228)

(36) أدبي شير الالفاظ الفارسية، ص 11.

(37) المنهر في علوم اللغة وأبوابها لجلال الدين السيوطي تحقيق محمد أحمد جاد المولى ومحمد أبو الفصل ابراهيم وعبي محمد لحاوي، ط 2، القاهرة، (د ت) (حران)، 287/2

اشتقاقية. وكان من المفروض ان تعتبر حروف اللفظ الاعجمي اصولاً كلها فلا يُجَرَّدُ مما يُتَوَهَّمُ انها حروف زوائد فيه، وقد أدى هذا الخلط الى مظهرين من الاضطراب:

أولهما هو وضع الاعجمي تحت جذور عربية، ومن امثله في لسان العرب مثلاً إثبات «استرق» - وهي فارسية - تحت «برق»<sup>(38)</sup>، ووضع «بليس» - وهي يونانية - تحت «بلس»<sup>(39)</sup>. ومن أمثلة هذا المظهر في المعجم الوسيط وضع «الفغمون» - وهي يونانية - تحت «فلغ»<sup>(40)</sup> و«البوزينج» وهي فارسية - تحت «لوز»<sup>(41)</sup> و«البنكنوت» - وهي انقليرية - تحت «بنك»<sup>(42)</sup>.

وثانيهما هو اشتقاق جذور وهمية من الفاظ اعجمية قد وضعت تحتها، ومن أمثلة هذا المظهر في لسان العرب «بختج» الذي جعل جذراً للختج<sup>(43)</sup> وهي فارسية، و«بذنج» الذي وضع جذراً للباذنجان<sup>(44)</sup> وهي فارسية ايضاً، و«بهرمج» الذي وضع جذراً للبهرامج<sup>(45)</sup> وهي فارسية كذلك. ومن أمثلة هذا المظهر في المعجم الوسيط وضع «الجاثليق» بين «جثل» و«جثم» بتوهم «جثلق» أصلاً له<sup>(46)</sup> ووضع «المنجليق» - باللام - بين «جلق» و«جلل» بتوهم «جلق» أصلاً له<sup>(47)</sup>.

(38) اس مطور السد، 199/1

(39) المصدر نفسه، 256/1

(40) المعجم الوسيط، وضع حة من مجمع اللغة العربية بالقاهرة ط 3، القاهرة، 1985 (حران)،

726/2

(41) المصدر نفسه، 879/2

(42) المصدر نفسه، 74/1

(43) اس مطور اللسان، 767/1

(44) المصدر نفسه، 181/2

(45) المصدر نفسه، 277/2

(46) المعجم الوسيط، 111/1

(47) المصدر نفسه، 136/1

اما قضية التعريف فان امرها اكثر تعقيدا واضطرابا، وخاصة في تعريف الالفاظ الاعجمية، فان للفظ الاعجمي خصوصيات يدخل بها اللغة العربية، وتلك الخصوصيات تقتضي من المعجمي عند تعريفه في المعجم التاريخي الاهتمام بشانها مظاهر:

أولها تحديد التاريخ الذي دخل فيه العربية.

وثانيها تحديد نوعه بالنظر الى درجة عجمته، والعُجمة في اللفظ درجتان: أولاهما درجة ما اعتُدَّ بعجمته، وهو اللفظ الدخيل الذي بقي محافظا على بعض او كثير من عناصر العجمة، فاستعصى بذلك على ابنية العربية وأقيستها؛ وثانية الدرجتين هي درجة ما لا يعتد بعجمته وهو اللفظ المعرب الذي قيس على كلام العرب وأخضع لموارينها، فاللفظ الأعجمي ادن إما أن يكون دخيلا وإما أن يكون مُعَرَّبًا.

وثالث المظاهر هو ذكر اللغة التي ينتمي اليها.

ورابعها هو ذكر أصله الاعجمي.

وخامسها هو ذكر دلالته في لغته الاصلية وما طرأ عليها من تطور في اللغة العربية.

وسادسها المظهر الصوتي بذكر ما طرأ على أصوات اللفظ الاصلية من قلب او ابدال او استقرار.

وسابعها المظهر الصرفي كأن يُعْتَمَدَ بظاهرة النحت او التركيب فيه اذا كان مركبا من اكثر من جزء في لغته الاصلية، وكان لذلك صلة بدلالته لاصلية والطارئة عليه.

وثامنها مظهر النحوي. كان يهتم بظاهرة الجموع.

على ان من هذه المظاهر الشانية ما هو واجب مع كل لفظ، ومنها

ما هو اقل وجوبا، والمظاهر الواجبة هي الخمسة الاولى والاقل وجوبا هي الثلاثة الاواحر اد ليس للفظ الاعجمي في كل الحالات اهمية في مستويات الاصوات والصرف والنحو، على ان المظهر الاول والمظهرين الرابع والخامس - اي التأريخ والاصل الاعجمي والدلالة - شديدة الصعوبة على المعجمي العربي وخاصة اذا كانت معارفه باللغات الاعجمية محدودة، وتلك الصعوبة كانت ولا تزال ماثرا للمشاكل المنهجية في تعريف اللفظ الاعجمي في المعجم العربي عامة.

إبراهيم بن مراد

كلية الآداب تونس

## المعرّب والدّخيل في المعجم اللغوي التاريخي

بحث :

الدكتور / حلمي خليل

الأستاذ بجامعة الإسكندرية والإمارات العربية المتحدة

### تقديم و خلاصة

تسمى هذه الدراسة إلى مناقشة وبيان وضع لكلمات العربية والدّخيلة وكيفية معالجتها في المعجم اللغوي التاريخي للغة العربية .  
وقد تناولت في القسم الاول من هذه الدراسة المعجم اللغوي التاريخي من حيث الأصول والمبادئ العلمية التي يقوم عليها هذا النوع من المعاجم ، وكيفية معالجة المادة اللغوية فيه ، كما توقفت عند طبيعة العلاقة بين المعجم التاريخي والمعجم الوصفي ، وانتهيت الى أن العلاقة بين هذين النوعين من المعاجم علاقة نسبية وأن المعاجم التاريخية لا تخلو من الوصفية ولا تخلو المعاجم الوصفية من التاريخية . وختم هذا القسم من الدراسة بعرض المحاولة الوحيدة في تاريخ المعاجم العربية لوضع المعجم اللغوي التاريخي والأسباب التي حالت دون ظهوره .  
أما القسم الثاني فقد خصص لدراسة مصطلحات المعرب والدخيل وما اتّصل بهما من مصطلحات أخرى مثل المولّد والمحدث ،

فدرست مفهوم كل مصطلح وحدوده عند علماء اللغة القدماء والمحدثين وحاولت وضع مفهوم محدد ودقيق لكل مصطلح راعيت فيه الجوانب اللغوية والتاريخية ومن ثم يمكن استخدام هذه المصطلحات في المعجم اللغوي التاريخي للإشارة الى نوع كل كلمة من هذه الكلمات دون لبس أو غموض.

وفي القسم الثالث والأخير عرضت الدراسة لمنهج معالجة الكلمات المعربة والدخيلة والمولدة والمحدثة في المعجم اللغوي التاريخي، من حيث اختيار مداخل هذا النوع من الكلمات ووضعها في اطار الترتيب العام لمواد المعجم وكذا الشرح لمعجمي لهذا النوع من الكلمات، وفرقت بشكل واضح بين ما هو معرب أو دخيل من اللغات السامية، وما هو معرب أو دخيل من العائلة الهندية الأوروبية أو غيرها من العائلات اللغوية غير السامية، كما فرقت بين المولد والمحدث على أساس تاريخي وأشارت الى الشواهد ودورها في تحديد الطريق الذي سلكته الكلمات المعربة بوجه خاص.

وفي نهاية هذا القسم بينت الدراسة الخطوات والعمليات التي ينبغي أن تجري على كل كلمة من الكلمات المعربة والدخيلة والمولدة والمحدثة قبل وضعها في المعجم اللغوي التاريخي.

وأرجو أن أكون بهذا قد أسهمت بجهود ما في تحقيق حلم قديم مضى عليه أكثر من نصف قرن لوضع المعجم اللغوي التاريخي للغة العربية.

## 1 - المعجم اللغوي التاريخي

الحقيقة أننا قد نحمل الحركة المعجمية العربية القديمة أو حتى في مطلع عصر النهضة الحديثة أكثر مما تحتمل إذا القينا عليها التبعة في عدم وضع وتأليف المعجم اللغوي التاريخي للغة العربية حتى الآن، ذلك لأن فكرة هذا المعجم فضلا عن أصول بنائه وطبيعة المادة اللغوية فيه، لم تكن إلا محصلة للدراسات اللغوية التاريخية المقارنة التي بدأت

في أوروبا مع نهاية القرن الثامن عشر وطوال القرن التاسع عشر وما زالت مستمرة حتى اليوم .

حقا لقد شهد التنوع في صناعة المعجم العربي القديم بوجود هذا الحس التاريخي في وضع بعض المعاجم وخاصة في مادتها اللغوية ، كما التفت بعض علماء العربية القدماء مثل الخليل بن احمد (ت . 175 هـ) وابن حزم الاندلسي (ت . 456 هـ) وأبي حيان الاندلسي (ت . 754 هـ) فضلا عن بعض علماء اليهود الذين عاشوا في ظل الحضارة الاسلامية مثل سعديا الفيومي (ت . 350 هـ) ومروان بن جراح القرطبي (ت . 450 هـ) ، التفتوا الى صلات القربى بين اللغة العربية وبعض اللغات السامية مثل : الكنعانية والعبرية واسريانية والحبشية ، كما رصدوا بعض أوجه الشبه بين هذه اللغات والعربية ، الا ان الالتفات الى بعض الحقائق اللغوية من التشابه في الأصوات او الكلمات أو التراكيب او حتى ظهور دراسات فردية كتلك التي قام فيها ابن حزم الاندلسي بالمقارنة بين اللغتين العربية والحبشية ، لا يعني بالضرورة قيام دراسات لغوية تاريخية مقارنة على اصول وقواعد علمية ، لأن هذه البدايات قد تكون وقفت عند حدود إثبات لتشابه في جزئيات كثيرة ولكنها لم تتطور إلى قواعد وقوانين عامة توضح وتفسر الفروق بين اللغات الأقدم والأحدث ، بحيث تفسر مسار التطور اللغوي وطريقه ، كما لم تفحص هذه المعرفة الى استنتاج طبيعة العلاقات اللغوية القديمة ثم المفارقة في القدم بين اللغات ، أو الى تصنيف اللغات إلى عائلات أو مجموعات تتضح فيها بحلاء صلات القربى بينها .

وانما كانت تلك هي البدايات الأولى التي تطورت على أيدي مجموعة من العلماء واللغويين في أوروبا مع نهاية القرن الثامن عشر وطوال القرن التاسع عشر ، حيث كانت الدراسات اللغوية التاريخية المقارنة هي شغلهم الشاغل حتى أجمع مؤرخو الفكر اللغوي على أن



القرن التاسع عشر هو قرن لدراسات اللغوية المقارنة.<sup>(1)</sup> ونتيجة لهذه الدراسات التاريخية المقارنة للغات، أخذت صورة المعجم اللغوي التاريخي تتضح وتكتمل على أسس وأصول علمية، وثبتت هذه الأصول واستقرت بعد أن فرق دي سوسير (1858 - 1913 م) بين نوعين من الدراسة اللغوية، الدراسة اللغوية التاريخية (Diachronic) والدراسة الآنية (الوصفية) (Synchronic)<sup>(2)</sup>. وساء على هذه التفرقة في الدراسة اللغوية، يفرق على المعاجم أيضا بين نوعين من المعاجم هما.

1 - المعاجم الآنية (الوصفية) Synchronic dictionaries

2 - المعاجم التطورية (التاريخية) : Diachronic dictionaries

ولكن قبل أن نمضي في دراسة الفروق العلمية بين هذين النوعين من المعجم نجد أن نتوقف قليلا أمام مفهوم كل من الآنية (الوصفية) والتطورية (التاريخية) لكن نرصد الفروق والعلاقات بين هذين لمصطلحين في الدراسة اللغوية بصورة عامة والصناعة المعجمية بصورة خاصة<sup>(3)</sup>.

الواقع أننا قد نتعمد أحيانا مع مفهوم الآنية أو الوصفية على أنه مرادف لمفهوم المعاصرة (Contemporary) وهذا غير صحيح، لأن أي مرحلة من مراحل اللغة سواء كانت قديمة أو حتى مفرقة في القدم أو حديثة أو معاصرة يمكن النظر إليها ودراستها دراسة آنية وصفية، فعمل

(1) راجع عبد الرحمان الحاج صالح، مدخل إلى علم اللسان، بحثة السابيت، المجلد الثاني، العدد الأول 1972 ص 5 وما بعدها

وانظر أيضا Ivic, Malka, trends in linguistics, pp. 37-39

Robins R H, A short history of linguistics p 24

(2) راجع دي سوسير، دروس في الأسس العامة، ترجمة الفرماي والشوش وعجبه، ص 126.

(3) راجع /gusta, Manual of Lexicography pp 202-203

معجم اللغة العربية في العصر الجاهلي او للغة السنسكريتية مثلا يدخل في إطار المعاجم الوصفية على الرغم من أنها معاجم تتعامل مع لغات أو مراحل لغوية لم تعد تستعمل اليوم .

كما أننا قد نتعامل مع مصطلح الوصفية والآنية على أن هذا المصطلح يدل على حالة من حالات اللغة أو مرحلة من مراحلها في نقطة زمنية معينة وهو ما نتصوره دائما ازاء هذا المصطلح ولكننا من الناحية العملية والعلمية لا نستطيع القيام بذلك ، لأنه من المستحيل مثلا دراسة لهجة (idiolect) معينة دراسة علمية دقيقة كما نظهر وتتحقق في يوم واحد مثلا ، ومثل ذلك لا نستطيع ان ندرس لهجة محلية (Local dialect) في إحدى القرى كما نظهر وتتحقق في أسبوع ، كما أننا لا نستطيع ان ندرس لهجة اقليمية (regional dialect) في شهر وهكذا .

وبغض النظر عن الصعوبات لفظية والعملية ، فإن النصوص المكتوبة أو المرويات الشفوية التي سيعتمد عليها خلال فترة زمنية محدودة بيوم أو أسبوع أو حتى شهر أو شهرين قد تكون غنية نسبيا ببعض المفردات والتراكيب ولكنها قطعا لن تكون على درجة كافية من التنوع بحيث تظهر فيها جميع المفردات أو التراكيب التي تستخدم على هذا المستوى أو ذاك من مستويات اللغة ، وهذا يعني بالضرورة أن التنوع في المفردات - إذا اردنا ان نضع معجما وصفيا مثلا - يحتاج الى فترة زمنية اطول نسبيا لكي نتأكد أن هذه المفردات تمثل فعلا المستوى اللغوي الذي ندرسه أو نصنع له معجما ، وهذا المعبر يصدق على اللغات الحية واللغات الميتة او على المراحل الأقدم من لغة مازالت تستعمل حتى اليوم مثل اللغة العربية .

ومعنى هذا ان النصوص أو المرويات التي يعتمد عليها عالم اللغة أو صانع المعجم ليست «آنية» بالمعنى الدقيق لهذا المصطلح وهذا يعني أيضا أن مفهوم الآنية (الوصفية) (Synchronic) هو مفهوم نسبي إلى حد كبير . وهو يؤدي بالضرورة الى التداخل بين ما هو وصفي وما هو تاريخي وخاصة في العمل المعجمي .

يدل على ذلك أن المعاجم العربية القديمة تعد بصورة عامة معاجم وصفية لأنها طبقاً لنظرية الاحتجاج التي حكمها القدماء في مادة المعجم العربي قد التزمت برمان معين ومكان محدد ولكن الفترة الزمنية التي حددها القدماء بقرنين تقريباً في الحواضر وأربعة قرون في البوادي ، تعد فترة زمنية طويلة وكذا المكان الذي حدّده بوسط الجزيرة العربية يعد بقعه جغرافية واسعة وهما معا يتيحان ألواناً من التنوع والتعدد في المستويات اللغوية مما يجعل هذه المعاجم أقرب الى المعاجم التاريخية من ناحية لمادة اللغوية منها الى المعاجم الوصفية بالمعنى الدقيق للمصطلح وهو ما نلمسه في تعدد الصيغ وطرق النطق والاختلافات الدلالية والمعاني المتعددة للكلمة الواحدة .

وبناء على ذلك فإن المعاجم الوصفية رغم الترمها برمان معين ومكان محدد ومستوى لغوي خاص - تحمل في أحشائها بذور التاريخية بصورة أو باخرى. ولقد توفر الحس التاريخي عند علماء المعاجم لقدماء سوء في تنوع لمعاجم التي وضعوها أو في وضعهم معاجم حاصه تصور التطور الدلالي الذي أصاب الكثير من الكلمات العربية لقديمة مع تطور الحياة العربية من الجاهلية الى الاسلام وما ترتب على ذلك من ظهور حصرة جديدة لم يكن للعرب عهد بها.

أما المعاجم التطورية (Diachronic) فهي معاجم ظهرت كما أشرت من قبل نتيجة للدراسات التاريخية المقارنة ولذلك تهتم أولاً بتاريخ الكلمات أو الوحدات المعجمية (Lexical units) <sup>(4)</sup> سواء على

---

(4) يعصّل كثير من علماء اللغة والمعاجم لمعاصرين استخدام هذا المصطلح بدلاً عن ما يشير اليه علماء اللغة التقيديون بمصطلح «الكلمة» نظراً لاختلاف بين علماء اللغة والمعاجم الآن حول مفهوم الكلمة وحدودها وخاصة في اللغة المطبوعة انظر . Kramsky, Jiri, The word as a Linguistics unit, pp. 17-18 وانظر انطا حلمي حليل ، الكلمة دراسة لغوية معجمية ص 14 - 18

مستوى البنية (Form) أو المعنى (Mean ng) وذلك خلال فترات زمنية متتابعة.

ويفرق علماء المعاجم بين نوعين من المعاجم التطورية هما:

1 - المعاجم التاريخية Historical dictionaries.

2 - المعاجم التأصيلية Etymological dictionaries

فأما المعاجم التاريخية فهي تهتم بالتغيرات التي تطرأ على بنية الوحدات المعجمية ومعناها في فترة أو فترات زمنية معينة، أي أن المعجم قد يكون تاريخياً حتى ولو التزم بفترة زمنية واحدة معينة لأن هذه الفترة لن تكون شهراً أو شهرين أو حتى عاماً أو عامين ولكن إذا قصد صانع المعجم أن يرصد التغيرات التي طرأت على الوحدات المعجمية من حيث البنى والمعنى فهو معجم تاريخي رغم التزامه بفترة زمنية معينة، وبطبيعة الحال فإن الفترات الزمنية الطويلة أو المراحل المتتابعة من حياة اللغة تعطي بعداً تاريخياً أعمق وأوسع في رصد مثل هذه التغيرات.

وأما المعاجم التأصيلية Etymological فهي معاجم تهتم أولاً وقبل كل شيء بأصل (origin) الكلمات أو الوحدات المعجمية، إذ من الشائع في كثير من اللغات وجود كلمات كثيرة لا يعرف لها أصلاً إذا ما تتبعناها فيما بين أيدينا من نصوص هذه اللغة أو تلك، لأنها ربما تكون قد وجدت قبل مرحلة الكتابة. مثل هذه الكلمات تدخل في دائرة اهتمام المعاجم التأصيلية بالإضافة إلى تحديد أصول الكلمات الأكثر حداثة. وبصورة عامة فإن المعاجم التأصيلية قد تتعامل أحياناً مع ما قبل تاريخ الكلمات (pre history of the words) <sup>(5)</sup> ولكن تأصيل الكلمات المستعملة أو الأكثر حداثة يدخل أيضاً في دائرة هذا النوع من المعاجم.

ومعنى هذا أن هناك نوعاً من التداخل أيضاً بين المعاجم التاريخية والتأصيلية كما كان هناك درجة من التداخل بين المعاجم الوصفية والتاريخية على الأقل من الناحية النظرية.

(5) Zgusta, op cit p 200

أما من الناحية العملية فغالبا ما نحد أحد الحائزين التأصيلي أو التاريخي يغلب على الجانب الآخر، لأن اهتمام المعجم التأصيلي يصرف أصلا الى بنية (form) الوحدات المعجمية ويجعل المعنى (meaning) في مرتبة تالية. وأما المعاجم التاريخية فهي تهتم بالمبنى والمعنى معا ومع ذلك فهي غالبا ما تعطي للمعنى وتطوره أهمية خاصة.

فمثلا المدخل (Father) في «معجم سكيت» انتأصيلي للغة الانجليزية (Skeat, English Etymological Dictionary) ترتب تحته الوحدات المعجمية على النحو التالي:

- Father, a male parent

Middle Eng. Fader

ومن الملاحظ أن هجاء الكلمة (Fader) يكاد يكون عاما في انجليزية العصور لوسطى في حين أن هجاء الكلمة نفسها (Father) قد ظهر في الكتاب المقدس عام 1551 م، وهو يرجع الى تأثير لهجي حيث تغير المقطع der إلى ther

- anglo-Saxon, Faeder.

Dutch, vader.

- Danish and swed, Fader.

- Icelandic, Fadir.

- Gothonic, Fadar.

- German, Vater.

- Latin Pater

Greek, Pater.

- Persian, Pidar.

- Sanskrit, Pitr

- Indo-European, Pater<sup>(6)</sup>

---

Op cit 201 (6)

من هذا نلاحظ أن كلمة «Father» أي «الأب» في اللغة الانجليزية، كما جاءت في هذا المعجم قد غلب عليها الجانب التأصيلي المقارن فيما يتصل بالبنية Form واختلافها في اللغات الهندية الأوروبية في حين أن المعنى اكتفى بذكره في أول المادة، رغم أن دلالة هذه الكلمة قد اعتورها التعبير الدلالي من حيث دلالتها على الوالد الذكر كما شرحت في رأس المادة وفي الوقت نفسه قد تدل على «القس» في الكنيسة ومع ذلك فإن المعجم لم يعط اهتماماً واضحاً لهذا التطور الدلالي في حين حرص على ذكر صور لبنية المختلفة وما طرأ على هجائها في اللغات الهندية الأوروبية.

أما في معجم H Paul التاريخي للغة الألمانية فإننا نجد المدخل Kleid أي «الملابس» تجري تحته الوحدات المعجمية عن النحو التالي: ملابس, Kleid -

وتدل لشواهد على أن هذه الكلمة استعملت منذ القرن الثاني عشر وهي تنتمي إلى اللغة الانجلوسكسونية Anglo-saxon وهي في اللغة الانجليزية Clothes ومن المحتمل أنها جاءت من الكلمة الألمانية «Kletle» ومعناها الأصلي يشير إلى «الصوف» : stuff أو المادة : matenal كما في اللغة الانجليزية. ثم تطور هذا المدلول ليشير بصورة عامة إلى أي قطعة من الملابس مصنوعة من لصوف وهي الدلالة التي نستعمل بها حتى الآن في صيغه الجمع في اللغة الألمانية<sup>(7)</sup>.

وبالمقارنة بين هذين المدخلين: «Father» في معجم «سكيت التأصيلي للغة الانجليزية»، و«معجم Paul التاريخي للغة الألمانية»<sup>(8)</sup>، يتضح لنا بجلاء الفرق بين المعاجم التأصيلية (Etymological) والمعاجم التاريخية (Historical). فالمعجم الأول يهتم ببنية الكلمة وتأصيلها وتطورها ويتطلب ذلك دراسة مقارنة بين عدد من لغات العائلة التي تنتمي إليها الكلمة، في حين أن المعجم الثاني، وهو معجم تاريخي، لا

(7) Ibid . p 203

يهتم إلا بالتطور الدلالي وحده دون السنية رغم أن لبنية قد تعيرت من لغة إلى أخرى. وهذا التطور الدلالي يتطلب بدوره دراسة مقارنة بين لغات العائلة التي تنتمي إليها الكلمة.

ومعنى هذا أن المعاجم التأصيلية والمعاجم التاريخية لا بد أن تكون بالضرورة معاجم تلتزم بجوار المنهج التأصيلي أو التاريخي بالمنهج المقارن، ولعل اهتمام المعاجم التأصيلية ببنية الكلمات دون معانيها يرجع إلى أن التطور الدلالي يحتاج عادة إلى نصوص كثيرة ومتنوعة يستشهد بها على هذا التطور. والكثير من هذه النصوص قد لا يتوافر في المراحل الأولى من حياة الكلمات

والحقيقة أن المعاجم التاريخية قد بدأت أولاً تأصيلية ثم انتهت إلى أن أصبحت معاجم تاريخية تهتم بتطور المبنى والمعنى معاً يدل على ذلك ظهور معاجم تأصيلية تاريخية من أشهرها المعجم التأصيلي التاريخي للغة اللاتينية الذي وضعه عالم اللغة الفرنسي انطون ميه عام 1939 م

A. Meillet & A. Ernout, Dictionnaire étymologique de la langue latine, Histoire des mots, 2 ed., Paris, 1939

وقد صدرت من هذا المعجم عدة طبعات كما توجد أيضاً بعض المعاجم من هذا النوع في بعض اللغات الأوروبية<sup>(8)</sup>.

وقد يتبادر إلى الذهن أن هذا النوع من المعاجم التاريخية التأصيلية لا بد له أن يغطي عدة فترات من حياة اللغة. والواقع أن هذا صحيح بشكل عام، غير أننا نستطيع أن نضع معاجم تاريخية كما أشرت من قبل لفترة واحدة من حياة اللغة أو لهجة معينة من لهجات اللغة أو حتى لمجموعة محددة من كلمات اللغة مثل الكلمات المعربة والدخيلة أو الكلمات المولدة في اللغة العربية أو غير ذلك من مجاميع الكلمات في لغة ما.

(8) Ibid. p. 201

ومعنى هذا كله أن المعجم التاريخي المنشود للغة العربية سيكون معجماً تأصيلياً وتاريخياً ومقارناً في آن واحد، وهو بهذا التصور يحتاج الى درجة عالية من التخصص في علوم اللغة وفي اللغات السامية واللغات غير السامية التي اتصلت بها اللغة العربية عبر مراحل حياتها حتى الآن، يضاف الى ذلك حصيلة من النصوص الأدبية واللغوية والدينية والعلمية منذ أقدم عصور العربية حتى اليوم.

ولعل هذا هو السبب في تأخر ظهور المعجم اللغوي التاريخي للغة العربية حتى اليوم، على الرغم من أن مجمع اللغة العربية في مصر قد اتخذ قراراً بشأن وضع هذا المعجم منذ عام 1934 م كما اشرت من قبل.

بن لقد تعاقد المجمع مع المستشرق الألماني «فيشر» (ت. 1949 م) لـدي كان عضواً في المجمع منذ إنشائه للقيام بهذا العمل<sup>(9)</sup>. وكان «فيشر» قد تتلمذ على كبار المستشرقين الألمان وغيرهم من كبار علماء اللغات السامية والدراسات اللغوية التاريخية المقارنة في أواخر القرن الماضي، ومن ثم كان تصوّره للمعجم اللغوي لتاريخي للغة العربية تصوراً يقوم على مبادئ وأصول هذه المدرسة العلمية في الدراسات اللغوية، يضاف إلى ذلك تجارب وخبرات هؤلاء العلماء في وضع بعض المعاجم التاريخية لعدد من اللغات الأوروبية.

وحدد «فيشر» منهجه في العمل في هذا المعجم على أنه سيكون على غرار معجم اكسفورد التاريخي للغة الانجليزية. وبدأ العمل فعلاً في المعجم منذ عام 1935 م أي بعد قرار المجمع في وضع هذا المعجم بعام واحد، وظل يعمل طوال أربع سنوات تقريباً، ولكن اشتعال الحرب العالمية الثانية باعد بين «فيشر» والمجمع وعمله في المعجم ولكنه استمر في العمل وهو في ألمانيا، وما أن وصعت الحرب أوزارها حتى قعد

(9) مجمع اللغة العربية (محاضر بحوث) 330/1 - 333 سنة 1934  
واظر ايضاً براهيم مذكور، مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً ص 61 - 72



به لمرض عن العودة الى مصر ومالئ ر توفى عام 1949 م قبل أن يخرج المعجم الى النور

وعبثا حاول المجمع أن يلم شعث ما تفرق من أصول المعجم بين مصر والمانيا ولكنه لم يظهر بعد جهود أربعين عاما كاملة في العمل في هذا المعجم الا بحذانات غير مستوفاة حرص على أن يرتبها ويضعها تحت تصرف الباحثين، ولم يستطع المجمع ان ينشر من جهد «فيشر» في وضع المعجم التاريخي للغة العربية، إلا مقدمة ونموذجا صغيرا سبق لفيشر أن أعدهما في صورة تقرير عن المعاجم العربية القديمة والدعوة الى وضع معجم تاريخي .

وفي هذه المقدمة يأخذ فيشر على المعاجم العربية اضطرابها في ترتيب الكلمات والمشتقات وعدم الدقة في الشرح وغموضه أحيانا، كما انها أخلت بالترتيب التاريخي للفظ والدلالة وغير ذلك من المآخذ التي سبقه اليها كثير من العرب والمستشرقين . ثم حدد تصوره لما ينبغي ان يكون عليه المعجم التاريخي للغة العربية فيما يأتي :

1 - يجب ان يشتمل المعجم على كل كلمة وجدت في اللغة بلا استثناء .

2 - أن تعرض كل كلمة حسب وجهات النظر السبع التالية :  
البريحية، الاشتقاقية، التصريفية، التعبيرية (الدلالية)، النحوية  
البيانبة، الأسلوبية .

ثم اخذ يفصل في كل جانب من هذه الجوانب وذلك على النحو التالي :

1 - فالوجهة التاريخية للكلمة تجاوز كل وجهات النظر هذه في الأهمية، وذلك لانه اذا أخذنا اللغة على انها دائمة التطور، فلاشك أن لكل كلمة تطورها التاريخي الخاص ويجب أن يوضح هذا التطور التاريخي .

2 - تتناول ناحية الاشتقاق بها في ذلك توليد الكلمات، بحث أصل الكلمة ونسبها ويرتبط بهذه المسألة علم ضبط الهجاء كما يرتبط بها

عم العروض . أم المعربات فتزد الى أصلها على قدر الامكان ، ولتحقيق هذه العاية لابد لمؤلف المعجم أن يكون متمكن في اللغات السامية واللغات الفارسية والتركية واليونانية واللاتينية وغيرها .

3 - تناول الناحية الصرفية تحديد تغير الصيغ للمفظة في الكلام ، أي نصريف الأفعال والاسماء وغيرها ، ولا داعي ليراد الشواهد على صيغ لالفاظ المدولة الكلمة النصريف ، وفي مثل هذه الالفاظ يكتفي بإيراد الشواهد في الحالات التي يحتمل فيها الشك ولا يجب تعزيز كل الصيغ المعروفة ببعض الشواهد فقط ، بل بكل الشواهد الموجودة كي يتسنى تقدير صحة هذه الصيغ تقديرا تاما .

ويحس الإشارة هنا إلى نقطتين هامتين : أولا هما وجود صيغتين أو أكثر في نصريف الفعل أو الاسم وفي غير جنس الكلمة من ناحية التدكير والتأنيث ، وليس من النادر أن يختلف استعمالها باختلاف الزمان والمكان ، وثانيتهما عدم وجود بعض الصيغ التي كان يمكن استعمالها وفق القياس المتوقع .

4 - تناول الناحية التعبيرية تحقيق معنى الكلمة أو معانيها وفي حالة وجود عدة معان ، ترتب هذه المعاني حسب علاقاتها التاريخية والعقيدية ، ويجب مراعاة القواعد الآتية :  
أ - يعتبر دائما المعنى الأول لكلمة ها معان مختلفة ذلك الذي يؤخذ من اشتقاق الكلمة .

ب - يجب في ترتيب المعاني تقديم المعنى العام على الخاص والمعنى الحسي على المعنى العقلي والمعنى الحقيقي على المعنى المجازي ، وذلك وفق سير تطور الفكر البشري .

وكذلك يجب مراعاة علم المجاز ، كما يجب مراعاة استعمال الكلمة كصطلح ، ويراعي أيضا الترادف إذ هو عون تعبيري هام ، لأنه يقارن بين الكلمات المتقاربة في المعنى من ناحية حصر المعاني وفحوى هذه المعاني ، ولكن لا يصح التجاوز عن اعتبار أن الفارق بين الكلمات المتقاربة في المعنى يرجع كثيرا الى أسباب تاريخية وجغرافية صرفة .

وأخيرا من اللازم إيراد نقائض للكلمات اذا ما وجدت ويعرف على قدر الامكان كل نبات وحيوان وجماد تعريفا كاملا وتذكر فصيلته ويوصف باسمه العلمي .

5 - تناول الناحية النحوية جميع الصلات الهامة التي يمكن ان تربط كلمة بأخرى ، ومنها أيضا تركيب كلمات لها مواضع معينة في سياق الكلام مثل : فقط ، إسماء ، أيضا وغيرها ، كذلك مراعاة المضمر أو المحذوف والأمر يتعلق بالمسائل الآتية :

هل استعمال الكلمة استعمالا مطلقا جائز ؟ هل الفعل متعد أم لازم ؟ متى وأين ظهر هذا التركيب لأول مرة وآخرها ؟

6 - تناول الناحية لبيانية تلك العلاقات للكلمة التي استشعر منها أنها لازمة لها أي التراكيب ولتعبير التي قضت روح اللغة القومية بوضعها غالبا في موضع خاص دون ان يطرأ عليها أي تغير ، وذلك على الأخص لعامل من عوامل البلاغة أو حسن الذوق ومن هذه العلاقات :

أ - صيغة الإتيان والمزاوجة

ب - صيغة المشاكلة كما في «ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين»

ج - صيغة المبالغة في المعنى مثل : «موت مائت» و«شعر شاعر»

د - صيغة ازدواج عبارتين متضادتين للتعبير عن معنى واحد مبالغ فيه كما توجد في «الله لأمر من قبل ومن بعد» . ومن هذه العلاقات أيضا تركيب متداول لعبارتين تعمل إحداها في الأخرى مثل «بذل جهده» وغيرها .

7 - تحدد الناحية الأسلوبية المحيط اللغوي الذي تستعمل فيه

الكلمة أو التعبير أو التركيب استعمالا عاما ، وقد يكون هذا المحيط شاملا جامعا ، كلغة القرن ولغة الحديث وأسلوب الشعر والنثر والأسلوب التاريخي وأسلوب الفنون وغيرها ، أو خاصا كالأسلوب الشخصي المحض ، حيث أنه قد يميل مؤلف ما إلى استعمال كلمة أو تركيب بالذات لا يستخدم إلا لما أو لا يستخدم البتة عند غيره وغير

ذلك<sup>(11)</sup>.

هذا هو تصور فيشر لما ينبغي ان يكون عليه المعجم التاريخي للغة العربية وهو تصور يشبه الى حد كبير ما طبق في معجم اكسفورد للغة الانجليزية :

1970 The Oxford English Dictionary, The University Press Oxford ٢ وهو

تصور أيضا يتفق مع ما استقر عليه التفكير المعجمي - كما رأينا من قبل - من ان المعجم التاريخي لأي لغة لابد ان يكون معجماً تأصيلياً تاريخياً مقارناً.

وهكذا ظل المعجم التاريخي للغة عربية حلماً لم يتحقق حتى الآن. ولعل العذر الوحيد في ذلك ان عمل مثل هذا المعجم للغة العربية يختلف عن عمل أي معجم تاريخي لأي لغة أخرى لان اللغات الأوروبية التي ظهرت لها معاجم تاريخية لغات صغيرة السن حديثة الميلاد، ام اللغة العربية فمن اطول اللغات الانسانية عمراً تقلبت فيها بين ظروف شتى تاريخية وجغرافية وحضارية ودينية وعلمية وفكرية وادبية وغيرها، وكل ذلك يلقي على من يتصدى لمثل هذا العمل مهام لا ينهض بها الا أولو العزم من العلماء والباحثين.

هذا عن المعجم التاريخي فماذا عن المعرب والدخيل في هذا المعجم؟ وسنبداً أولاً في القسم الثاني من هذا البحث بتحديد ما المعرب؟ وما الدخيل؟ اما القسم الثالث والاخير فسنخصصه لمعالجة المعرب والدخيل في المعجم التاريخي.

(11) راجع د. حسين نصر، المعجم العربي 2 / 625 - 627

(12) انظر المقدمة XXXIV-XXVII, pp. 1, Vol

## 2 - المغرب والدخيل : دراسة في المصطلح

لا شك ان اي لغة عاشت فترة من عمرها في حضرة زاهرة وادب رفيع لا يمكن ان تكتفي بثروتها الخاصة من الكلمات، كما لا يمكن ان تنحرف في الوقت نفسه من تأثير اللغات الاخرى او تأثيرها في اللغات الاخرى. واللغة العربية تعد من اقدم اللغات الانسانية فهي - كما نعلم - شعبة من شعب اللغة السامية الام، بل هي - كما يذهب كثير من العلماء والباحثين - اقرب هذه لشعب شبيها باللغة الام<sup>(13)</sup>.

وحلال تاريخ العربية الطويل منذ ان انفصلت عن السامية الام واستوت لغة مستقلة ناضجة عرفناها فيما وصل اليها من الشعر الجاهلي، حلال هذا التاريخ وبعده وحتى اليوم تقلبت بين عوامل لا تحصى، تغيرت فيها وتطورت واتصلت بلغات من عائلتها ولغات اخرى من عائلات لغوية غريبة عنها، فاثرت وتأثرت، فأخذت ألفاظا وتراكيب، كما اعطت بدورها ألفاظا وتراكيب، وهي سواء أخذت او معطية، مقترضة او مقرضة تتطور وتتغير حسب الظروف التاريخية والحضارية التي تمر بها.

ومن ناحية اخرى نحن نعلم ان الجزيرة العربية التي عاشت فيها اللغة العربية ردى طويلا من عمرها لم تكن بمعزل عن العالم سواء قبل الاسلام أو بعده، اذ كانت، وبخاصة أطرافها، على صلة بما حوّلها وما جاورها من البلاد. كانت على صلة وثيقة ببلاد فارس، وكانت مملكة المناذرة في الحيرة حركة اتصال دائم بين العرب والفرس، كما كانت على اتصال ببلاد الروم وكانت مملكة العساسنة حلقة اتصال بين العرب والروم، وكان العرب على اتصال بدولة الانباط في سواد العراق، وبالجاليات العربية التي عاشت واستقرت في الشام، كما كانت في الجزء

(13) راجع حواد على، تاريخ لعرب قبل الاسلام (انقسم للعوي) 20/7 21

وانظر ايضا، اسراييل ولفسود، تاريخ اللغات، سامية ص 7

حسن طاطا، الساميون ولعائهم ص 17

الجنوبي من بلاد العرب دول يمنية ذات حضارة منها المعينيون والسبئيون والحضرميون، كما كانت اليمن حلقة اتصال بين شبه الجزيرة العربية والحبشة، وكان لليهود جاليات بالعراق والشام والحجاز، كما كانت قوافل التجارة تسير من ولى قلب الجزيرة العربية مخترقة طرقا خاصة وكان اهم هذه الطرق طريق عمان حضرموت الذي كان يمر بالدهناء فنحد ويصل الى الحجاز فيمر بمكة والمدينة فالبتراء، ثم يمتد شمالا الى الشام وفلسطين وغربا الى مصر، وما رحلة الشتاء والصيف التي أشار اليها القرآن الكريم الا تلك الرحلة التي كانت تقطعها القوافل من قلب الجزيرة العربية الى الشام وبالعكس.

كل هذا وغيره مما لا قبل لنا باستقصائه هنا يدل دلالة قاطعة على أمرين:

الاول: ان العرب قد اتصلوا في عصور حياتهم قبل الاسلام وبعده بمعظم الدول والشعوب التي شاع امرها في العصور القديمة، وان هذه الصلة كانت متعددة المظاهر فشملت النواحي الاقتصادية والاجتماعية والدينية والثقافية والسياسية والعسكرية.

الثاني: ان اللغة العربية قد احتكت واتصت بمعظم اللغات القديمة في محيطها سواء من عائلتها السامية او من العائلات اللغوية الاخرى.

وكما صور القرآن الكريم حياة العرب قبل الاسلام، جاءت لغته صورة من التطور اللغوي الذي بلغته العربية، ولكن بأسلوب تميز بتميزا واصحا عن جميع الاساليب التي عرفتھا العربية شعرا او نثرا، ومع ذلك لم يمنع ان ترد في هذا الكتاب الكريم كلمات مما قترسته العربية من اللغات الاخرى، وذلك باعتبار ان هذه الالفاظ اصبحت ملكا خالصا للعرب والعربية، ولها من الدلالات ودقة الاستعمال ما لا تُغني عنه ألفاظ اخرى.

ومن ثم لاحظ الدارسون الاول للنص القرآني وجود مثل هذه الكلمات فأفردوا لها من درسه للقرآن الكريم جانبا خاصا عرف

عندهم باسم «لغات القرآن»<sup>(14)</sup> ويبدو ان أول من تكلم في وقوع هذا النوع من الكلمات في القرآن هو عبد الله بن عباس (ت 68هـ)، فقد روي انه قال في احرف كثيرة من القرآن انها «أعجمية» مثل: طه واليم والطور والربانيون فصار انها من السريانية، والصراط والقسطاس والفردوس وقال انها من الرومية، والمشكاة وكفدين انها من الحبشية وغير ذلك<sup>(15)</sup>.

ويلاحظ ان المصطلح «أعجمي» والنسبة اليه «أعجمية» من اول المصطلحات التي استخدمت في الإشارة الى هذا النوع من الكلمات الاجنبية في القرآن وهو مصطلح استخدمه القرآن نفسه<sup>(16)</sup> وهو يدل على كل ما هو غير عربي سواء في اللغة او غيرها.

ثم ما لث هذا النوع من الكلمات الاجنبية التي وقعت في القرآن أن افردت له معاجم خاصة مثل كتب السيوطي (ت 911هـ) «لمهذب فيما وقع في القرآن من المعرب» الذي احصى فيه الالفاظ لمعربة التي وقعت في القرآن على حروف لمعجم «المتوكلي» الذي يبدو انه صورة معدلة من الكتاب الاول<sup>(17)</sup>.

وفيما يتصل بدراسة الكلمات الاجنبية في القرآن نلاحظ ما يلي:

1 - ان فريقا من علماء العربية القدماء وبعض الفقهاء اختلفوا حول استخدام القرآن لهذا النوع من الكلمات ووقعها في لغته من حيث أصلها أعجمية أم عربية، فذهب الشافعي (ت 204هـ) وأبو عبيدة (ت 210هـ) والطبري (ت 310هـ) وغيرهم الى القول بعدم وقوع

(14) س سديم، المهرست ص 53

(15) س فارس، اصباحي 60 - 61

واصطرايص، سيوطي، مرقر 1 268

(16) نظر سورة اسحل آية 103 وفصحت آية 44

(17) حقق الكتب الأول «لمهذب» عبد الله الحسوري وشره في محه المورد العراقية

1977، وحقق الكتب الثاني «المتوكلي» عبد الكريم الربيدي وشره في لبب عام

1986

الكلمات الاعجمية في القرآن لقوله تعالى «قرآنا عربيا» وان ما وقع في القرآن من الكلمات التي يظن انها أعجمية إنما هو من قبيل اتفاق اللغات وتبعهم في هذا الرأي بعض المحدثين<sup>(18)</sup>.

ولكن بحانب هذه الطائفة المتشددة قديما ومن تبعها في العصر الحديث، لم تعدم العربية طائفة اخرى من العلماء فسروا هذه الظاهرة اللغوية تفسيرا صحيحا، من هؤلاء ابو عبيد القاسم بن سلام (ت 224هـ) وابن فارس<sup>(\*)</sup> (ت 395هـ) والحواليقي (540هـ) والسيوطي (ت 911هـ) فقال أبو عبيد ان هذه الكلمات قد سقطت الى العرب فأعربتها بالسنتها وحولتها من ألفاظ العجم الى ألفاظ العرب فصارت عربية، ثم رل لقرآن وقد احتلظت هذه الكلمات بكلام العرب، فمن قل انها عربية فهو صادق ومن قال انها أعجمية فهو صادق<sup>(19)</sup>.

وبهذا فطر أبو عبيد الى اسباب الخلاف بين الطائفتين، فمن نظر الى أصلها اي من نظر الى مثل هذه الكلمات نظرة تاريخية (Diachronic) قال بأعجميتها ومن نظر اليها نظرة آنية وصفية (Synchronic) قال بعربيتها.

2 - أن سبة الالفاظ الاعجمية في القرآن الى لغات بعينها ترددت بين ثلاث عائلات لغوية:

أ - العائلة السامية فنسبوا الى اللغات العبرية واحبشية واسريانية والنبطية

ب - العائلة الهندية الأوروبية فنسبوا الفاظا الى اللغات الفارسية واليونانية والهندية

(18) انظر السيوطي، لاتعد 1/135

وانظر ايضا مقدمة تحقيق كتاب «المعرب» للحواليقي لأحمد محمد شكر ص 13 - 14

(\*) ابن فارس في معجمه وشوقي في قصص لوجوه لأعجمي في لغته

بصر له ص 6 حي في فقه شعراء ص 1 ص 62 اعينه المحرر

(19) انظر السيوطي، التوكلي، تحقيق عبد الكريم لريدي، منشورات جامعة سها، ليبيا

1986 م



ج - العائلة الحامية وسوا الى البربرية والقبطية والزنجية<sup>(20)</sup>.

3 - عدم الدقة التي اتسمت بها احكام بعض القدماء وبعض المحدثين في نسبة بعض الالفاظ الى لغات بعينها وهو ما لاحظته عدد من الباحثين لمعاصرين في الدراسات اللغوية التاريخية المقارنة .  
ثم ما ست هذا النوع من دراسة الكلمات الاحنية في القرآن ان اتسع نطاقه فشمّل اللغة العربية حيث حاول العلماء القدماء رصد وتتبع مثل هذه الكلمات في ثروة اللفظية للغة العربية ، ولم يقف الامر عند حدود الكلمات الاحنية وحدها بل تعداه الى محاولة التمييز بين ما استعمله العرب اخلص وما وقع على ألسنة غير العرب سواء كان عربي الاصل أو أجنبيا ، ومن ثم ظهرت مصطلحات أخرى بالاضافة الى المصطلح القراني « أعجمي » الذي كان يدل على غير العربي من الكلمات وهذه المصطلحات هي :<sup>(\*)</sup>

1 - المحدث - 2 - المبتدع - 3 - المولد - 4 - الدحيل - 5 - لمعرب .  
أما المصطلحات لاربعة الاولى فقد استعملها الخليل (ت 175هـ) وهو يحاول التمييز بين مجاميع الكلمات العربية الاصلية وغير الاصلية سواء كانت ذات اصل عربي أو غير عربي وذلك وفق معايير صوتية ولغوية اسقأها من استقراءه لطبيعة النسيج الصوتي للكلمة العربية بحيث انتهى الى وضع قانون عام يمكن ان نطلق عليه « قانون الذلاقة » وهو كما قال الخليل : « اذا وردت عليك كلمة رباعية او حماسية معرفة من حروف الذلق والشفوية الراء واللام والنون والفاء والباء والميم ولا يكون في تلك الكلمة من هذه احروف حرف واحد او اثنان او فوق ذلك ، فاعلم ان تلك الكلمة محدثة مبتدعة ليست من

(20) راجع عبد الحميد عابدين ، بين حشة والعرب ص 66 وحسن صاطي ، الساميون ولغاتهم ص 69 - 70 وبرايم السامرائي ، دراسات في اللغتين اسرانية ولغوية ص 26 - 30

(\*) [ نظر حول دلالات هذه مصطلحات واسأرج نها ويطورها كتاب الدكتور محمد رشاد حمزوي « لغوية واحدة » ط 2 ، دار عرب لاسلامي ، بيروت ، 1986 ، ص ص 157 - 172 ، وقد أضاف إليها مصطلح سدس هو « عرب » (هيئة تحرير ]

كلام «العرب»<sup>(21)</sup>.

وسأله تلميذه الليث: «فكيف تكون الكلمة المولدة المبتدعة غير مشوبة من هذه الحروف، فقال نحو الكشعشج والخصعشج والكشعطح واشباهن، فهذه مولدات لا تجوز في كلام العرب لانه ليس فيه شيء من حروف الذلق والشفوية فلا تقبلن منها شيئاً ون أشبه لفظهم وتأليفهم، فان النحارير منهم ربما ادخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب ارادة اللبس والتعت»<sup>(22)</sup>.

ثم يقول بعد ذلك. فاذا ورد عليك شيء من ذلك فاطر ما هو تأليف العرب وما ليس من تأليفهم نحو قعئج ونعئج ودعئج لا يسب الى العربية ولو جاء عن ثقة لم ينكر، ولم نسمع به ولكن ألفناه ليعرف صحيح بناء كلام العرب من الدخيل<sup>(23)</sup>.

ويبدو من سياق هذا الحوار بين الخليل وتلميذه ان الخليل قد استعمل هذه المصطلحات الاربعة بمعناها اللغوي العام، اي يقصد بها الكلمات التي ليست من كلام العرب ووضعها وضعاً بعض النحارير من رواة اللغة، يدل على ذلك الامثلة التي ذكرها لهذا النوع من الكلمات والتي - كما قال - ألفها تأليفاً ولم يسمع بها لتكون بمثابة نماذج على هذا النوع من الكلمات، هي نماذج ليست عربية او اجنبية مقترضة من اللغات الاخرى وإنما يظهر من بنيتها الصوتية انها تخالف «قانون الذلاقة» الذي وضعه، اي بعبارة اخرى إن استعمال الخليل لهذه المصطلحات لم يكن المقصد منه تميز لكلمات الاجنبية التي اقترضتها العربية من اللغات الاخرى.

أما مصطلح «المعرب» فقد استعمل سيبويه (ت 180هـ) مصطلح الاعجمية بجوار مصطلح آخر قريب من مصطلح «المعرب» وهو «أعرب» وذلك في أبواب أربعة من كتابه وهي:

(21) العين، تحقيق عبد الله درويش ص 58 - 59

(22) المصدر لسبو، نفس الصفحة

(23) المصدر لسبو ص 60

- 1 - باب الاسماء الاعجمية
- 2 - باب ما كان من الاعجمية على اربعة احرف قد أعرب فكسره العرب على مثال مفاع
- 3 - باب ما أعرب من الاعجمية
- 4 - باب اطراد الابدال في الفارسية<sup>(24)</sup>

وقد عرض سيبويه في هذه الابواب لمباحث التعريب من النواحي الصوتية والصرفية والنحوية واستخلص القواعد التي نطق بها أبناء العربية، فخلص الكلمات المقترضة من اللغات الاخرى وخاصة اللغة الفارسية

ومعنى هذا أن مصطلحات المحدث والمبتدع والمولد والدخيل والمعرب لم تكن حتى عصر سيبويه قد اكتسبت دلالة اصطلاحية واضحة، ولكن علماء العربية القدماء التقطوا من هذه الكلمات اربعة شاع استخدامها في الدلالة على الكلمات العربية الاصل ولكن حدث لها تغير في الصوت أو الصيغة أو الدلالة أو فيها جميعا بعد عصر الاحتجاج وكذلك الكلمات الاجنبية التي اقترضتها اللغة العربية من للغات الاخرى بعد عصر الاحتجاج ايضاً. ومن اقدم هذه لمصطلحات المولد والمحدث اللذان استخدمتا في وقت واحد تقريباً ثم لمعرب ثم الدخيل.

أما المولد والمحدث فقد استخدمتا في نهاية القرن الثاني وأوائل القرن الثالث لدلالته على الكلمات العربية الاصل التي حدث لها تغير أو الكلمات غير العربية التي دخلت الى اللغة وكلا النوعين استخدمهما المولّدون<sup>(25)</sup>.

أم مصطلح «المعرب» فقد أشاع استخدامه أبو منصور

(24) سيبويه الكتب ط عبد السلام هارون 234/3، 620/3، 303/4.

(25) راجع حلمي خليل، المولد في العرصة 158 - 160

الجواليقي (ت 540هـ) في الدلالة على الكلمات التي اقترضتها اللغة العربية من اللغات الاجنبية خاصة سواء وقعت في القرآن الكريم أو في اللغة العربية بشكل عام وذلك في كتابه، «المعرب من الكلام الاعجمي على حروف المعجم» وهو من أوائل المعاجم اللغوية الخاصة التي اعتنت بهذا النوع من الكلمات على مستوى اللغة كلها، ويشيع استخدام هذا المصطلح في الكتب للدلالة على الكلمات التي اقترضتها العربية من اللغات الاخرى سواء حدث فيها تغيرات صوتية وصرفية جعلتها تشبه الكلمات العربية أو بقيت قريبة من النحيتين الصوتية والصرفية الى اصلها الاجنبي<sup>(26)</sup>.

أما مصطلح الدخيل فقد أشاع استخدامه أيضا شهاب الدين الخفاجي (ت 1069هـ) في كتابه «شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل» للدلالة على ما استخدمه المتكلمون باللغة العربية بعد عصر الاحتجاج سواء كان عربي الاصل وأصابه التغير في الصوت او الدلالة او الصيغة أو أجنبيا اقترضته العربية من اللغات الاخرى فأثبت في معجمه هذا كثيرا من الالفاظ التي تنتمي الى المعرب او المولد او العامي او الملحون واعتبرها من الدخيل<sup>(27)</sup>.

وهنا نجد خلط واضحا في استخدام هذه المصطلحات الاربعة أعني المولد والمحدث والمعرب والدخيل وفي تحديد دلالتها الاصطلاحية وهو خلط واضطراب اشترك فيه القدماء وبعض المحدثين.

أما القدماء فغالبا ما ينقل بعضهم عن بعض دون مراجعة او تمحيص واما المحدثون او بعضهم اذا شئنا الدقة فيتمسكون بالقديم لانهم لا يعرفون سواء.

ولا شك ان هذه المصطلحات لا بد ان تحرر بدقة حتى لا يقع

(26) راجع الجواليقي، المعرب في مواضع كثيرة انظر عن سبيل المثال ص 23، 53، 73

(27) راجع شفاء الغليل صفحات 76، 27، 41، 46 عن سبيل مثال.

ففي وقع فيه القدماء وبعض المحدثين من خلط واضطراب، خاصة اذا أردنا استخدام هذه المصطلحات في لمعجم اللغوي التاريخي لكي يُمَيَّز بها محاميع الالفاظ داخل هذا المعجم، ولسبب المباشر في هذا الخلط والاضطراب في تحديد تلك المصطلحات يرجع في ظني الى فكرة الاحتجاج التي امن بها القدماء وبعض المحدثين ايضا<sup>(28)</sup> وان كان المناخ السائد الآن في الفكر اللغوي العربي الحديث هو التخلي عن هذه الفكرة<sup>(29)</sup>.

ومعنى هذا أننا عند تحديد هذه المصطلحات، وهي مصطلحات أساسية من المصطلحات التي سيستخدمها المعجم اللغوي التاريخي، لابد ان ننظر اليها كما ينظر اليها هذا المعجم اي في اطار الثروة اللفظية العامة للغة العربية وفي الوقت نفسه تتخلى عن الاحكام المعيارية التي اربطت بها هذه المصطلحات في الفكر اللغوي التقليدي، أي بعبارة اخرى تنصرف دلالتها الى خصائص لغوية وتاريخية، اما الملامح اللغوية فعندما نشير الى البنية Form والمعنى Meaning اما الناحية التاريخية فتتولى الشواهد التي سنستشهد بها على كل لفظ او كلمة من هذا النوع تحديد زمن استعمالها.

وبناء على ذلك يمكن ان تحدد المصطلحات الاربعة وهي: المولد والمحدث والمغرب والدخيل وفق المعايير اللغوية على النحو التالي:

1 - المولد:

كما رأينا من قبل، فقد شاع استخدام هذا المصطلح عند القدماء كثيرا في الدلالة على الكلمات العربية الأصل التي طرأ عليها تغير في الصوت أو الصيغة أو للدلالة بعد عصر الاحتجاج واقل من ذلك شيوعا في الدلالة على الكلمات التي اقتصرتها العربية من اللغات الاخرى بعد عصر الاحتجاج ايضا، وعلى هذا النحو استخدمه بعض المحدثين.

(28) راجع حلمي حليل، مولد في العربية 610 619

(29) انظر مقدمة المعجم الوسيط لصدقة الاولى ص 12 ط قطر 1985

غير ان من يستقرىء الكلمات التي حكم عليها القدماء بأنها من المولّد سيلاحظ أنها غالباً كلمات عربية اكتسبت دلالات جديدة لم يعرفها اناء العربية الحليص إماً مع بقاء الكلمة كما هي وإماً باشتقاقها من اصول عربية عى صيغ وأوزان العربية ولكن العربية القديمة لم تعرف هذا المشتق او دلالاته . ومعنى هذا ان المولّد هو لفظ عربي الاصل واجذور اي ينتمي من حيث البنية الى جذور عربية ولكنه من حيث المعنى اكتسب دلالة جديدة سواء بالاشتقاق او بقاء الكلمة كما هي وذلك في مرحلة تاريخية محددة نستطيع ان نحددها عن طريق الشواهد . والامثلة على ذلك اكثر من ان تحصى مثل : الجبرية والقدرية والجريدة والتوقيع والمقامة والمتن والرجعة والخليفة والدولة والحضارة والسبحة قديماً ، والمدفع والبطائرة والدبابه والهاتف والسيارة والبرقية ولاذاعة والمذيع والمذياع والجامعة والكلية والمكتبة والمختبر حديثاً ، يضاف الى ذلك المصطلحات العلمية القديمة كلها .

وبناء على ذلك يمكن أن نستخدم هذا المصطلح في المعجم اللغوي التاريخي للدلالة على الكلمات العربية الاصل التي حدث لها تغير دلالي واشتقت من اصول عربية بدلالة جديدة قبل العصر الحديث .

## 2 - المحدث :

استخدم القدماء هذا المصطلح مرادفاً لمصطلح المولّد كثيراً اي في الدلالة على الكلمات التي استخدمها المولّدون بعد عصر الاحتجاج مع تغير في الدلالة او الصوت او الصيغة او عن طريق الاشتقاق . وأرى ان يستخدم هذا المصطلح في المعجم اللغوي التاريخي للدلالة على المولّد كما حددته من قبل ولكن في نطاق العربية الحديثة ، وبناء على ذلك يكون المحدث : هو كل كلمة عربية الاصل استخدمها المتكلمون بالعربية الحديثة بدلالة جديدة لم يعرفها المتكلمون بالعربية قبل العصر الحديث او بالاشتقاق من جذر عربي ودلالة جديدة ايضاً .

ومعنى هذا أن: الهاتف والسيارة والبرقية والمذياع والاذاعة والطائرة والمطبعة والتأشيرة والصحيفة والمعطف والسجادة وغيرها كثير من المحدث.

### 3 - المعرب :

كان اتجه القدماء في استخدام هذا المصطلح للدلالة على الكلمات الاجنبية مبنى ومعنى والتي اقترضتها العربية من اللغات الاخرى قبل عصر الاحتجاج سواء وضعت على صيغ وأوزان عربية أو بقيت بينيتها واصواتها الاصلية مع تغير في بعض الاصوات بابدالها باصوات عربية، ومن ثم عدّوا كل الكلمات التي وقعت في الشعر الجاهلي من هذا النوع أو تلك التي استخدمها القرآن الكريم من المعرب مثل: جلسان وبنفسج ويسيئر وسجنجل وبستان وصراط وقرطاس وأسطير وسجيل وابريق وسندس واستبرق وفردوس وجهنم واسفنت وقسطاس وقسط وقنطار ومشكاة وزنجبيل وغيرها من المعرب.

أما إذا حكمنا المعايير اللغوية فسنجد ان هذا النوع من الكلمات ينقسم الى نوعين: نوع أخذ صورة البنية العربية من حيث الوزن والصيغة مثل: سراط واستبرق وسجيل ونوع بقي على صورته الاجنبية مع تغير بعض الاصوات مثل: فردوس وفرن وقنطار وسجنجل وغيرها ناهيك بما دخل الى العربية الحديثة من هذا النوع مثل: تليفزيون واكسجين وهيدروجين وكومبيوتر وغيرها كثير جدًا.

وبناء على ذلك ارى ان يستخدم مصطلح المعرب في المعجم اللغوي التاريخي في الدلالة على الكلمات التي اقترضتها العربية من اللغات الاخرى سواء قبل عصر الاحتجاج أو بعده ولكنها اخذت صيغا وأوزانا عربية أو أقرب ما تكون الى الصيغ والأوزان العربية. اما النوع الثاني فهو ما سنطلق عليه الدخيل.

#### 4 - الدخيل :

استخدم علماء العربية القدماء هذا المصطلح في الدلالة على الكلمات العربية الاصل التي اصابها التغير في البنية او الدلالة او فيهما معا وكذا على الكلمات الاجنبية التي اقترضتها اللغة العربية سواء بقيت كما هي أو أخذت صيغة وأوزان الكلمات العربية وكل ذلك بعد عصر الاحتجاج، أي إن هذا المصطلح كان يدل على كل ما حدث من تطور في اللفاظ العربية كما يشير الى ما اقترضته العربية بعد عصر الاحتجاج، فهو مصطلح لغوي تاريخي اكثر مما هو مصطلح لغوي خالص.

وأرى انه يمكن استخدام هذا المصطلح للدلالة على الكلمات الاجنبية وحدها التي اقترضتها اللغة العربية من اللغات الاخرى وبقيت على صورتها الاجنبية او مع تغير طفيف في بعض أصواتها سواء تم ذلك قبل عصر الاحتجاج أو اليوم مثل : سجنجل وسيسنبر وفردوس وفرند وتليفزيون واكسجين وفريون وهيدروجين وغيرها

وفي جميع الاحوال فان الشواهد التي سيستعملها المعجم اللغوي التاريخي عند معالجته لكل كلمة سوف تحدد زمنها التاريخي ومكان استعمالها ايضا ومن اول من استعمالها ان امكن ذلك ومتى اختفت من الاستعمال وغيرها من الجوانب التاريخية.

فاذا ارتضينا هذا التحديد لهذه المصطلحات على النحو السابق، تبقى بعد ذلك امامنا مشكلة معالجة هذا النوع من اللفاظ المولدة والمحدثة والمعربة والدخيلة في المعجم اللغوي التاريخي وهو ما سنخصص له القسم الثالث والاخير من هذا البحث.



### 3 - معالجة الالفاظ المولدة والمعربة والدخيلة والمحدثة

#### في المعجم اللغوي التاريخي

لاشك ان النظرة التاريخية للغة العربية تستطيع ان تميز خمس مراحل كبرى مرت بها حياة هذه اللغة وهي :

#### 1 - المرحلة السامية Semitic Period

وهي المرحلة التي اخذت فيها اللغة العربية تنفصل عن اللغة السامية الام وتكون لنفسها خصائص لغوية تميزها عن اللغات السامية الاخرى وفي الوقت نفسه احتفظت بكثير من الخصائص العمة للغات السامية والتي على اساسها وضع علماء الدراسات اللغوية التاريخية اللغة العربية وغيرها من اللغات السامية تحت عائلة لغوية واحدة، ومارالت العربية تحتفظ بهذه الخصائص اللغوية السامية حتى اليوم .

#### 2 - العربية القديمة Classical Arabic

وهي المرحلة التي استخدمت فيها اللغة العربية في العصر الجاهلي وحتى انتشار الاسلام في الجزيرة العربية وبعد نزول القرآن الكريم وهو القمة التي بلغتها اللغة العربية في هذه المرحلة . وفي هذه المرحلة تميزت اللغة العربية بخصائص معينة ظلت تحتفظ بها حتى اليوم .

#### 3 - العربية المولدة Neo-classical Arabic

وهي المرحلة التي استخدمت فيها اللغة العربية بعد انتشار الاسلام خارج الجزيرة العربية على السنة العرب وغيرهم من الشعوب التي دخلت الاسلام والتي عبر بها هؤلاء وهؤلاء عن الحياة الفكرية والاجتماعية والحضارية الجديدة شعرا ونثرا، كما تمثل ايضا في لغة العلوم والفلسفة وغيرها . وقد استمرت هذه المرحلة منذ النصف الاول من القرن الثاني للهجرة وبلغت ذروتها مع نهاية القرن الخامس الهجري .

#### 4 - العربية الوسيطة Middle Arabic

وهي اللغة التي استخدمت بعد انهيار الحضارة الاسلامية وتولي الفرس والأتراك والمغول امر العالم الاسلامي وتظهر في شعر الشعراء وكتابات الادباء والمؤرخين والعلماء في هذه الفترة والتي امتدت حتى العصر الحديث.

#### 5 - العربية الحديثة Modern Arabic

وهي المرحلة الخامسة من حياة اللغة العربية والتي بدأت تتحلق مع مطلع عصر النهضة في العالم العربي ومازالت مستمرة حتى اليوم. وهي اللغة التي يستخدمها العرب الآن في الادب والصحافة والاذاعة والتأليف العلمي.

وبطبيعة الحال ليست هناك حدود قاطعة وثابتة بين كل مرحلة واخرى او بينها جميعا بحيث يمكن القول باطمئنان ان هذه المرحلة او تلك انتهت عند فترة محددة، اذ الواقع ان هذه المراحل تتداخل وتتعدد بحيث تجمعها خصائص لغوية عامة ثابتة نستطيع منها ان نتعرف على العنصر السامي بالاضافة الى المرحلة الاساسية في حياة تلك اللغة وهي العربية القديمة والتي مازالت أثرها تظهر حتى اليوم في العربية الحديثة ومن قبل في العربية المولدة والوسيطة. وهذا لا ينفي بطبيعة الحال انفراد كل مرحلة بخصائص لغوية تميزها عن المراحل السابقة او اللاحقة وقد رأينا في القسم الأول من هذا البحث ان المعجم اللغوي التاريخي يهتم بجانبين أساسيين من الوحدات المعجمية او الكلمات وهما البنية Form والمعنى Meaning حيث يناط به مهمة الرصد التاريخي للتطورات والمتغيرات التي طرأت على مبنى الكلمة ودلالاتها خلال هذه المراحل الكبرى بل وخلال المراحل الفرعية الاخرى التي يمكن ان تؤثر في بعض الكلمات نتيجة لوجودها في بيئات خاصة او مستويات لغوية معينة، وهو في هذا الرصد وذلك التتبع في إطار هذه المراحل وغيرها يستشهد على ذلك بالشواهد من عصور اللغة المختلفة حتى العصر لذي يوضع فيه المعجم. هذا بالنسبة لجميع الكلمات التي سيضمها

هذا المعجم والتي تمثل الثروة اللفظية في اللغة العربية في عمومها وشمولها.

أما بالنسبة للكلمات المعربة والدخيلة والمحدثة بالمعنى الذي حدّدناه لهذه المصطلحات في القسم الثاني من هذا البحث، فإن المعجم اللغوي التاريخي عندما يعالج هذا النوع من الوحدات المعجمية فسيواجه مشكلتين أساسيتين هما:

1 - مدخل Entry كل كلمة من هذا النوع في المعجم

2 - دلالة الكلمة وزمان استخدامها

وفيما يلي سنتناول كل نوع من هذه الكلمات لنبين كيف نعالجه في المعجم اللغوي التاريخي، غير أنني سأضمّص المعرب والدخيل معا لانتباههما الى اصول غير عربية، كما سأضمّص المولد والمحدث معا لانهما من اصول عربية، كما سأتناول الكلمات المعربة والدخيلة من لغات العائلة السامية في قسم خاص اذ لها خصوصية ظاهرة تحتاج معها الى معالجة مستقلة، في حين سأتناول ما اقترضته اللغة العربية من لغات العائلة الهندية الاوروبية في قسم آخر لأن لها معالجة أخرى. ومن الملاحظ ان العربية اقترضت من لغات هاتين العائلتين اكثر من غيرهما ولذا سنخصّصهما بالدراسة، اما ما اقترضته العربية من العائلات اللغوية الاخرى فسوف نشير اليه عند دراسة ما اقترضته العربية من العائلة الهندية الاوروبية اذ يصدق عليه ما يصدق على لغات هذه العائلة.

#### 1 - المعرب والدخيل من لغات العائلة السامية :

من التعريفات التي أشرت اليها من قبل لكل من مصطلح المعرب ومصطلح الدخيل يتضح لنا ان هذا النوع من الكلمات او الوحدات المعجمية في اللغة العربية ينتمي بحكم اصله الى لغات اجنبية عن اللغة العربية سواء من العائلة السامية التي تنتمي اليها العربية او من غيرها.

والحقيقة أننا قد نواجه مشكلة تحتاج الى كثير من التأني والتريث

والبحث العلمي عندما نريد تأصيل الكلمات المعربة والدخيلة وخاصة تلك التي اقترضتها اللغة العربية من لغات العائلة السامية، فنحن نعلم ان اللغة العربية هي اقدم اللغات السامية وان مجموعة اللغات السامية التي تنتمي اليها العربية تشترك في كثير من الخصائص اللغوية الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية ولذلك فان تحديد انتهاء كلمة ما الى هذه اللغة السامية او تلك، امر يحتاج الى كثير من الحيلة والحذر، بل ان تحديد اصول بعض الكلمات التي اقترضتها العربية سواء من اللغات السامية او غيرها ينبغي ان يحاط بكبير من الدقة والتأني خصوصا عند إثبات ذلك في المعجم اللغوي التاريخي. والمراحل الطويلة التي مرت بها حياة اللغة العربية التي اشرنا اليها في صدر هذا القسم من البحث تشكل صعوبة ظاهرة لا بد من التصدي لها بكل دقة، ذلك لان اثبات انتهاء كلمة ما للغة بعينها اقترضتها لغة اخرى امر قد يحفه احيانا كثير من اللبس والغموض لان واقع التاريخ وشواهد التطور اللغوي والحضاري قديما وحديثا، تثبت ان كثيرا من اللغات الانسانية، وخاصة اللغات ذات التاريخ الطويل مثل اللغة العربية، كانت في أغلب مراحل حياتها وتطورها دائمة التقلب في ملتقى تيارات لغوية وبشرية وحضارية تتشابك وتتقاطع بحيث تكون في ثناياها جيوب وعقد تحمل آثارا عميقة من تفاعل هذه التيارات جميعا.

ولكي ندلل على صدق هذه الملاحظة سنأخذ كلمة عربية قديمة وهي كلمة «كميت» وهي كلمة لا يشك احد في أصالتها وقدمها في اللغة العربية، فقد ترددت على ألسنة الشعراء في العصر الجاهلي<sup>(30)</sup> وهي عربية الوزن والصيغة، فوزن فعيل من أوزان التصغير العريقة في اللغة

(30) من أشهر الايات التي استعملت فيها هذه الكلمة بيت امرئ القيس من معلقته  
يصف فرسه . كميت يرل الابد عن حال مته      كما زلت الصمراء بالمتنزل  
وقال الاسود بن يعمر يصف لتمر  
وكنت اذا ما قرب الرد موبعا      بكل كميت حدة لم نسوف

العربية، ومدلولها واضح من استعمالها القديمة وذلك في الدلالة على اللونين الأسود والأحمر عند اختلاطهما معا كما نراه في لون أنواع من الخيل والتمر<sup>(31)</sup>. ومع ذلك نلاحظ ان هذه الكلمة تستخدم دائما في هذه الصيغة المصغرة ولا نكاد نجد لها صيغة اخرى مكبرة كما نجد مثلا كتاب لكتيب او غير ذلك من الكلمات، وهو ما لفت انتباه سيبويه (ت 180 هـ) فسأل عنها أستاذه الخليل (ت 175 هـ). قال سيبويه: «سألت الخليل عن كميت فقال هي بمنزلة جميل الذي هو البلب، وقال هي حمرة يخالطها سواد ولم تخلص، وانما صغروها لانها بين السواد ولحمرة ولم تخلص لواحد منهما فيقال له اسود او احمر، فأردوا بالتصغير انه منهما قريب».

والملاحظ على كلام الخليل كما رواه لنا ابن منظور (ت 711 هـ) ان الخليل شرح لسيبويه الدلالة، اما البنية فلم يذكر عنها شيئا وهي في ظني موضع سؤال سيبويه، فلم يذكر لخليل مثلا الاصل المكبر الذي صغرت عنه ولا مشتقات اخرى لها او غير ذلك مما يتصل ببنيتها. ولكن ابن منظور في شرحه للدلالة يذكر بعض المشتقات فيقول «الكميت لون ليس بأشقر ولا أدهم» ثم ينقل عن ابن الاعرابي (ت 131 هـ) قوله «الكمته كمتان، كمته صفرة وكمته حمرة، والكميت من الخيل يستوي فيه المذكر والمؤنث، والكميت اسم من اسماء الخمر لما فيها من سواد وحمرة، كما يقل قول ابن سيعد (ت 458 هـ) «الكمته لون بين السواد والحمرة يكون في الخيل ولا بل وغيرهما ومعنى هذا ان مشتقات هذه المادة في لسان العرب: كمته، كمته، كميت وهي ذات دلالة واحدة وهي مشتقات قبيلة وقلة عدد المشتقات على هذا النحو من العلامات التي تدعو الى الشك في اصالة

(31) انظر لسان العرب مادة (ك م ت)

(32) المصدر السابق نفس المادة

(33) المصدر السابق، نفس المادة

الكلمة في اللغة العربية، إذ أن وجود سلسلة طويلة من المشتقات سواء الأفعال أو الاسماء مع تنوع الدلالات من علامات أصالة الكلمة. فإذا علمنا أن «كمت» في اللغة المصرية القديمة تدل على الأرض السوداء أو على اللون الأسود.

ك: أسود K. Schwarz

كم: الأسود Km: der schwar

فإذا أضيفت اليها تاء التانيث أصبحت علما على مصر:

Km t Agypten<sup>(34)</sup>

ومن كمت Km. t جاء الاسم «قبط»

ومعنى هذا أن المدلول الأصلي للكلمة في المصرية القديمة هو السواد لأننا نجد أن:

سواد الليل: Km grh

سواد العيّن: Km ir. t \*

وإن الصفة Km أو Km. t أقرب في بعض الاستعمالات في هذه اللغة للدلالة على اللون الاسمر أو اللون الحمري لا لأسود الصريح الذي لم يكن مستحبا من الناحية الجمالية عند المصريين القدماء<sup>(35)</sup>. وهذا هو المدلول الذي تدل عليه كلمة كمت في العربية أي السواد الذي تخالطه حمرة، ويؤكد ذلك أن المصريين القدماء كانوا يستخدمون كلمة «كمت» في وصف معبودتهم «إيزيس» فيقولون «ست كمت» أي السيدة الحمرة اللون وليست السواد بطبيعة الحال<sup>(36)</sup> بل أنهم أطلقوا «كمت» على مصر، فأصبحت علما عليها وعلى أرضها

---

(34) أحمد بدوي وهرمان كيس، المعجم الصغير في مفردات اللغة المصرية القديمة ص 262.

(35) المصدر السابق ص 268

(36) عبد لرير صالح، حصارة مصر القديمة وثارها 1/1 - 2

(37) المرجع لسابق نفس الصفحة.

فمصر هي : كيمت وتاكيمنت اي السمراء او الخمرية اللون او السوداء  
إشارة الى لون تربتها وعدوا ذلك تعريفا لها عن الارض الصفراء  
الصحراوية المحيطة بها .

اذن لاشك أن كلمة «كميت» جاءت من هذا الاصل المصري  
القديم وأنها دخيلة في اللغة العربية سواء من ناحية البنية أو الدلالة .  
ولكن كيف دخلت وأي الطرق سلكت ؟ . الحقيقة ان هاك تأثيرات  
لغوية بين اللغة المصرية القديمة واللغات لسامية في فلسطين والشام  
والعراق . فالمصريون القدماء كانت لهم صلات بالمجموعة السامية في  
الشمال الشرقي والمجموعة الحامية في الجنوب الشرقي ، وقد ظلت هذه  
الصلات وخاصة ما نتج عنها من تأثيرات لغوية موضوع أبحاث  
علمية ، حيث أكد كثير من العلماء والباحثين في اللغات والآثار والتاريخ  
التأثير اللغوي بين اللغات السامية واللغة المصرية القديمة ولذلك  
اعتبرت من اللغات السامية الحامية<sup>(38)</sup>

عنى هذه الصورة الغربية المعقدة يتم أحيانا التبادل والاقتراض  
بين اللغات بحيث يختفي أحيانا الأصل الذي جاءت منه الكلمة .  
فكلمه مثل «كميت» دخلت الى العربية في عصور موعلة في  
القدم ، ولعل قدمها واستعمالها في شواهد ثابتة صحيحة هو الذي  
أعطاه تلك الصيغة العربية التي استطاعت بها أن تختفي عن عقل  
الخليل (ت . 175 هـ) فلم يشك قط في عربيّتها وراح يلتمس لها  
أصولا عربية .

هذا مثال واحد لهذا النوع من الألفاظ الذي قد نصادفه في  
الدراسة التاريخية للغة العربية وهو من لغة اشتركت في بعض خصائصها  
مع اللغات السامية ، فما بالنّا إذا كان تبادل التأثير والاقتراض يتم داخل  
عائلة لغوية واحدة ، اي بين العربية وخواتمها من اللغات السامية  
الأخرى أو العكس . لاشك أن هذا يعطي كثيرا من العذر لعلماء

(38) المرجع السابق 13/1 - 27 .

العربية القدماء عندما كانوا ينسبون خطأ بعض الكلمات في العربية إلى هذه اللغة السامية أو تلك ، وهو ما يدعوننا إلى الحيلة والحذر قبل القطع بأن هذه الكلمة أو تلك دخلت إلى العربية من إحدى اللغات السامية لوجود الكثير من المشترك بين هذه اللغات .

ولكن ليس معنى اشتراك اللغات السامية في كثير من الخصائص الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية إطلاق القول بأن العربية لم تقتصر من هذه اللغات كلها أو بعضها إذ لا شك أن هناك بعض الكلمات التي أثبتت الدراسات التاريخية أنها دخلت إلى العربية من بعض اللغات السامية .

فمثلا الفعل (ثاب) بالثاء المثلثة عربي الأصل معناه رجع ، بينما الفعل (تاب) بالطاء المثناة معرب عن الآرامية ويرجع إلى نفس الأصل ولكن معناه رجع عن الشر أو رجع إلى الله ، وهو معنى ديني خاص . ولا شك أيضا أن كلمة (حانام) أي الكاهن دخيلة من العبرية ، لأن الكلمة العربية المقابلة لها من نفس الأصل هي (حكيم) ومثل ذلك كلمة (السيط) أي القبيلة عبرية ، وكلمة (الناطون) بمعنى الخيال الذي يوضع في الحقول لاختافة الطيور أو الحارس آرامية الأصل ، لأن الفعل (نظر) بالطاء المهملة في الآرامية يقابل الفعل (نظر) بالطاء المعجمة في العربية ، كما أن صيغة (فاعول) التي اشتقت عنها كلمة (ناطون) من الصيغ الآرامية السريانية الشائعة . وكذلك كلمة (البيعة) بمعنى الكنيسة الصغيرة سريانية الأصل ، ومثل ذلك كثير من الكلمات النصرانية في اللغة العربية مثل : القس ، الناقوس ، الساعور ، الشعانين وغيرها وهي وإن كانت ذات أصول سامية قديمة ، إلا أن ارتباطها بدلالات دينية وحضارية خاصة يدعو إلى القول بدخولها من الآرامية السريانية إلى العربية<sup>(39)</sup> .

(39) راجع ، حس طوط ، كلام العرب ص 70 .

وانظر أيضا : ابراهيم لسمرائي ، دراسات في اللغتين السريانية والعربية في موضع كثيرة



كل هذا له مبررات لغوية وحضارية ترجّح أنه دخل إلى العربية من إحدى اللغات السامية، أما القول بأن كلمة (القدس) مثلاً معربة فباطل إذ أن السلسلة الاشتقاقية كلها موجودة في العربية ولذلك فإن مادة (ق د س) من المشترك السامي وغير ذلك كثير حيث نجد كلمات أخرى أقرب ما تكون إلى المشترك السامي وليست دخيلة أو معربة. وصفوة القول أنه قد يكون من السهل إلى حدّ كبير ردّ كلمة دخيلة أو معربة إلى مصدرها الأول، إذا كان هذا المصدر من عائلة لغوية مختلفة، أما إذا تم الاقتراض بين لغتين من عائلة لغوية واحدة فالامر عسير، إذ لا بد من أن تكون الكلمة في هذه الحالة متمية لغوياً وحضارياً بشكل واضح إلى غير المجتمع الذي انتقلت إلى لغته، وأن تكون بلا سلسلة واضحة من المشتقات.

وبصدد هذا لا بد من الإشارة إلى ما في معاجم اللسانيين وكتابات بعض الباحثين المسيحيين من مبالغات في الحاق كلمات عربية أصيلة بلغات سامية أخرى وخاصة السريانية والآرامية مثل الأب روفائيل نخلة السيوعي في كتابه (غرائب اللغة العربية)<sup>(40)</sup> والبطريوك أفرام برصوم في سلسلة المقالات التي نشرها في مجلة الجمع العلمي العربي بدمشق تحت عنوان (الألفاظ السريانية في المعاجم العربية)<sup>(41)</sup> وكلاهما تسرع في الحاق كلمات عربية باللغة السريانية<sup>(42)</sup>.

على ضوء هذا كله نستطيع أن نتصور ما يمكن أن يواجهه واضعو المعجم اللغوي التاريخي للغة العربية من صعاب في المعرب

(40) انظر على سبيل امثال الكلمات: رب، قدم، مح، الكافر، حة، قرية في هذا الكتاب

(41) انظر اعداد المحة المجلد 23 ص 161 الى المجلد 25 ص 178، أعوام 1948 / 1950 والألفاظ أب، أبل، حمل، حة، دين، سجد، عقل، كهر، قرية

(42) انظر ابراهيم السمرائي، دراسات في المعتين العربية والسريانية، حيث تنوع الكثير من هذه الالفاظ وردّها الى أصولها الصحيحة

والدخيل من اللغات السامية وهي صعب كما أشرت من قبل دات شقين أحدهما يتصل بنية هذا النوع من الكلمات والآخر يتصل بمعناها وزمن دخولها الى اللغة العربية .

أما فيما يتصل بتأصيل بنية الكلمة فلاشك أن المدخل سيكون باللغة العربية أي توضع الكلمات التي يثبت اقتراضها من إحدى اللغات السامية تحت المداخل العربية المناسبة وبطبيعة الحال سيكون الجذر المكون من الأصوات الصامتة (consonants) هو المدخل مع اثبت الكلمات السامية التي تشترك مع الجذر العربي تحت المدخل في الأصل السامي ، دون القول بأن العربية او غيرها من اللغات السامية قد افترضت من الأخرى ، الا عندما يثبت ذلك بما لاشك فيه من الظواهر الصوتية والصرفية والاشتقاقية بالإضافة الى الأدلة التاريخية والحضارية ، وهو ما فعله العالم اللغوي الألماني «جزيانيوس» (Gesenius) في معجمه للغة العبرية في الكتاب المقدس ، حيث اعتمد في مداخله على الجذور العبرية ، ولكن تحت كل مدخل كان يذكر الكلمات المتشابهة في اللغات السامية جنبا إلى جنب دون القطع بأن إحداها أخذت من الأخرى ، وعندما يثبت ذلك يميل بشكل عام إلى القول بأن العبرية والسريانية والحبشية هي التي افترضت من العربية التي احتفظت بأكثر وأعرق خصائص اللغة السامية الأم<sup>(43)</sup> .

وهو أيضا ما اتبعه «المعجم الكبير» أو المعجم الموسوعي الذي وضعه مجمع اللغة العربية في مصر ، ففي المدخل (أبل) مثلا نجده يرصد المشترك السامي على النحو التالي :

أ ب ل :

---

(43) راجع ، Gesenius, A Hebrew and English lexicon of the old testament, p 140, p.185, p 343, p 349

- في العربية الجنوبية القديمة إبل : جمل
- في الاكادية ibilu جمل (دخيلة)
- في عبرية التوراة obil : القائم على الأبل
- في السريانية hebalta هبالتا أو ēbālta إبالتا قطع الإبل
- و nabbāla هبالا : راعي الأبل
- في الآرامية السريانية yablā يبالا<sup>(44)</sup>
- ومن الملاحظ ان المعجم لم يذكر تحت هذا المدخل السامي الأصل إلا كلمة واحدة دخيلة في الاكادية، ولكنه لم يقطع من أي اللغات السامية دخلت لوجود احتمالات كثيرة لذلك.
- ومثل ذلك تحت المدخل (أبق) التي ينصر على أنها من المشترك السامي<sup>(45)</sup> وكذا تحت المدخل (أوب)<sup>(46)</sup> وغيرها كثير.
- ولكنه يذكر تحت المدخل (أرس) كلمة الإريس) ويقول:
- معرب ārosa أريسا : الفلاح
- وفي الآرامية والعبرية المتأخرة āris أريس
- والأصل أكادي errēšu إريش : الاكر، الفلاح<sup>(47)</sup>
- وطبقا للتعريف الذي وضعناه للمعرب والدخيل فان كلمة arisa أريسا بمعنى الفلاح دخيلة لا معربة، والمعجم يخلط كثيرا بين المعرب والدخيل<sup>(48)</sup> ولكنه في هذا المدخل قطع بأن الكلمة جاءت من الاكادية وليست عبرية رغم انتسابها إلى جذر عربي لأن العرب لم يكونوا أهل فلاحه وزراعة.
- وقد نجد اختلافا أو تغيرا في دلالة بعض الكلمات المقترضة أحيانا

(44) المعجم لكبير 1/47.

(45) المصدر السابق 1/46

(46) المصدر السابق 1/58

(47) المصدر السابق 1/390

(48) انظر عن سبل المثال 1 21، 1/331، 1/348، 2/13، 2/18.

والتي تشترك في جذر سامي واحد، وفي هذه الحالة ينبغي ذكر هذه الكلمات وشرحها وترتيبها تحت هذا الجذر وفق التطور التاريخي لها.

## 2 - المغرب والدخيل من لغات العائلة الهندية الأوروبية

يختلف المغرب والدخيل من لغات العائلة الهندية الأوروبية عن مثيله من اللغات السامية، فلعل ما اقترضته اللغة العربية من لغات هذه العائلة مثل: الفارسية واليونانية واللاتينية قديما والفرنسية والانجليزية والاطالية حديثا، لعل هذا النوع من الكلمات اكثر سهولة في تحديد أصله من ذلك الذي اقترضته العربية من أخواتها الساميات، مع ملاحظة أن اللغة الفارسية وضعا دقيقا بالنسبة للغة العربية وخاصة في المرحلتين الكلاسيكية أو العربية القديمة والعربية المولدة، ذلك لأن الفرس قد اتصلوا بعلم الساميين في عصور سحيقة موعلة في القدم، وقد أوجد هذا الاتصال اقتراسا لغويا بين اللغات السامية والفارسية في عصور سابقة على الإسلام، كما اشتدت حركة الاتصال بعد الفتح الاسلامي ونقل العرب عن الفرس وخاصة في العصر العباسي عصر العربية المولدة كثيرا من العادات والنظم في الادارة وشؤون الحكم ناهيك بالطعام والشراب والأدوات، وفي هذا الصدد لابد أن يلاحظ واضعو المعجم اللغوي التاريخي أن اللغة الآرامية السريانية ربما تكون قد توسّطت بين العربية والفارسية فقد تدخل الكلمة من الآرامية مثلا وهي فارسية الأصل أو من مجموعة اللغات الإيرانية، وأحيانا تكون الكلمة قد دخلت إلى اللغتين العربية والآرامية من الفارسية مستقلة إحداها عن الأخرى.

وبالرغم من صعوبة القطع أحيانا بالطريق الذي سلكته الكلمة من إحدى لغات العائلة الهندية الأوروبية وخاصة اليونانية واللاتينية، فإن المعجم التاريخي لابد له من التثبت من هذا الطريق أو عدم القطع بدخول الكلمة من إحدى هذه اللغات اذا كان من المتعذر إثبات ذلك.

وبصورة عامة فإن أهم المشكلات التي سيواجهها واضعو المعجم اللغوي التاريخي بصدد هذا النوع من الألفاظ قد يتمثل فيما يلي :

1 - المدخل الذي ستوضع تحته الكلمات المقترضة من لغات العائلة الهندية الأوروبية فهل نضع كلمات مثل : الفردوس ، البستان ، اسفنت ، اسطقس ، سجيل ، استبرق ، ابريق ، فالودج ، كردناج ، سيسنبر ، سجنجل ، انجيل ، ترياق ، اكسير ، كافور ، ابريسم ، حلنار ، راديو ، تلفزيون ، تليفون ، اكسجين ، نروجين ، وغيرها تحت المداخل لعربية كما فعل المعجم الوسيط عندما وضع بعض الكلمات الدخيلة تحت مداخل عربية<sup>(49)</sup> وبذلك يتوهم أن لها جذورا عربية ناهيك بعدم وجود سلسلة اشتقاقية او دلالة تربط بينها وبين المدخل الذي وضعت تحته .

2 لكلمات المشتقة من هذا النوع من الألفاظ مثل : تأقلم من اقليم ، دوّ من الديوان ، برهن من برهان ، هرطق من هرطوفس ، تزندق من زنديق ، تفلسف من فيلسوف ، كهرب من كهرباء ، بلط من بلاط ، تلفز من تيفريون ، أكسد من أكسيد وهلمّ حراً .

الواقع اننا لا نستطيع اذا كنا نريد الالتزام بالمنهج التاريخي ان نضع الالفاظ المعربة والدخيلة او المشتقة منها تحت المداخل العربية لأننا بذلك نثبت لها جذورا عربية وهي ليست كذلك حتى ولو قبل المدخل العربي بعض هذه الكلمات ، وانما ينبغي ان تكون لها مداخل مستقلة في اطار الترتيب العام للمداخل الذي سيكون ألف باثيا بطبيعة الحال ويترتب على استقلالها بمداخل خاصة ، أن لا نضع مثلا كلمة «سراط» بمعنى الطريق تحت المدخل «سراط» العربية كما فعل صاحب اللسان أو نضع كلمة «لجام» تحت المدخل (ل ج م) ولا كلمة جصّ تحت (ج ص ص) وهكذا ، وإنما نفرد لها مداخل مستقلة ، وهذا الاستقلال يحل

(49) انظر المعجم الوسيط 1/39 ، 1/52 ، 1/66 ، 1/71 على سبيل المثال .

لنا بالضرورة مشكلة المشتق من المعرّب والدخيل من العائلة اهندية الأوروبية، حيث يمكن وضع المشتقات تحت المداخل المستقلة للكلمات وهي عادة لا تكون أكثر من مشتق أو اثنين أو ثلاثة على الأكثر.

وهنا قد يواجه مشكلة أخرى وهي أن كثيرا من هذه المشتقات غالبا ما يجري على صيغ وأوزان عربية، فهل نعد هذه المشتقات من المعرّب والدخيل رغم ذلك؟

لاشك أن وضع هذا المشتقات تحت المداخل الخاصة بالكلمات لمعربة والدخيلة من اللغات الهندية الأوروبية سيبين بطبيعة الحال أنها غير عربية الأصل، غير أننا يمكن أن نعدها أي المشتقات فقط من المولد أو المحدث حسب زمن دخول الأصل أو استعمال المشتق نفسه والشواهد على ذلك.

وهكذا فإن الالتزام بوضع الكلمات العربية والدخيلة من هذه العائلة اللغوية في مداخل مستقلة سترتب عليه أمران:

الأول ويتمثل في التفرقة الواضحة بين الكلمات العربية الأصل والكلمات المعربة والدخيلة من هذه الأسرة اللغوية التي لا تنتمي إليها العربية بعكس الأسرة لسامية التي تنتمي إليها العربية وترتبط بها بأواصر لغوية وتاريخية

والثاني وضع ما اشتق من هذا الأصل الاجنبي في صورته المعربة أو الدخيلة تحت مدخل يحدد أصله.

### 3 - المولد والمحدث:

يختلف هذا النوع من الألفاظ عن الألفاظ المعربة والدخيلة من حيث البنية. فأصول المولد والمحدث عربية. وطبقا للتعريف الذي اقترحناه فإن المولد هو لفظ عربي الأصل طرأ عليه تغير دلالي إم مع بقاء اللفظ أو بالاشتقاق من أصل عربي لم يشتق منه العرب القدماء مثل هذا اللفظ، ومثل ذلك المحدث إلا أن الفرق بينهما تاريخي حيث يشير

مصطلح المولد الى ما ولد في العربية حتى بداية العصر الحديث في حين ان المحدث حتى اليوم.

وبناء على ذلك فان كلمات مثل : بهلول، التوقيع، الرقيع، العقص، القصف القطر (ماء السكر) المقامة، البابة، الجبرية، القدرية، التفسرة، العجة، الجوالي، الرجعة، الحاجب، الايقاع، السحارة، المزورة وغيرها من المولد ولها جذور ومداخل عربية أصيلة وسلسلة من المشتقات ومن ثم ينبغي ان توضع في مكانها التاريخي تحت المداخل العربية، مع شرح معناها وما طرأ عليها من تغير دلالي وزمنه وشواهد الى ما قبل العصر الحديث أي في مرحلة العربية المولدة ومرحلة العربية الوسيطة.

أما كلمات مثل : المذيع، المأمور، المدير، المشير، الطائفة، السيرة، الباخرة، القطار، القاطرة، المذيع، الاذاعة، المذيع، السفارة، الدبابة، الجريدة، المطبعة، الدولة، الحضارة وغيرها فمن المحدث، وهي أيضا كلمات ذات جذور عربية أصيلة وسلسلة من المشتقات، ومن ثم توضع تحت المداخل العربية مع شرح معناها الاصيل وما طرأ عليها من تغير دلالي وزمنه وشواهد في العصر الحديث.

وصفوة القول فان الكلمات المعربة والدخيلة من ناحية والمولدة والمحدث من ناحية أخرى لابد أن تحض عند وضعها في المعجم التاريخي لما يلي :

1 - المعرب والدخيل من اللغات السامية :

أ - يوضع تحت المداخل العربية

ب - تذكر النظائر السامية

ج - اذا ثبت دخول اللفظ من إحدى اللغات السامية يوضع

أمامه مصطلح «معرب» اذا كان يجري على وزن عربي والافهو «دخيل»

د - تحديد زمن دخول الكلمة واللغة السامية التي دخلت منها أو

اللغات التي توسطت بينها وبين العربية .  
هـ - يحدد اذا ما كانت الكلمة باقية على دلالتها في لغتها أم  
تغيرت الدلالة ومتى وشواهد ذلك . وهل ظلت تستعمل حتى الآن أم  
اختفت من الاستعمال ومتى .

## 2 - المعرب والدخيل من اللغات الهندية الأوروبية :

- أ - يخصص لها مداخل خاصة وتعتبر حروفها كلها أصولاً .
- ب - تكتب الكلمة بحروفها الأصلية
- ج - اذا جرت على أوزان وصيغ عربية فهي من المعرب والا فهي  
من الدخيل
- د - توضع المشتقات منها تحت مداخلها المستقلة .
- هـ - تحديد زمن دخول الكلمة واللغة التي دخلت منها أو اللغات  
التي توسطت في ذلك .
- و - يحدد اذا ما كانت الكلمة باقية على دلالتها في لغتها الأصلية  
أم تغيرت الدلالة ومتى والشواهد على ذلك . وهل هي باقية في  
الاستعمال أم اختفت ومتى .

## 3 - المولد والمحدث .

- أ - توضع تحت المداخل العربية
- ب - يحدد المدلول الأصلي لكل كلمة مولدة أو محدثة
- ج - تحدد الدلالة المولدة أو المحدثه والشواهد على ذلك .
- د - تحدد طريقة التوليد بتغير الدلالة أو الاشتقاق أو النحت أو  
التركيب

هـ - تحديد زمن توليدها وهل ظلت مستعملة حتى الآن أم  
اختفت ومتى .

وفي كل الخطوات السابقة لابد من الاستعانة بالنصوص  
والشواهد الشعرية والنثرية وغيرها وبالتاريخ الحضاري والتطور



الفكري والأدبي والاجتماعي للغة العربية واللغات الأخرى التي  
اقتضت منها العربية.

وبذلك يصبح المعجم اللغوي التاريخي صورة صادقة للغة  
العربية وخاصة تيار المعرب والدخيل والمولد والمحدث داخل الثروة  
اللفظية لهذه اللغة.

حلمي خليل

## المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع العربية:

- إبراهيم أنيس (دكتور)  
من أسرار اللغة  
القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية، بدون تاريخ
- إبراهيم بيومي مذكور (دكتور)  
مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً  
القاهرة، الهيئة العامة للمطابع الأميرية،  
1383 هـ / 1964 م
- إبراهيم السامرائي (دكتور)  
دراسات في اللغتين السريانية والعربية  
بيروت، دار الجبل، ط. أولى، 1405 هـ / 1985 م
- أحمد بدوي وهرمان كيس  
المعجم الصغير في مفردات اللغة المصرية القديمة  
القاهرة، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، 1958 م
- أحمد فارس الشدياق  
الجاسوس على القاموس  
القسطنطينية، مطبعة الجوائب، 1299 هـ
- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد  
تهذيب اللغة، تحقيق عبد السلام هارون  
لقاهرة، الدار المصرية لتأليف والترجمة،  
1383 هـ / 1964 م

إسرائيل ولفنسون

تاريخ اللغات السامية  
القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر،  
1348 هـ / 1929 م

برجشتراسر، ج

التطور النحوي للغة العربية، أخرجه وصححه وعلق  
عليه د. رمضان عبد التواب  
القاهرة، مكتبة الخانجي، 1402 هـ / 1982 م

البغدادي، عبد القادر بن عمر

خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب  
القاهرة، المطبعة الأميرية، 1299 هـ

تمام حسان (دكتور)

اللغة بين المعيارية والوصفية  
القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1958 م

جمال الدين الشيال (دكتور)

تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي  
القاهرة، دار الفكر العربي، 1951 م

جواد علي (دكتور)

تاريخ العرب قبل الاسلام (القسم اللغوي)  
بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1377 هـ /  
1957 م الجزء السابع

الجواليقي

أبو منصور بن أحمد

المعرب من الكلام الاعجمي على حروف المعجم،  
تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر  
القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، 1361 هـ

- حرجي زيدان  
تاريخ آداب اللغة العربية  
القاهرة، مطبعة دار الهلال، 1911 م
- حسن ظاظا (دكتور)  
الساميون ولغاتهم  
الاسكندرية - مطبعة المصري، 1971
- حسين نصار (دكتور)  
المعجم العربي نشأته وتطوره  
القاهرة، مكتبه مصر، ط. رابعة، 1408 هـ/1988 م
- حلمي خليل (دكتور)  
الكلمة، دراسة لغوية معجمية  
الاسكندرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1980 م
- المولد في العربية  
بيروت، دار النهضة العربية، ط. ثانية  
1405 هـ/1985 م
- الخليل بن أحمد الفراهيدي  
العين، تحقيق د. عبد الله درويش  
بغداد مطبعة العاني، 1966 م
- دي سوسير، فردينان  
دروس في الألسنية العامة، تعريب القرمادي والشاوش  
وعجنية توس، الدار العربية للكتاب، 1985
- الرازي، ابرحائم احمد بن حمدان  
كتاب الزينة في الكلمات العربية الاسلامية  
عارضه بأصوله وعلق عليه حسين بن فيض الله الهمداني  
القاهرة، مطابع دار الكتاب العربي، 1957، الجزء  
الاول، القاهرة، مطابع الرسالة، 1958 الجزء الثاني  
مخطوط برقم 26401 مكتبة جامعة القاهرة

رفائيل نخلة اليسوعي  
غرائب اللغة العربية  
بيروت، المطبعة الكاثوليكية ط ثانية، 1959

الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله  
البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم  
بيروت، دار المعرفة الجامعية، نسخة مصورة عن  
طبعة القاهرة، بدون تاريخ

سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر  
الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام هارون  
القاهرة، دار القلم، 1385هـ/1966م الجزء الأول  
دار الكتاب العربي، 1388هـ/1968م الجزء الثاني  
الهيئة المصرية العامة للكتاب 1973م الجزء الثالث  
والجزء الرابع 1975

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن  
المتوكلي، تحقيق د. عبد الكريم الزبيدي  
ليبيا، مطبوعات جامعة سبها، 1986م  
المزهر في علوم اللغة، تحقيق محمد جاد المولى  
بالاشتراك

القاهرة. دار احياء الكتب العربية، جزءان بدون تاريخ

الشهاب الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر المصري  
شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدحيل  
القاهرة، المطبعة الوهاية، 1282هـ

عبد العزيز صالح (دكتور)  
حضارة مصر القديمة وآثارها  
القاهرة، المطبعة الاميرية، 1962م

علي القاسمي (دكتور)  
علم اللغة وصناعة المعجم  
الرياض، مطبوعات جامعة الرياض 1395 هـ / 1975 م

ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن زكريا  
الصاحبي في فقه اللغة، حققه وقدم له د. مصطفى  
الشويمي بيروت، مؤسسة بدران للطباعة والنشر،  
1382 هـ / 1963 م

محمد كرد علي  
أعمال المجمع العلمي العربي (1922-1924)  
دمشق، المطبعة البطريركية الأرثوذكسية / 1924 م

مجمع اللغة لعربية بمصر  
المعجم الكبير  
القاهرة، مطبعة دار الكتب، 1970، الجزء الأول  
المعجم الوسيط  
قطر، إدارة إحياء التراث الإسلامي، 1985 م جزءان

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم  
لسان العرب  
القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، طبعه مصوره عن  
طبعة بولاق  
ابن النديم، محمد بن اسحاق  
الفهرست  
القاهرة، المطبعة التجارية، 1348 هـ

ثانيا : الدوريات العربية.  
مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق  
المجلدات 23-25، لسنة 1948 م - 1950 م

مجلة مجمع اللغة العربية بمصر  
العدد الاول، سنة 1934 م  
العدد الثالث سنة 1936 م  
مجلة الضياء، ابريل 1900 م  
ملحق المقتطف  
المجلد الاول سنة 1876 م  
- الثالث سنة 1878 م  
= السادس سنة 1881 م  
= العاشر سنة 1886 م  
مجلة اللسانيات (الجزائر)  
المجلد الثاني، العدد الاول، 1972  
مجمع اللغة العربية بمصر (محاضر الجلسات)  
العدد الاول 1934

### ثالثا : المراجع غير العربية :

- Gesenius, William.  
A Hebrew English Lexicon of the old Testament  
Translated by Edward Robinson.  
Oxford, Claredon Press, 1972.
- Ivic, Malka.  
Trends in linguistics  
Mouton, The Hague, Paris 1970.
- Hartman & Stork  
Dictionary of Language and Linguistics.  
London, 1972
- Haywood, John.  
Arabic lexicography.  
Leiden, 1965
- Kramsky, Jiri.  
The Word as a linguistic unit.  
Mouton, The Hague, Paris, 1969.

- Krenkow.  
The Beginning of Arabic lexicography.  
Centerary supplement of J.R.A. S 1924.
- Lehmann, Winterd.  
Historical Linguistics.
- Lyons, John  
Semantics.  
Cambridge University Press, two vols. 1977.
- The Oxford English Dictionary  
The University Press, Oxford, Vol. I. 1970.
- Robins, R.H.  
A Short History of Linguistics  
Longmans, London, 1967.
- Zgusta, Ladislav.  
Manual of lexicography.  
Mouton, The Hague, Paris, 1971.



## بعض الاشكالات المنهجية الخاصة بالمعجم العربي التاريخي

بحث . الطيب البكوش

1 - تقديم :

1 - 1 : إن العلاقة بين اللسان الطبيعي واللغة البشرية تمثل إحدى العلاقات الأساسية في اللسانيات الحديثة انطلاقاً من نظريات فردنان دي سوسور<sup>(1)</sup> الذي يؤكد أن اللسان هو المظهر الاجتماعي من اللغة البشرية لأنه يمثل كنزاً مشتركاً وإراثاً جماعياً يتصرف فيه الفرد في مستوى ما ينجزه من حديث وخطاب تصرفاً لا يستوي مطلقاً جميع إمكانياته ولا يريد أن يغير منه شيئاً إلا في حدود ما تقتضيه هياكله وقواعده من ناحية، وحاجيات المجموعة التي تشترك فيه من ناحية أخرى.

1 - 2 : ولعل المعجم - أي مجموع الوحدات الدلالية أو اللفاظ - يمثل النظام الذي يبدو لأول وهلة أسطوياً ولكنه في الحقيقة أعقد الأنظمة والهياكل التي تكوّن اللسان، فالهياكل الصوتية والقواعد النحوية تمثل بصفة عامة أنظمة مغلقة قابلة للحصر والوصف الشامل نسبياً. أما الهياكل المعجمية فإنها تمثل نظاماً مفتوحاً شديد التغير قابلاً

---

(1) - دروس في الاليسية العامة - تعريب صالح القردمادي ومحمد الشاوش ومحمد عجبنة - الدار العربية للكتاب - تونس 1985

باستمرار للزيادة ولتقصان هذا بالإضافة الى ثنائية الوحدات المعجمية المتكونة ضرورة من شكل ومحتوى أو دال ومدلول. هذه الثنائية، ولا سيما الوجه المدلولي منها، تجعل دراسة المعجم مرتبطة بدراسة المجتمع الذي يستعمل ذلك اللسان.

وعلى هذا الأساس فن تاريخ مدلول من المدلولات أو ظهور كلمة أو تطورها هو في نهاية الأمر تاريخ جزء من حضارة المجتمع الناطق بذلك اللسان.

ولما كان ظهور وحدة من وحدات المعجم أو تغييرها مؤثرا بالضرورة في المجموعات المعجمية والهياكل التي ترتبط بها، فإن تطور المجموعات المعجمية مرتبط بدوره بتطور الهياكل الاجتماعية<sup>(2)</sup>.

7 - 3 : بيد انه من النادر جدا ان يبقى الناطقون بلسان من اللسان بمعزل عن غيرهم من الناطقين بلسان آخر. وان الاحتكاك الناتج عن الاتصال لا يمكن ان يبقى بدون اثر في اللغة. ومن البديهي ان تكون درجة التفاعل اللساني في تناسب ودرجة الاحتكاك الشري. ولذلك يمكن التأريخ لعلاقات الشعوب والدول من خلال مقارنة معجم ألسنتهم<sup>(3)</sup>. وإنه لا غضاضة على اي لسان من تبني الدخيل الذي لا يخلو منه لسان، ان لم نقل مع «فاقنر» إنه «لا يمكن لأي لسان ان يطمح الى ان يكون لسان حضارة اذ ما اقتصر على رصيده الخاص»<sup>(4)</sup> فالدخيل الذي يندمج في هياكل اللسان المتقبل يصبح جزءا منه.

(2) - Dictionnaire et histoire du vocabulaire, R. L. Wagner, Le Français moderne

عدد 3 حويلية 1970، ص 193 - 198

(3) - نفس المصدر ص 197 - حيث يدعو الى تسجيل اكثر ما يمكن من ألفاظ المهاجرين الى فرنسا بتواريخهم ومراجعتها استعداد لاحتياج استقرار لبعض منها وتبني لقاموس لها

(4) - نفس المصدر

1 - 4 . وعلى هذا الاساس فان جرد وحدات المعجم العربي بمستعمله وغريبه ومولده ومعربه يمثل جردا للحضارة العربية الاسلامية باكملها .

وان متغالل هذه المادة المعجمية لا يحقق اهدافه الا اذا تجاوز القائمت المشروحة شرحا لغويا تقليديا كما نجد في القواميس العربية المتداولة وارتقى الى مستوى القاموس التاريخي . بيد ان هذه التسمية لا تخلو من غموض ، فهي تثير قضية تحديد الموضوع والمفاهيم التي يقوم عليها .

## 2 - قضية تحديد الموضوع والمفاهيم :

### 2 - 1 : تاريخ الكلمة = قصتها

ان المعجم التاريخي يمكن ان يفهم على انه معجم يضم قائمة من الكلمات لها قصة خاصة هي قصة حياة الكلمة منذ نشأتها وما عرفت من استعمالات وما حقت بها من دلالات وما طرأ عليها من تعبيرات . بل يمكن الخروج عن حدود اللسان الذي تنتمي الكلمة الى نظامه للملاحقة الكلمة في رحلتها عبر الزمان والمكان الى السنة اخرى . هذا النوع من المعاجم ليس قاموسا بقدر ما هو قصة حياة مجموعة من الكلمات المحدودة ، إذ ليست الكلمات جميعا لها قصة معروفة تستحق الذكر . ولا نعرف في العربية تأليفا من هذا النمط بينما عرفت بعض اللغات الاخرى في السنين الاخيرة مؤلفات من هذا القبيل<sup>(5)</sup> .

### 2 - 2 : تاريخ الكلمة = تأريخها

ويمكن ان نفهم ايضا من المعجم التاريخي الجانب التاريخي المتمثل في ذكر تواريخ الكلمات من حيث ظهورها في نظام لسان من خلال استعمالاتها الاولى .

(5) - بذكرها على سبيل المثال في الفرنسية :

Gilles Henry, *Dictionnaire des mots qui ont une histoire*, Tal andier 1989, 272 p

ومن البديهي ان ظهور كلمة من الكلمات في نظام لسان من  
الالسن يسبق في اغلب الاحيان الاستعمالات المسجلة، اذا استثنينا  
المصطلحات الفنية التي كثيرا ما يسبق استعمالها دخولها النظام اللغوي  
بعكس الكميات العادية.

لذلك فان التواريخ التي نجدتها في قواميس الالسن الاوروبية لا  
تعدو أن تكون في كثير من الاحيان تواريخ نسبية تقريبية تسجل اول  
استعمل مكتوب، بينما المقول أسبق من المكتوب. بيد أن ذكر تاريخ  
مضبوط (سنة ظهور الكلمة مثلا) مهما كانت نسبته، يمثل احد  
لعناصر الاساسية في تحديد الكلمة لانه يمكن من معرفة اتجاه  
لاشتقاق مثلا.

فاتجاه الاشتقاق ليس قرا وانما يتغير. فقد يشتق الاسم من  
الفعل كما يمكن ان يحدث العكس:

باع ← مبيع

خيمة ← خيم

وقد تتواجد الاتجاهات المتقابلة في نفس المادة:

سفر ← مسمار ← مسمّر

لذلك يمكن أن نقول إن ضبط لتواريخ من العمليات الاساسية  
في المعجم التاريخي.

لكن التواريخ وحدها غير كافية في تحديد الكلمة لان التحديد  
عملية معقدة تتطلب تجميع عديد المعطيات انطلاقا من الاصل.  
ويمكن ان نسمي عملية التأصيل تأثيلا<sup>(6)</sup>. وهو ما يمثل البعد الثالث  
الاهم في المعجم التاريخي.

2 - 3 . تاريخ الكلمة - تأثيلها

2 - 3 - 1 : ولما كان المعنى اليوناني الاصلي للكلمة الفرنسية هو

(6) - Etymologie

«حقيقي»<sup>(7)</sup>، فان هذا المنهج اللساني يتمثل في الاصل في معرفة المعنى الحقيقي للكلمة اي المعنى الاصلي . وهو ما تدل عليه في العربية صيغة «التأثيل» اي الرجوع الى الاصل الاصيل .

2 - 3 - 2 : ويدل مفهوم «التأثيل» في اللسانيات الحديثة على فرع من فروع اللسانيات موضوعه دراسة نشأة الكلمات من حيث الزمن ومن حيث لعلاقة بين الصيغة الاصلية والصيغة الفرعية المشتقة منها سواء أكان التفرع صرفيا، أي ظهور صيغة جديدة، أم دلاليا، أي ظهور معنى جديد . ومن هذا المنطلق فان التأثيل من ناحية عملية لسانية تعتمد المقارنة بين الصيغ والدلالات لتمييز الاصول والفروع ، ومن ناحية اخرى عملية تاريخية حضارية لانها تستعين بدراسة المجتمعات والمؤسسات وسائر العلوم والفنون للبت في القضايا اللسانية بالاضافة الى مقارنة اللسان لمعرفة نسبها وأنهاطها لأن اللسان الذي يكون فرعا تكون ألفاظه فروعا.

2 - 3 - 3 : فالتأثيل اذن علم يأخذ من كل العلوم وينفتح عليها جميعا فتأخذ منه بدورها، اذ لا فرق في نهاية المطاف كبيرا بين دراسة الاشياء من خلال اللسان او دراسة اللسان من خلال معرفة الاشياء التي يعبر عنها اللسان .

وان تشابك مختلف العلوم في عملية التأثيل يجعل منه عملية دقيقة تتطلب غزارة علم وحصافة رأي وشمول نظر كما ان تشابك عديد اللغات في هذا الاطار قد جعل البعض يقترح لها «فريقا عالميا يعمل باشراف خبير»<sup>(8)</sup> .

2 - 3 - 4 . ولقد تطور هذا العلم في اتجاهات ثلاثة<sup>(9)</sup> قائمة على ثلاث منهجيات :

(7) - Etymos -

(8) - Cahiers de Lexicologie Au seuil de la Lexicographie P. Imbs - عدد 2 -

1960 ، ص 3 - 17

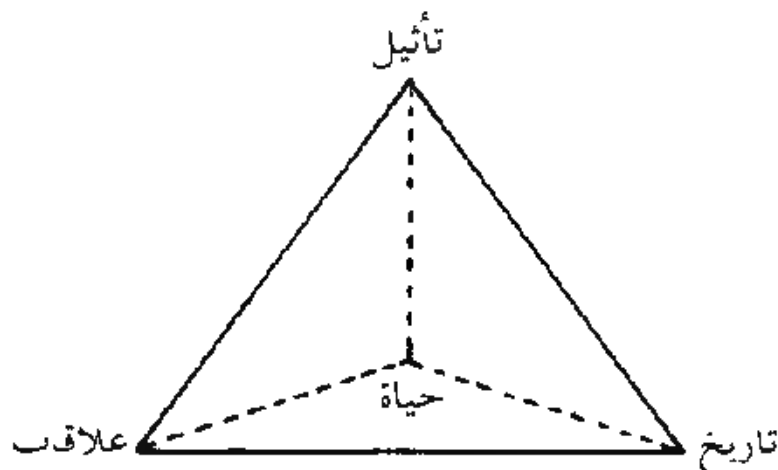
(9) - Que sait je? Etymologie, P. Guiraud - عدد 1122 - ط . 1964 / 1969 - ص 8

أ - المنهجية الصوتية التاريخية، المتولدة عن النحو المقارن الذي طبع الدراسات اللسانية في أوروبا في أواسط القرن الماضي . وهي تتميز أساسا بالاعتماد على القوانين الصوتية في درس الظواهر اللسانية .

ب - المنهجية المعجمية التاريخية التي بدأ تطبيقها بتأثير الهيكلية منذ قرابة نصف القرن في الغرب . وهي لا تقارن صوتيا ظواهر مفردة كالسابقة وإنما تقارن جميع لصيغ وجميع الدلالات التي تشترك في صفات تجعل منها مجموعة متميزة .  
كما تتميز هذه المنهجية بالتركيز على العوامل الخارجية كالزمان والمكان والمرجع وما إليها من ظروف التسمية المتحكممة في نشأة الكلمة المدروسة .

ج - منهجية التحليل الداخلي، وهي لأخيرة والأحدث، وهي لا تلغي ما سبق وإنما تكمل دراسة العوامل الخارجية أي التاريخية بدراسة الصيغ داخليا في صلب النظام اللساني وذلك بتحديد مكانة الكلمة وعلاقتها في النظام اللساني في نفس الوقت وكذلك في إطار الظرف التاريخي .

وهكذا فإن تأصيل الكلمة يمثل قمة هرم ثلاثي تمثل قاعدته : تاريخ الكلمة وحياتها وعلاقتها .



2 - 3 - 5 . ان التاريخ بحكم تأثيره في حياة الكلمة وعلاقاتها  
بغيرها في النظام اللساني، يثير عدة قضايا من أهمها:

أ - تحديد الدلالة الاولى للكلمة في الفترة التي دخلت فيها نظم  
اللغة لأول مرة. هذه العملية كثيرا ما يكتنفها الغموض إذا لم يتوفر ما  
يكفي من القرائن لذلك تبقى المقاربة الاساسية في هذا المجال قائمة  
على مقارنة الدلالة لمعنية بالدلالات السابقة واللاحقة مباشرة اي  
الحالات الاقرب رميا من قبل ومن بعد.

ب - تحديد طبيعة التغير الدلالي عبر الزمن، هذه القضية تسعى  
نظرية التطور اللسانية الى معالجتها بجعل كل تغير مهما كان نوعه قائما  
أساسا على تعبر العلاقات وبالخصوص علاقات التقابل من لناحيتين  
الزمانية والانية. فتغير علاقات التقابل زمانيا يحدث بين دلالة سابقة  
ودلالة لاحقة، اما أنيا فانه يحدث في صلب النظام بحكم تواجد عدة  
دلالات.

لذلك لا يكفي تسجيل ظهور دلالة من الدلالات وإنما يجب  
تسجيل استقرارها الى جانب دلالة جديدة لاحقة وذلك لاهمية الترابط  
بين الدلالات، ولان الدلالة الجديدة كثيرا ما تستمد قيمتها ومردودها  
من لدلالة السابقة<sup>(10)</sup>.

2 - 3 - 6 : ويتبين لنا بما سبق ان علم التأثيل الحديث يقوم على  
ضربين من التحليل متقابلين<sup>(11)</sup>.

أ - التحليل الأول زمني، إذن تأريخي، يعتمد عناصر خارجية يحلل  
بمقتضاها قضايا اصل الكلمة وتطورها شكلا ومحتوى.

(10) Imbs ص 8

(11) - Larousse Structures etymologiques du lexique français P. C. u. r. a. d. 1967

Se f) 5 ص

ب - التحليل الثاني آي ، اذن نظامي يعتمد العناصر الداحلية المكونة هيكل اللسان من حيث علاقاتها في صلب النظام اللساني .

هذان التحليلان المتقابلان لا يتناقضان الا في الظاهر، وانما يتكاملان لان الكلمة تمثل في الحقيقة أثرا من آثار ضغط التاريخ على نظام اللسان فلا التاريخ وحده يكفي ولا النظام وحده يكفي لتفسير كلمة او تعليلها نشأة ودلالة وتطورا، وانما يتم ذلك بفضل تلاقيهما ومفعولهما معا .

فالدلالة الكامنة بالقوة في النظام للسان تحتاج الى حدثان التاريخ لتُحقق وتُجزأ<sup>(12)</sup> .

وإن ما عر عنه سوسور باعتباطية الدليل ، اي اعتبارية العلاقة الدلالية بين الدال والمدلول انما تكمن من الناحية التأيلية في العلاقة الفردية بين الأصل والفرع ، اما العلاقة بين المجموعات والأصاف المعجمية فانها لا تكون اعتبارية وانما هي قابلة للتعليل لان كل مجموعة تتكوّن من سلسلة الكلمات ذات الصفات المشتركة صرفيا ودلايا .

وتبين لنا إذن أن المنهج التاريخي في نهاية المطاف ليس تاريخيا محضا وانما تلتقي فيه المقابلات الزمانية والمقابلات الآنية شكل يدعم في ظاهر الامر على الاقل نزعة اللسانيات الهيكلية الى خضاع الزمانية للآنية .

لكن الحقيقة ان الحركية اللسانية هي التي تجعل التناقض الظاهري بين الزمانية والآنية ينتفي او يتحد بالتفاهما على صعيد مبدأ التقابل بين العناصر اللسانية .

ويمكن ان نقول ان المنهجية الهيكلية قد أفادت كثيرا علم التأثيل واستفادت منه حين توصلت في النهاية الى حل اشكال التناقض بين المفاهيم الاساسية المتقابلة :

(12) - نفس لمصدر، ص 6



الزمانية / الأنية

التاريخ / النظام

التعليل / الاعتبار الخ . . .

وعلى أساس هذا التحليل لا يبقى في نظرنا اختلاف جوهري بين مفهوم المعجم التاريخي والمعجم التأثيلي . فالمهم ليس التسمية في حد ذاتها وإنما هو التحديد وتوضيح المحتوى المقصود .

3 - القضايا النظرية والمعجمية المتعلقة بالمعجم التاريخي  
إن قضايا تحديد الموضوع والمفاهيم الأساسية تقودنا حتما إلى معالجة القضايا النظرية والمنهجية المتعلقة بالمعجم التاريخي .

3 - 1 : أهم القضايا النظرية :

3 - 1 - 1 : إذا كان لكل كلمة تاريخها كما رأينا ، فإن هذا التاريخ يبقى نسبيا لأنه مقيد بالكلمات الأخرى التي ترتبط بها الكلمة لمعنية شكلا ودلالة . وانه لدور المعجم التاريخي أن يشعر القارئ أن الكلمة ليست معزلة وإنما تشتغل وتتطور ضمن مجموعة . فكل كلمة في اللسان تستمد كما رأينا قيمتها من علاقاتها بغيرها في النظام مركبياً وجريدياً<sup>(13)</sup> .

إن إشعار القارئ بذلك هام لأن الكلمات تتجمع في الذاكرة في شكل شبكات معجمية متعددة<sup>(14)</sup> . وهذا التشابك مزدوج إذ يمكن للكلمة الواحدة التواجد في عدة شبكات حسب نوع العلاقة سواء أكانت دلالية أم صرفية أم صوتية ، لأنها تحدد تباعا المجالات الدلالية والاسلوبية والصرفية والصوتية وغيرها من العلاقات .

(13) - على التوالي paradigmaticquement , syntagmatiquement

(14) - Imbs ص 6

3 - 1 - 2 : وان هذا التشابك في العلاقات هو أحد العوامل الأساسية في تعدد الدلالات بالنسبة الى الكلمة الواحدة. وهذا التعدد يمثل بدوره مظهرا من مظاهر التطور.

ويكفي ان نقارن في هذا الصدد بين معاني قطار او قنبلة في العربية قديما وحديثا لتبين مدى التطور الحاصل فيهما. وهكذا فان الدال الواحد كثيرا ما تتفرع عنه عدة وحدات معجمية ذات حافات متباينة تزيد من حركية اللسان معجميا.

3 - 1 - 3 : كما تثير الحركية المعجمية قضية مكانة الكلمة في النظام اللساني والانحاز الخطابي انطلاقا من المقابلة السوسورية بين اللسان من حيث هو نظام والحديث<sup>(15)</sup> من حيث هو خطاب منجز في حدود النظام

وفي هذا المجال يعتبر «قيوم» ان الدليل اللساني واسطة بين ما يسميه المدلول بالقوة في اللسان والمدلول بالفعل في الخطاب. إن هذا الثالث يكاد يتطابق مع ما يسميه «هيلمسلاف» تباعا الهيكل والاستعمال والنص.

هذه المستويات الثلاثة تحدد المعجم القائم بدوره على ثالث مواز يتركب بدوره من النظام والقاموس والنص، وبذلك يكون القاموس «مجموع استعمالات كل كلمة في النصوص»<sup>(16)</sup>.

أما النظام المعجمي فانه مازال في حاجة الى البناء، وان ما يوجد حاليا من بحوث في جميع اللغات انما هي محاولات هامة ولكنها لم تبلغ بعد الهدف المتمثل في ضبط جميع أصناف الكلمات وتعريفها بعلاقاتها في النظام اللساني المدروس. فالخطاب لا ينبجز الا جزءا من النظام. ويكاد يكون من المستحيل ان يستوفيه، فهو يتوسع في نطاقه دون ان يبلغ جميع حدوده.

(15) - parole/langue

(16) - SEIF-P Guiraud

ولما كان الهيكل المعجمي لا يحقق الا جزءا من الهيكل العام في اللسان فان التاريخ هو الذي يتولى سدّ الشغور طبقا لحاجات المجتمع الطرفية دون ان يستوفيهما كذلك لان إمكانيات النظام اللساني لا حد لها<sup>(17)</sup>.

يتضح لنا إذن مما سبق ان عملية تشخيص المجموعات المعجمية وضبطها هي التي تمكن من تأثيل الوحدات المعجمية والوصول الى بناء أنماطية الاستحداث المعجمي وقوانينه<sup>(18)</sup>.

3 - 1 - 4 : وتتبع عملية التشخيص والضبط عملية ترتيب الوحدات المعجمية في صلب النظام اللساني.

إن المعجم في أي لسان، لا يتكون كما قد يتبادر الى الذهن لأول وهلة من قائمة كلمات<sup>(19)</sup> وإنما من قائمة مجموعات أو أصناف من الكلمات ذات مستويين :

مستوى صرفي يهم الدوال ومستوى دلالي يهم المدلولات . ويتضمن كل صنف مجموعة من الكلمات تشترك في خصوصيات صرفية وخصوصيات دلالية .

فالاصناف تتحول في مستوى حركية لمعجم الى قوالب قياسية صالحة للاستحداثات الممكنة او المحتملة ، وهو ما يجعل الكلمة تستمد قيمتها الاساسية من علاقتها ومكانتها في النظام المعجمي اكثر مما تستمدّها من أصلها وتاريخها اللذين كثيرا ما ينسيان . فالعلاقة الاشتقاقية مثلا بين الاصل والفرع هي أساس العلاقة الدلالية بين الدال والمدلول .

ان هذه الحركية توضح كذلك التفاعل بين الاصل والدلالة

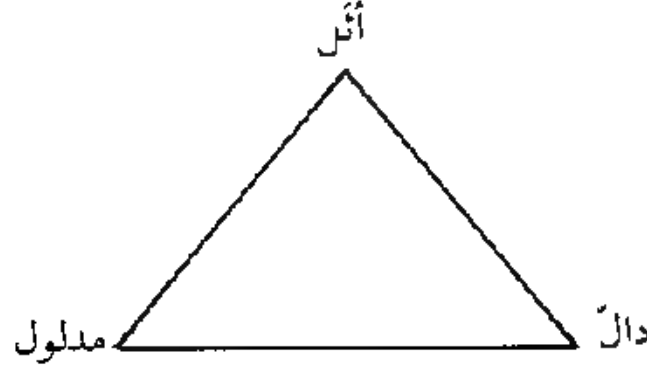
---

(17) - لغردن عن سبيل المثال بين مفهوم « المستعمل » و « المهمل » في نظرية خليل بن احمد البقرية في كتاب العين .

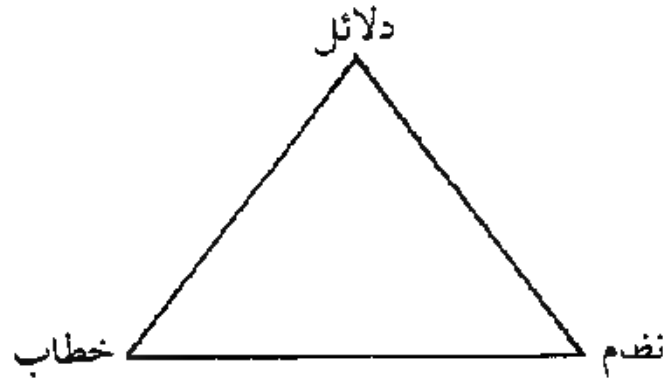
(18) - Guiraud ، المصدر السابق ص 189

(19) - مفاتيح الالسية لجورج مونن ، تعريب الطيب الكوش - تونس 1981 - ص 70

وتؤكد تبعا لذلك التكامل بين الأنية والزمانية . فالأصل الاشتقاقي وهو الأئـل<sup>(20)</sup> يصبح بمثابة الطرف الثالث الوسيط بين الدال والمدلول<sup>(21)</sup>.



3 - 1 - 5 ; اما الدلائل الحاصلة باتحاد الدوال والمدلولات<sup>(22)</sup> والتي يتكون منها المعجم فانها تتوسط بدورها العلاقة بين النظام اللساني والخطاب المنجز في إطاره :



ويلخص «قيرو» تلخيصا جيدا هذه العلاقة الثلاثية بقوله : «ان الخطاب يستحدث الكلمات بواسطة موادّ يمده بها التاريخ فيستعمل هذه الكلمات بحكم حاجيات عرضية ولكن طبقا لنظام قوالب معجمية»<sup>(23)</sup>.

(20) - Etymon

(21) - Guiraud ، المصدر السابق ص 196

(22) - انظر نظرية سوسور حول الدليل اللساني ، المرجع المذكور سابقا

(23) - Guiraud ، المصدر السابق - ص 202

ويتضح من هذا القول تواجد العوامل الداخلية والخارجية في استحداث الكلمات. فالتطور الذي يطرأ على الدال نتيجة التغيرات الصوتية وعلى المدلول نتيجة التغيرات المرجعية يمثل مقياساً تأثلياً أساسياً ولكنه مقياس خارجي بالنسبة إلى النظام اللساني. أما التغيرات التي تحدث في مستوى العلاقات القائمة بين الدلائل فإنها تمثل مقياساً داخلية في صلب النظام اللساني.

فإذا كانت كلمات الحكاية من الصنف الداخلي إطلاقاً، فإن الكلمات الدخيلة هي أساساً من الصنف الخارجي، إلا أنها يمكن أن تندمج بسهولة إذا تلاءمت مع هياكل الداخلية في النظام اللساني كما هو الشأن في مثل مناوره<sup>(24)</sup>.

فإذا كانت المشتقات تندرج ضمن التأثيل الداخلي، فإن المعربات والدخيل عموماً تندرج مبدئياً ضمن التأثيل الخارجي، لكنها يمكن أن تجمع بين الاثنين في حالات الاندماج المثل<sup>(25)</sup> التي تفسر استقرار بعض الألفاظ الدخيلة في نظام اللسان. ولعل حالة الاندماج المثل هي حضور الدخيل لعملية الاشتقاق مثل فلسفة قديماً ومعاني الطيران حديثاً، أو مثل دوش في الدارجة التونسية، الخ.

### 3 - 2 : أهم القضايا المنهجية :

3 - 2 - 1 : أن المعجمية الحديثة تتجاوزها اليوم منهجيتان :

أ - الأولى قائمة على جرد واسع للنصوص وهي المنهجية المتبعة لانجاز «كوز اللسان الفرنسي»<sup>(26)</sup> هذه المنهجية تعتمد أساساً على الجانب التاريخي.

(24) manœuvre

(25) - الطيب لكوش، إشكاليات اندماج الدخيل في المعجم، مجلة المعجمية عدد 3، 1987

- ص 14 - 60

(26) - مثلها خاصة Wartburg

ب - والثانيه ، هيكلية تعتمد أساسا البحث عن المناويل .  
بيد ان المنهيتين لا تتناقضان في الواقع وإما تتكاملان لان  
التاريخ هو الذي يكمل نقائص الهيكلية على أساس ما سبق أن رأينا  
من تكامل بين الأنية والزمانية .

3 - 2 - 2 : ويفضل هذا لتكامل يمكن معالجته فضية  
التعريفات القاموسية في المعجم التاريخي بإمكانيات اكبر وأنجع .

3 - 2 - 2 - 1 : ن الوظيفة الاساسية للتعريف القاموسي تتمثل  
في ضبط المحتوى الأدنى المشترك بين جميع المستعملين وهو المميز  
للكلمة عن غيرها .

نقول «الأدنى» لان محتوى الكلمة يختلف باختلاف  
المستوى الثقافي لدى المستعملين للقاموس .

فالتحديد الاساسي يمثل في شكل جملة نعتية معادلة بين طرفين  
متقابين هما المعرف والمعرف . لكن القاموسيين كثيرا ما يختصرون  
العملية باللجوء الى الترادف رغم ندرة الترادف المطلق . هذا فضلا عن  
مظاهر السطحية في بعض القواميس العربية المتمثلة في ترديد عبارة  
«معروف» وخاصة لبعض انواع الحيوان والنبات . فاذا لم يكن التعريف  
اوضح من الكلمة المشروحة لدى القراء على اختلاف درجاتهم الثقافية  
فانه يخل بوظيفة التعريف والشرح .

3 - 2 - 2 : لكن تحديد الكلمة يتغير حسب الظرف  
والسياق ، لذلك يتطلب التعريف تحديدا مسبقا هما . فالسياق الثقافي  
والحضاري من العناصر المكونة للتعريف لانها تغير محتواه ، ذلك ان  
تاريخ الكلمة أصلا ومسارا يترك لا محالة بعض الاثر في الدلالة الأنية .  
ولهذا كان المطلق في عملية الرجوع الى الاصل متمثلا في تبين البقايا  
والآثار الدالة على الاصل .

3 - 2 - 2 - 3 : وفي هذا الصدد تكمن الصعوبة الكبرى في

تحديد الفاصل الذي يجعل الكلمة تتغير وتصبح كلمة أخرى . فكيف يمكن إذن التوفيق بين التواصل الزمني والتواصل الدلالي؟ ذلك ان التفاصيل الدلالي كثيرا ما يتدرج عبر الزمن من التفاصيل الجزئي الى التفاصيل التام فيؤول الى ميلاد كلمة جديدة شكلا او محتوى<sup>(27)</sup> .  
فلاشكـل يتمثل في ان مقاييس التحديد ليست دائـمـة موصـوعـية وانـها هـي كـذلك نـفسـية اـرتـسـامـية .

ويقترح «أمبس»<sup>(27)</sup> في هذا المحال مقاييسين :

أولهما مقياس مخلفات الصورة الاساسية

وثانيهما مقياس قابلية الاستبدال بين المترادفات رغم انه مقياس نسبي لان المجالات الدلالية بين المترادفات يندر ان تكون متماثلة .

3 - 2 - 2 - 4 : وبالإضافة الى ما سبق كثيرا ما يرجع التعدد الدلالي الى تعدد اللهجات الجهوية او المحلية او حتى الاجتماعية والمهنية ، وهذه اللهجات اهمية كبرى في الدلالة على واقع اللغات الرسمية او الثقافية التي تتأثر حتما باللهجات .  
هذا الجانب من الموضوع يجعل القاموس التاريخي بالضرورة قاموس جغرافيا كذلك .

وإذا أضفنا الى ذلك إمكانيات مقارنة الكلمة بمقابلها في اللغات القريبة (العربية واللغات السامية مثلا) او في اللغات التي يمكن ان تكون الكلمة قد انتقلت منها او عبرها ، فان القاموس التاريخي يكتسب بالإضافة الى البعد الجغرافي بعدا موسوعيا لانه يعادل حينئذ الموسوعة اللغوية .

ونأخذ على سبيل المثال كلمة بازار الفارسية وكيف مرت عن

---

(27) - Imbs المصدر المذكور أعلاه

طريق العربية والتركية الى الفرنسية مثلاً ومنها الى العربية التونسية مع اختلاف دلالي واضح (استهجان في الفرنسية واستحسان في التونسية).  
فالتعريف القاموسي الذي يبدو لأول وهلة مسألة بديهية، يمثل في الواقع من الناحية المنهجية قضية دقيقة ذات بعد موسوعي، يزيد بها تعقيداً غموض مفهوم الكلمة<sup>(28)</sup> التي لا تمثل دائماً وحدة معجمية دنيا وانما تمثل في جل اللغات وفي أكثر الاحيان مركبا من اللفاظ<sup>(29)</sup>.

3 - 2 - 3 : ومن النتائج المنجزة عن تغير محتوى الكلمة حسب الظرف والسياق اختيار الشواهد لتوضيح محتوى الكلمة في سياقها. وتثير الشواهد عدة قضايا اخرى نحوية وتركيبية بالخصوص تزيد من تشابك المسائل لان الشواهد تقحم الكلمة في شبكات تركيبية من جهة وفي شبكات دلالية من جهة اخرى.

بيد ان علاقات الكلمة داخل الشبكات الدلالية تبقى اهم من علاقاتها داخل الشبكات التركيبية من وجهة النظر المعجمية والقاموسية. ومن الشواهد صنف متميز يحتاج الى عناية خاصة وهو صنف العبارات الاصطلاحية او الجامدة التي قد تتخذ شكل الفرائد والامثال، فهي في الغالب عبارات قديمة تتجمد في قوالب قديمة كثيرا ما يكون لها دور هام في عملية التأثيل.

3 - 2 - 4 : وقد يرى البعض ايضا ضرورة ذكر التواتر في المعجم التاريخي باعتبار التواتر عنصر تقييم هام لتطور الكلمة في المعجم. لكن ترتيبا على اساس التواتر قد يتناقض مع الترتيب التاريخي لان الالفاظ الاكثر تواترا ليست بالضرورة اقدم<sup>(30)</sup>. وفي هذا تضارب بين مقتضيات الآنية ومقتضيات الزمانية.

(28) - A. Martinet, *Elements de linguistique Generale*, C.A.C. ط 3 1963 - ص 112

- 115 حول اشكالية «لكلمة»

(29) - monème على سسل المثال لوحدة الصرفية الدخيلة من التركة «حي» الدالة على المهمة

خاصة، يمكن عرھا ونأئللھا فف معجم عربف تاریخي

(30) - Imbs، نفس المصدر



4 - إمكانيات توظيف التراث المعجمي العربي في إنجاز المعجم التاريخي :

4 - 1 : ان التراث المعجمي العربي لا غنى عنه لإنجاز المعجم التاريخي لأنه يتضمن مادة ثرية . لا بما يقدمه من شروح ومعان فحسب وإنما بما يتضمنه ايضاً من شواهد ، خاصة ان جلها قديم ، نثراً وشعراً وأمثالاً ، ومن ملاحظات هامة حول اختلاف اللهجات وحول الغريب والفصيح واللحن والمعرب ، الخ .

4 - 2 : ومن أهم منجزات لمعجمية العربية وأقدمها ، كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي الذي طبق منذ بداية القرن الثاني للهجرة على المعجم العربي نظرية طريفة قائمة على مقابلة بين الصيغ النظرية الممكنة الكامنة في هياكل اللسان العربي بالقوة ، والصيغ المنجزة بالفعل . وهي النظرية التي مكنته من جرد ما سماه « المستعمل » في مقابل « المهمل » الذي يمثل إمكانيات العربية غير المستعملة معجمياً ، فهي بمثابة الرصيد الاحتياطي . وقد أفادت هذه النظرية « ابن جني » في التعمق في تحليل الاشتقاق ونعتقد ان نظريته تفيد كثيراً في المعجم التاريخي لأنها تبني على تحليل علاقات داخلية في نظام اللغة لم يعر بها غيره نفس العناية .

4 - 3 : كما ان المعاجم الاصطلاحية مثل التعريفات « لابي الحسن الجرجاني » (ق . 8-9هـ) هامة جداً لتدقيق المفاهيم في الميادين العلمية .

وتتصل بها معاجم الفروق مثل « الفروق في اللغة » لابي هلال العسكري (ق . 4هـ) وهي المعاجم التي تعنى بتدقيق المعاني وضبط حدود المحالات الدلالية بين الكلمات خصوصاً ان بعض كتب فقه اللغة<sup>(31)</sup> تنزع الى تجميع الكلمات في مجموعات تبدو كأنها مترادفة .

(31) - مثل فقه لغة لشعاني وغيره

4 - 4 : ورغم ان اهتمام العرب بالدخيل من خلال جمع المولّد قد كان سلبيا في الغالب بمعنى انه لم يدرس لداته وانما درس من حيث مقابلته للفصيح ، فان ما تركوه لنا مثل معرب الجواليقي (ق . 5-6هـ) لا غنى عنه ايضا في المعجم التاريخي لان جميع المستحدثات المعجمية تمثل الارصدة الاضافية بحكم تطور الحياة الاجتماعية والتوسع العمراني والحضاري من حدود الحضارة العربية البدوية أساسا الى حدود الحضارة العربية الاسلامية المدنية .

4 - 5 : ويمكن ان يعتبر ما تركه للغويون العرب في موضوع الغريب من ناحية - وهو يمثل الرصيد المتقادم الذي خرج أو أخذ يخرج من لاستعمال - وفي موضوع اللحن من ناحية اخرى ، دليلا على بداية الشعور بالتغيير اللساني الذي لم يكن يُنظر اليه في الغالب بمنظار التطور وانما بمنظار الفساد المخل بالفصاحة وسلامة اللسان . فهو إذن يوصف ليقاوم ويحتجب

ونلاحظ في هذا الصدد ان كتب اللحن بنوعيتها ، اي لحن الخاصة ولحن العامة تثر قضايا اخرى بالاضافة الى التطور ، منها قضية تعدد اللهجات وتداخلها ومنها تفاعل العربية واللغات الاعجمية وتأثر العرب بالاعاجم وتأثر عربية الاعاجم بلغاتهم الاصلية .

4 - 6 : ولا يمكن المعجم التاريخي ان يهمل المعاجم التكميلية التي اعتنت بما أهملته المعاجم التقليدية . ونخص بالذكر معجم دوزي<sup>(32)</sup> الذي يأخذ عن الدارجات ايضا ما سجلته كتب المؤرخين والجغرافيين والرحالة وغيرهم من كلمات تعبر عن مظاهر من الحياة اليومية تتميز بحيويتها وتجدها المتواصل .

---

(32) - 881 Brill Leyde Supplement aux dictionnaires arabes R. Dozy

4 - 7 : اما اليوم فان لغة الصحافة قد أصبحت مصدرا زاخرا مفعما بالكلمات والمعاني الجديدة استحداثا وتوليدا أو نسحا وتعريبا . هذا بالاضافة الى المعاجم الاصطلاحية الحديثة المختصة وما وضعت المجامع ومؤسسات البحث وما ذيل به المترجمون معرباتهم في جميع مجالات المعرفة العصرية .

وفي هذا الصدد يمثل تعدد المقترحات من قطر عربي الى آخر ومن باحث الى آخر عنصر ثراء من ناحية وفوضى من ناحية اخرى مما يتطلب عملية تنميط وتوحيد ضرورية لانجاز المعجم العربي التاريخي . وقد لا نبالغ اذا قلنا ان الجهود التي بذلها المعجميون العرب باعتبار ما يتوفر لديهم اليوم من إمكانيات بشرية ومادية وعلمية قد بقيت نسبيا دون الجهود التي بذلها الاسلاف . بل انهم في بعض الاحيان قد عرقلوا من حيث لا يعلمون التطور اللغوي العظيم الذي عرفته العربية منذ عصر النهضة وخاصة في القرن الاخير . فالاسلاف قد أسسوا ولا يمكن ان نطلب منهم اكثر مما قدموا . اما اليوم فان من حق العربية ان تطلب اكثر مما انجز رغم أهميته .

#### 5 - القضايا المتصلة بوسائل الانجاز العملية

5 - 1 : بالاضافة الى ما سبق ذكره من استغلال علمي شامل للتراث المعجمي العربي ، يقتضي إنجاز المعجم التاريخي عملا جديدا توثيقيا يتميز بالجماعية والشمول . هذا العمل يتطلب فرقا توثيقية دائمة على غرار الفرق التي تعمل في خدمة قاموس اكسفورد الانكليزي او كنوز اللسان الفرنسي .

5 - 2 : ويمكن ان يتم العمل التوثيقي في اتجاهين أساسيين .

\* اتجاه ضبط بيليوغرافيا لجميع الاعمال المعجمية العربية الى اليوم  
\* واتجاه جرد النصوص موزعة على اهم الفترات التاريخية طبقا لخطة يضبطها فريق من الخبراء ، على ان تتم حوسبة حصية هذه الاعمال الجبارة اي خزنها في الذاكرات الآلية وذلك باستغلال جميع امكانيات

الاعلاميات التي لا تنفك تبهرنا كل يوم بامكانياتها الهائلة المتطورة.  
5 - 3 : كما يمكن دعم هذه الاعمال المتواصلة بتوجيه جزء هام  
من البحوث الجامعية اللسانية في الاقطار العربية في نفس الاتجاه لاثراء  
العمل نظريا ومنهجيا.

5 - 4 : ويقوم فريق من الخبراء الذين يمثلون حلقة الوصل بين  
الموثقين والمعجميين باستغلال الوثائق المجمعة وترتيب المادة الحاصلة  
حتى يمكن :

أ - ترتيب الكلمات هجائيا وهو ترتيب شكلي في مستوى الدوال .  
ب - ترتيب معاني الكلمة حسب ظهورها تاريخيا وهو ترتيب  
المدلولات مع تواريخ ظهور المعاني ومع إبرار تواصل المعنى او انقطاعه  
او انزلاقه . الخ .

5 - 5 : وقد يرى البعض ان وضع المعجم التاريخي يتطلب  
البدء بوضع معاجم آنية لاهم الفترات التاريخية ، تصف اللسان العربي  
في فترة زمانية معينة من تاريخه ، كأن نضع معجما لعربية الجاهلية وآخر  
لعربية صدر الاسلام واخر للعصر العباسي حتى نصل الى اليوم .  
لا شك ان مثل هذه المعاجم عظيمة الفائدة ومزالت العربية  
تفتقر اليها ولكننا لا نعتقد انه يجب انتظار انجازها مسبقا اذ نخشى  
ان يطول انتظارنا وقد طال بعد . وانما نعتقد انه يمكن إنجازها بصفة  
موازية لإنجاز المعجم التاريخي على أن يعدل المعجم التاريخي باستمرار  
كلما تم التقدم في إنجاز المعاجم الآنية .

5 - 6 : ومن القضايا العملية الدقيقة في مستوى الانجاز ،  
قضية التنسيق بين المؤلفين نظرا لارتفاع عددهم وتباين أساليبهم في  
معالجة المواضيع ، وهو أمر يتطلب ضبط منهجية موحدة دقيقة وتوفير  
هيكل إشراف في قمة الهرم اذا تعددت فرق العمل .

5 - 7 : ومن البديهي ان عملا ضخما كهذا يتطلب من البشر ما  
يكفي عددا وعدة لانجاز التوثيق والترتيب والحزن والحوسبة ثم التأليف  
والتحرير . كما يتطلب مقرا دائما يليق بهذا العمل وميزانية قارة تليق بهذا

المشروع الحضاري الذي يجب ان لا يغيب عن الالذهان انه عمل لا ينتهي لانه تاريخي يتجدد بتجدد اللسان وتطوره<sup>(33)</sup>.

وفي الختام يمكننا التأكيد على الملاحظات التالية :

1 - ان المعجم التاريخي يجب ان يكون أشمل ما يمكن . فلا يهم الحجم اذ يسهل بعد ذلك استخراج معاجم مختصرة أو مبسطة حسب الحاجة وحسب المستوى الذي يتوجه اليه .

2 - ان متانة الروابط بين اللسانيات والمعجمية والقاموسية والاعلامية وعلاقة المعجم التاريخي بشتى المعارف الاخرى يتطلب من مؤلفي المعجم التاريخي ان لا يكونوا مجرد لغويين وانما يحتاجون الى ثقافة موسوعية يندر ان تتوفر اليوم في الفرد . ولذلك يعوض هذا لنقص بالعمل الجماعي المتعدد الاختصاصات الذي تبقى المعجمية محوره وتمثل العلوم الاخرى روافده .

3 - ان المعجم التاريخي في حاجة الى ان يقع دعمه بدراسات متعددة الجوانب بما فيها الدراسات اللهجية . ولا غضاضة في القول بان العربية مازالت في حاجة الى الكثير من الدراسات اللسانية في جميع الميادين . كما أنه لا غضاضة في الاستفادة من تجارب من سبقنا في هذا الميدان من الامم التي فهمت مبكرا ان تقدمها الحضاري يمكن ان يقاس بمعجمها . فعلينا إذن أن نتدارك ما لا يقل عن قرن<sup>(34)</sup> من التقاعس عن انجاز المعجم العربي التاريخي .

**الطيب البكوش**  
**جامعة تونس الأولى**

---

(33) - كل لسان حي يتطور ويتحدد معجمه باستمرار فقد تجدد اللسان الفرنسي خلال عشرة الخمسينات من هذا القرن بنسبة الربع تقريبا من خلال مواد قاموس لاروس الصغير انظر الارفام بالتفصيل في *Linguistique* شرف F François , P.U.F. 1980 ص 183 .

(34) - لانكليز شرعوا في اعداد معجمهم التاريخي منذ اكثر من قرن وأحزوه في نصف قرن وهم الآن في مرحلة التعهد المتواصل

## صعوبات الاستشهاد الشعري في المعجم العربي التاريخي

بحث : الدكتور شوقي ضيف  
مجمع اللغة العربية بالقاهرة

لا توجد أمة تماثل الامة العربية في كثرة معجماتها اللغوية القديمة إذ ظلت طوال حقبها التاريخية السالفة تعنى بوضع المعاجم، وبدأ ذلك في القرن الثاني الهجري مع وضع الخليل بن احمد لمعجمه «العين» وأخذ يتوالى تأليف المعاجم بعده منذ القرن الرابع الهجري، وعيننا في العصر الحديث بطبع طائفة كبيرة من امهات تلك المعاجم، وهي بالترتيب الزمني لها - الجمهرة لابن دريد والتهذيب للازهري والمجمل ومقاييس اللغة لابن فارس والصحاح للجوهري والمحكم والمختصر لابن سيده والاساس للنزمخشري ولسان العرب لابن منظور والقاموس لفيروز أبادي وتاج العروس لريبيدي سوى معاجم مختصرة مثل المصباح للفيومي ونشر مجمع اللغة العربية بالقاهرة طائفة من معجمات نفيسة مثل الجيم للشيباني وغريب الحديث لابي عبيد وديوان الادب للفارابي والافعال للسرقسطي والتكملة للمصغاني والتبسيط والايضاح لابن بري والتكملة للزبيدي وانرى علماء اللغة اللبنانيون في العصر الحديث لوضع المعاجم مثل محيط المحيط للبستاني واقرب الموارد لسعيد الشرقوني. ونشر مجمع اللغة لعربية القاهرة معجمين لغويين

عصريين هما الوسيط والوجيز، ومازال يحاول اخراج معجم كبير جزءا  
تلو جزء. ونشرت المنظمة لعربية للتربية والثقافة والعلوم المعجم العربي  
الاساسي

وكل هذه المعاجم قلما تعنى بالترتيب التاريخي الدقيق للمعاني  
من حسية وعقلية وعامة كلية وخاصة جزئية وحقيقية ومجازية، وينبغي  
ان يعنى بذلك كله المعجم اللغوي التاريخي العصري، فلا تسرد فيه  
لمعاني سردا بدون نظام على نحو ما نلاحظ مثلا في اللسان، وان من  
يبحث عن معنى بعينه للفظ قد يقرأ بضع صفحات حتى يعثر على  
ضالته وايضا فان تاريخ استعمالها هي ومشتقاتها لا يتضح له،  
والمعجم التاريخي العصري لا يتلافى ذلك فحسب، بل يتلافى ايضا  
نقص النظام في ترتيب المادة بحيث توضع فيه على اساس من التسلسل  
التاريخي، حتى يستطيع قارئ المادة ان يتتبع تطور الكلمة منذ أقدم  
عصورها، وبذلك تتجلى له صورة الحضارة العربية وهي تصعد في  
معارج الرقي والتقدم، ولا بد ان ترتب الافعال والاسماء فيه ترتيبا ثابتا  
مع توضيح منهج هذا الترتيب في مقدمته توضيحا تاما ولا بد ان تشفع  
المعاني المختلفة للمادة بشواهد من القرآن الكريم: كتاب الله الذي لا  
يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن الحديث النبوي للرسول  
صلى الله عليه وسلم أفصح من نطق بالضاد، ومن كلام فصحاء العرب  
نثرا وشعرا.

وتكتظ المعاجم الكبيرة القديمة بشواهد شعرية لجاهليين  
ومخضرمين وإسلاميين، وهي كثيرة كثرة غامرة، غير انها لم ترتب زمنيا،  
فقد يوضع الشاهد الاسلامي فيها قبل الشاهد الجاهلي او شاهد  
المخضرمين، اذ كان همهم مقصورا فقط على الاتيان بشاهد شعري  
فصيح دون اي عناية بزمنه وتاريخه، وهي اول صعوبة تقابل من يحاول  
وضع معجم تاريخي للغة العربية اذ ينبغي عليهم ان يعيدوا الى الشواهد  
الشعرية في المعاجم الكبيرة ترتيبها التاريخي، ويقتضي ذلك منهم ان  
يكونوا على علم دقيق بتاريخ الشعراء الجاهليين والمخضرمين

والاسلاميين حتى يستطيعوا ترتيبهم ترتيبا زمنيا دقيقا، وكثيرون منهم شعراء مغمورون لا يكاد التاريخ يعرف عنهم شيئا، وينبغي ان يرجع فيهم الى كتاب الاغاني لابي الفرج الاصفهاني وكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة وكتب اللغويين مثل الالفاظ لابن السكيت ومجالس ثعلب ومقاييس اللغة لابن فارس وكتاب التنبيه والايضاح لابن بري اللغوي المصري، وهو مليء بمراجعات وتصحيحات على شواهد الشعراء في كتاب الصحاح للجوهري.

والشواهد الشعرية في المعاجم الكبرى القديمة قسمان: قسم منسوب الى ناظمه، وقسم مجهول ناظمه، والقسم الاول مليء بصعوبات متعددة، فكثير منه نسب الى غير ناظمه خطأ، اذ نجد في لسان العرب مثالا بيتا في مادة اطم منسوبا الى الشماخ وهو في ديوان كعب بن زهير، ونجد بيتا ينسب الى الفرزدق وهو لجرير او للعجاج وهو لابنه روبة او لسويد بن كراع وهو لسويد بن أبي كاهل، وقد يترتب على ذلك حكم لغوي خطأ، فتنسب لغة في كلمة الى شاعر وقبيلة وهما منها براء، وخير مثل يصور ذلك ان نجد الجوهري في الصحاح ومن تابعة مثل اللسان يسبون بيتا الى لبيد على هذه الشاكلة:

لو شئت قد نفع الفؤاد بشربة

تدع الصوادي لا يَحْدُنْ غليلا

ومعروف ان الفعل وجد مضارعه يجد بكسر الجيم، غير ان الجوهري انشده يحدن بضم الجيم ونسبه الى لبيد العامري وقال انها لغة عامرية لا نظير لها في باب المثال وتبعه صاحب اللسان والزبيدي في تاج العروس قائلين: يَجْدُ بالضم لغة عامرية لا نظير لها في باب المثال، وكان حريا بهم جميعا ان يحولوا مراجعة لبيد في ديوانه، ولو صنعوا العرفوا كما لاحظ ابن بري في كتابه «التنبيه والايضاح عما وضع في الصحاح» ان البيت ليس للبيد، وتحرى حتى عرف انه لجرير، ولا نعرف كيف وقع الجوهري في هذا الخطأ من نسبه للبيد، وايضا في رواية يحدن فيه بضم الجيم وهو خطأ مركب: خطأ في الرواية ونسبة البيت الى لبيد،



وخطأ في استنتاج انها لغة عامرية دون الرجوع الى ديوان لبيد ودواوين شعراء بني عامر، ولو صنع الجوهري ذلك لعرف انها ليست لغة عامرية كي توهم ولعل في ذلك ما يدل بوضوح على ما ينبغي من مقابلة الاشعار المنسوبة على دواوين اصحابها للتأكد من صحة نسبتها وصحة نطق ألفاظها نطقا سليما.

ووقع في المعاجم اللغوية تصحيف كثير في ألفاظ الشوهد الشعرية، وللقدماء كتب في التصحيف ويسوق ابن جني في كتابه الخصائص طائفة من تصحيفات أئمة اللغة وسقطاتهم من أمثال ابي عمرو الشيباني والفراء والمفضل لضبي والاصمعي وابي زيد فما بالك بتصحيفات من وراءهم ممن لا يبلغون مبلغهم في لأمانه اللغوية، وعني ابن بري في كتابه التنبيه والايضاح بتعقب الجوهري في جوانب من نسبة الشواهد الشعرية وما وقع في نسبتها من خطأ وفي ألفاظها من تصحيفات فينبغي أن يكون تلقاء أعين المعاجم العصرية، وبالمثل تعقب صاحب القاموس للمصباح ومن تعقبوا القاموس نفسه مثل أحمد فارس الشدياق. وتلقانا في لسان العرب بعض تصحيفات من حين الى آخر، ومن ذلك مثلا ان لفظ خرازي اسم لجبل كانوا يوفدون عليه حين الغارة، وفيه يقول عمرو بن كلثوم في معلقته:

ونحن غداة أوقد في خرازي

وفدنا فوق رفد الرافدينا  
وروى صاحب اللسان هذا البيت في مادة خزر: خرازي بالراء وقال انه اسم موضع وهو تصحيف واضح ومن ذلك ان نجد صاحب اللسان في مادة جوش يروي عن دي الرمة قوله:

تلوم يهياه يياه وقد مضى

من الليل جوش واسطرت كئيبه  
يصف بذلك راعيا. وكلمة «ياه» في البيت مصحفة هكذا: «يباب» ولفظة يه بداء الراعي على صاحبه، وتلوم انتظر واسطرت: انبسطت للمغيب اي ان هذا الراعي انتظر يياه يياه وذلك انه قل «ياه»

وكررها منتظرا ان يجيبه صاحبه بياه وفسر ذلك ذو الرمة بوصوح في بيت ثر بالقصيدة اذ قال قبله .

ينادي بيهياه وياه كأنه  
دعاء الروثعي ظل بالليل صاحبه

والروثعي تصغير الراعي ، ولا شك ان هذ التصحيف في ألفاظ الاشعار المنسوبة يضيف الى صعوباتها صعوبات اخرى في التعرف على التصحيف بمراجعة دواوين الشعر ومجاميعه المحققة الكثيرة ، وقد لا يكون التصحيف في الفاظ الشاهد الشعري واسما في اسم الشاعر المنسوب اليه الشاهد ، ونضرب لذلك مثلا من تصحيف سم الشاعر سُمى بن ربيعة الذي انشد له ابو تمام في الحماسة قصيدة تخرج عن اوزان الشعر العربي اقدس صاحب اللسان منها مع اختلاف في الالفاظ ثلاثة أبيات وسمى ناظمها سليمان بن ربيعة بن دباب على نحو ما يلقدن عده في مادة تقن ، وعلى هذا النحو تلقانا في الشعر المنسوب بالمعاجم الكبرى مثل اللسان صعوبات تتصل احيان بصحة اسماء نظميه واحيان بصحة الفاظه ، وكثيرا ما تتوارد المعاجم الكبرى على ابيات تختلف فيها روايتها ولذلك ينبغي المقابلة بينها والرجوع الى الاصل في الدواوين وغير الدواوين .

وذا كانت الصعوبات السالفة تقترن بالشعر المنسوب الى ناظميه في المعاجم الكبرى فان صعوبات مختلفة تقترن بالشعر غير المنسوب المجهول القائل ، وهو يكثر في تلك المعاجم حتى ليكاد يبلغ نحو ثلث الشواهد في معجم كبير مثل لسان العرب ، ونعرض اولا للمدى صلاحيته في الاستشهاد به على ابنية اللغة واوضاعها المختلفة ، فقد ذهب قوم من أئمة اللغة مثل ابن الانباري في المسألة رقم 80 من كتابه الانصاف تعليقا على بيت مجهول ناظمه اذ قال : « هذا البيت غير معروف ولا يعرف قائله فلا يكون حجة » وقال مثل قوله ابن النحاس في ابيات شاذة اعتمدها الكوفيون في بعض قواعدهم لا يعرف قائلوها ، ولا رواها احد

من الموثوق بهم في اللغة، وذهب آخرون من أئمة اللغة الى جواز الاحتجاج بالآيات التي لا يعرف قائلوها مستدلين على ذلك بان في كتاب سيويه الف بيت عرف قائلوها وخمسين مجهولة القائلين، واعتمدها الأئمة بعده، وهي حجة ضعيفة لأن سيويه كان يتحرى أشد التحري في شواهد وأمثله، ويكثر من قول: حدثني من لا أتهم - وحدثني من أثق به، فينبغي الاكتفاء منه بهذه الدقة في روايته، وذكر المرزباني عن أبي زيد اللغوي المشهور قال: كل ما قال سيويه في كتابه: «أخبرني الثقة» فأنا أخبرته به ولما رأى أصحاب هذا الرأي ان الاستدلال بالآيات الخمسين المجهولة القائل عن سيويه لا يتجه قالوا لماذا لا نعدّ الشواهد المجهولة القائلين مثل الأحاديث النبوية المروية بالمعنى لا باللفظ غير ان الاحتجاج بهذه الأحاديث انما حدث في الازمنة المتأخرة فلا تقاس عليها لشواهد اللغوية المجهولة القائلين. والواقع ان الاستشهاد بالشواهد التي لا يعرف ناظموها قد يوقع في كثير من الخلل في ابنية اللغة واقيستها المطرودة، والقواعد والاقيسة لا يصح ان تؤخذ من شعر مجهول القائل لما ذكرنا، واذا رجعنا الى لسان العرب في باب ان وانما قد تكون مصدرية ناصبة للفعل المضارع وقد تكون مخففة من ان الثقيلة رأيناه ينشد لشاعر مجهول قوله:

أَنْ تَقْرَأَ إِنْ عَلَى أَسْمَاءَ وَمَحْكَمًا

مَنْ السَّلَامُ وَإِنْ لَا تَعْلَمُ أَحَدًا  
وواضح ان المضارع: «تقرأ» ان جاء مرفوعا بعد أن، فقال نعلب - كما في اللسان - شبهت ان في البيت بما المصدرية فلم تعمل في الفعل وتبعه في هذا الرأي البغداديون. وقال أبو علي الفارسي: «أن» في البيت مخففة من ان الثقيلة اي انكما تقرأن وفيه تكلف واضح او بعض الصنعة كما في اللسان، وكان يرجح رأي الكوفيين غير انه رأي يفسد قاعدة لغوية، او يحدث بها شللا واضحا. وهي القاعدة المطردة في اللغة لان المصدرية وان المضارع لا بد ان ينصب بعدها، اليس من الواجب ان يهمل هذا البيت الذي ينبنى عليه اما تمحل بعبد لتخرجه عند أبي علي

الفارسي واما الغاء قاعدة ان المصدرية وعملها النصب في المضارع التالي لها، وكان ينبغي ان لا يسلكه صاحب الدسان في معجمه ولا اللغويون في كتبهم لان قائله مجهول. وعلى هذا النحو كان ينبغي ان ينحي اللغويون عن معاجمهم الابيات التي لا يعرف قائلها والتي من شأنها ان اخذنا بها ان تفسد القواعد اللغوية العامة، اما الابيات المجهولة القائلين الاخرى فيمكن ان تذكر للاستئناس بها فحسب. على ان ذلك ان قبل في المعاجم غير التاريخية فانه لا يقبل في المعجم التاريخي، بحال، لان تلك الابيات او الشواهد لا يعرف تاريخها ولا الزمن الذي نظمت فيه بالضبط، فلا نستطيع تعيين المكان الذي توضع به في المادة ولا كيف نرتبها مع غيرها من شواهداها، لذلك ينبغي اهمالها جميعا.

وأشرنا فيما أسلفنا الى ان أئمة اللغة الذين وضعوا معاجم العربية الكبرى لم يتجاوزوا فيما انشدوه من الشواهد الشعرية العصر الاسلامي اذ كانوا لا يعتقدون بما نظمه المولدون او المحدثون منذ القرن الثاني الهجري لما عرض للعربية عند كثيرين منهم من الاختلال والفساد وهنا تراءى صعوبة شديدة العسر لمن يحاولون تأليف معجم تاريخي اذ ينبغي ان لا يكتفوا فيه بما في المعاجم الكبرى من شواهد شعرية قديمة توضح استعمالات الكلم ومعانيها اللغوية حتى نهاية العصر الاموي، اذ لا بد ان يضيفوا اليها ركاما ضخما من شواهد شعرية جديدة من العصر العباسي وما بعد العصر العباسي، توضح ما حدث من تطور لمعاني الالفاظ واستعمالاتها على مر الزمن، حتى يمكن ان يوصف المعجم اللغوي بانه معجم تاريخي للعربية بحق، وهي طبعا مهمة في غاية الصعوبة ولا بد ان يقهر صعوبتها ويتغلب عليها واضع المعجم التاريخي المعاصر او من يريدون وضعه، ويمكن الافادة في تدليل هذه الصعوبة مما ذهب اليه بعض أئمة اللغة من صحة الاستشهاد في اللغة بأشعار من عرف من المولدين بانقراض العربية، محتجين بأن سيبويه استشهد في كتابه ببعض شعر بشار بن برد، ورد عليهم المعارضون لهذا الصنيع بان سيبويه انما اضطر الى ذلك تقربا الى بشار اذ هجاه لتركة

الاحتجاج بشعره في كتابه فحاول ارضاءه بذلك حتى يكفّ عن هجائه، فلا يتخذ ذلك قاعدة عامة في قبول شعار المولدين، غير ان الزمخشري حالفهم في رفضهم العام لأشعار المولدين بأوائل تفسيره للذكر الحكيم في كتابه المعروف باسم الكشف، اذ نجده في التعليق على لفظ (أظلم) في آية سورة البقرة «يكاد الرق يخطف ابصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا» يقول: «أظلم يحتمل ان يكون غير متعدّ وهو الظاهر، وان يكون متعدّ جاء في شعر حبيب بن أوس الطائي «أب تمام» عن العقل والدهر:

هما أظلما حالّي ثمت أجليا  
ظلاميهما عن وجه أشيب أمرد  
ويستمر الزمخشري قائلا: «وهو (أي أبو تمام) - وإن كان محدثا - لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية، فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه (أي في الثقة اللغوية به) ألا ترى إلى قول العلماء: الدليل على ذلك بيت (ديوان) الحماسة (التي روى أشعارها) فيقتنعون بذلك بوثوقهم بروايته وإتقانه» ومعنى ذلك ان الزمخشري يستثني من شواهد الشعراء العباسيين التي لا يرتصيها اصحاب المعاجم اللغوية الكبرى اشعار أبي تمام لحسن فقهه بالعربية، على نحو ما استثنى سيبويه أشعار بشار بن برد لا طمثنائه الى انه يتقن العربية.

وينبغي الاخذ بوجهة نظر الزمخشري، فتستثنى الشواهد الشعرية من اشعار العباسيين وغير العباسيين المعروفين بأنهم يفقهون العربية فقها حسنا مثل المتنبي في القرن الرابع الهجري وفيه يقول صاحب معاهد التنصيص «لقد كان المتنبي من المكثرين من نقل اللغة والمطلعين على غريبها وحوشيتها ولا يسأل عن شيء الا ويستشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر حتى قيل ان الشيخ اب علي الفارسي قال له يوما: كم لنا من الجموع على وزن فعلى؟ فقال المتنبي في الحال: ححلى وطربى، وقال الشيخ أبو علي: فطالعت في كتب اللغة ثلاث

ليال على ان اجد لهذين الجمعين ثالثا فلم اجد «والمثنى بذلك من كبار علماء اللغة، وشعره أجدر ان يستشهد به في معاجم العربية من شعر أبي تمام وبلتقى بأبي العلاء المعري المتوفي بعد المثنى بنحو قرن، وكان إماما كبيرا من أئمة اللغة حتى ليقول تلميذه التبريزي «ما اعرف ان العرب نطقت بكلمة لم يعرفها المعري» وقالوا: كان بالشرق لغوي وبالمغرب لغوي في عصر واحد لم يكن لهما ثالث، وهما أبو العلاء المعري وابن سيدة الاندلسي صاحب المعجمين الكبيرين: المحكم والمخصص، وبدون ريب اشعار أبي العلاء في ديوانيه «سقط الزند» و«الزوميات» جديدة بأن تحتل في المعجم العربي التاريخي الحديث حيزا واسعا لصحتهما اللغوية التامة الى ابعد غاية.

ولكي يكون المعجم العربي التاريخي - في رأيي - تاريخيا حقا ينبغي ان يضم الى شواهد الشعرية لا شواهد من شعر بشار وأبي تمام والمثنى وأبي العلاء فقط، بل ايضا شواهد من الدواوين المحققة لافداد شعراء العربية على مر التاريخ، وبذلك يكون هذا المعجم وعاء حامعا لتطور معاني الكلم في العربية ودلالاتها لغويا وادبيا وفكريا من الجاهلية الى العصر الحديث. واني لاهنيء جمعية المعجمية لعربية تونس باتخاذها العدة العلمية السديدة لصنع هذا المعجم العربي التاريخي.

شوقي ضيف

## تاريخ الكلمة العربية وتطورها في الدرس اللغوي عند العرب مع دراسة وصفية تطبيقية من خلال لسان العرب لابن منظور

للدكتور هادي مهر  
استاذ اللغويات في كلية الآداب  
الجامعة المستنصرية  
بغداد - العراق

هذا موضوع من اكثر الموضوعات طرافة وصعوبة، واشدها تعقيدا، دعاني الى الكتابة فيه - على الرغم من وعورة مسالكه - أمر أراني دائم التفكير فيه لانه موجب لاقرار الحقائق العلمية التي تزيل كثيرا من الاوهام التي يرددها بعض الباحثين المنبهرين بالدرس اللغوي الحديث دون تبصر بابعاد التراث، ومحتواه العلمي المرموق.

لقد افترى كثيرون على تراثنا، فيحسن بكل من تهمة الحقيقة العلمية الا يكتفي بما يقال، وانما يجب الاحاطة بوجهات النظر المخاصمة والمصادقة من اجل تثبيت الحقائق، ودفع ما يقال كي يحتل البحث اللغوي العربي المكانة التي يجب أن يحتلها في مسار الدرس اللساني عبر التاريخ، تلك المكانة التي اعترف بها كثير من النيرين من

علماء الشرق والغرب .

إن المظنون في أغلب الدراسات اللغوية قصور الدرس اللغوي العربي في مجال البحوث الوصفية التطورية . ولهذا صفر التراث العربي من درس في (تاريخ الكلمات واصولها) او ما اصطلح عليه الاعاجم بـ(الايتمولوجيا). وليس هذا بحق ، فللعرب ما غيرهم في هذا المجال من دراسة للكلمة على توالي الازمنة ، وعلى تفاوت البنية والدلالات والسياقات اللغوية ، فتاريخ الكلمة عند العرب ما هو لا تاريخ لوجودهم وحيواتهم .

ولكي اثبت هذه الحقيقة اعتمدت مهجا وصفيا تطوريا قائما على تلمس آراء واقوال ، وأثار اللغويين العرب القدماء على وجه العموم ولسان العرب لابن منظور على وجه الخصوص ، مستخلصا بالادلة والشواهد كثيرا من الجوانب العلمية التي تؤكد أن للعرب درس في تاريخ الكلمة وتطورها ووسائل نموها لا يجوز ان يكون بمعزل عما استقل اليوم علما خاصا واعني به (علم اصول الكلمات) .

ولست ازعم ان ما قمت به يتناول جميع النواحي التي يمكن معالجتها في اطار هذا الدرس ، بل اني لم اقصد منذ البداية الاحاطة بكل نواحيه ، فهي اشد تعقيدا ، وتعددا ، وتشعبا من ان يحيط بها بحث متواضع مثل بحثي .

ومع هذا لم يكن عملي وليد لحظات عاطفية ، او لحظات تعصب للتراث وانما هو وليد زمن من البحث الصور بقيب عاكفا عليه مرعا له الى اليوم ، محاولا ان اقول عبره اشياء جديدة ، وان اكشف عن ومضة من ومضات التراث اللغوي العربي الحالد ووجها من وجوه اصالته .

أنا ادعي ذلك ، وارجو من الله القدير ان يوفقني الى ان اظفر من غيري من الخيرين بصحة دعواي .

والله الموفق أولا وآخر



## علم (اصول الكلمات) في التراث العربي

تستبد الاهواء احيانا ببعض الباحثين فيتهم البحث اللغوي عند العرب بانه «بحث معياري وليس بحثا تاريخيا وصفيا وهذه - عنده - نقطة خلاف جوهرية بين الدراسات اللغوية القديمة والدراسات الحديثة كما تمثلت عند العلماء الغربيين»<sup>(1)</sup>.

فاد جاؤوا الى الدرس المعجمي عند العرب قالوا انه «ناقص تشوبه شوائب وتعتريه هنات، فيه فوضى في التنسيق والتبويب، وخلط بين مادة واخرى، وبين المعنى الحقيقي والمجازي وانه عديم الدقة في التحديد وتقصي المعنى، واهمال ذكر المولد والعامي، وانه ايضا فاشل في تفسير الدخيل»<sup>(2)</sup>. وانه معجم «مصاب بالتخمة والتضخم، دؤن كل ما هو مسموع ثقة وغير ثقة، واسرف في ذكر الاعلام الاعجمية وتصريفها»<sup>(3)</sup>.

وان المعجميين العرب «قد وجهوا عنايتهم الى ذكر معاني الكلمات، والاستشهد عليها احيانا بالقرآن والحديث والمأثور من كلام العرب، ولكنهم اغفلوا اغفالا تاما تعقب كل كلمة في مراحل حياتها وشرح تطور مدلولها في مختلف العصور، وبيان الاصول التي انحدرت منها... وما الى ذلك من البحوث القيمة التي تشغل الآن اكبر حيز في المعجمات الافرنجية الحديثة، وتهم كثيرا من الباحثين في فقه اللغة»<sup>(4)</sup>. وغير ذلك من الاقوال التي تنتقص من الجهد العظيم الذي اسداه اللغويون العرب القدماء عموما، والمعجميون على وجه الخصوص. وعلى الرغم من ان توصل اللغويين المحدثين الى كشف لغات وكتابات باكملها، وتطور وسائل البحث اللغوي التاريخي، وتقدم علم

(1) - العمري (رئيس عد العربي) لغة بين القدماء والمحدثين. ص 37

(2) - فريجة. (يس). في اللغة العربية وبعض مشكلاتها ص 131

(3) - احمد امين اسباب تضخم المعجمات العربية. ص 36

(4) - والي فقه للغة ط 4 ص 288

الاصوات اللغوية، واتساع المعلومات التي يقدمها علم اللغة العام، قد ساعد على ان يكون البحث في اصول الكلمات وتطورها علما مستقلا، او فرعا من فروع علم اللغة القيمة، غير اننا لا يجوز ان نغض عيوننا عن الرحلة الطويلة التي قطعها اللغويون العرب عبر التاريخ، وهم يعالجون الكلمة على وجوه شتى، ومنها البحث في اصولها وتطورها ودلالاتها، فلقد دلت التحريات التي قام بها العلماء المعاصرون على ان البداية في تصنيف المعجمات بداية سومرية، اذ عثروا على مصنفات تتناول الهجاء والمفردات وشرح الالفاظ باعطاء مرادف او تعريف لها تقوم جزئيا مقام المعجمات الأحادية اللغة يرجع تاريخها الى عام (2600 ق.م) كذلك كشفت لتحريات التي اجريت في (اوغاريت) داخل مكتبة (ربعانو) على فهرس رباعي اللغة يشمل السومرية، والاكادية والخورية والاوغاريتية<sup>(5)</sup>. فاذا تقدمنا مع التاريخ العربي حيث القرن الاول للهجرة، وتفحصنا الآثار العربية فيه وفي القرون التي تلتها تبين لنا مقدار الجهد والاهمية التي عقدها علماء العرب الاوائل لدرس الكلمة واصولها، وطرائق نموها، وما سبوه من اجل ذلك من سنن وقواعد وضوابط، وما اوجدوه من مصطلحات وتسميات.

لقد فرضت علوم القرآن على العرب المسلمين ان يعمدوا بادىء ذي بدء الى كتاب الله سبحانه، يفسرونه، ويتعقبون الفاظه، وكانت الحاجة الى معرفة لغة القرآن وغريبه سببا في خوضهم في بحوث عن الكلمة ودلالاتها. بل اصولها. فقد وضع (ابو سعيد اباك بن تغلب البكري) (ت. 141 هـ) كتابه الموسوم بـ (الغريب في القرآن)، ووضع (ابو عبيدة معمر بن المثنى) (ت. 210 هـ) (مجاز القرآن)، و(لقاسم بن سلام) (ت. 224 هـ) (غريب القرآن) و(غريب الحديث)<sup>6</sup> و(الغريب المصنف) (وابن قتيبة عبد الله بن مسلم) (ت. 267 هـ)

(5) انظر: مونس علم اللغة منذ نشأته حتى القرن العشرين. ص 48 وما بعدها

(6) طبع بحيدارود بن سبي 1964 1967

(المشكل) و(الغريب). وقد انتهى البحث في لغة القرآن الى القول بان فيها كلمات اعجمية الاصول عربية الالفاظ، والى هذا ذهب ابو عبيد القاسم بن سلام الهروي غير ان (أبا عبيدة) ذهب غير هذا المذهب وقال: «اللمظ يوافق اللفظ ويقاربه ومعهما واحد» وقد تبعه على هذا المذهب (الطبري) (ت. 310 هـ) في تفسيره، والثعالبي (ت. 429 هـ) في فقه اللغة، وعند هؤلاء ان ما جاء من اشكال يخيل الى الناظر انها اعجمية هو من باب توافق اللغات على ان (ابا حاتم الرازي) (ت. 322 هـ) قد ذهب الى ان معاني الاسماء في القرآن منها ما هو عربي عرفته العرب، ومنها ما جاء في القرآن ولم تكن العرب تعرفه، ومنها ما جاء في القرآن من الفاظ المعجم<sup>(7)</sup>.

وقد رأى بعض المتأخرين رأيا توفيقيا فما ظن من الفاظ القرآن أعجميا انما هي «الفاظ اقتبسها العرب من لغات اجنبية وصقلوها وهذبوا صورتها ثم شاعت في كلامهم قبل الاسلام فلما جاء الاسلام وجدوها تكون عنصرا من عناصر اللغة، ووجد الناس لا يكادون يشعرون بعجمية فيها فمثلها مثل كل الكلمات العربية التي كنت تجري على ألسنتهم»<sup>(8)</sup>. وقد صرف اللغويون العرب الاوائل جهدا في دراسة القراءات القرآنية والتأليف فيها، ومن المعروف ان القراءات «تقوم على تغيير في الحركات وتغيير في الابنية والصيغ، وتغيير في الاصوات، وتغيير في الالفاظ، ومجموع هذا يدل على ان طرق التعبير الخاصة وجدت طريقها الى لغة التنزيل»<sup>(9)</sup> وان اهتمام اللغويين العرب بهذا الضرب من الدرس مكثهم ويمكننا اليوم من لوقوف على شيء من خصائص العربية ولهجاتها التي كانت شائعة في القرن الاول للهجرة، وتاريخ

(7) - نظر. السوطي بغية لوعة ح 2 ص 253

(8) - لسمرئي دراسات في اللغة ص 144 - 145

(9) - نفسه ص 20

الكلمة العربية وما طرأ عليها من تغيير، كالحذف والهمز، والتسهيل، والفك والادغام، والقلب، والاعلال، والابدال وغير ذلك مما اشتملت عليه القراءات القرآنية ولهجات العرب بما يمنح اللغة العربية ميزة دون سائر لغات العالم اجمع اذ لا توجد لغة في وقتنا الحاضر فيها صورة منطوقة ولهجاتها القديمة، فقد درج لغويونا على دراسة اللهجات العربية، - وهي ليست لهجات عامية كما يفهمها في العصر الحديث، وإنما هي «عناصر لغوية تنتسب الى قبائل معينة، وقد دخلت اللغة الموحدة، واصبح لها مستوى من الفصاحة مقرر ومعروف»<sup>(10)</sup>، ووضعوا في ذلك مصنفات كثيرة<sup>(11)</sup> وألفوا كتباً في ظواهر لهجية متعددة كالقلب المكاني، والابدال، وسقوط الهمز، والاعلال، وغير ذلك مما نجده في كتب من نحو: (اصلاح المنطق) لـ (ابن السكيت) (ت. 244هـ) و(المذكر والمؤنث) لـ (ابي بكر بن الانباري) (ت. 328هـ)، و(لحن العوام) لـ (الزبيدي) (ت. 379هـ) و(درة الغواص) لـ (الحريري) (ت. 516هـ) وغير ذلك كثير.

وقد لقبوا كل ظاهرة لهجية بلقب معين منسوب او غير منسوب، فهناك: الكشكشة، والفحفحة، والعجرفة، والتلتلة، وغير ذلك مما يوقفنا على شيء من تطور اللغة واسبابه<sup>(12)</sup>. والناظر في لراث العربي الذي يهتم بالبحث في الكلمة العربية يقف على دراسات مستفيضة للالفاظ العربية المهملة، والمستجدة في شؤون الحياة جميعها دينية، او علمية، او ادارية، او طبية، او تجارية، او غير ذلك مما يؤكد ان لغويينا الاوائل قد ادركوا ان اللغة كائن عضوي يولد ثم يحيا، ثم يموت. فقد نقل (ابن دريد) (ت. 221هـ) عن (ابي عمرو بن العلاء)

(10) - لراححي (عبد) فقه اللغة. ص 110

(11) - من هذه الكتب نذكر: اللغات بيونس بن حبيب (ت 183 هـ) واللغات للمراء (ت. 207 هـ) واللغات لابي عيلة (210 هـ) واللغات للاصمعي (ب 213 هـ) وفي

الصاحبي كلام عن (اختلاف اللغات. ص 48 - 52)

(12) - نصر د رمضان عند لترات فصول في فقه اللغة ص 98 وما بعده

(ت. 154 هـ) قوله: «مضى كلام قديم قد ترك»<sup>(13)</sup> ونقل (ابو جعفر ابن النحاس) (ت. 338 هـ) عن (الكسائي) (ت. 189 هـ) قوله: «محبوب من حبيب، وكُنْها لغة فد ماتت»<sup>(14)</sup>. وكتب (ابن فارس) (ت. 393 هـ) ما نصّه: «كانت العرب في الجاهلية على اربابهم في لغاتهم وادابهم ونسائهم وقرابينهم فلما جاء الله - جلّ ثناؤه - بالاسلام حالت احوال، ونسخت ديانات، وأبطلت أمور، ونقلت من اللغة الفاظ من مواضع الى مواضع اخر زيادات زيدت، وشرائع شرعت، وشرائط شرطت، فعفى الآخر الاول... فكان ممّا جاء في الاسلام ذكر: المؤمن، والمسلم، والكافر، والمنافق. وان العرب انما عرفت المؤمن من الامان والايان هو التصديق، ثم زادت الشريعة شرائط واوصافا بها سمي المؤمن بالاطلاق مؤمنا، وكذلك الاسلام والمسلم، وانما عرفت منه اسلام الشيء، ثم جاء في الشرع من اوصافه ما جاء، وكذلك كانت لا تعرف من الكفر الا الغطاء والستر، فأما المنافق فاسم جاء به الاسلام لقوم ابطنوا ما أظهره، وكان الاصل من نافقاء ليربوع، ولم يعرفوا في الفسق الا قولهم: فسقت الرُّطبة اذا خرجت من قشرها، وجاء الشرع بأن الفسق الافحاش في الخروج عن طاعة الله - عزّ وجلّ»<sup>(15)</sup>. وكتب (السيوطي) (ت. 911 هـ) في (الضعيف، والمنكر والمتروك من اللغات) و(الردي والمذموم، والخوشي، والغرائب، والشوارد، والنوادر، والمهمّل، والمستعمل، والالفاظ الاسلامية)<sup>(16)</sup>، وهذا وغيره يذكرنا «بدراسات العالم الطبيعي السويدي (لين) والعالم الفرنسي (كومن) اللذين استطاعا في ميدان تخصصهما الحصول على معلومات موضوعية عن كيفية تطور الاحياء، مما دفع باللغويين

(13) - ابن دريد، الحمهرة ج 1 ص 106

(14) - السيوطي، المزهري ج 1 ص 10

(15) - ابن فارس، الصحاح، ص 79 - 80

(16) - السيوطي، المزهري ج 1 ص 10 وما بعدها

المحدثين ان يستغلوا تلك المعلومات في القول بان اللغة هي ايضا جهاز عضوي مثل الاحياء لاها تولد، وتنشأ، وتكبر، وترعرع، وتكتهل، ثم تشيخ، وتموت، تماماً كما يقع للاحياء<sup>(17)</sup>.

وقد تناول القدماء ايضا الالفاظ الاعجمية بالدرس، فقد خصص (الثعالبي) الباب التاسع والعشرين من كتابه لبيان ما يجري مجرى الموازنة بين العربية والفارسية، ولما سببه بعض اللغويين الى اللغة الرومية<sup>(18)</sup>، مقررًا بذلك مبدأ الاقتراض اللغوي الذي سنن اليه (ابن جني) (ت. 392هـ) في تقرير هذا المبدأ مشيراً الى مظاهر انتقال الكلمات الاجنبية الى العربية وكيفية هذا الانتقال من ذلك تعريفها بالالف واللام، واعرابها على النسق العربي، والاشتقاق منها مع ما يمكن ان يحدث من تغيير عند النقل<sup>(9)</sup>.

وصنيع (الثعالبي) يشبه صنيع (الجواليقي) (ت. 540هـ) في كتابه (المعرب من الكلام الاعجمي)<sup>(20)</sup>.

ولا ننسى في هذا المجال أبا حاتم احمد بن حمدان الرازي صاحب (الزينة) الذي نعه من اظهر الدراسات التطورية التاريخية لعدد من الالفاظ الاسلامية، تتبع فيه (الرازي) اصولها ومعانيها مبتدئاً من العصر الجاهلي حتى العصر الاموي.

وحاول (شهاب الدين، احمد الخفاجي) (ت. 1069هـ) في (شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل) ان يفرق مجاميع الالفاظ الداخلة من لغات اخرى الى اللغة العربية إذ يقول: «اعلم انهم

(17) - انتهامي. نوطئة لدرسة علم اللغة. ص 52 - 53

(18) - انظر: الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية ص 450 - 453

(19) - انظر: ابن حني، الخصائص. باب (في أن ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب). ج 1 ص 357 - 359

(20) - انظر على سسل المثال، الجواليقي، المعرب من الكلام الاعجمي، لسان التاسع عشر والعشرين

قد يغيرون الكلمة الاعجمية كما سيأتي، والتغيير أكثر من عدمه، فيبدلون الحروف التي ليست من حروفهم إلى أقربها مخرجاً، وربما أبعدوا الإبدال في مثل هذه الحروف وهو لازم لئلا يدخل في كلامهم ما ليس منه، فيبدلون حرفاً بآخر، ويغيرون حركته، ويسكنونه، ويحرفونه وينقصون، ويزيدون، فما كان بين الكاف والجيم يجعلونه جيماً أو كافاً، أو قافاً كما قالوا، كرج، قربق، بمعنى: الخانوت... ويبدلون الباء المخلوطة بالفاء بالء أو الفاء نحو: برند، وفريد (فريد السيف: جوهره) ويبدلون الشين سينا نحو: دست في: دشت، وسروال في: شروال، واسماعيل في اشماعيل...<sup>(21)</sup>

فاذا زدنا على ذلك ما كتبه اللغويون الأوائل في موضوعات من نحو: القلب والابدال<sup>(22)</sup>، والاشتقاق<sup>(23)</sup>، والنحت<sup>(24)</sup>،

- (21) - الحفاحي شهاب الدين. شفاء العليل ص 4 - 5
- (22) - وضع (اس لسكيت. ت 244 هـ) رساله صغيرة سماها (القلب والابدال) جمع فيها نحو (200) كلمة من كلمات اللغة العربة تغيرت بأن كل الين منها تعبراً عن معنى واحد، ولا يختلف لفظها الا في حرف واحد مثل التتهان، والتتهان، فكأن منها يعني سقوط المصغر، ولا يختلف اللفظ لا في سـ سور في الأولى قد حئت عن تلام في كتيبه غير ان (اس لسكيت) لا يدلنا على أي الصورتين هو الأصل، أو أيهما أكثر شيوعاً في ساليب اللغة نظر بسبب دلالة اللفظ ص 69
- (23) - حاول (اس دريد. ت 321 هـ) في كتاب (الاشتقاق) ان يعدر لكل اسم من أسماء القبائل العربة مأخذاً يشتق منه مواد الكلمة. وقد حاول بن جني في دراسته الاشتقاق ان يهك عناصر الكلمة لمعرفة الطريقة التي بها ركبت، والعمل الوظيفي لحروفها، وما لها من صلات مع غيرها سواء اكانت ثنائية لسية، ام ثلاثية، ام غير ذلك مما يمكن من الوصول إلى أصل للكلمة، ومعناها العام، وبيان تاريخ نشوئها وتكونها ونقلها مواقع حروفها، وتنوع دلالاتها
- انظر ابن حني الخصائص ح 2 ص 157 - 163
- (24) - بي (اس فارس ت 392 هـ) معجمه (مقاييس اللغة) على فكري الأصول واسعة، وحاول ان يدرج مفردات المادة اللغوية الواحدة تحت أصل أو أصليين.

والمثلثات<sup>(25)</sup> والاضداد<sup>(26)</sup> والمداخل<sup>(27)</sup>، وتلاقي المعاني<sup>(28)</sup>، وتصاقب الالفاظ<sup>(29)</sup>، تبين لنا مقدار الجهد العظيم الذي صرفه اللغويون العرب وهم يدرسون الكلمة العربية على وجوهها المختلفة، بنياتها، واصولها، واحوالها، ودلالاتها، وتطورها، وطرائق نموها واذا كان البحث في دلالة الالفاظ ليس من مهمة باحث في (اصول الكلمات) غير انه يساعد على الوصول الى اغراضه المتوخاة، فانا قد وجدنا للعلماء العرب حديثا طويلا في صلة اللفظ بمعناه، وعلى الرغم من تضارب الآراء التي طرحها اولئك العلماء في هذا الشأن، وتعارضها فنحن نلمس في تراثنا القديم احساسا قويا باستقلال المعاني عن الالفاظ «ولا يوجد

(25) - مثلث و المثلثات هو مجموعة تصمّ معرّيات لها لصيغة الصرفية نفسها ومركبة من الحروف عينها، فما يتغيّر الا حركة هذه الكسمة، أو عينها فيحصل بتغير الحركة تعرّي في المعنى، وفيه اتفاق من محال دلالي معين الى محال ثان وقد تقطع الى هذه الطائفة في غير المفردات التي حصرها (قطرب ب 206 هـ) في مثثنه احرون، واصابو، فأثروا، ولّفو المحلّلات وتصانيف

انظر قطرب المثلثات. ص 12

(26) - من ذلك كتب الاصد د لاس السكيت، واسحتني (ت 225 هـ)، راي لطيب المعوي (ت. 351 هـ).

(27) - وهو ان تذكر الكلمة وتفسّر بكلمة ثانية. وتفسّر الثانية ثالثة ورابعة، وهكذا مع الاستشهاد هذا كنه وأول من ألف فيه (ابو عمر الراهد ابعدادي. ت 245 هـ) وصح كتاب (المداخل)، وعرف هذا الضرب من التأليف عند المتأخرين باسم (المسلسل) فقد وضع محمد بن يوسف السرقسطي الاسلسي (ت 538 هـ) كتاب سماه (مسلسل

(28) - الاطار الذي عقده بن حي في (باب تلاقي المعاني على اختلاف الاصول والمباني) هو أن يلتزم نورل صرقي محدد ثم يسعى خدب المعاني المتواردة من أصول مختلفة، مثال ذلك ما يأتي عن ورد (معينه) فجميع موادها تصلي الى اعادة معنى عام، وهي تؤخذ بالالف والملاية والاصحاب والمباينة انظر ابن جني اخصائص ج 2 ص 158 - 166. ود. مصطفى مبدور. اللغة بين لعقل والمقامرة ص 82.

(29) - اكيد ابن حي في تصاقب الالفاظ قوة ارتباط المعاني بالالفاظ فكما تصاقبت المعاني وتلاحمت تصاققت في المحارج الالفاظ لمعبرة عنها، وعلى هذا والتصاقب المعوي سام التصاقب المحرجي وعموده الذي يقوم عليه، كما هو في نحو. (أَنْ) و(هَنْ) وهما يدوران حول التحريك وهو في الأَر معوي، وفي سهر حسي. فما تصاقب في المعنى اعم تصاقب محرجا. انظر ابن جني. لخصائص ج 2 ص 146.



متكلم، او فيلسوف، او فقيه، او صوفي إلا ونَبّه انه لا مشاحة في الالفاظ، وان صلة المعنى باللفظ كصلة النفس بالبدن، اي صلة تميز واستقلال»<sup>(30)</sup> ولعل موقف (سيبويه ت. 181 هـ) كان صحيحا حين «حمل كلام العرب على المعاني، ونحى الالفاظ في حين ان الفراء حمل العربية على الالفاظ والمعاني فرع»<sup>(31)</sup>، لان الاهتمام بالدلالة اي افادة المعنى ظاهرة لغوية أساس وما لمدارس اللغوية المعاصرة الجادة كالمدرسة التوليدية التحويلية الاثورة على من اقصى الدلالة في الدرس اللغوي<sup>(32)</sup>. ان المقابلة بين اللفظ ودلالته مازالت موضع بحث يحاول ان يقدم التفسيرات والحلول المنطقية او النفسية او اللغوية<sup>(33)</sup>.

### أصول الكلمات وتطورها في لسان العرب

من الجائز القول ان العربية قد صفرت من معجم اشتقاقى تأصيلي، او ما يسمى بـ(المعجم التأيلي) الذي يبحث في اصول الفاظ اللغة ومنابتها الاولى، ومن الجائز القول باننا لا نملك معجما تطوريا تاريخيا يهتم بأصل الكلمة ويتتبع استعمالاتها عبر العصور والنصوص، وما يطرأ عليها من تطور، فيثبت ذلك ويؤرخ، غير أنه لا يجوز أن نقول ان اللغويين العرب لم يعالجوا تاريخ الكلمة او اصلها عبر آثارهم اللغوية التي لا تحصى، فقد صرفوا جهدا كبيرا في درس ذلك واننا وان وجدنا أغلبية تلك الجهود قد انصبّت في سياق دلالي على وجه الخصوص، الا اننا لا نعدم مفاهيم، واشارات، وآراء، ومحاولات كثيرة عن اصول بعض الكلمات، وتاريخها، وتتبع وجوه استعمالها، واسباب

(30) - اربّاع. ص 85

(31) - انظر: لريدي (ابوبكر محمد) طبقات النحويين والدعويين. ص 143 - 144 وقد حسّد الجاحظ (ت. 255 هـ) مفهوم الدلالة كما راه سيبويه حير تحسيد. انظر الجاحظ الحيوان ج 3 ص 131

(32) - نظر على سبيل المثال: Haya Kawa (S I) Language n Thought and Action. P 27

(33) - انظر جون لايتز. ص 32 - 33

نمّوها، وتطورها، ووسائل هذا التطور والنمو، بما يمكن عدّه بداية مبكّرة في مجال ما يسمى اليوم بـ(الايتمولوجيا) وعلى وفق وجهة النظر الحديثة.

ولقد عكفت في الصفحات السابقة على تلمس تلك الآراء، والمحاولات، والاشارات عبر عشرات من الكتب اللغوية التي بين ايدينا، واحاول في الصفحات اللاحقة ان اتصفح المعجم العربي الكبير (لسان العرب)، هذا المعجم الذي احتفظ بمواد لغوية قديمة قد لا نجدّها في معجمات اللغات التي تدخل ضمن الارومة العربية (السامية)، وهذه المادة اللغوية تعكس لنا بجلاء حقيقة واضحة تلخص في ان الذي يسود في جميع عمليات التغيير هو استمرار المادة اللغوية القديمة «فعدم الالتزام بالمصحي ليس سوى شيء نسبي وهذا ما يجعل مبدأ التغيير يستند الى مبدأ الاستمرارية»<sup>(34)</sup>. ومن هنا فانا يمكن ان نركن الى هذا القديم ندرسه، ونتفحصه، ونستفيد منه في كتابة تاريخ الكلمة العربية ونطورها، في معجم تطوري تأصيلي منابعه الاساس هي لمعجمات العربية المتعددة. ونستفيد منه ايضا في تفسير عدد كبير من الكلمات السوادة في النقوش القديمة مثلما فعل المستعربون، فقد ذكرت المعجمات ومنها لسان العرب مثلا اسماء الاشهر الجاهلية المهجورة مثل: (خوّان، وناجر)<sup>(35)</sup>، والتي حلت محلّها الاسماء الاسلامية كـ(شعبان، رمضان) ولكن مستعربا استعان بها لتفسير اسماء الاشهر الواردة في النقوش قبل الاسلام<sup>(36)</sup>.

(34) - رولون ولز. علم اللغة الحديث. ص 94.

(35) - في اللسان (نجر) «كانت العرب في الجاهلية نقول للمحرم مؤتمر، ولربيع لاول خوّان؛ وكل شهر في صميم الحرّ فاسمه ناجر، لان الابل تنجر فيه اي يشند عطفها حتى تبعد جلودها، وصفر في الجاهلية يقال له ناجر... ويزعم قوم انها حزيان ونموز، وقيل رجب».

(36) نظر: فريجة (ايس) نظريات في اللغة. ط 2. ص 99.

وعلى الرغم من أن المادة اللغوية لا يمكن ان تستكمل في معجم لغوي واحد مهما بلغت سعة الفاظه، لان لصيغ اذا نمت في الحياة الاجتماعية دلّت على معان جديدة، وان الالفاظ المتداولة تدخل في مجال الحياة المعيشة وتأخذ منها دلالاتها إلا اننا نجد في لسان العرب مادة لغوية ثمينة عوّل فيها صاحبها ابن منظور (ت. 711هـ) على اصول خمسة ذكرها في خطبته واكثر من الاحالة عليها في ثانيا معجمه<sup>(37)</sup>، وهي: تهذيب الازهري (ت. 370هـ) وصحاح الجوهري (ت. 392هـ) ومحكم ابن سيده (ت. 458هـ) وحواشي الصحاح لابن بري (ت. 582هـ) ونهاية ابن الاثير (ت. 606هـ) مما يجعله اثرا لغويا حيا تقوم عليه دعائم المعجمات الحديثة، ومصدرا معتمدا في التأليف المعجمي الذي يهدف الى بناء المصطلحات اللغوية، والعلمية، والادبية، والفنية وغير ذلك بحسب ما تدعو اليه الحاجة من ضروب القول. ان الباحث المتفحص سيقف من خلال لسان العرب على جملة من الحقائق العلمية التي تشكل اليوم إحدى مهمات الباحث (الايتمولوجي) المعاصر، سواء أكانت تلك الحقائق في (اصول الكلمات) ام في تطورها، وطرائق نموها، لأننا نرى ان البحث في اصول الكلمات يرتبط في اكثر اوجهه بالبحث في طرائق النمو، والتطور اللغوي في آية لغة، وعن العكس فان دراسة تلك الطرائق تقودنا الى شيء أو اشياء من اصول الكلمات ومنابعها الأولى؛ ومن هذه الحقائق نذكر الآتي.

أولا :

في أصول الكلمات :

لا نعني هنا باصل الكلمة مكوّناتها البنائي كأن يكون ثنائيا، او ثلاثيا، او غير ذلك، فان هذا ما تكشف عنه طرائق النمو اللغوي من

(37) - نظر اس منظور، اللسان ج 1 ص 8

اشتقاق، ونحت، والحقاق، وغير ذلك مما سيأتي ذكره، ولكنني اعني بالاصول هنا عجمة الكلمة أو عروبته، مما يوقفنا على ملاحظتها الاولى، ومسيرتها على اللسان العربي. وفي البحث عن أصل الكلمة بهذا المفهوم من خلال لسان العرب نقف على حقائق ثلاث تشير اما الى عجمة الكلمة او عروبته، او الى بيان اصلها اللّهي، او اصلها الفصيح الذي حفظته العامة وعلى النحو الآتي:

#### أ. عروبة الكلمة او عجمتها :

أخذ هذا النوع نصيبا وافرا من جهود العلماء العرب، وعد قضية بالغ بعض العلماء في التعصب لها، فقد أقر بعضهم اعجمية الفاظ دخلت اللغة العربية، وحات في شعار شعراء ما قبل الاسلام، وما بعده من الاسلاميين والمولدين وراحت في اشعار العباسيين، وقد ذكرت هذه الالفاظ في مؤلفات الفلاسفة والاطباء وغيرهم. ان مثل هذه الالفاظ (الدخيلة) او (المعربة)<sup>38</sup> مؤحود في كل اللغات فهي جميعا تستورد الدخيل بحسب حاجتها، وقد يتسرب اليها ايضا رغم انفها، اذ «لا يكاد يعقل ان تتم عملية تدل حضاري غير مشفوعة بتبادل لغوي في الوقت ذاته»<sup>(39)</sup>، ولا يمكن لاية لغة متقدمة عاشت زمنا من عمرها في حضارة زاهرة، وعلم راق، وفكر عال، وادب رفيع ان تكتفي بثروتها المحلية كما انه لا يمكن ان تنجو اللغات الاخرى من تأثيرها<sup>(40)</sup>.

(38) - المعط المعرب هو لفظ استعاره العرب لخلص في عصر الاحتجاج باللغة من لغة اخرى، واستعملوه في لسانهم. والدخيل لفظ اخذه لغة من لغة اخرى في مرحلة من حياتها متأخرة عن عصور الاحتجاج لخلص الدين يحتج بلسانهم، وتأني الكلمة الدخيلة كما هي أو تحريف طفيف في اسطق مثل (كوفية) (وهي في اللاتينية عصء الرأس للنساء) و(جرث) (من اللاتينية كمركيوم اي تحارة، وقد دخلت الى العربية بواسطة التركية ( كمرك) وقد عد القدماء العرب المعرب دخيلا انظر السيوطي المهرج 1 ص 263. ود. طاط (حسن) كلام العرب ص 79.

(39) - طاطا من كلام العرب. ص 63

(40) - انظر. مصدر اسابق. ص 3

وعلى الرغم من صعوبة البت في امر المعرب او الدخيل والتمييز بينهما في لغتنا بشكل حاصر لكونها لغة قديمة موعلة في القدم ، وبغض النظر عن اساليب القدماء في تعريب الالفاظ الاعجمية ، فانا نجد أكثر لغويينا قد امتلك مفتاح لشك في اصل الكلمة الدخيلة ، وفرزها عن الكلمة العربية الاصلية ، وان لم يجزموا بقرعية الكلمة المعينة المشكوك في اصلها او اصليتها ، فاقوال من نحو قول (ابن دريد) «لا احسب الكافور عربيا لانهم ربيا قالوا : العصور ، والقافور»<sup>(41)</sup> وقول (الازهري) عن (السرين) وهو نوع من الرياحين : «لا ادري اعربي ام لا»<sup>(42)</sup> ، وقول (الجوهري) عن (الجيت) «كل ما عبد من دون الله . . . وهذا ليس محض العربية لاجتماع الجيم والتاء في كلمة من غير حرف ذولقي»<sup>(43)</sup> ، تؤكد ذلك الامتلاك الذي وضع ايما وضوح في لسان العرب ، ففيه اشارات الى الفاظ في القرآن الكريم ذات اصول عربية قديمة (سامية) ، وجدت في اغلب اللغات المتفرعة عن العربية الام ، ومن ذلك كلمة (الطور) في قوله تعالى «والطور وكتاب مسطور»<sup>(44)</sup> فقد ذكر ابن منظور ان الطور الجبل ، وطور ميناء جبل بالشام وهو بالسريانية طواري<sup>(45)</sup> وان كلمة (الربانيون) جمع رباني وهو العالم الراسخ في العلم والدين او الذي يطلب بعلمه وجه الله . وقيل : العالي الدرجة في العلم . . . قال ابو عبيدة : «واحسب الكلمة ليست بعربية ، انما هي عبرانية او سريانية ، وذلك ان اب عبيدة زعم ان العرب لا تعرف الربانيين . . . وفي التنزيل كونوا ربانيين»<sup>(46)</sup> . و(اليم) البحر

(41) - من منظور (كمس) .

(42) - نفسه (سر) .

(43) - نفسه (جيت) .

(44) - من سورة الطور/ 52

(45) - اس منظور (طور)

(46) - ابن منظور (رب) . والاية من سورة ال عمران/ 79

الذي لا يدرك قعره ولا شطاه... . وزعم بعضهم انها لغة سريانية  
فعربتة العرب، واصله ياء<sup>(47)</sup>.

وقد وجدت في العربية مواد دخيلة من اصول غير سامية، ولكن  
العربية طبعتها بطابعها واستعملتها استعمالات كثيرة<sup>(48)</sup> وقد أشار الى  
بعض من هذه المواد ابن منظور من ذلك بعض أسماء المدن والامكنة  
فـ«بغداد، وبغداد، وبغداد، وبغدين، وبغدان، ومغدان، كلها اسم  
مدينة السلام وهي فارسية معناه: عطاء صنم لأن (بغ) صنم و(داد)  
واخواتها عطية يذكر ويؤنث وحرفوه عن الدال الى الدال لأن داد  
بالفارسية معناه اعطى، وكرهوا ان يجعلوا للصنم عطاء، قالوا: داد، ومن  
قال دان فمعناه دلّ وخضع»<sup>(49)</sup>.

وان نظربا الى أسماء الزهور والرياحين وجدنا كلمات من نحو  
(سوسن، ونرجس، وياسمين) ترد في اللسان بما نصه «لسوسن، نبت  
اعجمي معرب، وهو معروف، وقد جرى في كلام العرب، قال  
الاعشى:

وَأَسْ وخيري ومرو وسوسن  
إذا كان هيزمٌ ورحت غشما<sup>(50)</sup>  
وقد يلفت انتباهنا هذا البيت الى الدلالات اللغوية التي تظهر  
من خلال الفاظ الزهور مثل: آس، وخيري، ومرو، وسوسن، بأنها

(47) - اس منظور (بسم)

(48) - السامري دراسات في اللغة ص 73.

(49) - اس منظور (بغد د). وعندي أن اصل بغداد عربي يعود الى عهد حموي او 18

ق م فقد كانت في عهده مدينة مسمدة باسم نكداد وقد ورد اسم بغداد في لآثر

اسابية يصا فل حلال الفرس هذه الربوع

وفي أصل هذا الاسم أقوال أخر

انظر توفيق وهي العقد والاستطرد في اصول معنى بغداد. ص 46.

(50) - اس منظور (سوسن)، و(حشم) وهيزمن وهيزمر، وهيزمر كلها من أعياد

انصاري من منظور (هزمر) وليت في ديوان الاعشى ص 186

انواع من الرياحين تدلنا على بعض الفاظ الزهور التي تغذي المادة للغوية وتساعد على تطور معانيها من خلال لسان العرب .

ونجد لفظ (الترجس) يرد في اللسان بما نصه: «الترجس من الرياحين، معرب والون زائدة لانه ليس في كلامهم (فعل) وفي الكلام نفع»<sup>(51)</sup>.

ونلقى في اللسان كلمات من نحو (انجيل) مذكورة بما نصه: «هو كتاب عيسى يذكر ويؤنث فمن أنث أراد الصحيفة، ومن ذكر أراد الكتاب وهو اسم عبراني او سيرياني، وقيل هو عربي، وقد اشتق من (النجل) اي: الاصل ويأتي بفتح الهزة وهذا ليس من كلام العرب»<sup>(52)</sup>.

و(الفردوس) «لبستان قال الفراء هو عربي، قال ابن سيده الفردوس الوادي الخصيب عند العرب كالبستان، وهو بلسان الروم البستان . قال الزجاج وحقيقته انه البستان الذي يجمع ما يكون في البستين وكذلك هو عند اهل كل لغة»<sup>(53)</sup>.

ويفيدنا اللسان في هذا المقام في ان نرد كثيرا من الاقوال التي تحكم بأعجمية بعض الالفاظ الى العربية من ذلك نذكر كلمة (لغم) فقد رأى احد الباحثين أن كلمة (لغم) دخيلة من اليونانية المتأخرة (ليكيها) بمعنى انفجار جاءت عن طريق التركية<sup>(54)</sup> والحقيقة انها عربية موغلة في القدم جاء في اللسان «لغم لغما ولغما». وهو استخباره عن الشيء لا يستيقنه واخباره عنه غير مستيقن ايضا، ولغم لغما كتم لغما»<sup>(55)</sup>. وانما سمي اللغم بهذا الاسم لانه مستور مخفي، وسواء

(51) - بن منظور (ترجس).

(52) - نصه (نجل)

(53) - بن منظور (فردوس).

(54) - ظاها من كلام العرب ص 72

(55) - بن منظور (لغم).

كانت اقوال (ابن منظور) او غيره من اللغويين بحجة الكلمة المعينة مبنية على البحث والتمحيص والعلم باللغات الاجنبية، ام مبنية على الظن والتوهم كما يرى بعض المحدثين<sup>(56)</sup>، فان الذي يعيننا من أقوالهم تلك ما يثبت راينا في ان التراث العربي لم يحل من بحوث ودراسات، وآراء تعنى باصول الكلمة العربية وتاصيلها وتطورها.

#### ب - الاصل اللهجي :

قد يكون تعدد الصيغ، او تكاثر المشتقات في المادة اللغوية الواحدة مظهرا من مظاهر اختلاف اللهجات العربية التي وُحِّدَها القرآن الكريم، وهذا الاختلاف كما هو معروف متعدد النواحي متشعب الجهات، فمنه ابدال الحروف ومنه نتج عنه من لهجات عربية مخالفة لما وسموه بأنه افصح الكلام، وهذه اللهجات ثلاثة انواع : لهجات منسوبة الى اصحابها ولها لقب تعرف به، فالعننة واصحابها تميم، ومن جاورهم من اسد، وقيس، والفحفة لهذيل، والوثم لاهل اليمن، والكشكشة لربيعة ومضر، ولهجات منسوبة الى اصحابها وليس لها لقب تعرف به كابدال الف (هنا) هاء فيقولون (هنة) او ابدال الحاء هاء لتقاربهما مخرجا، وقد نسب لسعد بن زيد مناة، ولهجات لا اسم لها، ولم تنسب لاحد<sup>(57)</sup> ومن مظاهر اللهجات أيضا التصحيح، والاعلال، والزيادة، والنقصان، والفك، والادغام والقلب المكاني، والمشارك، والمتضاد، والمترادف، وهيئات النطق من إمالة، وتفخيم وترقيق، واخفاء، وهمز، وتسهيل، وغير ذلك مما نعهده عنصرا من عناصر التوليد اللغوي قد يحكي قصة بعض الكلمات العربية. ولو تأملنا هذه الظواهر بمعينة لسان العرب لوفعنا على مادة عزيزة، وصيغ متنوعة، وفي

(56) - السامري. دراسات في اللغة ص 145

(57) - انظر نجاة (براهيم محمد) فقه اللغة ص 31 ومعه



الوقت الذي لا نستطيع ان نمثل لها جميعا في هذه الصفحات المتواضعة نذكر منها (القلب المكاني) وهو تقديم بعض حروف الكلمة على بعض كـ (جذب) في (جذب) وهو من الابواب الهامة في توليد الالفاظ، وفهم كثير من الصلات بين الالفاظ ودلالاتها واصولها.

ولم تكن كلمة العلماء متفقة في هذا القلب، ففريق يرى انه قد حدث عند قبيلة معينة بمعنى ان الكلمة ومقلوبها نتاج مجموعة لسانية واحدة، او عند العرب جميعهم، ولهذا لم يفرق اصحاب هذا الراي بين صيغة واخرى، ومن هؤلاء (ابن دريد)، و(اسن النحاس) (ت. 338هـ) في شرحه عن المعلقات واليه ذهب نحويو الكوفة<sup>(58)</sup>.

ولم يعد لغويو البصرة كذلك الا اذا امكن الحكم على احدى الكلمتين بالاصلية وعلى الاخرى بالفرعية، معتمدين كثرة الاستعمال والتصرف اساسا في هذا الحكم، فأَيّ الكلمتين اكثر تصرفا واستعمالا من الاخرى فهي الاصل، والثانية هي الفرع ولذلك حكموا على (رام) بانها مقلوبة من (أرام) لكثرة استعمال الثانية وقلة الاولى عنها<sup>(59)</sup> فان لم يتمكنوا من الحكم على احدهما بالاصالة، وعلى الاخرى بالفرعية لتساويهما تصرفا واستعمالا، عدّوا هذا النوع من قبيل اختلاف اللهجات. ذلك فحوى خلاف اللغويين، غير أننا اذا نظرنا في كتب اللغة وجدنا ان اصحاب الفريق الاول لا يسرون على هذا النهج فكثير من الكلمات التي حكموا عليها بانها مقلوبة وردت على السنة اللغويين على انها من قبيل اختلاف اللغات، وعلى ذلك فيكون حكمهم غير مني على اساس متين. جاء في اللسان: «المكفهر من السحاب الذي يغلظ ويسود، ويركب بعضه بعضا والمكرهف مثله، ووجه مكفهر قليل

(58) - نفسه ص 47.

(59) - في ابن منظور (رم) «الارم، والارم، والجمع ارام، واروم وهي الحجارة مجتمع وتنصب في الصخرة تكون عندها على لشيء»

اللحم غليظ الجلد، وفيل هو العبوس، والمكرهف لغة في المكهر، او مقلوبة عنه»<sup>(60)</sup>.

فهذا يدل دلالة واضحة على عدم استقرار فكرتهم عند التطبيق على الامثلة مع اهم قطعوا رأيهم أنفا بان ما يرد من هذا النوع فهو من القلب.

وما يضعف وجهتهم اهم حكموا على (امضحل) بانه مقلوب من (اضمحل) لقصور تصارييف (امضحل) عن المقلوبة عنها، ومعنى هذا لحكم ان الكلمتين من منطوق العرب جميعا او من مقول قبيلة معينة مع ان الوارد عن اللغويين غير ذلك. قال (ابن منظور): «اضمحل الشيء واصمحر على البذل عن يعقوب، وامضحل على لقلب كل ذلك ذهب، والدليل على القلب ان المصدر انما هو على اضمحل دون امضحل، وهو الاضمحلال ولا يقولون امضحلال»<sup>(61)</sup>، وقال «واضمحل السحاب تقشع واضمحل الشيء اي ذهب، وفي لغة الكلابيين امضحل بتقديم الميم حكاه ابو زيد»<sup>(62)</sup> ومن ذلك صاعقة و(صاقعة) فالأولى لغة جمهور العرب، والثانية لغة تميم ففي اللسان ما نصه «الصاعقة الموت والعذاب المهلك، وفيها ثلاث لغات، صاعقة، وصعقة وصاقعة»<sup>(63)</sup>، «والصاقعة كالصاعقة حكاه يعقوب، ويقال صقعته الصاقعة، قال القراء، تميم تقول: صاقعة في صاعقة»<sup>(64)</sup>.

ومنه (طمأن) و(طأمن)، فقد رأى (سيبويه) أن (طأمن) هو الاصل (وطمان) متفرع منه، واستدل على وجهته هذه بان الزيادة قد

(60) - بن منظور (كهر)

(61) - نفسه (ضمحل)

(62) - نفسه (ضمحل)

(63) - بن منظور (صعق)

(64) - نفسه (صقع)

لحقت (طمأن) والزيادة اذا لحقت كلمة ادركها نوع من الضعف لان اختلاط الزئذ بالاصلية اجهاد للكلمة، وتغير فيها، والتغير مجرى على حدوث غيره، وخالفه (أبو عمرو الجرمي) (ت. 225هـ) فرأى أن (اطمأن) هو الاصل، و(طامن) متفرع عليه، وقد استدل على ذلك بأن الاصل هو اجدير بتحمل انواع التصرفات في الكلمة ويؤيده ان المصدر المشهور هو (الطمأنة)، وهو الموافق لما عُدَّ اصلاً<sup>(65)</sup>.

إن هذه الامثلة وغيرها كثير، قاطعة الدلالة على ضعف لغوي الكوفة ومن شايعهم لبنائه على اساس ضعيف، وصحة رأي لغوي لبصرة الذي بني على التفرقة، وهو ان القلب يكون اذا لم تتساو لكلمتان تصرفاً واستعمالاً لا مكاناً جعل إحداهما أصلاً والأخرى فرعاً أما إذا تساوت الكلمتان تصرفاً واستعمالاً فهو من قبيل اختلاف اللغات كما ظهر من كون (اصمحل) لغة جمهور العرب و(امضحل) لغة قبيلة معينة وهي كلاب، وكذلك (صاعقة) لغة جمهور العرب، و(صاقعة) لغة بني تميم وذلك في رأينا هو الذي يتماشى مع الواقع الملموس. وقد وضع هذا الامر في غير القنب المكاني، فعلى سبيل المثال نجد تحميف الهمزة، او تسهيلها او تحويلها الى ياء مما «نقله النحاة بعد ان وجدوا له اصلاً في لهجات العرب»<sup>(66)</sup>، ومنه في اللسان «اهل مكة يخالفون غيرهم من العرب، يهمزون البريئة، والنبيء، والذريئة... وذلك قليل»<sup>(67)</sup>، ومنه ايضا «قرأ ابو عمرو وحده، نادىء الرأي بالهمز، وسائر القراء قرأوا بادي بغير همز»<sup>(68)</sup>.

(65) - نفسه (صم)، وانظر: مسوده ج 3 ص 57، 89.

(66) - تيمور (محمود) العامية الفصحى ص 123

(67) - اس مطور برأ

(68) - نفسه (بدأ)

### ج - الفصح الذي حفظته العامية :

العامية مظهر لغوي قديم ، قائم في كل عصر في التاريخ العربي ، فقد ظهرت العامية ايام (الخليل) (ت 175 هـ) ، وغيره من اللغويين الاوائل ، و(للكسائي) (ت 189 هـ) كتاب في (لحن العامة)<sup>(69)</sup> ، وتبعه في هذا الضرب من التأليف كثيرون ، والذي يعنينا من هذه الظاهرة هو الاحتراس من الحكم على اللفظ المعين بصفة (العامية) دون التحقق من اصوله من المعجم العربي ، فقد تطالعنا كلمات نظن لأول وهلة انها دخيلة او عامية ملحونة ، ولكننا حين نحكم المعجم فيها نجدها من الفصح ، او من المحرف عنه قليلا .

من ذلك كلمة (فاضي) بمعنى فارغ من اي عمل ، وقد شاعت على السنة عوَمَ المصريين ، وهي فصيحة لها اثر في اللسان بهذا المعنى ، جاء ما نصّه (وضت نفسه اي مات (خلاً من الروح) وهي بالضاد لغة . . . وفاض الحديث والخبر واستفاض ذاع وانتشر<sup>(70)</sup> اي خلا من كونه مستورا .

ومن ذلك (خشّ) بمعنى (دخل) جاء في اللسان «خشّ في الشيء يخش خشاً واخشش ، وخشخش ، دخل . . . وخششت في الشيء دخلت فيه ، وانخش الرجل في القوم انخشش اذا دخل فيهم . . .»<sup>(71)</sup>

و(شاف) بمعنى (رأى) جاء في اللسان «شاف الشيء شوفا جلاه ، والشوف الجلو ، واشتاف فلان يشتاف اشتيافا اذا تناول (ونظر) ، وتشوفت الى الشيء اي تطلعت ، ورايت نساء يتشوفن من السطوح اي : ينظرن . . .»<sup>(72)</sup> بل حفظت لنا العامية اصولا لغوية

(69) - حققه عبد العزيز الميمني سنة 1344 هـ

(70) - اس مطور (بيض) .

(71) - نفسه (خشّ)

(72) - نفسه (شوف) .

قديمة من لغات تنسب الى الأرومة العبرية (السامية) نذكر من ذلك على سبيل المثال كلمة (شكارة) وتعني قطعة ارض وهي مستعملة في العراق جنوبه وشماله، وهي من الرواسب الأرامية<sup>(73)</sup>.

### ثانيا : تطور الكلمات وطرائق نموها :

ن معرفة الطرائق التي تسلكها الكلمات في نموها وتطورها يمكن ان يوقفنا على ملامح تاريخها واصولها، بما يساعد الباحث في اصول الكلمات في الوصول الى نتائج علمية محققة. وقد تعددت طرائق نمو الكلمات واساليب تطورها في لسان العرب بما لا يمكن احصاؤه في صفحات معدودات، غير اني أحاول ايجادها كما ظهرت في لسان العرب بالآتي :

#### أ- الاشتقاق :

تعددت مفاهيم مصطلح الاشتقاق منذ ان عرف في الدرس اللغوي، ففي اللسانيات الاغريقية كان بمعنى الانطلاق من الاشكال اللعوية التي تشمل فيها الحقيقة ويفترض ان دلالة هذه الاشكال قد تغيرت وتطورت مع الزمن بالاستعمال، فاصبحت تستعمل مجازا وقد تغيرت عن اصلها الذي وضعت له في بداية نشأتها الاولى «فالطبيعة اوجدت عناصر الواقع واوجدت معها اسماءها، ولكن الاستعمال اليومي المتكرر لهذه الاشكال رجزها عن اصلها، فيجب البحث عن الاشتقاق الاصلي، اي البحث عن المعنى الاصلي الذي يمثل الحقيقة الخالصة»<sup>(74)</sup>.

وفي اللسانيات البنيوية فان معنى الاشتقاق يتغير من مستوى الى آخر، ففي المستوى المعجمي مثلا يعنى بالبحث عن المعنى الاصلي

(73) - انظر هذا ونحوه في ' السامرائي دراسات في اللغة ص 208 - 209

(74) د حاش (محمد) البنية في اللسانيات. ص 374

لمادة اللغوية دون حلفيات مسبقة ، وفي الصرف محاولة فرز ما هو زائد عما هو أصيل في المادة اللغوية . وهناك مفهوم توليدي للاشتقاق مجاله لتركيب<sup>(75)</sup> .

والذي يريده هنا هو الاشتقاق اخاص بالالفاظ والصيغ ذلك الاشتقاق الذي بينه وبين لقيس صلة وثيقة باعتبار أن القياس هو «الاساس الذي تبنى عليه عملية اشتقاق وهو المبرر الذي تستند عليه مثل هذه العملية الاشتقاقية كي يصح المشتق مقبولا معترفا به بين علماء اللغة»<sup>(76)</sup> . وقد تنبه علماء العربية القدماء الى فكرة الاشتقاق منذ ان بدأوا يبحثون في اللغة والمعاني المتشابهة وأنضحت لهم ناحية الاصلية والزيادة في مادة الكلمة ، وتأكدت ملاحظاتهم فيما بعد يوم بحث المستشرقون في اللغات السامية ، وظهر لهم ان الالفاظ السامية تعتمد على جذر او مواد وتعتبر الاصل في كل اشتقاق ، وان اكثر هذه الجذور شيوعا في اللغات السامية هو الجذر الثلاثي الاصول<sup>(77)</sup> ، ومن المعروف ان اشتقاق يعين اللغوي على معرفة اصل الكلمة بشرط ملاحظة مقابلة اللغات ، فاذا وحدنا لمظة في العربية ومثلها في الفارسية ، او اللاتينية ، او اليونانية مثلا ، ولم يساعدنا التاريخ على معرفة حقيقة اصلها عمدنا الى اشتقاقها وصيغتها ، فاذا لم يكن لها مجانس في خوات العربية وكان لها ذلك في اخوات الفارسية ، او اللاتينية ، او ليونانية نرجح انها من احدى هذه اللغات<sup>(78)</sup> .

من ذلك نذكر كلمة (شطرنج) وقد تكلمت به العرب قال (امرؤ القيس)<sup>(79)</sup> .

(75) - نصر، مصدر سابق ص 374

(76) د بيس (ابراهيم) من سرر العربية ص 62

(77) - نفسه

(78) - انظر حورحي زيد تاريخ اللغة العربية ص 45

(79) - امرؤ القيس الديون ص 485

ولاعنتها الشطرنج خيلي ترادفت  
ورحى عليها دار بالشاه بالعجل  
جاء في اللسان «شطرنج فارسي معرب، وكسر الشين فيه اجود  
ليكون من باب، جردحل»<sup>(80)</sup> وهو ليس بفارسي، لان اغلب الروايات  
تشير الى ان اول من اخترع هذه اللعبة هو الحكيم الهندي (داهر) ومن  
ثمة فاصل الكلمة هندي قديم (شورنكا) انتقل الى الفارسية في القرن  
السادس للميلاد، وحرفته ثم انتقل الى العربية من الفارسية بعد ان  
تصرف العرب في الكلمة وتكلفوا في تحليلها<sup>(81)</sup>، ويؤيد ما نذهب اليه  
من أعجمية هذه اللفظة ان الطاء والجيم لا يجتمعان في كلمة عربية  
واحدة<sup>(82)</sup>.

وجاء في اللسان ان «الحاموس نوع من البقر، دحيل، وجمعه  
جواميس فارسي معرب، وهو بالعجمية كواميش»<sup>(83)</sup>.

ولعل عدم وجود اشتقاق لهذه الكلمة في العربية هو الذي دفع  
ببعض القدماء الى الحكم باعجميتها ولكن ليس من الثابت ان يكون  
اصلها فرسي، والذي يبدو من قول (ابن منظور) ان الكلمة في  
الفارسية مركبة من (كاو) ثور او بقرة، و(ميش) كبش وهذا لا يؤكد  
فارسيتها «لان هندية الاصل بلفظ (جاوميشا) وهو في السنسكريتية،  
البقرة الكادبة»<sup>(84)</sup>.

ومن ذلك كلمة (الصنج) قال ابن منظور «الصنج العربي هو  
الذي يكون في الدفوف ونحوه عربي، فأما (الصنج) ذو الاوتار فدحيل  
معرب تختص به العجم، وكان عشي بكر يسمى صناجة العرب،

(80) - اس مطور (شطرنج)

(81) - جورج ريدي ص 46

(82) - اطير الحوليقي المعرب ص 269.

(83) - اس مطور (خمس)

(84) - جورج ريدي ص 45

وصحجة الميزان وسجته فارسي معرب»<sup>(85)</sup>.

ولعل مرد الحكم باعجمية هذه الكلمة عدم جواز اجتماع الصاد والجيم في كلمة عربية ثلاثية اورباعية عدا (جصر الجرو) قال (ابن دريد) «وليس يجتمع في كلام العرب جيم وصاد في كلمة ثلاثية ولا رباعية»<sup>(86)</sup>، وفي اللسان الجِصْرُ والجِصْرُ الذي يطلى به وهو معرب... وليس الجِصْرُ بعربي وهو من كلام العرب، ولغة اهل الحجار في الجِصْر الفِصْر... وجِصَص الجِرو وفقح اذا فتح عينيهِ»<sup>(87)</sup>.

#### ب : التعديل البنائي للكلمة :

اعني به تحول لكلمة من بناء معين الى ابنية اخرى فالحروف المزيدة على اصل المادة تضيف اليها معنى جديدا او تغير معناها الى معنى آخر، فالزيادة تدل على عمق البنية في تضعيف الصيغ مثل : سَوَسَ وشَمَسَ، وطَوَّقَ، ووسَّعَ، وغير ذلك، والنقص يدل على سطحيتها، فاذا استعرضنا مادة (شَمَسَ) في اللسان الفيناها ترد بها نصّه «وقد أشمس يومنا بالالف، وشَمَسَ يَشْمَسُ شَمُوساً، وشَمَسَ يَشْمَسُ. هذا القياس، وشَمَسَ لرحل قعد في الشمس وانتصب لها، ويقال : آتينا فلانا نتعرض لمعروفه فتشَمَسَ عينا اي بخل»<sup>(88)</sup>.

فان الملاحظ في صيغ (شَمَسَ) و(اشمس) و(تشَمَسَ) انها افعال تتصل بلفظ (الشمس) ويتبين لنا ان نقل لصيغة الى وزن (افعل) يدل على الصيرورة في بنية الفعل (أشمس) الذي يفيد في دلالة جمال اليوم المشمس، في حين تعطي صيغة (تشمس) تنوعاً في الدلالة فهي في

(85) - نفسه : ص 46.

(86) - ابن دريد. الجمهرة ج 2 ص 75 والحواليقي. ص 261

(87) - من مطور (حصص)

(88) - نفسه (شمس)



دلالة طلب الدفء من الشمس، وفي دلالة (البخل) على سبيل المجاز. وهذا المعنى فان الباحث في اللسان يعثر على أمثلة كثيرة من الصيغ الواضحة البنية من نحو: برّق، ودفع، ورغد، وضرب، وفجر وغيرها. وتفاير بعضها وتغير دلالاتها، فاذا اقمنا على بنية (برّق) بعض التعديل، وحولناها الى بنية (برقية) مثلاً وجدناها تدل على كلمة حضارية جديدة قد نمت في حياتنا المعاصرة.

واذا تناولنا بعض اسية (وثق) الفينا في اللسان ما نصّه: «يقال فلان ثقة، وهي ثقة وهم ثقة ويجمع على ثقات في جماعة الرجال والنساء»<sup>(89)</sup>، فهي تدل على صفة اسانية يشترك فيها المذكر والمؤنث والجمع، وعلى هذا الاساس فان ننقل بنية (ثقة) من دلالتها على المفرد المذكر الى دلالاتها على المفرد المؤنث، او الجمع يعطي معنى التوسع في الاستعمال من خلال اللفظ الواحد، ويضاف الى هذا التوسع ذلك التنقل المعنوي الذي نجده في مشتقات من نحو: وثاق، وميثاق، ووثيقة، وغيرها.

### ج - التّحت :

التّحت نوع من الاختصار في الكلمات، توسعت به العربية واخواتها<sup>(90)</sup> قال ابن فارس «العرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة، وهو جنس من الاختصار وذلك نحو رجل عيشميّ منسوب الى اسمين، وانشد الخليل:

أقول ها، ودمع العين حار

ألم تحرنك حيلة المنادي

هذا مذهبنا في ان الاشياء الزائدة على ثلاثة احرف فاكثرها

(89) - بن منظور (وثق).

(90) - اسطر: بن حني. الخصائص ج 1 ص 288، 289، ج 2، ص 114، 115 -

117، 366 ج 3 ص 95، 115، 118

منحوت، مثل قول العرب للرجل الشديد ضبطر، من ضبط، وضبر  
وفي قولهم: صهصلق انه من. سهل وصلق، وفي الصلدم انه من  
الصد والصدم»<sup>(91)</sup>.

ورغم المغالاة في قياسية النحت الا انه يوقفنا على ضرب من  
التأليف الذي يدخل في صلب الدراسات الاليمولوجية، فمن خلاله  
نتبين ان كلمات من نحو (البرقع) منحوتة من (برق) ومعه (رقعة) اي  
خرقة و(برقش) من الفعلين (برق، نقش) و(جمهر) بمعنى جمع التراب  
على القبر، من (جمع، هار)<sup>(92)</sup>.

وجد ان المناسبة بين اللفظ والمعنى تظهر في منحوتات مختلفة  
تكون لها علاقة بانية اللغة من حيث جعل النحت يتناول الكلمة، او  
التركيب، او الجملة، فيختصر بعض حروفها ليصير الحذف ويتحقق  
الايجاز المطلوب، فاذا بحثنا صيغة (بسم) في اللسان وجدنا انها  
«بسم الرجل اذا كتب بسم الله، بسملة. وانشد قول لشاعر:  
لقد بسملت ليلي غداة لقيتها

فيا حبذا ذاك الحبيب المبسمل  
قال محمد بن المكرم، كان ينبغي ان يقول قبل الاستشهاد بهذا البيت،  
وبسمل اذا قال بسم الله ايضاً»<sup>(93)</sup>؛ يعالج هذا النص صيغة (بسم)  
لكونها منحوتة من كلمتين، بسم الله، فنقول - بحسب نص اللسان -  
بسمل الرجل اذا كتب باسم الله، او قال: بسم الله.

وتبين (البسملة) معنى المصدرية في تلك الصيغة المنحوتة كما  
تدل على الحالة النفسية التي يكون عليها الحبيب عند اللقاء بالمحبيب.

(91) - ابن ورس لصاحبي - ص 271.

(92) - انظر: ايس (ابراهيم) من اسرار اللغة ص 90

(93) - اس مطور (بسمل)

وإذا درسنا صيغة (حوقل) أو (حولق) لدلالاتها على معنى يتمثل في تركيب لا حول ولا قوة إلا بالله، وجدناها ترد في اللسان كالآتي «يقال: قد اكثرت من الحولقة إذا اكثرت من قول لا حول ولا قوة إلا بالله، هي لفظة مسية من لا حول ولا قوة إلا بالله، كالبسملة من بسم الله، والحمد لله من، الحمد لله»، «والحولقة، والبسملة، والسبحلة، والهيللة احرف جاءت هكذا»<sup>(94)</sup>.

«وسبحان الله: معناه تزيها لله من الصاحبة والولد، وسبح الرجل قال سبحان الله»<sup>(95)</sup>، وعلى هذا تبدو لك ان صيغة (سبح) اكثر اختصارا ووضوحا من صيغه (سبحل).

واجناس الاختصار على طريقة النحت كثيرة في اللسان، فهناك (عبدِي) نسبة الى (عبد القيس) وهو من القسم الذي اضيف فيه الى الاول لانهم لو قالوا: قيسي لالتبس بالمضاف الى (قيس عيلان) ونحوه وربما قالوا (عقسي)<sup>(96)</sup>.

ومنها «تعقس الرجل كما يقال تعشم وتقيس»<sup>(97)</sup> ومنها أيضا: «عبد شمس من قريش يقال: عب الشمس ورايت عب الشمس، ومررت بعب الشمس، يريدون عبد شمس». يضاف الى ذلك انهم قالوا: عشمس وهو نادر المدغم»<sup>(98)</sup>، واذا امعنا النظر في تلك الصيغ المنحوتة وغيرها من خلال نصوص اللسان، تبين لنا ان معرفة العبارة المعجمية قبل اختصارها شيء اساس، وذلك لوجود بعض الغموض في الكلمات المنحوتة فصيغة (عبدِي) تثير التساؤل لاننا لا نعرف معنى الصيغة قبل نسبتها الى (عبد القيس) او (عبد الشمس)، وذلك لكونها اخذت صيغة عبد باضافة ياء النسب.

(94) - نفسه ' (حلق) و(حمد)

(95) - نفسه (سبح)

(96) - نفسه (عبد)

(97) - نفسه: (قيس).

(98) - نفسه ' (شمس) و(عبد)

واما صيغَتَا (عَبْقَسِيَّ) و(عَب الشَّمْس) فانهما اقرب اقرب الى  
الذهن لكون الاختصار الوارد فيهما لم يتجاوز حرفي لدال والياء في  
(عَبْقَسِيَّ) والدال في (عَب الشَّمْس)، سواء اكانت هذه الصيغة المنحوتة  
مرفوعة ام منصوبة، ام مجرورة، واما الافعال المشتقة من التركيبين  
السابقين (عبد القيس) و(عبد الشمس) فان المنحوت فيهما من (عبد  
القيس) يتولد من (تَقَيَّس) و(تَعَبَّس) ومن (عبد الشمس) يؤخذ الفعل  
(تَعَبَّشَم) وهذا الاختصار يقودن الى البحث في مادة (قيس) او غيرها من  
اجل الوصول الى معرفة العبارة المعجمية في صورتها الكاملة قبل نحتها  
كي نزيل الغموض الحاصل في كون (تَقَيَّس) منسوب الى قبيلة (قيس)  
او الى لشاعر العربي (امرئ القيس) او الى (قيس) آخر قد لا نعرفه.

وعلى النقيض من ذلك نجد الوصوح في صيغة من نحو  
(تَعَبَّس) المأخوذة من تركيب (عبد القيس) لكون الاختصار واقعا في  
كلمتي (عبد) و(قيس) فمن الاولى اخذوا العين والباء واهملوا الدال،  
ومن الثانية اخذوا القاف والسين، وتركوا الياء، ومن هذا (تَعَبَّشَم)  
المنحوتة من (عبد الشمس) فقد اخذوا من لفظ (عبد) العين والباء  
واهملوا الدال، وحذفوا السين من (شمس) واخذوا الشين والميم.  
وانا لنجد هذا التوسع في النحت يضيف للمادة المعجمية الفاظا  
جديدة تعدّ مظهرا من مظاهر النمو اللغوي الصحيح.

#### د - التحوير<sup>(99)</sup> :

يتصل التحوير بمعناه العام بابنية الكلمات والجمل وبالتغيير  
الصوتي الذي قد يأتي للتخفيف في الكلام عند النطق، ويتم بابدال

(99) - جاء في اللسان (حورا) أصل والتحوير في ابدعة من حار يحور، وهو الرخوع، وكل  
شيء يتغير من حال الى حال فقد حار يحور حورا». وأرجو ان أكون موفقا في اطلاق هذا  
المصطلح لأول مرة كما اصب وعني به ما يصيب لكلمة عربية من ابدال أو تحريف أو  
تصحيح، أو قلب، أو غير ذلك، مما سيجده القارئ الكريم معززا بالأمثلة.

صوت بصوت، او تصحيف حرف ليحل محل حرف آخر في الكتابة واللفظ، وقد يحدث هذا في لهجة معينة، او تركيب خاص، وهو عند ابن جني ثلاثة انواع: تحريف الاسم الى مقيس ومسموع، مثل قولهم في (نمر): (نمري) وفي (خراسان) (خرسي) وتحريف الفعل في (اضمحل) (امضحل) وفي (اطيب) (ايطب) وتحريف الحرف مثل: (سوف افعل) (سف افعل) وفي (لايل) (لاين) او غير ذلك<sup>(100)</sup>.

فالنسبة الى (نمر) او (خراسان) اعطت الكلمتين داليتين جديدتين، وحورتها عن معناهما ومادتهما الاصلية، وتحوير الفعل قد زاد صورة ثانية له، وحذف الواو في (سوف افعل) قد اوجد صورة اخرى هي (سف افعل).

ومن ذلك في اللسان ما نصه: «قال ابن خالويه ليس احد يقول بُدِيت بمعنى بدأت الا الانصار والناس كلهم بديت وبدأت لما خففت الهمزة كسرت الدال فانقلبت الهمزة ياء»<sup>(101)</sup>.

فهناك لغتان محورتان عن الاصل الفصح (بدأت) هما (بديت) و(بديت) وسواء أكانت الياء مسبوقة بالكسر في لغة الانصار، ام بالفتح في لغة غيرهم، فان التحوير قد وقع في ذلك الاستعمال بسبب الميل الى تخفيف الهمزة ومن ذلك في اللسان ايضا «قرئت الكتاب، لغة في قرأت، عن ابي زيد قال: ولا يقولون ف المستقل الا يقرأ. وقرئت لما شاكلت لفظ قصيت قيل مقربة كما قيل مفضية»<sup>(102)</sup>.

ومن هنا فان تخفيف الهمزة وانقلابها الى ياء قد جعلها تدل على التماثل في النطق لكن الصيغة اذا بنيت للمجهول في (قرئت) فانها تدل

(100) - نظر ابن جني. الخصائص. ح 1 ص 7، 12، 18، 20، 64، 124، 139.

141، 162، 211، 237، 306. ح 2 ص 8، 10، 79، 81، 89، 91.

143، 156، ح 3 ص: 64، 84، 107، 116، 119، 160، 188، 306.

(101) - نظراس حبي. الخصائص ح 2 ص 436، 438، 440.

(102) - بن مطور (قرأ).

على ما يناظرها في الكلام مثل : قضيت ، ومقربة التي تشابه مقضية وغير ذلك ، وقد «اعتقد البديل للتضعيف كباب تقضيت وتظنيت ، فاعتقد في لَذَذْتُ لَذِيتُ ، كما تقول في حَسِبْتُ حَسِيتُ<sup>(103)</sup> ، فقد ورد التحوير قصد ابدال الحرف المضعف في الكلام .

وقد ينشأ التحوير ايضا عن التصحيف . جاء في اللسان «وضبات المرأة اذا كثر ولدها هذا تصحيف والصواب ضنأت المرأة ، بالنون والهمزة اذا كثر ولدها»<sup>(104)</sup> ويقرب من هذا ما ورد في اللسان بما نصه «الحنة : خرقه تلبسها المرأة فتغطي رأسها قال الازهري هذا حاقُ التصحيف والذي اراه الحبة ، بالخاء والباء ، وأما الحنة بالخاء والنون فلا اصل له في باب الثياب»<sup>(105)</sup> ، ومعنى هذا ان التصحيف قد وقع في حرفين هم الخاء ولباء اذ تحورت الخاء الى حاء ، والباء الى نون ومن ذلك قول ابن منظور «التأريب : الشح والحرص ، هذا تصحيف والصواب التاريت ، بالثاء»<sup>(106)</sup> ، وقد يكون استئصال بعض الحروف المكررة مدعاة لحدوث التحوير فنجد في اللسان ان «تذلي فلان اذا تواضع واصله تذلي ، فكثرت اللامات ، فقلبت أخرهن ياء ، كما قالوا (تَظُنُّ) واصله (تَظُنُّنْ)<sup>(107)</sup> وقد يكون التحوير بتغيير موقع الحروف في الكلمات ، او وضع الكلمات في الجمل ، فمن الاول قول ابن منظور «يقال للمكان الغليظ شأس وشأر ، ويقال مقلوبا مكان شاسيء وجاسيء غليظ»<sup>(108)</sup> ومن الثاني قوله «والعرب تقول : انتصب العود في الحرباء على القلب ، وانما هو انتصب الحرباء في العود»<sup>(109)</sup> ومعنى

(103) - نفسه (بدا)

(104) - نفسه (ضأ) .

(105) - نفسه (خب) .

(106) - نفسه (أرب)

(107) - نفسه (ذلا) .

(108) - نفسه (شأ) .

(109) - نفسه (حرب)

ذلك ان التحوير اللغوي يؤكد الفرق بين الاصوات في اصلها، وفي نقلها وتفسره الكلمات في تغييرها عن مواضعها، جاء في اللسان ان «القصوى والقصيا الغاية البعيدة قلبت الواو ياء لان فعلى اذا كان اسما من ذوات الواو ابدلت واوه ياء، كما ابدلت الواو مكان الياء في فعلى فادخلوها عليها في فعلى ليتكافأ في التغيير»<sup>(110)</sup>، فاستعمل كلمة (تكافؤ) للدلالة على التماثل في بدال الواو والياء، قال (ابن السكيت) «ما كان من النعوت مثل العليا والدنيا فانه ياتي بضم اوله وبالياء لانهم يستقلون الواو مع ضمة اوله، فليس فيه اختلاف الا ان اهل الحجاز قالوا: القصوى فاظهروا الواو، وهو نادر، واخرجوه على القياس، اذ سكن من قبل الواو، وتميم وغيرهم يقولون: القصيا»<sup>(111)</sup>.

ان الواضح من نصّ اللسان ان قلب الواو ياء معروف في لهجة تميم وغيرها، والنطق بالواو لهجة اهل الحجاز وعلى الرغم من خروج ذلك على القياس فان ورود كلمة (قصوى) بالواو بدلا من الياء قد دل على صورتين متماثلتين في التغيير، ذلك لان الواو مكافئة للياء في الاستعمال.

#### هـ - اللاحق :

يعد اللاحق من الجوانب اللغوية المتصلة بالدراسة الصوتية للكلمات اذا حللت اصلها في صورة لاحق حرف في المقطع الصوتي، او زدنا عليه بعض الاصوات الاخرى واضفنا اليه كلمة من جنسه بحيث تكون تابعا له

وقد ارتبطت هذه الظاهرة في اللسان بمعنى الزيادة في الحروف او التوسع في الكلمات قال ابن منظور: «اللاحق واللاحق، واللاحق:

(110) - نفسه (نصب).

(111) - نفسه (كما).

الادراك . . . واللاحق، الشيء الزائد<sup>(112)</sup>، ونستطيع ان نوضح الزيادة الصوتية في الحروف والكلمات من خلال لسان العرب، بالحاق حرف في المقطع لصوتي ليظهر المستعمل في كلام العرب ويتبين المهمل منه .  
والواقع ان ظاهرة اللاحق كثيرا ما تنتج من اختلاف المقطع الصوتي لانخير للكلمة المعنية فتبعا للحروف الملحقه تتغير الدلالات وتتنوع فعلى سبيل المثال نجد التركيب الصوتي للمواد اللغوية يتم في مقطع (ر) على الصورة الآتية (رأ، برت، برث، برج، برثج، بردج، برنج، برح، بريح، برخ، بربخ، برزخ، برد، برجد، برخد، برقعد، برند، برد، برز، بربد، برجس، بردس، برطس، برعس، برنس، برش، برغش، برقش، برنش، برص، برض، برط، بربط، برقط، برق، برزق، برشق، برنق، بك، برتك، برنك، برأل، برول، برطل، برعل، برغل، برقل، برم، برجم، برسم، برشم، برصم، برطم، برعم، برهم، برن، برثن، برذن، برزن، بركن، برهن، برهنن، بره، بري).

ولهذه الظاهرة قيمة دلالية توضح اهمية الحروف التي تزداد على الأصل الثلاثي ليكون راعيا، او خمسيا فرج مثلا تصير: برتج، وبردج، وبرنج، وبرز تصير: بربخ، وبرزخ وهكذا ومن الجدير بالذكر ان الحاق اللفظ باللفظ يصون المعنى ويحافظ عليه<sup>(113)</sup>، فالعناية بمفيد المعنى عند العرب اقوى من العناية بالمشق لان صناعة اللاحق لفظية لا معنوية<sup>(114)</sup> ومهما يكن من امر، فن اهتم العرب بالمعنى قبل اللفظ

(112) من مصور (حق وقد ورد مدلول اللاحق في س حبي الخصائص

ح 1 ص 62، 92، 118، 126، 136، 153، 215، 223، 224، 23

272، 319، 334، 363، وح 2، ص 61، 62، 74، 204، 348، 378، 421،

480، 483، وح 3 ص 63، 66، 83، 113، 169، 191، 232، 243

269، 279

(113) - اس حبي . الخصائص ح 1 ص 150، 223 وما بعده

(114) - من مطور (عرق)



جعلهم يحفلون بالزيادة التي تخدم المعنى جاء في اللسان ان «امراة خلباء وخبلى: خرقاء، والنون زائدة للحاق، وليست باصلية»<sup>(115)</sup>، فالوقوف على المقطع الصوتي المحدود في صيغة (خلباء) يختلف عن المقطع الصوتي في صيغة (خبلى) وذلك لان المقطع الاول اصلي، والثاني ملحق، لكون النون الساكنة قد دلت على حالة نفسية معينة تمثلت في الحمق وعدم التبصر في الامور ومن الحدير بالذكر هنا ان الملحق متعدد في صوره، فمن الحاق حرف في المقطع الصوتي للكلمة المعينة - كما مثلنا - الى الحاق عنصر مقطعي جديد منفصل عن مادة الكلمة . فمن ذلك في اللسان «حظيت المرأة عند زوجها، وبظيت اتباع له، لانه ليس في الكلام ب ظ ي»<sup>(116)</sup>، فكلمة (بظيت) قد دلت على الزيادة اللفظية لكونها لم ترد في كلام العرب من حيث مادتها وانما جاءت ملحقة لوصف حالة الرضا التي يكون عليها الزوجان اذ حصل التفاهم والانسجام بينهما .

ومنه في اللسان ايضا قول ابن منظور «ورجل حسن سَنَ اتباع له، وقَسَنَ اتباع لحسن بسن»<sup>(117)</sup>، ومنه ايضا قولهم «ذهب دمه خَصْرًا مَصْرًا، اي هدرًا، ومَصَر اتباع»<sup>(118)</sup> و«تفرق القوم شَذَر بَذَر، وشَذِر بَذَر، اي في كل وجه . وبَذَر اتباع» و«شَذَر مَذَر، وشَذِر مَذَر كذلك، ومَذَر اتباع»<sup>(119)</sup> وامثلة ذلك كثيرة في اللسان<sup>(120)</sup>، وهي في مجملتها تبين ان الالحاق طريق من طرائق معرفة اصل الكلمة، لان اضافة مقطع صوتي الى الكلمة قد يكون اصليا في بنيتها، او زائدا عليها، او منفصلا في تركيبه عنها، ولكه يأتي مُحَاسِنًا لها في الصيغة واللفظ

(115) نفسه (حب)

(116) اس منظور (بط).

(117) - نفسه (س وحس).

(118) - نفسه (مصر، حضر)

(119) - نفسه (بذر، شذر، مذر)

(120) - انظر نفسه : المواد (حعب، بحر، شر، مدر)

مثل : حظيت بظيت ، وشغب وجنب التي نجدها مزدوجة في الكلام ، ومعنى هذا ان التابع يكون مطابقا للمتبع في سببه ومختلفا عنه في بعض اصواته كما لاحظنا .

#### و - التداعي :

تستند الدلالة في بعض طرائق نموها إلى تداعي المعاني التي تقوم في مبناها ومعناها على علاقتي المجاورة والمشابهة<sup>(121)</sup> ، فالمجاورة لحظها في تغير الاصوات ، او تكاثر الصيغ اذا تعاقبت بحيث يستبدل الحرف بما يجاوره من الاحرف الاخرى في الكلمة ، او تحول الصيغة الى ما يماثلها من الصيغ في المعنى ، ونقف ايضا في كلامهم على ما يخالف القياس المؤلف كاستعمال المذكر في صورة المؤنث أو إيراد المؤنث في صورة المذكر على غير ما هو معروف عندهم في باب التذكير والتأنيث ، والمشابهة نلمسها مثلا في توازن الالفاظ او في ازدواج الكلام ، او في تتابع المعاني او تواردها في الاضداد الناشئة اصلا من كلمتين متناقضتين في المعنى او غير ذلك .

ففيما يخص المجاورة نجد ان «الشيء اذا جاور الشيء دخل في كثير من احكامه لاجل المجاورة»<sup>(122)</sup> فمن مجاورة الاصوات نرى ان «النات : لغة في الناس على البدل الشاذ . . . ابدال التاء من سين الناس . »<sup>(123)</sup> وان «عَقْبَة وَعَقْمَة ، وَعَقْبَة وَعَقْمَة . . . ويقال : انه لعالم بعُقْمَى الكلام ، وعُقْنَى الكلام ، وهو غامض الكلام الذي لا يعرفه

(121) - نظر وفي علم اللغة ص 316 وقد ورد التداعي بهذا المعنى في ابن حني

لخصائص ح 1 ص 44 ، 139 ، 150 ، 171 ، 2 ، 1 ، وج 2 ص 176 ،

316 ، 363 ، 375 ، 478 ، وج 3 ص 80 ، 241 ، 289 ، 336

(122) - ابن حني : لمصنف ج 2 ص 2 .

(123) - بن منظور (أس)

الناس»<sup>(124)</sup> ومن تعاقب الثاء والفاء نجد ان العرب «تُعقب بين الفاء والثاء، وتعاقب مثل جـدث وجـدف»<sup>(125)</sup>. ومن تعاقب لنون والميم لقرب مخرجيهما نجد: «الايم والايين للحية، والغيم والغين للسحاب»<sup>(126)</sup>، ومنه قولهم: «اتيت في عنبرة الشتاء، أي شدته، وحكى سيبويه: عَمِرَ بالميم على البدل»<sup>(127)</sup>، ومن تعاقب النون والهمزة ما جاء في اللسان بما نصه «جؤنة جونة، انما يريدون ان تعاقب في هذا الموضع الهمزة كما تعاقب لام المعرفة التنوين، أي لا تجتمع معه»<sup>(128)</sup>، فالعرب تميل بكلماتها الى الخفة، وتتفادى ما تشعر بثقله على اللسان كـ (جؤنة)، فعاقبت الهمزة النون مثلما عاقبت لام المعرفة التنوين، لأن وجود التنوين في لفظ (رجل)، أو (غلام) مثلا، مرتبط بإسقاط لام المعرفة من: (الرجل) أو (الغلام).<sup>(129)</sup>

ويمكن ان نعصد من هذا ما يمكن ان نطلق عليه مصطلح (الابدال غير المطرد)، وهو ما لا يجري به قياس، ولا ينتظمه قانون، وانما يحفظ في كلمات أثرت عن العرب. وهذا الضرب من الابدال يجري في جميع حروف الهجاء، وان كان يكثر في بعضها ويشيع ويقل في غيره، قال أبو حيان (ت 741 هـ) في شرح التسهيل: «قل شيخنا أبو الحسن ابن الضائع: قلما تجد حرفا إلا وقد جاء البدل فيه ولو نادرا»<sup>(130)</sup> واذكر في هذا المقام ان احرفا جاء فيها الابدال على هذا الوجه غير المطرد فالتزمته العامة، وجعلته منهجها الذي لا تحيد عنه، ومضت به

(124) - نفسه (عقب)

(125) - نفسه (عقب)

(126) - نفسه (قعن)

(127) - ابن منظور (عمر، عمر).

(128) - نفسه (يهر).

(129) - نفسه (أين)

(130) - المزهر من مبحث الابدال (ج 1 / ص 172)

أَلَسْتَهُمْ، وانطوت عليه حوائجهم، فلا يريموه ولا يبغون به بدلا<sup>(131)</sup>.

فمن ذلك بدال الذال دالا، يقول العامة: ذكر في ذكر، وذراع في ذراع، وودن في أذن وفيه مع بدال الذال إبدال الهمزة واوا على حد قولهم (ورّخ الكتاب) في (أرخه)، وهي لغة حكاها يعقوب<sup>(132)</sup> قال ابن منظور: «الذكر لربيعة في الذكر وهو غلط حملهم عليه أذكر حكاها سيويه... وأما قول الله تعالى: «فهل من مذكر» فإن الفراء قال حدثني الكسائي عن إسرائيل عن أبي إسحق عن الأسود قال: قلت لعبد الله فهل من مذكر ومذكر فقال: أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم مذكر بالبدال قال الفراء: ومذكر في الأصل: مذكر عى: مفتعل، فصيرت الذال وتاء الافتعال دالا مشددة. قال: وبعض بني أمد يقول: مذكر فيقلبون الدال فتصير ذالا مشددة، وقد قال الليث: الذكر ليس من كلام العرب وربيعة تغلط في الذكر فتقول: ذكر<sup>(133)</sup> وما يذكر في هذا الموطن أن ترك الذال لى الدال لغة السريانيين<sup>(134)</sup> ومن ذلك إبدال العامة الذال زايا في بعض الكلمات، يقولون: ذبرت الكتاب أي قرأته، ويقال في ذلك أيضا (زبرته) قال ابن منظور «وربرت الكتاب وذبرته قرأته والزبر الكتابة»<sup>(135)</sup> والطن أن الزاي بدل من الذال لكون الأولى أسهل في السطو من الذال التي تحتاج إلى الضغط على الشايات، ومن ثم جرى هذا على لسان العامة لما كانت تدع الصّعب في المنطق وتجنح إلى السهل ويقال أيضا: «ذرق الطائر وغيره وذرق إذا حذف به حذفاً»<sup>(136)</sup> ومن ذلك الثاء تبدل ناء ومنه في

(131) - انظر البحر محمد علي لاندال ص 676

(132) - ابن منظور. (ورج)

(133) - نفسه (دكي) ونصر سيويه ح 4 ص 477 ولأية من سورة القمر/ 15

(134) - انظر: لنهار ص 677

(135) - ابن منظور (رس)

(136) - ابن منظور (رو)

العربية قولهم في (الخبيث) (الخيت) قال ابن منظور: «والخيت الحقير الرديء من الاشياء قال اليهودي الخيري» .  
ينفع الطيب القليل من الرز في ولا يفع الكثير الخبيث

وسأل الخليل الاصمعي عن الخبيث في البيت فقال له أراد الخبيث، وهي لغة خبير، فقال له الخليل لو كان ذلك لغتهم لقال الكثير وانما كان ينبغي لك ان تقول انهم يقلون انشاء تاء في بعض الحروف، وقال أبو منصور في بيت اليهودي أيضا أظن أن هذا تصحيف،<sup>137</sup> وتري في السنة العامة بعض الكلمات بالسين وأصلها بالثاء كـ(ميراس) وأصله (ميراث) و(سمرة) في (ثمرة). ومنه في العربية قوهم «وجرى فمه ثعابيب كسعابيب، وقيل هو بدل...»<sup>138</sup>  
والأقرب عندنا ان الثاء في هذا أصل، فان مادة الشعب للسلان أرغب وأوسع من مادة السعب.

ومن العامة من يبدل القاف همزة، يقولون: ألت في قلت. وقد ورد في اللسان أن (الافز) لغة في (القفز)<sup>(139)</sup>.

واذا نظرنا الى معاقبة الكلمات في استعمال الصيغ في اللسان وحدنا أن: «فعل وافعل يتعاقبان كثيرا على المعنى الواحد، نحو: جدّ في الامر وأجدّ، وصددته عن كذا وأصددته، وقصر عن الشيء وأقصر، وسحته الله، واسحته، ونحو ذلك»<sup>(140)</sup>، ومن الملاحظ ان تعاقب الصيغ في مثل: جدّ، لتدلّ على أجدّ، وقصر على اقصر قد حصر معنى الصيغتين في دلالة واحدة، وعلى النقيض من ذلك تكون الزيادة في بعض الاستعمالات سببا في تغيير الدلالة من ذلك قول ابن منظور:

(137) - نفسه (حيث). واليهودي الخيري هو (السموئل بن العريض)

(138) - نفسه (حيث)

(139) - نفسه (أل)

(140) - نفسه (كسا) واطر (سحب)

والمُتَقَبُّونَ من أهل اللغة يقولون فرى للافساد، وأفرى للاصلاح، ومعاهما الشَّقُّ»<sup>(141)</sup>. فصيغة (فعل) دَلَّت على الافساد. و (افعل) على المعنى المضاد.

أما علاقة المشابهة فتظهر في صورة اللفظ وتبرز في وظيفته وتتجسّم في توارده معانيه فمن علاقة المشابهة في صورة اللفظ نجد في اللسان «ان العرب توازن اللفظ باللفظ ازدواجا كقولهم: إني لآتيه بالغدايا والعشايا، وانما تُجمع الغداة غَدَوَات، فقالوا غدايا لازدواجه بالعشايا»<sup>(142)</sup> ويظهر من هذ النَّصُّ أنَّ لفظ (غدايا) قد خرج على صيغة (غَدَوَات) اتباعا للفظ (عشايا)، وبذلك كان في بنية الكلمة ما يدعو المعنى لاستكمال الصورة التي نلاحظها في الازدواج.

ومنه في اللسان: «عندي ما ساءه وناءه، وما يسوءه وينوءه» وكذلك وازنوا الشَّجِيَّ بالخليّ، وقيل معنى قولهم: ويل للشَّجِيَّ من الخليّ، ويل للمهموم من الفارغ.<sup>(143)</sup> ويتبين لنا من هذا الكلام انهم وازنوا بين الضدين في المعنى: الشَّجِيَّ بالخليّ، فالمهموم قد يتداعى الى ذهنه الفارغ، وقد يكون الثاني غير مدرك لشعور الاول، ومن ثم يكون التداعي في هذا التركيب ملحوظا في الحالتين المذكورتين في نصّ اللسان.

أما مظاهر التطور الدلالي للكلمات الذي يساعد الباحث في اصول الكلمات على انجاز مهماته فهي كثيرة منها:

المجاز، والمشارك، والمترادف، والمتضاد، والانتقال من الحسيّ الى المعنوي، ومن العام الى الخاص، ومن الخاص الى العام، فقد وضع في اللسان أيّما وضوح، وأدعو الخلق العظيم ان يمنحي القوة والصبر على دراسته في بحث مستقل ان شاء الله.

الهادي نهر

(141) - نفسه ' (فرا)

(142) - نفسه (شحا) و(عشا) و(غدا)

(143) - نفسه (شحا).

## المراجع والمصادر

- ☆ برهيم محمد نجح، فقه اللغة، جامعة لارهر مصر 1374 هـ. 1955 م
- ☆ حمد مين، اسباب تصحح المعجمات العربية (بحث) مجلة المحممع النعوي لمصري  
لعدد (9) مصر، 1959
- ☆ لأعشى ميمون بن قيس) ديوان، در بيروت 1960
- ☆ امرو العيس، الديوان البحرثر 1974
- ☆ سس (برهيم) من سرر عربية، ط 5 مصر 1975
- ☆ وسان ستيقن دور لكلمة في لغة، تر د كبر بشر، القاهرة 1962
- ☆ نهامي لرحي لهشمى، توطنة لدرسة علم اللغة (التعريف) ط 2 عدد 1984
- ☆ توفس وهي نعمد ولاستطراد في أصول معنى عدد بحث، مجلة لمحممع اعراقي،  
1369 هـ 950
- ☆ لشعالي (ابو منصور عبد الله) فقه اللغة وسر العربية، لمكة لحدرية لكبرى  
مصر
- ☆ الاحط، عمرو بن بحر الحيون تج، عبد لسلام هرون، القاهرة 1945
- ☆ حرحي زيد تاريخ اللغة العربية در حدثة بيروت 1980
- ☆ بن حني ابو صبح عثمان
- ☆ لخصص نجح، محمد عبي الحار مصر 1952
- ☆ مسيح في تفسير سماء شعراء ديوان الحماسة دمشق 1348 هـ
- ☆ مصنف شرح كتب التصريف للمري، تج، ابرهيم مصطفى وعبد الله مين، مصر  
1954
- ☆ الحفاحي شهاب الدين احمد) شفاء العليل فسم في كلام العرب من لدحيل القاهرة  
1325 هـ

- ☆ س دريد (ابو بكر محمد بن الحسن) لجمهره دار صادر بيروت
- ☆ د الرجحي (عبد) فقه اللغة في الكتب العربية بيروت 1979
- ☆ د الرباعي (سامي) اللغة العربية والتحديد (بحث) محله دراسات عربية بيروت 1984
- ☆ نردى ابو لبحر الفيسير لكبير القاهرة 1389 هـ
- ☆ د رمضان (عبد التوب
- انتصار النعوي . مطهره، وعلنه، وقوايه، مصر 1404 هـ 1983
- فصوص في فقه اللغة العربية مصر 1977
- ☆ رولون ولز عدم اللغة الحديث ثر د بوليل يوسف عزيز بغداد 1407 هـ 1986
- ☆ الراهد، ابو عمر المصنوع المداخل قدم به وحققه وعلّق عليه محمد عبد الحواد الاحمد مصر
- ☆ الزبيدي (ابو بكر محمد) طبقات لحيويين والنعويين مصر 1954
- ☆ ركرياء (ميشال) الالسه اعلم اللغة تحدث. المادىء والاعلام ط 2 بيروت 1403 هـ 1983 م
- ☆ د لسامرائي (ابراهيم) دراسات في اللغة بغداد 1961
- ☆ سيويه (عمرو بن عثمان) الكتاب نج عبد السلام هارون عالم الكتب بيروت
- ☆ السيوطي (جلال الدين) المزهر في علوم اللغة ونواعها طعة محمد علي صبيح/مصر
- ☆ طاها (حسن) كلام العرب، من قصايا اللغة العربية مصر 1971
- ☆ العمري (ربيع عبد العزيز) اللغة بين القدماء والمحدثين (بحث) ادب اليرموك، العدد 1 2 الاردن 1983
- ☆ اس فارس (احمد ابو الحسين)
- الصاحي في فقه اللغة ولسن عرب في كلامه حققه وقدم له مصطفى الشويهي
- بيروت 1383 هـ 1963
- مفايس اللغة نج عبد سلام هارون مصر 1366 هـ 1371 هـ
- ☆ فريجة (اس)
- اللغة العربية وبعض مشكلاتها بيروت 1980
- نظريات في اللغة ط 2 بيروت 1981
- ☆ فديس اللغة عرب عبد الحميد ادوحي ومحمد انقصاص مصر 1964
- ☆ فطرب (محمد بن المستير) لمنتشات تحقيق ودرسة لسبه، د. رضا السويهي ليبيا
- تونس 1398 هـ 1978



- ☆ د الففرفلفف (رفففرف) عفم الفففاف بفرفف 1984
- ☆ لاففر (رفف) الففف وافمفف والسفف، فرف، د. عفاس الوفف عفاد 1987
- ☆ مارفوف فف لفاف اففر، افوف، ففففف، ففوفها، فرف، د. صلاف الفرفف مفرف 1970
- ☆ د المافرك (مفف) ففف الففف وحصائف الفرففة ط 2، دار لفففر بفرفف 1392 هـ 1972
- ☆ د مفصفف مففور الففف بفف العفف والمعمرفه الاسكفرففة 1974
- ☆ افن مففور (مفال الففن مفف) . الففف، طففة فولاق، مفرف
- ☆ مففف (مورج. فارفف عفم الففف مفن فشأفها ففف لفقرن اعشرفف فرف، د. بفرف لففن القاسم فمشق 1392 هـ/ 1972
- ☆ الففار (مفف عفف) الاففال (مفف) مففه الارفر لففد (18) مفرف 1366 هـ
- ☆ د وفف (عفف عفد الوافف)
- عفم الففف ط 6 مفرف 1387 هـ / 1967
- ففف الففف ط 4 مفرف 1375 هـ 1956

## محاولة التأريخ لمعجم الرياضيات في العربية

بحث د. محمد سويسبي

قديمًا كتبت ان اللغة كائن حي . . . تولد مفرداتها في ظرف من الظروف، ان صح القول، على سنّ قلم الكاتب او على شفاه الشعب، ثم تنمو وترعرع مكوّنة من حولها أسرة مترابطة الاطراف، يشد بعضها بعضا . . . ويأتيها حين من الدهر تفقد فيه ما كان لها من نشاط وحيوية وتشيوخ وتهجر وتموت. «علي أن المهجور من المفردات، وما شاخ من العبارات لا يكون هجره بآنا ولا شيخوخته نهائية» فمن بين ما تراكم من هذه الآثار الثرية لا يمتنع ان يكون لبعض البقايا من الصلاحية ما يمكنها من الرجوع الى دورة الاستعمال، فلا السماع يجدي ذلك نفرة ولا القياس خللا، «ويكون لما أعيد للاستعمال من المفردات بعدما هجرت مدلول واضح وضوحا تلقائيا» (لتري).

فمن ذلك لفظ الجذاء وهو العطية الجزلة والنتيجة قد استعاره الخليل بن أحمد «لمبلغ ما يتجمع من الضرب»، ثم هجر، واعدت استعماله («أصول الجبر») وعدد اليه مجمع القاهرة، كما تبناه المعجم الموحد للرياضيات.

وعلى كل إن مظاهر تجدد اللغة تجددًا مستمرًا «مثلها مثل

التحويلات الوظيفية او التشريحية التي يمر بها جنس من اجناس  
الحيوانات، ففيها يبقى دائما لما تضاءل من اعضائها اثر هو شبه العلامة  
على الماضي»، فاللفظ، وخاصة المصطلح، مثلها مثل الصوى في  
الصحراء علامة على مرحلة الأمة على مسار تأريخها وعلى ما بلغه  
المجتمع من مستوى في حقل الثقافة والعلوم.

وسنقتصر في حديثنا على لغة الرياضيات ومصطلحاتها، وسنقف  
من خلال بعض الامثلة المستمدة من مصادر تمتد على عدة عصور، على  
تطور اللغة، وعلى ادراك اللفظ في حركته وتحوله، واجلاء ما يسميه لثري  
«بواقع مفهوم المرور والتحول والنمو».

وهذا ما قمنا به من عمل في المعجم المكون لرسالتنا «لغة  
الرياضيات في العربية» - والشكر لبيت الحكمة التي مكنتنا من نشره  
واخراجه للقراء - فقد اتبعنا معاني مختلف الاصطلاحات بشواهد رتبناها  
قدر الامكان، حسب الترتيب الزمني.

... وفي البداية كان الخوارزمي، كبير العلماء الذي علمهم  
الحساب والجبر، فطبع بطابعه المؤلفات الرياضية كافة - العربية وحتى  
الغربية في القرون الوسطى حين نقلت العلوم العربية الى اللاتينية -  
ومن ذلك آثار باقية في اللغات العلمية الاوروبية فيما يخص مسميات  
العمليات الحسابية ونتائجها فمثلا استعمالهم:

Une somme s'élève à...

Le montant en est..

وأصل ذلك من الوضع العربي لعملية الجمع: يقول ابن البناء  
«العمل في الجمع ان تضع المجموعين في سطرين متوازيين وتمد عليهما  
خطًا، ثم تضع المرتفع منهما ان كان احادا على رأسهما ومثاله:

145

48

97

1

جمع السبعة الى الثمانية تكن خمسة عشر، فضع خمسة على راس المجموعين والعشرة ادخل بها بصورة الواحد تحت التسعة واجمعه اليها والى الاربعة يرتفع لك اربعة عشر» ومن آثار العربية في لغة فيات Viète (القرن السادس عشر الميلادي) استعماله لحرف «في» في عملية الضرب: ضرب كذا في كذا (باللاتينية in).

38  $A^2 - D A^2$  الخ هذا وان B 3 in A quad - D plano in A اللغة التي توخاها الخوارزمي في كتبه، ولا سيما في «كتاب الجبر والمقابلة» لم تكن ثابتة ولا مدققة، بل كانت اقرب ما تكون الى لغة التخاطب، فيستعير الخوارزمي مصطلحه في الغالب، من اللغة المتداولة بين الناس، ويلتصق المصطلح بالواقع المحسوس ويتلون بالوان تقرب مدلوله من الذهن. وذلك كالمعين (الشكل الرباعي المشابه للعين) وكالشكل الناري للهرم الثلاثي المنتظم... بل ان الخوارزمي يعدد المفردات للمدلول الواحد ويترك للقارئ الخيار بينها، وان كانت هذه المفردات غير مضبوطة لا تفي الوفاء الكامل بالمعنى المراد، فقد يكون ذلك مقصودا منه، لما في الدقة والضبط من عسر التناول من قبل المبتدئين - وهم المعنيون بالذات في كتابه -

ولتتخذ بعض الأمثلة من هذا التأرجح اللساني :  
فلمفهوم الجمع يستعمل الخوارزمي : الجمع (ص 30) ولضم (42) والزيادة (18) والاضافة والحملان .  
ولمفهوم الطرح نجد : الطرح والنقصان (30) والالقاء (39, 47) والاستثناء (27) والتفريق والعزل (67) والنزع (69) والاسقاط (43).

كما نجد تأرجحا في تذكير المصطلحات وتأنيثها : المثلث والمثلثة، المربع والمربعة، والمعبئة والمدورة الخ...  
هذا ولا بد ان نلاحظ أنه «إذا بنى اهل العلم لفظا من الالفاظ فسرعان ما يفقد مدلوله الاصلي» .  
وتلك ثنائية كثيرا ما اشار اليها القدماء فميزوا عند تلفظهم

بمفردة من المفردات بين ما لها من معنى وما لها من مدلول في الاصطلاح.

فإذا ما استعمل الحاسب مثلاً لفظ الضرب ما أبعد ما يكون ما يقصد عن المفهوم اللغوي الدال على اللكم والدق... وما أبعد ما يكون مفهوم الجبر للعظم المكسور وهو إصلاحه عن مدلول عملية الجبر في الرياضيات.

وكذلك الأمر بالنسبة إلى العدد الأصم وهو كما يقول ابن سينا «الكم غير المعقول» وكذلك الكرة الصماء، ضد الجوفاء، فما أبعد ما هما عن الصمم وفقدان حاسة السمع.

ومن جهة أخرى لقد بقي، في البداية، في لغة الرياضيات، أثر للغات المنقول عنها: الارثماطيقى بجوار علم العدد والجوالمطريا بجوار الاقتباس العرب عن الفارسية، اهندسة، والاسطرونوميا بجوار علم الفلك، والميخانيقي بجانب علم الحيل، والصفر ومصطلح لجيب وسلسلتا الارقام المستمدتان من الهند، المستعملة احدهما بالمشرق والاخرى بالمغرب وسميت بحروف الغبار قبل ان تنتقل الى اوروبا فعرفت فيها باسم الارقام العربية.

وشيئا فشيئا اصلحت الكتب المترجمة ووضعت المقابلات العربية للمصطلحات الاعجمية.

وتبع ذلك تنقيح للمادة العلمية و«تحرير» لمحتوى العلم (تحرير المجسطي - تحرير مصادرات أقليدس - تحرير المناظر)، وشيئا فشيئا صارت لغة الرياضيات واضحة مضبوطة وفيّة بالمعنى المراد، وهجرت منها الالفاظ الدخيلة التي اضطرّ النقل الأولون إلى استعمالها، وحتى ما اقترض من الغير قد ادخل عليه تعديل، وصيغ على حسب الاوزان الصرفية العربية.

ونحن نعرض الآن لوحات من مصطلحات استخدمت قديما ومستتبع مدى ثباتها عبر العصور ونشرح بعض خطواتها وتطور مدلولها أحيانا، أو انحجابها في فترة من الفترات، ونختار البعض منها فنشفعه

بما يعرّف لنا من تعاليق لتوضيح مسار المصطلح وما آل اليه .  
ونختم القول بي توحى لنا به اللوحات من ملاحظات قد نستفيد  
منها في وضعت الراهن .

وهذه نماذج من المختصرات التي سنستعملها في لوحاتنا :  
اخوان : رسائل اخوان الصفاء ج2  
الخوارزمي : كتاب الجبر والمقابلة ط القاهرة  
تلخيص : تلخيص اعمال الحساب لابن البناء ط تونس 1969  
كشف : كشف الاسرار عن حروف الغبار، القلصادي ط .  
تونس 1988

الكاشي : مفتاح الحساب دمشق 1977  
أشكال التأسيس : السمرقندي وشرح قاضي زادة  
معونة : ابن اهائم خ تونس 10301 . 190  
الطوسي : التذكرة في علم الكرة خ تونس

الأسر : وهو لغة أصل البناء أو الأصل مطلقا  
فاستعمله اخوان الصفاء (ص 25) ومفاتيح العلوم (112) في القرن  
الحادي عشر، وابن البناء في التلخيص (1) في القرن الثالث عشر للدلالة  
على مرتبة العدد أسر الاحاد واحد وأسّ العشرات اثنان وأسّ المئين ثلاثة  
الخ، وأما كشف الاسرار<sup>(30)</sup> في القرن الخامس عشر فيستعمل المصطلحين  
مرتبة ومنزلة<sup>(31)</sup> وقد احتفظ بهذا المعنى في العصر الحديث المعجم  
الموحد للرياضيات بمصطلحي المرتبة او المنزلة .

كما استعمل لفظ الأسر في اجبر بمعنى دليل القوة عند  
الخوارزمي وفي التلخيص (76) وفي كشف الاسرار (90) العدد لا أسر  
له، واسر الشيء واحد، واس المال اثنان وس الكعب ثلاثة الخ . .  
ولم يبق استعمال هذا المصطلح بهذا المعنى في العصر الحاضر  
سوى في باب الدالة الاسية le fonction exponentielle - أسر  $y = a^x$

سطح : وهو لغة يدلّ على بسط الشيء ومثله استعمال اولاً في الهندسة .

(IX) الخوارزمي (22) ما له طول وعرض لا غير وينتهي بالخط  
(XI) اخوان الصفاء (54) شكل يحيط به خط أو خطوط السطح  
ويسمى البسيط ايضاً ما له طول وعرض فقط ونهايته الخط شرح اشكال  
التأسيس (39) للسمرقندي (XIII) شرحه قاضي زاده (XV) (والتعريف  
تعوزه الدقة) ويذكره العاملي وتقتبس مجلة مجمع القاهرة ج 3/ 64 هذا  
التعريف منه وهو ادق : هو ما تقع فيه الخطوط المخرجة عليه في أي  
جهة .

ونجد في العصر الحاضر هذا المصطلح بهذا المعنى مع زيادة في  
التدقيق :

ك . الهندسة الفضائية القاهرة 1955 Surface plane الرسم  
الهندسي بغداد 1953 سطح مستو الرسم الهندسي بغداد سطح  
مخروطي Surf conique وعن طريق الاشعاع استعمال هذا اللفظ في  
الحساب للدلالة على جداء عددين Produit de 2 facteurs خوارزمي  
(IX) (22) كشف الاسرار (XV) وتغلب لفظ الجداء في الوقت الحاضر .

#### قائم perpendiculaire

القيام لغة الانتصاب : قام على (XI) اخوان (52) : مفاتيح (199) ،  
(XIII) طوسي 2705 ، 96 ظ (XIII) ، السمرقندي أشكال التأسيس (42)  
شرح قاضي زاده (XV) يسمى الخط القائم على الآخر عموداً عليه ، يستعمل  
الخوارزمي (IX) (55) : عمود (IX) وكذلك اخوان 52 (XI) ، مفاتيح 119  
(XV) - (XIII) أشكال التأسيس 88 ، (XV) كاشي 2039 ، 14 و 12 ظ .  
وفي العصر الحاضر خلط بين عدة مصطلحات : قائم ،  
عمودي ، رأسي ، شاقولي ، ناظم .  
وفي الاصطلاح المستخدم بتونس بتوصية م (1960) يوجد  
اتجاه نحو تخصص المفردات ، فوضعنا بالتدقيق هذه المقابلات .

perpendiculaire قائم

orthogona عمودي

Vertical رأسي

normal ناظم

اثر خطاً في الرسم شاقولي مأخوذ حسب البيروني من الثاقول (الثقالة).

conversion صرف، تصريف

أصل يدل لغة على رجوع الشيء يستعمله التلخيص (XIII) (61) وكشف الاسرار (XV) (75) (كشف: الصرف هو انتقال الكسر من اسم الى غيره سقط هذا المصطلح من المعجم المعاصر) واستعمل عوضاً عنه، توحيد المقدمات او التجنيس.

خارج، ماخرج ويمكن ان يقارن هذا المصطلح بها اصطلاح عليه في القرون الوسطى في اللاتينية resultant (كان نتيجة منطقية لأمر ما) resultat - resultante de deux droites, de deux forces محصلة نتيجة عملية حسابية بصفة عامة ثم تخصص بعملية القسمة.

(IX) يستعمله الخوارزمي ويستخدم ايضاً: ما حصل معك الحاصل.

(XI) اخوان (43)

(XII) التلخيص (51، 53) يستعمله للضرب والقسمة

(XV) كشف للضرب (69)، وللقسمة (64) واليوم تخصص ناتج الجمع بمصطلحي مجموع somme واحياناً جملة total الطرح (ومنه tare بالفرنسية) الباقي (كشف 64) الضرب: الجداء (احياناً السطح 2 facteurs) القسمة: الخارج (يستعمل الخوارزمي ايضاً مصطلح القسم) وبقي من هذا الاستعمال ايضاً بالشرق استخدام «مخرج الكسر» dénominateur (حساب المكايل والمقاييس بغداد 1955 . 116) المقابل للاستعمال المغربي: مقام الكسر.



العصر الحاضر	القرن الخامس عشر XV	القرن الرابع عشر XIV	القرن الثالث عشر IX	القرن الثاني عشر IX	القرن العاشر IX	القرن العاشر IX	القرن التاسع IX	
عوض - برية (المعجم) سيرة (المعجم) أش: دليل القوة والله أنية	كف الأكر و		11 ملخص (1) 2 ملخص (76)	إخوان (25) مشيخ (112)				الأمن - عازة من موية المدمم هو لينة صل البناء أو الأصل سلطانة
المعجم لموجد	كف و		ملخص (39)	إخوان (24) مشيخ (120)			خودامي	مشيخ (مدا)
المعجم لموجد	كف كالشي	سماوي شرح ت	إنكالا (الأنيس) (39) (156) رسمي البسيط	إخوان (54) مشيخ (110)			خودامي (22) خودامي (22)	سلح (حساب حرا) مشيخ ماد طوك وعرضي لا غير
محاذاة معجم القاهرة 1960A	كشي (سلح و سلح رسمي) كف 46	التدكره 5236 و		مشيخ 130 أش: سماء 208				مخيرة: الظل Cone
حفظ من الاستعمال عوض بمخروط			الطوسي ت 6236 و	إخوان 36				مخيرة
المعجم الموجد			ملخص 61					مخيرة تعريف أصل يدان على ربح القسيه Conversion
سلف من استعمال	كف الأكر و		ملخص 51				خودامي و	مخيرة: حواني
لمعجم المخروط حساب لواقعي التحليل الرياضي الحديث	كف 36		ملخص 41					لعمل - قضاة مسل المهورا فضل اندثر (مخالفات) Angle horaire

الصور المتأخر	القرن الخامس عشر XV	القرن الرابع عشر XIV	القرن الثالث عشر III	القرن الثاني عشر IX	القرن الثاني عشر X	القرن التاسع عشر IX	
أعيد الاستعمال أصول القرن 1947 للمعهد المربع 72				صانيع 115			Product وهو صانع ما تحتويه من القرن (الجيل)
عربي بصوت			شكل لأفيس 4 (مستط)	إعوان 56			convexe مقني
			شكل أفيس (88) الطوسي تحرير 52,4761 ط 1 2039 و 14,2039 ط 12	إعوان 52 صانيع 115		خوارزمي 55	عمود perpendiculaire hauteur
				مقايص خط من (52) الأرقام وسط الحمر وقال له المود			مسقط العمود
لرحار مستقيم القاهرة 1957 (196) رجل الرسم الهندسي القاهرة 1954				إعوان 51 زمخشري. أسامي الإله لدارة وهي لرحار			بركار أسل فارسي
المعهد المربع بلاط الاستعمال الشرقي 4 شرب 3 = 12	كتف 39		تأجيح 46	إعوان 40 صانيع 115		خوارزمي 19	القرن للمطبة المرونة
معهد مربع	كتف 66 بين هيدل 80,90 والصوت		تأجيح 59				numérateur بسط
صحيح القاهرة 1957 المعهد المربع في الشرق، المصحح	عاطي: صورة كتف (بام) كاتي 7,2039 و موت 64,1030 و		تأجيح 98				dénominateur مقام
	طوسي 36236 و		شكل أفيس (39) = سطح				surface سطح

العصر 'العناصر	القرن الخامس عشر XV	القرن الرابع عشر XIV	القرن الثالث عشر III <sup>e</sup>	القرن الثاني عشر II <sup>e</sup>	القرن العاشر X	القرن التاسع IX <sup>e</sup>	قصر chambre à diagonale
المعجم ليويد	كثي 72,2039 و كثف 47 طوسي 108,2705 ط		شكل الفليس (52) (230)	إخوان 93 مناج 119		خوارزمي 55 خوارزمي 61	
المعجم المويك			شكل الفليس 76	إخوان 64 =			سمت مط بناة
المعجم المويك base	كثف 36		طويص (43) طلب الباق بعد إسقاط أحد العددين من الآخر	إخوان 25		خوارزمي 30 (مويك، الفلي 147)	طرح فضل ما بين عددين
المعجم المويك			الطوسي 107 و	إخوان 52 مناج 119		خوارزمي 55	قاعد : base
مدير (المعجم 'المويك)			الطوسي 97,2705 و	إخوان 187 - 50 مناج 118 اشعاء 251	إخوان سعمل النظام		قديج أقدار مقدار ج مقدير magnitudes تقدير مقدارية
سقط من الإستعمال سوي الإستعمال الثاني في المشرق 7 ريد 2 = 9	كثف 92 كثف 96		طايص 30 طايص 76	مناج 109		خوارزمي 18	addition ربط positif معد
سقط من الإستعمال			طايص 76			خوارزمي	ajouter جعل محلان
سقط	كثف 90		طايص 73			خوارزمي	شيء شياء

العصر الحاضر	القرن الخامس عشر XV	القرن الرابع عشر XIV	القرن الثالث عشر III	القرن الحادي عشر IX	القرن لعاشر X	القرن التاسع IX	
سقف	كثف 90		تأخض 73			خوزدي	عال x
عني سديوان atc تلقه سحي				منايح 122 إجوان 5175 منايح 118			لوس courbe مقوس
المعجم ليوكة			لظسكو 96 ط أنكال التأسس 42	منايح 199 إجوان 57			فائم perpendiculare
المعجم اللوكة	سمر ليلي		أنكال 41	إجوان 53 منايح 116		خوزدي 55	ر وبه قائمه
عجوش صحت و جوف			الظسكو 7 أنكال التأسس (40) مقوس	إجوان 56 منايح 120			مقوس
علا جميع القامرة 1935 المعجم اللوكة			أنكال التأسس 17	إجوان 52 منايح 118		خوزدي 24	عظوط شوزيه
المعجم اللوكة	كثف 76		تأخض 63	منايح 113 إجوان 115 منايح 31			عدد سلق
المعجم ليوكة racine	كثف 76 المعجم 129, 1030 ط		تأخض 63			خوزدي 17	جذر

الصور الحافض	القرن الخامس عشر XV	القرن الرابع عشر XIV	القرن الثالث عشر III X	القرن الحادي عشر X	القرن العاشر X	القرن التاسع IX	
المصمم لورنت Tactite	كتف 76 النسبة 10301 ط 129		تأليف 63 .	منايا 115 33 إيران 31		عوزدي 7	جدر
سقط لفظ الامايه لأوروبا من Josselin (577)	كتف 90 الحجر والامايه قاصدي صفة 3 ط		تأليف 73 لأحيي 60	إيران 40 إيران 40		عوزدي صوان كايه الحجر والامايه	حجر الكمر حجر علة arrondir
قفي منه في الشرق demonstrator = حساب المكييل والمقياس بعداد 1955 196	كتف (حاصل) التقريب خارج 63 لنسه خارج 64		تأليف 5 153 (صوب قسمة)	إيران 43	تأليف 42	يتصل الموزوني أيضا حصل منك حاصل	جارج، ما خارج Requis à une operation تخصص بالقسمه

(\*) مخصص بساتيع الجمع  
لصطاني 'لنجم' (sortir) والجملة (Total)  
ونائج لفرب بسمطع، الجدا، (أجوا السطع)  
ونائج الطرح بسمطع، الناق، تأليف 44 كتف 64  
ونائج 'القسمه بسمطع' اخرج (يستعمل عوزدي) لقسم بكر 'اللف'

\* الخاتمة : وبالنظر في اللوحات التي عرصنا عددا منها، وفيما جاء في معجمنا، نخرج باستنتاج مهم هو ان لغة الرياضيات في العربية بقيت في الجملة مستقرة، فلم يهجر من المصطلحات المقترحة قديما ولم يسقط من الاستعمال سوى عدد قليل، ولم يدخل على هذه اللغة سوى تعديلات جريئة او بعض الاستعمالات الجهوية الخاصة بالتميزة، ومن ذلك استعمال «مخرج الكسر» بالمشرق بينما يستعمل المغرب مصطلح «المقام» ومن ذلك ايضا سلسلة الارقام التي اشرنا اليها آنفا.

على انه قد أنشئت مصطلحات جديدة حسب العصور لمواكبة تقدم العلم، كاستعمال الجيب وجيب التمام والظل في حساب المثلثات، واستخدم عدد من الرموز لاختصار العمل الحسابي، جـ للجدور وشـ للشيء المجهول وم للمال أي مربع المجهول وك للكعب وهو مكعب المجهول ول علامة على التعادل والمساواة.

ولكن لغة الرياضيات في العربية رغم تصورها ومهم ما اتصفت به من خصال الدقة والايجاز، لم تبلغ في نهاية المطاف مستوى التجريد والتعميم الذي ترمي اليه الرياضيات العصرية في اتجاهها نحو الوحدة. فهذه الرياضيات صارت تستخدم جملة من الرموز والمختصرات امكنها بواسطتها ان تعبر عن قواعد مدققة بكيفية موجزة واضحة، وان كانت في ظاهرها ركاما من الاشارات اللغزية ومن الاسرار المستعلقة التي لا يفقهها الا لعالمون.

وتلك خطوة لا بد ان تخطوها لغة الرياضيات العربية كي تواكب التقدم العلمي وذلك بان تتبنى بجور مصطلحاتها الخاصة، الرمزية العصرية بعد صوغها صوغا يتماشى مع طبيعة كتابتها المتوجهة من اليمين الى لشمس، على غرار لمثال التالي :

٧٤٧ < ٥ ، ٧٤٧ > ٥ [أ، ب] ٥ < ٥ / اس - ش | ٧ > ٧  
 ← ا د (س) - د (ش) | ٤ > ٤

محمد سويسى

## إشكالية التأريخ لنشأة المصطلح النحوي

بحث : أ.د. عبد القادر لمهيري

إن البحث في المصطلح النحوي للسمي الى تأريخ ظهوره وتبلور مفهومه الفني أو تأرجحه بين أكثر من مفهوم يصطدم بنفس المصاعب التي نعرض سبيل الباحث في نشأة النحو وتكوّن مادته وتطورها قبل ظهور كتاب سيبويه، ومن المعلوم أن المادة النحوية التي يتكون منها «الكتاب» بلغت درجه من لاكتمال والنضج ومن لغزارة والشمول ما يحمل على التأكيد بأنها نتيجة مخاض طويل ومجهودات أحيال متعاقبة يمثل الخليل بن أحمد وسيبويه آخر حلقاتها، وحتى إذا ما سلمنا بما تشير اليه كتب طبقات النحاة من أن واضع النحو هو أبو الاسود الدؤلي فإن بعض مؤلفي هذه الكتب لم يخف عنهم أن مادة هذا لعلم ليست ثمرة مجهود علم واحد من أعلامه، هذا هو معنى ما يذهب اليه الزبيدي في كتابه طبقات النحويين واللغويين عندما يقول :

«أول من أصل ذلك وأعمل فكره فيه أبو الاسود ظالم بن عمرو لدؤلي وبصر بن عاصم وعبد الرحمان بن هرمز فوضعوا للنحو أبوابا وأصلوا له أصولا فذكروا عوامل الرفع والنصب والخفض والجزم ووضعوا باب الفاعل والمفعول والتعجب والمضاف، ثم وصل ما أصلوه

من ذلك التالون لهم والأخذون عنهم فكان لكل واحد منهم من الفضل بحسب ما بسط من القول ومد من القياس وفتق من المعاني وأوضح من الدلائل وبين من العلل».

لا يخفى ما في صيغة هذا القول من تعميم مما يجعلنا نعتبر ان الغموض الذي يحف بنشأة النحو وتكون مادته قديم اذ لم يتسنّ للزبيدي ولا لغيره من أصحاب كتب التراجم ان يوفرّوا معلومات حول جهود كل واحد من علام القرنين الاول والثاني ون ينسبوا الى كل واحد منهم ما استنبطه او أضافه الى ما توصل اليه سلفه من ابواب وقواعد وعلل . . . ومن الواضح ان الوثائق التي يمكن ان تكون شاهدة على فترة المخاض ومثلة للخطوات الاولى للتأليف النحوي لم يبق لنا منها شيء بل ان أثرها قد اضمح في فترة مبكرة، وانعدام هذه الوثائق يمثل عقبة في سبيل تتبع المصطلحات والوقوف على سيرورتها انطلاقا من المعنى العام للكلمة ومرورا بالاستعمال المجازي ووصولا الى تكريس المصطلح، واذا اعتبرنا ان مصطلحات كل علم هي مفاتيحه فان جهل ظروف نشأتها وملابسات تطورها يحول دون تتبع أطوار العلم والامام بكيفية استنباط مفاهيمه ومراحل ائتلاف عناصره.

وليس للباحث اليوم الا ان يكتفي بما توفر له من الوثائق المتأخرة بالنسبة الى عصر النشأة، وأقدمها كما هو معلوم كتاب سيبويه. ولا يخفى ان هذا التصنيف غير كاف لان يقدم صورة لتطور وضع المصطلحات طيلة قرن ونصف من العمل النحوي بما يفترض ان يكون مرّ به الجهاز الاصطلاحي من تردد او تعدد في تسمية المفهوم الواحد والالتجاء الى وصف المفهوم قبل التوصل الى بلورته في مصطلح وجيز مكثف بنفسه مؤدّ الى المقصود منه بدون ان يكون في حاجة الى توضيح او شرح فما هو الموقف الذي يتوخاه الباحث امام هذا الوضع؟ كيف يمكن له ان يتلافى ما انجر عن فقدان الوثائق السابقة لكتاب سيبويه من الغموض الذي يحف بنشأة المصطلحات النحوية ويحول دون تتبع تطور الفكر النحوي في عصر تكونه؟



ان الموقف الذي ينبغي اجتنابه هو الاعراض عن دراسة هذه المصطلحات دراسة تاريخية بدعوى الافتقار الى الادوات الصريحة اللازمة لكث هذه الدراسة، فالحل يكمن في اخضاع ما توفر لدينا من أمهات كتب التراث النحوي لقراءة نقدية نعتقد أنها تمكن من الاهتداء الى اشارات تساعد على معرفة الاسباب الداعية الى تكرير بعض المصطلحات والوقوف على الملابسات التي أحاطت بشيوعها مصطلحا قائم الذات لم يعد في حاجة الى جهاز تفسيري يسمح بادائها للمفهوم المقصود منها.

وسنعترض لثلاثة نماذج من الوثائق التي يمكن في نظرنا استغلال بعض معطياتها والاستفادة منها لاستنباط ملامح الوضع الاصطلاحي النحوي قبل التبلور والاستقرار.

وأول هذه الوثائق كتاب سيبويه نفسه، لا شك ان أكثر ما ورد فيه من المصطلحات استعمل استعمالا يحجب عنا الاطوار التي يمكن ان يكون قد مر بها لوضوح مفهومه الفني وخلوه مما يهدي الى الدواعي التي حملت على توحيه سوى ما يمكن ان يفيدنا به الاشتقاق، لكن الكتاب لا يحلو من استعمالات مازالت تنتمي الى ما يمكن اعتباره فترة المخاض، من ذلك على سبيل المثال مصطلح المضارع الذي سيستقر في وعي الدارس لنحو على انه مقابل لمصطلح الماضي ومن ثم يحيل على مفهوم زمني محدد على عرار إحالة لمصحي على معنى معين، لكنه لا يبدو في كتاب سيبويه أنه قد اكتملت صبغته الاصطلاحية ولا حرقى ليس في الكتاب ما يؤهله لهذا المفهوم، فعندما صنف المؤلف الأفعال في الباب الاول تصنيفا زمنيا تحدث عن المثال الذي بني «لما يكون ولم يقع وما هو كائن لم ينقطع» بدون ان يجمع هذين المفهومين تحت مصطلح واحد، ولم يرد ذكر ما يستنبط منه مصطلح المضارع الا في الباب الثاني الخاص «بمجاري او آخر الكلام من العربية»، في سياق لا يمت الى المفهوم الزمني بصلة اذ يقول «وحروف الاعراب للاسماء المتمكنة وللأفعال المضارعة لأسماء الفاعلين التي في أوائلها الزوائد

الاربعة . . . .». ومن الملاحظ هنا ان طريقة استعمال كلمة «المضارعة» لا تدل على انها بلغت مستوى المصطلح اذ احتاج المصنف الى توضيحها بتحديد ابنية الافعال التي أشار بها اليها.

ويمكن ان نذكر مثالا آخر من الكتاب يمثل ظاهرة مفيدة للتعرف على كيفية نشأة المصطلح ، ذلك هو شأن اسم كان ، فمصطلح الاسم كما شاع لتسمية ما أسند اليه هذا الفعل القاصر يبدو غريبا ما لم ندرك انه اختصار لتسمية قائمة على تصور أشمل لبنية الجملة ، فسيبويه يصطلح عليه باسم لفاعل كما يصطلح على تسمية خبر كان واخواتها باسم المفعول ، ورغم ما في هاتين التسميتين من التباس بين مفهومين احدهما نحوي والاخر صرفي فانهما لا يخلوان من الواجهة لانهما يقومان على قياس الجملة المصدرة بكان على الجملة الفعلية فكان تقتضي اسما مرفوعا كسائر الافعال ولذا أطلق سيبويه عليه اسم الفاعل بمعنى الاسم الذي يقوم مقام الفاعل ومن هنا يبرر اختيار المصطلح المذكور.

واذا كان اوصف الذي يتوخاه سيبويه للتعبير عن هذين المفهومين - مفهوم الفعل الدال على الحاصر او المستقبل ومفهوم المسند اليه بعد الافعال الناقصة - يتضمن العبارة التي ستختصر لتفضي الى المصطلح فان بعض المفاهيم الاخرى لم يرد في وصفها ما سيقنع من الكلمات التي ستكرس للاصطلاح عليها ، ذلك هو شأن اسم الآلة ذ يكتفي صاحب الكتاب بتعريفها في قوله «باب ما عالجته به» .

وهكذا يجوز لنا القول بان طريقة تعيين جانب من المفاهيم في الكتاب يمكن ان يعتمد نموذجا لمعرفة الاسباب الداعية الى توخي المصطلحات التي ستطلو عليها وللتاريخ التقريبي على الاقل لبروزها فكما لاحظنا ان تلميذ اخيل حرص على وصف المفهوم يمكن ان نعتبر ان ما يستعمله من التسميات لم تكتسب بعد الصبغة الاصطلاحية التي نغني عن شرحها وتوضيحها.

أما الوثيقة الثانية التي يرجو الباحث ان يجد فيها من المعلومات ما قد يعينه على التأريخ للمصطلحات النحوية فهي كتاب العين الذي أصبح في متناول الدارسين، والواقع انه خلافا لما يجوز ان نستظر منه لا نجد فيه عرض للمصطلحات النحوية وشرحاً لدلولاتها الفنية ضمن ما يشرح من المفردات، على ان هذا لم يمنع مؤلف «العين» من استعمال جانب منها عند تعليقه على بنية الكلمات أحيانا أو وصفه لدورها النحوي أحيانا أخرى مما يسمح بتقديم بعض الملاحظات في شأن العمل الاصطلاحي، وأهم ما يلاحظ التردد بين تسميات المفهوم الواحد والمفاهيم المتقاربة أو على الأقل المفاهيم التي كرس الاستعمال اللاحق مصطلحا واحدا لها، من ذلك تمييز كتاب العين بين التثقيل والتضعيف فمصطلح التثقيل يخص به الكلمة التي أدغم فيها الحرفان المتجانسان مثل قل والتضعيف أطلق على الكلمة التي لم يحصل فيها الإدغام مثل قلقل، وتبدو النزعة الى تنويع المصطلحات لتعيين ظواهر متقاربة في الحديث عن تعدية الفعل اذ نجد تسميتين اثنتين لهذه الظاهرة: المجاوز والمتعدي أولاها للمتعدي الى مفعول واحد والثانية للمتعدي إلى مفعولين، ولعل أحسن مثال يصور تردد النحو بين عديد المصطلحات للمفهوم الواحد ويمكن اعتباره شاهدا على ما يسبق تبلور المصطلح وتكريسه من تنوع في التسميات وعدم الاستقرار قبل اختيار ما يبدو منها موفيا بالغاية أكثر من غيره الالفاظ المتصلة بمفهوم الجمع أو مفاهيمه فصاحب العين يستعمل بجانب مصطلح الجمع صيغا تخالف بعض الشيء ما شاع في التراث، من ذلك جماعة الجماعة عوض جمع الجمع ومنه ايضا لفظ الجماعة المستعمل أحيانا في معنى الجمع وأحيانا أخرى في معنى اسم الجمع كما في قوله «هذه غنم لفظ للجماعة فاذا أفردت قلت شاة» وهذا هو شأن كلمة العدد الواردة أحيانا في معنى الجمع عامة «والشيء يصير اسما للجماعة والواحدة شاة والعدد شياء» ولكن أحيانا أخرى نجد ما تفيد معنى جمع القلة «وأجمال للعدد ودخلت ألف القطع فرقا بين العدد والجماع أو «والثوب واحد» الثياب والعدد

### أثواب وثلاثة أثواب.

لا شك في أن يوحى مؤلف «كتاب العين» لمثل هذه المصطلحات يمكن اعتباره دالا على أن المفاهيم المعنية لم تبلغ تسميتها بعد مستوى الاستقرار ومصورا لما يمكن أن تكون قد مرت به المفاهيم النحوية من القوضى الاصطلاحية الطبيعية.

ولعلنا نجد في ثالث الوثائق التي كنت أشير إليها ما قد يمكن اعتباره شاهدا على عدم الاستقرار الاصطلاحي في عصر المخاض أو على الأقل في فترة من فترات تاريخ النحو، هذه الوثيقة هي كتاب «دقائق التصريف» للقياسم بن محمد بن سعيد المؤدب وقد نشره المجمع العلمي العراقي سنة 1987، ولئن كانت المعلومات المتوفرة حول هذا النحوي تنحصر في أنه من رجال القرن الرابع فإن كتابه جدير بالعناية خاصة من حيث ما تضمنه من رصيد اصطلاحي يمكن الاستفادة منه في ضبط قائمة المصطلحات النحوية وفي اختلاف وجهات النظر في شأنها أو تنوع زوايا النظر إلى المفاهيم المعنية بها.

ويمكن تلخيص الملاحظات التي يوحى بها الرصيد الاصطلاحي الوارد في هذا الكتاب في النقاط التالية:

أولاهما أن عدد من مصطلحات الكتاب يمثل تسميات ثانية وأحيانا ثالثة لبعض الظواهر اللغوية يستعملها المؤلف بجانب ما شاع من التسميات في كتب النحو، ذلك هو شأن مصطلحات خاصة بالفعلين الماضي والمضارع فالاول يسمى أيضا عاثرا «لأنه عار أي ذهب» على حد تعبير المصنف كما يسمى «معري» لأنه «عري من الحروف العوامل والروائد والحوادث والكواسي» ويسمى المضارع «غابرا» أي باقيا، وبجانب هذه التسميات نجد في الكتاب مصطلحات أخرى تعبر عما يتعقب على الماضي والمضارع من دلالات زمنية، فكلاهما يستعمل «نصا» و«مثلا» فالنص في الماضي «ما وافق لفظ الماضي ومعناه» وفي المضارع «ما وافق لفظ المستقبل ومعناه» والمثل في الاول «ما كان لفظه لفظ الماضي ومعناه لمستقبل الزمان ومستأنقه» وفي

الثاني «ما كان لفظه لفظ المستقبل ومعناه لما في الزمان وعاشرة»  
ونجد بالفعل أيضا ثلاثة مصطلحات أخرى ذات صبغة نحوية  
تفرعه الى ثلاثة أصناف اللازم والمتعدي والموصول أي المتعدي  
بالحرف، وتجدد الملاحظة ان المؤلف يميز بين المتعدي والمجاور لكن  
دلالة هذين المصطلحين تختلف عن دلالتها في كتاب العين فـالمتعدي  
يفيد هنا ما اقتضى مفعولا واحدا والمجاور ما نفع الى مفعولين.  
الملاحظة الثانية في شأن ما ورد في هذا الكتاب من تسميات  
تتعلق بتوخي المؤلف في تصنيفه الأفعال من حيث نوع حروفها  
لمصطلحات تختلف أحيانا عما شاع، فالأجوف يسميه المنقوص  
«لنقصان الواو منه في الأمر» على حد تعبيره، والأفعال الناقصة يسميها  
باولاد الأربعة «لوقوع الحرف المعتل رابع الحروف من غايته» أما اللقيف  
فيفرعه الى ثلاثة أصناف لكل منها مصطلحه الخاص، فيحصر اللقيف  
في ما كانت عينه ولامه حرفي علة ويبرر التسمية بقوله «سمي لقيفا لانه  
التف فيه حرفان معتلان بحرف تقدمهما صحيح»، ويطلق مصطلح  
«الملتوي» على ما كان معتلا الفاء واللام أي ما عرف باللفيف المفروق  
ويضيف الى هذين الصنفين صنفا ثالثا يسميه «الموائمي» وهو الذي  
يكون حرفه الثالث همزة ويستمد التسمية من فعل وأي وهو أحد الأمثلة  
التي ذكرها له.

لا يتجلى من خلال هذه التسميات خروج عما هو مألف فحسب  
بل تتجلى منها أيضا نزعة الى مزيد من التفريع وهذه النزعة نلاحظها في  
أمثلة أخرى ومنها تصنيف المهموز حسب مرتبة الهمزة في الفعل،  
فالقسطع يطلقه على المهموز الفاء وقد سمي كذلك بحسب تعبيره  
«لقطعك إياه في الإدراج» والنبر سمة للمهموز العين «لنبرك إياه الى  
حنكك الأعلى»، أما مصطلح المهموز فيطلقه على ما كانت لامه همزة  
والرباعي في نظره أربعة أنواع: المختلف مثل دحرج والمولد مثل ضريب  
والمضاعف مثل قلقل والمحدث مثل أحسن، ولا يخفي ما في هذا من  
اغراق في التفريع ولو أدى الى ضرب من الخلط بين المفاهيم.

والملاحظة الثالثة والاختيرة هي انه بجانب الحرص على التفريع الدال على تتبع أدق الفوارق احيانا وعلى تجسيم ذلك في مصطلحات متنوعة يستعمل المؤلف مصطلحا واحدا لمفاهيم متعددة وأبلغ مثال على ذلك «مصطلح المضمرة» فهو الى جانب استعماله المألوف للدلالة على الضمير يطلقه على ظاهرة التقدير والحذف كما فعل غيره، ولكن الاستعمال الخاص به هو في معنى المبني للمجهول في قوله مثلا: فدا خبرت عن الرجل «بالفعل المضمرة قلت فعل برفع الفاء فرقا بين المضمرة والظاهر».

وخلاصة القول ان فقدان ما يمكن ان يكون قد ألف في النحو قبل كتاب سيبويه يحول دون التاريخ للمصطلحات النحوية بالاعتماد على الوثائق التي تمثل الخطوات الاولى من العمل النحوي، ولا يسهل الباحث في هذه الحال الا الركون الى ما توفر لديه من مؤلفات متأخرة نسبيا، ولئن ذكرنا ثلاثة نماذج مشيرين الى بعض ما يمكن ان يستفاد منها في المجال الاصطلاحي فان الامام بالرصيد الاصطلاحي النحوي لا يتسنى الا بتجريد امهات الكتب النحوية جميعها؛ لا شك ان المتون والشروح المتعاقبة عصرا بعد عصر لا يختلف بعضها عن بعض في المادة الاساسية، لكن من فوائد توالي التأليف في نفس الفن بدون تطوير لمعطياته انه يمكن من الاحتفاظ بمحتوى التصانيف التي لم يكتب لها البقاء ولذا فليس من المستبعد ان نجد في الكتب المتأخرة مصطلحات غير مألوفة في المصنفات السابقة او استعمالا لمصطلحات مغايرة للمألوف من مدلولاتها او واردة في سياق يعين على توضيح مفهومها ومعنى هذا ان المعجم التاريخي للمصطلحات النحوية لا يمكن الاقبال عليه الا اذا تم جرد التراث النحوي في مختلف عصوره.

عبد القادر المهيري  
جامعة تونس الأولى

## المصطلح الفلسفي ومنزله في المعجم العربي التاريخي

بحث : عبد الستار جعبر

ان الفلسفة المستقاة من كلام العرب خلال مراحل ما قبل الاسلام وما تبعها من العصور الاسلامية التي بقيت فيها العربية على اصالتها<sup>(1)</sup> فلسفة اصيلة وذات دلالة صادقة .

اصيلة لانها ترقى الى أقدم العصور الحضارية حين بدأ التفاهم باللفظ بين ابناء الامة الواحدة ، وذات دلالة صادقة لانها تعبر عن عقلية الامة بمجموعها بوسيلة لا تطولها أيدي المرورين ، فتكشف عن طرق تفكيرها وعن النتائج التي توصلت اليها في حقول العلم والمعرفة ، وذلك لان اللفظة إنما توضع للتعبير عن معنى ، فوجودها في الاستعمال بمعنى ما ، يقتضي ان تكون الامة قد ادركت ذلك المعنى ، اما الاشتقاق منها فيقتضي ان تكون المعرفة قد اتسعت بمعنى آخر اقتضى ان يشتق له لفظ آخر ، واشتقاق هذا اللفظ من المادة اللغوية التي عبر بها عن المعنى

---

(1) - انتهت في منتصف لقرن الثاني للهجرة في المدن وامتدت حتى نهاية القرن الثالث هجري في الودي

الاول يدلّ على وجود علاقة بين المعنيين اقتضت هذا الاشتقاق بدو اللجوء الى مادة لغوية اخرى مستعملة كانت ام غير مستعملة .

وعليه فان اللغة تتسم بالاشتقاق من مادة لغوية معينة بمقدار ما يتسم ادراك اهلها للمعاني ذات لعلاقة بالمعنى الذي عبرت عنه تلك المادة او أحد مشتقاتها، فاذا بلغنا غاية الاشتقاق منها في عصر من العصور، نكون قد بلغنا غاية المعاني التي ادركتها الامة في موضوع ذلك المعنى وبعض ماله علاقة به او بمعاني المشتقات من مادته اللغوية، وبذلك تنكشف انواع العلاقات المعنوية الداعية الى الاشتقاق وبالتالي طرق عقل الامة في التحريك وربط الامور بعضها ببعض .

وذا ما طبق هذا على الالفاظ ذات الدلالات الفلسفية كما في الفلسفة الاولى التي هي لهم بكثير من فلسفة فلان وفلان فمن انتحلوا بعض فلسفة الاجيال لمجرد انهم اكتشفوها واحسنوا صياغتها والتعبير عنها، واصافوا اليها شيئا من عندهم قد يكون هو موضوع النقص فيها وذلك لان تجارب الشعوب تفوق عبقرية الافرد مهما علا شأنهم في تلك العبقريّة، وقد وعت لغات الامة خلاصة تلك التجارب واهم ما فيها، لذلك لا نستغرب ان يكشف تحليل معاني الفاظها عن فلسفات بالغة الالهمية لم تكن تخطر لنا ببال .

وقد كانت لفلسفة العبرية المشار اليها تنتظر خلفا يصوغها ويحسن التعبير عنها منذ زمن بعيد الا انها بليت يغرباء حقروا امرها وشغلوا الناس بقواعد اللفظ فصرفوا الانظار عنها . ولذلك كانت المشكلة الهامة في استئناف هذا الجهد هي مشكلة ان الدراسات السابقة بعيدة في مقصودها عن مقصوده فكانت في جلها عديمة الفائدة وربما معيئة ومضلة في كثير من الاحيان .

لقد كان هم علماء اللغة القدماء وقادتهم من الاعاجم، منصرفا الى وضع قواعد ضبط اللفظ وبيان مواضع الاعراب ومواقع لبناء واسماء المرفوعات واسماء المنصوبات والتفريق بينها . . . الخ، وقد استعادوا لذلك قواعد اللغات ومنطق ارسطو ومستحدثات العقل،



تجاوزوا بنظام نحوي معقد ملاً المجلدات وشغل العقول<sup>(2)</sup> دون أن تكون للعرب من حاجة إليه في ذلك الزمان إلا بمقدار ما يحتاج أي إنسان إلى من يعلمه لغته المحكية اليوم.

إن هذا التعقيد في النظام الأعرابي يعود إلى إهمال واضعيه للجانب المعنوي واتجاههم إلى صياغة القواعد اللفظية مع أن الجانب المعنوي هو الذي يجب اعتياده لتقدير هذه القواعد، ولا يمكن بالتالي أن توضع قبل الكشف عنه.

ونفس الظاهرة موجودة عند الذين اشتغلوا بفقه اللغة وهو العلم الذي يفترض فيه بحسب دلالة اسمه أن يتناول الجانب المعنوي أكثر من تناوله للجانب اللفظي، فلفهاء اللغة يبحثون في صياغة اللفاظ وقلما يدخلون في أعماقها المعنوية فلقد كان أهم ما كتبوه في الاشتقاق، والاشتقاق الذي أوفوه حقه هو ما دعي بالاشتقاق العام أو الإصغر ومنه اشتقاق صنيغ الأفعال: الماضي والمضارع والأمر واسماء الزمان والمكان والفاعل والمفعول مما يدرج تحت المادة اللغوية الواحدة في المعاجم.

ودون الدخول بالتفصيل فيما أملهوه من أنواع الاشتقاق فإنه لا يمكن أن نعثر لفقهاء اللغة عدم الاهتمام الكافي بالعلاقات التي تدعو إلى جواز الكلمة ذاتها من معنى إلى آخر.

وإذا كان أصحاب المعاجم إنما يعتمدون على النحويين وفقهاء اللغة في فهمها فإنهم لم يحسنوا فهمها فبدأ ما هو مدرج تحت المادة اللغوية الواحدة وكأنه فوضى معنوية تجمع التشابهات والمختلفات والمتضادات وهذا ما حمل على القول بلا منطقية المعجم العربي<sup>(3)</sup> وبالتالي لا منطقية العقل الذي قام بعملية الاشتقاق.

(2) - ورق الله الامطاكي - الوحير في أصول المحاكمات، مطبعة الجامعة السورية 1957 ص 592.

(3) - لآب أ - س مرموحي الدوميبكي - هل العربية منطقية؟ مطبعة المرسلين اللسانيين، حويية 1947 ص 4.

والواقع ان المعجم العربي الحالي يستحق هذه الصفة دون العقل وذلك انه لا يسهم في الدلالة على ذلك العقل الا بمقدار ما يسهم في اعادة بناء قديم من حفظ حجارته من الضياع ولكنه بعثها آيما بعثرة . وما ذلك الا لان علماء اللغة لم يقدموا للمعجميين ما يسمح لهم بتحديد معاني الالفاظ والتفريق بين المترادفات منها وتعليل اختلافاتها وتضادها وبالتالي لكشف عن طرق عقل الامة في التحرك وربط الامور بعضها ببعض ومعرفة ما توصلت اليه في حقول العلم والمعرفة .

وقد انعكس تقصير المعجم على العقل عامة فمن اين للمفكر اذن ان يجد الكلمة المعبرة اذا كان المعجم لا يعينه على ذلك ؟

ومن هنا يفهم عمق المعاناة التي يجدها العالم والفيلسوف العربي عندما يحاول التعبير عما لديه او حتى ترجمة كتاب اذ تترجم المترادفات للتعبير عن المعنى الواحد دون امكانية اجرم فيما ينطبق من تلك المترادفات على ذلك المعنى ولا ينطبق مثال ذلك تترجم كلمة Entité بما يلي : كيان ، كنه ، كائن ، وجود ، مر ، وحدة ، وترجم كلمة s'insérer بما يلي : يدخل ، يتصل ، ينخرط ، يدرج ، ينسكب ، وتستعمل كلمة ثابت مقابلا للكلمات الفرنسية التالية : Figé, Constant, Stéréotype, Statique, Fixe

وهذا الاختلاف قد لا يعود كله الى مجرد اختلاف معنى الكلمة الفرنسية بحسب موقعها في الجملة وانما الى عدم معرفة ما تعنيه الكلمات العربية بالضبط .

وعليه يتدخل الذوق في استعمال الكلمات : فقد يستعمل احدهم هذه الكلمة او تلك بحسب الاستحسان فتختلط بعض المعاني ببعضها الآخر ويصعب التفاهم بمعناه العلمي والفلسفي وما ذلك الا لأن مراجعة المعاجم لا تفيد كثيرا في التفريق بين معاني هذه الالفاظ وذلك لانها لا تضع حدودا لها .

إن عدم الرجوع الى المعنى الأصلي اي الاشتقاق الاصلي يجعل

التفريق بين المترادفات امرا مستحيلا وهذا ما وقع فيه أغلب اصحاب المعاجم فيعرفون المترادفات بعضها ببعض .

ومشكلة الترادف من المشاكل الكبرى في العربية وذلك وان كان يسهل التعبير الادبي فانه يفسد الكلام العلمي والفلسفي حيث نجب الدقة التي تقتضي التمييز بين المترادفات التي يمكن ان يكون كل منها دالا على حالة خاصة تختلف بعض الاختلاف عن الحالة التي يدل عليها غيره» (4)

وهكذا فهو لا يصح في الفلسفة ولا يأتلف مع وضوح التعقل لان الفلسفة على حد تعبير كوندillac ليست إلا استعمال اللغة بغاية الاتقان في الموضوعات ، فلا نستفيد من الفلسفة الا اذا حققناها لغويا ، والكتب التي يخرجها مدرسو الفلسفة في فرنسا حير شاهد على ذلك ، فقد أسسوا جمعية فلسفية يقوم بعض اعضائها فيلقي على الآخرين بحثا ما في اصطلاح ما مستشهدا عيه بالقدماء والمحدثين ، وبعد التدقيق على قدر اللزوم يخرجون للناس نتيجة اعمالهم في آخر كل سنة في مجلد حافل (5).

والسؤال الذي أطرحه الآن هو التالي : ما مكانة المصطلح الفلسفي في معاجم العربية عامة ؟ لكن هذا لا يعني ان العرب لم تكن لهم اعمال في هذا الميدان بل لقد صنف القدماء والمحدثون من الكتب في المصطلح الفلسفي شيئا ليس بالقليل . فمن مباحث القدماء يذكر : - كتاب «رسائل اخوان الصفاء» طبع في بومباي وهو اربعة اجزاء في مذاهب الفلاسفة الباطنية .

- كتاب «مفاتيح العلوم» للخوارزمي ليدن 1895

- كتاب «إحياء علوم الدين» للغزالي ويهمننا منه باب بيان ما يدل من الفاظ العلوم في الجزء الاول طبعة مصر ص 24-29 ذكر فيه انتقال

(4) - علي عبد الرحمان - فقه اللغة دار لاهضة المصرية 1970 . لطبعة 6، ص 168

(5) - 1902 - Vocabulaire philosophique Société française de philosophie

ألفاظ العلوم من معنى الى معنى .  
 - كتاب ابن رشد «ما بعد الطبيعة» طبعة مصر، فيه بعض الاصطلاحات في مسألة الجوهر يذكر أن أصله فارسي بمعنى اللؤلؤ داخل الصدف ثم انتقل الى المعنى اليوناني لكلمة ousia (الذات) ويقول: أن هناك اختلافاً عند المتكلمين لأنهم استعملوها على رأي «ديمقريطس» في مسألة الجزء الذي يتجزأ

- كتب الصوفية الذين أسسوا تقريباً علم المصطلحات مثل :

1 - كتاب الكلاباذي وهو حنفي المذهب في الفروع وصوفي مات سنة 380 هـ . وكتاب بلدة في خراسان وهو صاحب الكتاب المشهور عند الصوفية المعروف لمذهب أهل التصوف وأوسع من الرسالة القشيرية.  
 2 - رسالة القشيري المتوفى سنة 465 هـ وهي مشهورة وطبعت على هامش شرح الأنصار للشيخ العروسي (4 أجزاء).

3 - كتاب كشف المنحجب للهجريري الجلابي المتوفى سنة 460 هـ وقيل سنة 470 هـ ترجم الى الانكليزية وطبع بأجتهاد المستشرق نيكلسون Nicholson .

4 - «كتاب الشطحيات» لروزبهان البقلي المتوفى 606 هـ هو شيرازي وجمع فيه كثيراً من الكلمات وهذا الكتاب نسختان في الاستانة (6) .  
 ونذكر أيضاً :

- كتاب التعريفات للجزجاني الدار التونسية للنشر 1971  
 - كتاب كشف اصطلاحات الفنون للتهانوي طبعة لندن 1862  
 - كتاب الحروف للفارابي تحقيق محسن مهدي، دار الشروق، بيروت 1986

- كتاب النجاة لابن سينا تحقيق ماجد فخري، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1985

(6) - انظر: لريس ماسيويو - معاصرات في تاريخ الاصطلاحات الفلسفية لغربية باريس 1983

- كتاب الحدود لابن سينا تحقيق أ. م. قواشون، القاهرة 1963.  
 - كتاب هيون الحكمة لابن سينا تحقيق عبد الرحمان بدوي دار القلم بيروت 1980.  
 - كتاب الميز في شرح الفاظ الحكماء والمتكلمين للامدي تحقيق عبد الأمير الأعصم، دار المناهل، بيروت 1987.  
 - فكتاب الأمدي هذا الذي ينشر نصه الكامل لأول مرة له أهمية بالغة في الكشف عن تطور المصطلح الفلسفي عند العرب واستعمالاته منذ بواكير الفكر الفلسفي العربي حتى زمان الأمدي الذي القون المصايغ الهجري، إن الكتاب بشكله الفني يفوق جميع تلك الرسائل التي بين أيدينا من مؤلفات الفلاسفة لسابقين في الحدود والرسوم، كما أنه يتجاوز في قيمته الفلسفية من حيث الدقة تلك المحاولات غير المتخصصة في معالجة «التعريف الفلسفي» في مؤلفات لم تكتب لهذا الغرض أولاً وبالذات<sup>(7)</sup>، وألفاظ الكتاب ومشاردها من حيث الموضوعية شاملة لمصطلحات المنطق والفلسفة على نحو لا نجده في مؤلفات لاحقة تنوعت مصطلحاتها بتوسع العلوم<sup>(8)</sup> فلم تكن بمستوى هذا لكتاب من حيث ضبط الألفاظ وشرحها بما يشاوق واستعمالات الفلاسفة العرب.

إن كتاب الأمدي هذا يحتوي على قوائم بالألفاظ تجاوزت مائتين وستين لفظاً هي عدد الألفاظ الواردة في الفصل الأول ثم تأتي مشارده لتلك الألفاظ مشروحة شرحاً فلسفياً دقيقاً تجاوزت في تفسياتها مائتين وخمسين تفسيراً من محتويات الفصل الثاني، وهو صلب الكتاب، وقد جاءت مشارده الألفاظ في ستينين، أولها الألفاظ المستعملة في المنطق وثانيها الألفاظ المستعملة في الفلسفة.

(7) مثلاً ابن سينا الخوارزمي في مفاتيح العلوم حتى 80 و 82 مسودات تاريخ والنوحدي المفاصل، تحقيق محمد توفيق حسين بغداد 1970 حتى 497 و 498.  
 (8) - نظر الجرحي التعريفات، الدار التونسية للنشر 1971.

وعلى الرغم من ان المؤلف لم يرتب تلك الالفاظ او مساردها وفق الترتيب الالفبائي فانه سلك منهجا دقيقا في ايرادها وفق تسلسل الافكار المنطقية في السياق الاول والافكار الفلسفية في السياق الثاني، ان موازنة محتويات الكتاب تتماشى تماما مع الشكل التنظيمي لمؤلفات الفلاسفة في المنطق فالطبيعة وما بعد الطبيعة فمباحث النفس على نحو متدرج لتلك المباحث عند الفلاسفة العرب والمدرسة السينوية بوجه خاص.

ويعتبر الكتاب فريدا في احصائية لالفاظ وممتازا في انتقاء مساردها وهو لذلك خير دليل شامل لأعمال الفلاسفة العرب بأيدي طلبة الفلسفة والباحثين فيها خلال اربعة قرون اي حتى زمان الأمدي (551-635هـ/1156-1237م) ان مادة الكتاب تصلح ان تكون خميرة مشروع تأسيس المعجمية الفلسفية لتراثنا الفلسفي.

اما عن تصنيفات المحدثين في المجال الفلسفي فيمكننا ان نذكر:

- موسوعة الفلسفة لعبد الرحمان بدوي في جزئين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت 1984.

- الموسوعة الفلسفية العربية باشراف د. معن زيادة، معهد الانماء العربي بيروت 1986

- الموسوعة الفلسفية لعلماء سوفيات باشراف م. روزنتال وب. يودين، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة بيروت 1974.

- معجم الفلسفة لجميل طليبيا بيروت 1978

- معجم الفلسفة لأساتذة تونس، المركز القومي البيداغوجي تونس 1977

- المعجم الفلسفي لابراهيم مذكور، مجمع اللغة العربية بالقاهرة 1963

- المعجم الفلسفي لمراد وهبة ويوسف كرم ويوسف شلالة، دار الثقافة الجديدة القاهرة 1971.

ان هذه الاصطلاحات الفلسفية المخزونة في هذه الكتب تكاد تكون مفقودة في معاجم العربية العامة فقلما تشير الى المعنى الفلسفي للفظه وذلك في نظرنا انها في غالب الاحيان لم تقف على معرفة الاصل الاول للكلمة وقفة دقيقة ولم تنظر الى تطور معاني الالفاظ نظرة عقلية عبر العصور، ومن هنا جاءت الحاجة الماسة والاكيدة الى الشروع في وضع معجم العربية التاريخي يقوم أساسا على التأصيل والتأريخ والمقارنة، هذا المعجم المنشود لابد له من ان يهتم بما يلي :

1 - ذكر الاصل اللغوي للكلمة فلفظة علة، او وجود او روح لابد ان يكون اصلها اللغوي موجودا، اذ ان اللغة العربية حزانة الحكمة واشتهرت بالحكمة ولهذه الحكم ذوق دقيق غريب.

2 - ذكر الاصل الاجنبي وخاصة اليوناني بالنسبة الى الالفاظ الفلسفية لان تحديد الاسم اللغوي في كثير من الاحيان اصله من التقاليد اليونانية كما نجد ذلك في نزعة الحمصي لكتب أفلوطين المنسوبة الى أرسطو، ولناخذ أمثلة في هذا السياق.

اتراكسيا Ataraxie كلمة يونانية تدل على حالة نفسية تتسم باللذة والاقتران ناتجة عن التوقف عن البت في الاحكام.

الهيولى Hulé كلمة يونانية وهي شيء قابل للصور مطلقا من غير تخصيص بصورة معينة نجدها عند كل فلاسفة العرب، يعرفها ابن سينا في «رسالة الحدود» بقوله «الهيولى المطلقة فهي جوهر وجوده بالفعل انها يحصل بقبول الصورة الجسمية لقوة فيه قابلة للصور وليس له في ذاته صورة تحصره الا معنى القوة، ومعنى قولي لها هي جوهر، هو ان وجودها حاصل لها بالفعل لذاتها، ويقال هيولى لكل شيء من شأنه ان يقبل كما لا ما وامرا ليس فيه فيكون بالقياس الى ما ليس فيه هيولى وبالقياس الى ما فيه موضوعا»<sup>(9)</sup>.

(9) - ابن سينا. رسالة الحدود، تحقيق أن ماري فواشوب، منشورات المعهد العلمي لفرسي للآثار الشريفة بالقاهرة. 1963، ص ص 17 18

الجوهر كلمة طبيعية فارسية هي «الكوهو» وتذكر ابن رشد في «تأليف ما بعد الطبيعة» بأن أصله فارسي بمعنى اللؤلؤ داخل الصلابة ثم انتقل إلى المعنى اليوناني لكلمة *ous* (الذات) وتوضع هذه الكلمة في اللاتينية مقابلاً لكلمة *Substantia* ولها حدود ثلاثة: أ - عند الفيلسوفين هي الجوهر والعنصر أو الجزء الذي لا يتجزأ. ب - عند الفلاسفة الجوهر ما ليس في موضوع قائم بذاته. ج - عند المتكلمين الجوهر ما ليس في محل. ويرى ابن رشد أن هناك اختلافاً عند المتكلمين لأنهم استعملوها على رأي ديمقريطس في الجزء الذي يتجزأ. وما الآن مترادفات كثيرة في اللغة العبرية مثل: العنصر

والشخص، والعين، والذات، والماهية وغيرها. 4 - استقصى لفظة هجرية عن اليونانية تعني العنصر المادي على الإطلاق وقد وردت في استعمالات أرسطو في حديثه عن أصول المادة<sup>(10)</sup>، ووردت بصيغة الجمع في «كتاب جالينوس في الأبيقسطا» على رأي «أبقراط»<sup>(11)</sup> وقد وردت فلاسفة العرب الكندي والفارابي وابن سينا والغزالي وابن رشد في الخ. استعملها من عصر الترجمة في القرن الثالث الهجري حيث لم يستقر المصطلح الفلسفي ولم يوضع بديله العربي. وأول ما يطلعتنا الكندي في (رسالة في حدودها الأشياء ورسومها، انظر رسائل الكندي الفلسفية 1/ 168 من 1110)، حيث يحددها بالمفهوم العام الأرسطي ولا يخرج استعمالات الفارابي (انظر مثلاً رسالة في معاني العقل، للمجموع ص 54 من 3) عن ذلك وكذلك نجد ابن سينا (رسالة في الحدود ص 85 من 4-7) والغزالي (معيان العلم، نشرة دنيا ص 298 من 7-5 من أسفل) وما الإصطلاحيون كالأخوارزمي

(10) - رسطو: كتاب طبيعة، تحقيق عبد الرحمن بدوي القاهرة، 2/ 950  
(11) - جالينوس: الاستطهاسات على رأي أبقراط نقله يزيد حبيب بن سحوق الكندي  
لنطيط، تحقيق محمد سليم سام، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1986



(مفاتيح العلوم، ص 82 من 13-17) والجرجاني (التعريفات، ص 18 من 1-5 من أسفل) فهم لا يخرجون عن المشهور في استعمال اسطقيس منذ القرن الرابع الهجري. انظر التوجيهي، «المقاييس» ص 497-498) وضع عن هذا القول سيف الدين الهمداني في كتاب المبين في شرح لفاظ الحكماء والمتكلمين، ص 124، وكذلك فان هذا المعجم المنشود لا بد له من ان يهتم بما يليه . . . . .

3 - الترجمة التي نقلت في القرون الوسيطية من اللغة العربية الى اللاتينية ترى بـ Bacon وديكارط Descartes وسبينوزا Spinoza قد استعملوا الاصطلاحات اللاتينية المترجمة عن العرب قبل ذلك بمئات السنين، على ان المترجمين فيها قد قلدوا مؤسسيها تقليداً اعمى فمثلاً «الجواهر المفارقة» وهي بمعنى الملائكة او نفوس الاموات قد ترجمت الى اللاتينية بـ «Substantiae Separatae» وادنا نظراً نظر المدقق الى هذا الاصطلاح اللاتيني الفيناء عربياً بالنسبة الى اللغة اللاتينية ذاتها لان هذا الاصطلاح لا يفيد معنى واسعاً كما يفيد باللغة العربية فنرى ان الاصطلاحات العربية قد تأتي بمعان اوسع .

4 - الحدود عند فلاسفة العرب كالحذ الاول مثلاً للفارابي فان تحديد اللغة العربية الفلسفية ثبتت في عهد الفارابي فقط وقام في وقته المصطلح الفلسفي الصحيح اما قبله فقد اتخذت طرق مختلفة

5 - المعنى الحالي كنظرنا الى اصطلاح «النشوء والارتقاء» المترجم عن كلمة Evolution فننظر ان كانت هذه الترجمة صحيحة ام لا .  
معنى ذلك ان ترجمة المصطلح من اي لغة اجنبية اخرى تختلف عن اخذ كلمة عربية وحمل المعنى عليها سواء قبله اللفظ العربي أو أكره عليه اكرها، فلا يجب ان نلبس اللفظ العربي ثوباً لا يلائمه ولا يرتاح لارتدائه اي لا نكره اللفظ العربي على تحمل معان يدل عليها اللفظ الاجنبي دلالة واضحة صريحة ولا يدل عليها اللفظ العربي الا دلالة غامضة ملتبسة الا انه لا ضير على اللغة العربية من التعريب فهو عملية

تثريها وقد استعملها سلفنا في العصور الاسلامية التي بقيت فيها العربية على اصالتها حينما نقدوا تراث اللغات الاجنبية الى العربية .

6 - قضية المترادفات التي كما أشرنا اليها يمكن ان يكون كل واحد منها دالا على حالة خاصة تختلف بعض الاختلاف عن الحالة التي يدل عليها غيره . . . هي قضية هامة جدا يجب الاعتناء بها في معجم العربية التاريخي المرتقب حتى لا نقع في التعريفات الدورية حيث ان اللفظة تعرف نفسها بنفسها وتندرج شيئا فشيئا في تطور معاني اللفظة .

وبهذه الكيفية يمكن ان تسهم الفلسفة في اثراء معجم العربية التاريخي وتستفيد منه ولكن بالرغم من ذلك كله يجب ان ننظر الى معجمنا المرتقب هذا نظرة سببية لا مثالية حتى نخرج من مجال النظريات الى مجال التطبيقات والعمل مهما عظم شأنه فهو استكمال لا كمال .

عبد الستار جعبر  
جامعة الزيتونة - تونس

## الخبر : مفهومه ومنزلته في المعجم

بحث : محمد القاضي  
كلية الآداب - جامعة تونس 1

ان الخوض في مسألة المعجم التاريخي وما يستوجبه إنجازه من جهد وما يترتب عنه من نفع للغة ومستعملها يضطربا الى إرساء أسس للتعامل مع المكتوب تختلف عما اجمع عليه أئمة اللغة العرب القدامى ومن جرى محرامهم ذلك ان غايتهم تختلف عن غايتنا، فقد كاسوا يضعون حدا فاصلا بين الفصيح من الكلام وغير الفصيح، فيثبتون الاول وينكرون الثاني معتبرين اياه دنسا وهجرا. وجعلوا للفصيح حدودا زمانية ومكانية لا يتجاوزها والا غدا الكلام لاغيا لا يعتد به ولا يحتج، فمصنّفو المعاجم «انما أرادوا التفرقة الدقيقة بين الفصيح من العربية وغير الفصيح، وذلك بوضع قانون للاستعمال الصحيح للكلمات، ويدل هذا الاتجاه - دون شك - على إحساس لغوي دقيق عند اللعويين، ولكنه عاق القوة الحبوية الدافعة في اللغة عن التقدم والتوسع»<sup>(1)</sup> فكانت المعاجم القديمة لذلك غير مهتمة برصد تحولات

(1) - 'وحسن فيشر' المعجم اللغوي التاريخي ط 1 شر جمع اللغة العربية القاهرة 1967، ص 7

المعنى التي تصيب بعض المفردات من خلال الاستعمال رصدًا منتظمًا وانحصرت غايتها في اثبات المعنى النمطي القار والتجافي عما سوى ذلك.

ما غايتنا فتمثل أساسًا في العودة الى الكتب القديمة لتتبع مختلف المعاني اللائحة بكلمة «الخبر» فيها، اذ لن يكون بإمكاننا ان نستنطق وجوه الاستعمال غير المدوّن في تلك الاعصر التي ارتبط فيها التدوين بالدين وبما حم حوله. غير أننا لن نقصر همّنا على المعاجم، بل سنوجّه وجهنا أيضًا الى كتب الأدب التي توفر لنا مادة ثرة متعددة الجوانب لا يزال بعضها في حال البكارة وما تحمله من نفرة واستقصاء. ولئن كنا - على هذا النحو - لا نصل بين معاني الكلمة في القديم ومعانيها المستحدثة، فإن ما يهون علينا الامر أنت مقتحمون هذه المغامرة سعيًا الى غايتين، أولاهما ضبط الدوائر التي يمكن ان تردّ اليها معاني كلمة الخبر باختلاف السياقات التي وردت فيها، وثانيتهما محاولة ارساء مشروع ضبط المراحل الكبرى التي قطعتها هذه الكلمة في مسيرتها.

قبل ان نعدّد لمعاني المتصلة بالخبر ونحاول رصد وجوه التواصل والتناقص بين الاختيار وضروب المعارف التي اكتسب العرب على التأليف فيها منذ عصر التدوين لا بد لنا من ان نتساءل عن التطور الذي سلكته هذه الكلمة. وقد رأينا - في هذا المقام - ان نهدي بها وضعه «فيشر» من مبادئ لتحديد أهم المراحل التي قطعتها الكلمة، اذ رأى انه يحسن في ترتيب المعاني ان ينتقل المرء من العام الى الخاص، ومن الحسي الى العقلي، ومن الحقيقي الى المجازي<sup>(2)</sup> فكيف كان الامر في هذه الكلمة؟ علينا ان نقنع في هذا المجال بتتبع الكلمة في العربية لاننا لا نميل الى الآن معجها كافيًا وافيًا تناول الكلمات العربية من حيث

أصولها وجذورها المشتركة في اللغات السامية الأخرى<sup>(3)</sup>.  
لذلك اعتمدنا على معجمين عربيين هما «القاموس المحيط»  
للفيروز آبادي و«لسان العرب» لابن منظور، فوجدنا أن المعاني المندرجة  
في مادة «خ ب ر» على غير نظام فسينالنا ترتيبها بعد أن أخضعناها لما  
كنّا أشيرنا إليه من مقاييس.

إن ما استرعى انتباهنا في معاني بعض الألفاظ المشتقة من الجذر  
الثلاثي «خ ب ر» ارتباطها بالماء، فالخبراء: منقع الماء، والخبرج: خبورة  
منقع الماء في الجبل، والخبرة: ج الخباري والخباري والخباروات والخبار،  
منقع الماء في أصوله.

ومن هذا المعنى الأساسي تفرع معنى ثانٍ يربط بين هذا الجذر  
والأرض، فالخبراء: قطاع مستدير يجتمع في الماء، والخبر: مثبت السدر في  
القيعان، والخبار أرض خصبة تنبت فيها الدواب، والخبار أيضا ما  
استرخى من الأرض وتحفر، وهو ما تهور وساحت فيه القوائم، وهو ما  
لأن من الأرض واسترخى. والصلة بين المعنى الأول أي الماء والمعنى  
الثاني أي الأرض طبيعية فيزيائية، إذ الماء يجتمع في ما يشبه المستنقع  
ولا يكون ذلك إلا في المواضع الواطئة.

ومن هذا المعنى تولد معنى ثالث وهو ما تنبت الأرض إذا الشأن  
في الأرض المنخفضة التي يجتمع فيها المياه، إن يظهر فيها النبات،  
فالخبر: شجر السدر والأراك وما حولها من العشب وأجدته خبرة والخبر  
الزروع والخيرة: النبات وفي حديث طهفة: نستخيل الخبر أي نقطع  
النبات والعشب ونأكله، فمن الطبيعي أن يتصل النبات بالزراعة  
فالخبر: أن تزرع على النصف أو الثلث من هذا، وهي المغبرة أي:

(3) فيليب جتي - تاريخ العرب ج 1  
Henri Fleish Introduction à l'étude des langues sémitiques.

Adrien-Maisonneuse Paris, 1947.

G. Rabini: Arabiya: (l'arabe pré-classique. E12, T1 pp.579 - 586

المزراعة ببعض ما يخرج من الأرض، وهو الخبر أيضاً، والخبر الأكار (أي المزارع) ومن اجتماع السائل والكلا والمكان المنخفض نشأ معنى رابع، فالخبر والخبر: المرادة العظيمة (أي الظرف الذي يحمل فيه الماء كالراوية والقربة والسطيحة) والخبر والخبر أيضاً: الناقة الغزيرة اللبن، وفي هذا شيء من التحفي والاستتار لأن الماء في المزادة واللبن في الصرع محتجابان احتجاب الواحة التي لا تكون إلا في هداة من الأرض، فكان المخبر خلاف المنظر.

وكما هو الشأن في كل مكنون غدا بحاجة إلى حظ من المعرفة والتجربة والخبرة ليحاط به، فكانت من ذلك المرحلة الخامسة في مسيرة هذه المادة، فالخبر: المختبر المجرب، والخبر والخبر والخبر والخبر والخبر والخبر والخبر: العلم بالشيء، ومنه قولهم: لأخبرن خبرك، أي لأعلمن علمك، وأخبره خبره: أي أنبأه ما عنده.

ومن ثمة تولد المعنى السادس، وهو من الخامس بسبب متين، إذ أصبح يعي خلاصة العلم ودليله أي الإعلام فالخبر ما أنك من نبا عمن تستخير.

هذه هي المراحل التي بد لنا أن مادة «خ ب ر» قد قطعتها، وقد ألفينا أهل العلم يتعاورونها وينزلونها من شبكة المعارف العربية منزلة رفيعة حتى غدت مندسة في كل هذه المعارف، شائعة فيها، حاملة لطابع جوهري من طبائع الثقافة العربية الإسلامية في طور نشأتها واشتداد عودها.

حين برد الطرف إلى المعاني التي نسبها الفيرورابادي وابن منظور إلى الكلمات المشتقة من مادة «خ ب ر» نلاحظ أنهم لم يوليا كلمة «خبر» في معانيها الاصطلاحية عناية مخصوصة فاذا عدنا إلى «كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم» ألفينا صاحبه يقول «إن العلماء اختلفوا في تحديد الخبر، فقليل لا يجد لعسره، وقليل لأنه ضروري، وقليل يجد

واختلفوا في تحديده»<sup>(4)</sup>.

ومن المنطقي ان نضع حداً فاصلاً بين المفهوم اللغوي للخبر ومفهومه الاصطلاحي، اذ الخبر لغة، حديث او نبأ أو إعلام، وهو «الكلام الذي يدخل فيه الصدق والكذب»<sup>(5)</sup> وهو بهذا المعنى لا يرتبط شكل ولا بإطار ولا بقواعد ولا بشروط مهما يكن نوعها.

أما معناه اصطلاحاً فأضيق مجالاً، ذلك ان الخبر من الناحية الدينية هو الحديث المنقول عن الرسول. «والمحدثون استعملوه بمعنى الحديث»<sup>(6)</sup> وبهذا المعنى استعمل الجاحظ هذه الكلمة في «البيان والتبيين» حيث قال: «وفي الحديث المأثور والخبر المشهور ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: شعيب خطيب الانبياء»<sup>(7)</sup>

وبهذا المعنى ايضاً وردت كلمة «الخبر» عند الحريري في المقامة السّاوية حيث قال «آنست من قلبي قساوة حين حللت ساوة فأخذت بالخبر المأثور في مداواتها بزيارة القبور»<sup>(8)</sup>، وهو يشير ههنا الى الحديث السبوي «عودوا المرضى واحضروا المقابر فانها تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة».

أما من الناحية النحوية فقد اتفق السحاة على ان الخبر هو «المجرد المسند الى المبتدأ»<sup>(9)</sup> كقولك زيد قائم.

وأما في البلاغة فيقصد بالخبر «الكلام التام غير الاشائي»<sup>(10)</sup> اذ

(4) - انتهاوي - موسوعة اصطلاحات العلوم الاسلامية، ج 2 مشورت شركة حباط للكتب  
واسشر - بيروت د ت ص 411

(5) - م ن ص 411

(6) - الربيدي، تاج العروس ج III

(7) - الجاحظ: البيان والتبيين - دار الكتب العلمية بيروت، د ت ح 3، ص 200.

(8) - ابو العباس احمد بن عبد المؤمن القيسي، شرح المقامات الخيرية ج 1 ط 2 المطبعة  
الكبرى اميرية، بولاق مصر 1300 هـ ص ص 174 - 175

(9) - انتهاوي - موسوعة اصطلاحات العلوم الاسلامية ص 410

(10) - م ن ص 410

الكلام لا يعدو ان يكون خبرا او انشاء وبهذا المعنى وردت الكلمة عند  
المناطق المتكلمين.

غير ان هذه الكلمة قد فاضت عن الاطر التي ذكرنا وكان لها  
حظوة عظيمة في كتب الادب، واختص بها أناس عرفوا بالاختيارين او  
أصحاب الاخبار. وفيها كتب الجاحظ إشارات تدل على أن الاخبار  
ظلت مرتبطة بالمشافهة، فكانت بذلك في تقابل مع المكتوب. يقول:  
«وقد جمعنا في هذا الكتاب جملا التقيطناها من أفواه أصحاب  
الاخبار»<sup>(11)</sup> ويقول متحدثا عن احدي الخطب «ولول هذا الكلام  
مستكره، وهو موجود في كل كتاب، وجار على لسان كل صاحب  
خبر»<sup>(12)</sup> وهو يردف ذلك باحترار واضح يلقي فيه على عاتق الراوي  
مسؤولية صدق الخبر او كذبه، ويحصر مهمته هو في التدوين فيقول  
«وانما نكتب لكم ونخبر به سمعناه والله أعلم بأصحاب الاخبار وبكثير  
منهم»<sup>(13)</sup>

ولعل هذا المعنى يؤكد ما جاء في الاحاديث النبوية من ربط بين  
الخبر وبين معان واصحة الصلة بالمشافهة من ذلك قوله صلى الله عليه  
وسلم «ليس الخبر كالمعاينة»<sup>(14)</sup>. وفي الحديث مقابلة صريحة بين الخبر  
بمعنى السماع والمعاينة اي المشاهدة، وقوله «عدّة المتوفي عنها زوجها من  
يوم يأتيها الخبر»<sup>(15)</sup>، وقد وردت كلمة الخبر ههنا بمعنى الشئ، وقوله  
«أبكي على خير السباء انقطع»<sup>(16)</sup> ومعنى الخبر ههنا الوحي.

على أننا كثيرا ما نجد كلمة الاخبار بصيغة الجمع في عتاوين

(11) الجاحظ: الياء والتبيين ح 2. ص 9

(12) - م. ن ح 1 ص 202

(13) - م. ن ح 2 ص 29

(14) - أ. ي. وسنك وي. ب. مشفق والمعجم يظهر من اللفظ الحديث النبوي دار الدعوة  
استانبول 1987 دار سحون - تونس 1987 ح 2 ص 5

(15) - م. ن ص 5

(16) - م. ن ص 5



كتب تدل على سرد للأحداث يسائر فيه صاحبه حوادث التاريخ على غرار «أخبار اليمن» لعبيد بن شربة الجهمي أو «أخبار مكة» للزرقاني، وفي هذا السياق تندرج الكتب التي أشار اليه ابن النديم في «الفهرست» في أخبار الأخباريين والرواة والنسابين وأصحاب السير والأحداث [ . . . ] وفي أخبار الملوك والكتاب والمتوسلين وعمال الخراج وأصحاب الدواوين وأسماء كتبهم<sup>(17)</sup> وقد أورد صاحب «الفهرست» عناوين كتب كثيرة بلغ عددها 105 حسب فهرس الكتب الذي أثبتته محقق «الفهرست» رضا محمد المازندراني، منها «كتاب أخبار الحجاج» و«كتاب أخبار الحسن بن علي ووفاته» و«كتاب أخبار خلفاء بني العباس» و«كتاب أخبار صاحب الزنج» وغيرها، وهي عناوين توضح بان الغرض من وضع هذه الكتب تاريخي لذي يوم أصحابها فيها إن يجمعوا الروايات التي تعرضت إلى شخصية أو جماعة أو عصر، ولعل دورهم لا يعدو النقل والجمع والترتيب.

غير أن ابن النديم يذكر عناوين كتب أخرى من قبيل «كتاب أخبار الجن» و«كتاب أخبار الجن وأشعارهم» وهي تنأى عن إطارها عن السياق التاريخي وتدخلنا في حيز جديد لا يجتذبه الواقع التاريخي، ولما تتخلله الأساطير والخرافات والأعاجيب.

هذا التوسل بين التاريخي والأسطوري واضح تمام الوضوح في كتاب من أقدم كتب الأخبار هو «أخبار عبيد بن شربة الجهمي في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها»<sup>(18)</sup>، فالصيغة التاريخية بارزة في عنوان الكتاب وفي متنه إذ يوصف فيه عبيد بأنه «أدرك ملوك الجاهلية وهو أعلم من بقي اليوم في أحاديث العرب وأنسابها»<sup>(19)</sup>، غير أن الكتاب مكتظ

(17) - ابن النديم - الفهرست - تحقيق رضا محمد - دار المسرة - بيروت ط 3 - 1988 - ص 101 - 129

(18) - ص 101 في محلد واحد مع كتاب اسحاق لوفت من نسخة المطبعة الخليلي كآخرة المعارف العثمانية حيدرآباد - الهند 1347 هـ

(19) - م - ص 312

بأخبار أسطورية من قبيل ما ذكر عن أبرهة بن الرأث من أنه «كان يدعى ذا المنذر، وكان من أجل هل زمانه فيما يذكر فعشقته امرأة من الجن يقال لها العيوف ويروى أنها الهيوف بنت (كذا) الرابع، فتزوجها فولدت له العبد بن أبرهة . . . »<sup>(20)</sup>.

فلا شك والحالة هذه في أن ما كتبه شارل بلّا في مقال «حكاية» بدائرة المعارف الإسلامية من أن «لفظ الخبر وإن لم يكن صادقا كلّه في نظر النقاد فليس من الجائر مبدئ أن يستعمل للدلالة على قصة مخترعة»<sup>(21)</sup> يحتاج منا إلى مزيد التثبت.

ومن هنا يمكن أن نتحدث عن الخبر بوصفه مدرجا في دائرة مخصوصة هي دائرة القصص فالسمعي يذكّر في «الأنساب» أنه «يقول لمن يروي الحكايات والقصص والنوادر الاخباري»<sup>(22)</sup>.

ولئن كانت الاخبار ههنا اسما عاما دالا على الكل الذي تدرج فيه فنون قصصية دنيا، فإنها يمكن أن تكون دالة على الجزء إذ هي عنصر من العناصر التي تتألف منها ثقافة القصص. فالجاحظ يقول «ومن الفصا ص أبو بكر الهذلي [ . . . ] وكان خطيبا بينا صاحب اخبار وآثار»<sup>(23)</sup> وهذا الكلام يشي بأن الاخبار من مكونات القصص.

غير أننا نعثر في مقدمة كتاب «البخلاء» على إشارة بالغة الشأن في هذا السياق تقطع بوجود ضرب من الاحتواء الذي لا يبعد أن يكون مراتبيا. يقول أبو عثمان، «فأما ما سألت من احتجاج الأشعاء وبودر أحاديث البخلاء فسأوجدك ذلك في قصصهم - إن شاء الله تعالى - مفرقا، وفي احتجاجاتهم مجملا، فهو اجمع هذ الباب من وصف ما

(20) - م. ج. ص 406.

(21) - Charles Pellat: H. Kaya: EI 2 p 381.

(22) - السمعاني: الأنساب ص 21.

(23) - الجاحظ: البيان والتبيين ج 1 ص 196.

عندي دون ما انتهى الي من أخبارهم على وجهها»<sup>(24)</sup>، ومن هذا القول يتجلى لنا أن النوادر تندرج في القصص وإن القصص تندرج في الاخبار. ومن هذه المرتبة يتضح معنى الخبر حتى يتأخم حدود النشر فيستعمل مقابلا للشعر «ومثل هذا لا يثبت الا بان يستفيض في الشعر ويظهر في الخبر»<sup>(25)</sup>.

ولئن كانت لفظة «اخر» على هذا النحو من الثقيل والتدبذب والتراوح بين الضيق والاتساع، فان في لثقافة العربية فنونا اخرى او قل ضروبا من المعارف ارسخ قدما، مما يمكننا من دراسة الوشائج التي تربط بينها وبين الاخبار.

فليس من شك في ان الشعر قد نما بمعزل عن الاخبار ولعل هذا ما يفسر لنا الفصل بينهما في عبارات من قبيل ما أورده ابن قتيبة في كتاب «المعارف» عند حديثه عن يزيد بن بكر بن داب، وقد قال عنه إنه «كان عالما بأخبار العرب وأشعارها»<sup>(26)</sup>، غير ان هذا التمييز بينهما ليس طلاقا، فما اكثر ما تعج الاخبار بلاشعار التي تضمّن في النص النثري وكأنها تشد أزره وتشهد بصحته. وهذه الظاهرة متقدمة نجدها عند عبيد بن شربة الجرهمي الذي يروي الخبر ويرفده بشعر فيقول له معاوية «لقد جئت بالبرهان في حديثك يا عبيد»<sup>(27)</sup>. وهو في بعض الاحيان يستنشده شعرا «قال معاوية أقيم في ذلك شعرا؟»<sup>(28)</sup> ولعل ذلك متأث من منزلة الشعر وعظم شأنه عند العربي، وهي منزلة دونها منزلة الخبر. يشهد على ذلك ما جاء في «أخبار اليمس» «قال معاوية وأبيك لقد أتيت

(24) - المحايط النحلاء - تحقيق طه الحاحري . دار المعارف بمصر . ط 4 - 1971 - ص 5 .

(25) - م ن - ص 213

(26) - ابن قتيبة المعارف تحقيق ثروت عكشه مطبعة دار الكتب - مصر . 1960 - ص 538

(27) - عبيد بن شربة الجرهمي . احبار اليمس ص 330

(28) - م ن - ص 335

وذكرت عجباً من حديثك عن عاد وقد علمت ان الشعر ديوان العرب  
والدليل على احاديثها وافعالها والحاكم بينهم في الجاهلية وقد سمعت  
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول «ان من الشعر لحكماً» [ . . . ]  
فهاث أسمعني ما حفظت»<sup>(29)</sup>.

ولعل هذه الهيمنة للشعر على النثر هي التي يدل عليها صريح  
قول الجاحظ في «البيان والتبيين» حيث جعل الشعر أشمل من الاخبار  
بل حاوياً لها. يقول «لو لا شعر الفرزدق لذهب نصف اخبار  
الناس»<sup>(30)</sup>. ويمكن ان يكون هذا باباً للمخوض في مسألة المفاضلة بين  
الشعر والنثر وازدراء القصاص على نحو ما يظهر في «البيان والتبيين».  
ومن المعارف القارة عند العرب مد الجاهلية العلم بالانساب،  
وقد اشتهر من النسابين دغفل النسابة والنسابة البكري وابو اليقظان  
النسابة وهشام الكلبي وغيرهم. وقد عقد ابن التديم في «الفهرست»  
المقالة الثالثة لـ «أخبار الاخباريين والنايين واصحاب الاحداث  
والآداب»<sup>(31)</sup>. ويختلف الاستعمالات الواردة في «الفهرست» تدل على  
ان الاخبار تختلف عن الانساب. من ذلك وصفه لعبد الرحمن بن هرمز  
بكونه «أعلم الناس بالانساب قريش واخبارهم»<sup>(32)</sup>، وعدة ما تجعل  
الانساب في درجة واحدة مع الاخبار والاشعار، فالشرقي بن القطامي  
«أحد النسابين الرواة للاخبار والانساب والدواوين»<sup>(33)</sup> كما كان حماد  
«راوية للاخبار والاشعار والانساب»<sup>(34)</sup>. ويتجلى ذلك في بعض  
عناوين الكتب الجامعة بين الانساب والاخبار من قبيل كتاب ابي  
اليقظان النسابة «كتاب نسب خندف واخبارها»<sup>(35)</sup>.

(29) - م - ب - ص 352

(30) - لاحظ. لسان والتبيين ح 1 ص 321

(31) - اس السيم الفهرست ص 101

(32) - م - ب - ص 45

(33) - م - ب - ص 102

(34) - م - ب - ص 104

(35) - م - ب - ص 107

غير أننا نجد أحياناً أن العلاقة بين الأخبار والأنساب علاقة احتوائية، فهذا ابن السكيت يتحدث عن سعد القصير فيصفه بأنه «كان ناسباً، وعنه أخذ العتيبي أخبار أهلهم ومناقبهم وأشعارهم»<sup>(36)</sup> ومثل هذه الاستعمال يشي بأن الأخبار لا تعدو أن تكون جزءاً من الأنساب.

أما ابن خلدون في «المقدمة» فإنه يعرف الأدب بكونه «ذكر المهيم من الأنساب الشهيرة والأخبار العامة»<sup>(37)</sup> وكأنه بذلك يقلب المعادلة فيجعل الخبر - وقد وصفها بالعامة - أعم من الأنساب التي تغدو - والحالة هذه - جزءاً من الأخبار، ومهما يكن من أمر فإن الترابط بين الأخبار والأنساب أيما كان مغزاه دال على أن أهل العلم كانوا يميزون بينهما وعلى أن الخبر وثيق الصلة بالجانب البيوگرافي التاريخي.

وإذا نظرنا في الصلة بين الأخبار والطبقات وجدنا أن الطبقات قوامها الشعر المعزز بالأخبار المسندة شأن «طبقات فحول الشعراء» لابن سلام الجهمي، وقد دأب فيها على استعمال فعل «أخبرنا» وإن كانت الأخبار ههنا متصلة الوثق اتصال بالشعر فهي في خدمته توضح مناسبتة أورأي النقاد فيه، ومن ثمة جاز لنا القول أن الطبقات إنما تعتد بالخبر من حيث هو عنصر لتوضيح الأشعار. فالطبقات حينئذ أشمل من الأخبار وأعم.

وكذا الأمر في الأمثال التي تردف عادة بما يفسرها من ظروف قولها وشخصية قائلها وغير ذلك، ولئن صرح الميداني بقوله «ذكرت في كل مثل من اللغة والأعراب ما يفتح الخلق، ومن القصص والأسباب ما يوضح الغرض ويسيف الشرق»<sup>(38)</sup>، فإن حمزة بن الحسن الأصبهاني (ت 351 هـ) يقول في «الدرة الفاخرة في الأمثال البائرة» «أبدأ الآن في

(36) - م - ص 103.

(37) ابن خلدون المقدمة - دار الكتاب العربي - 1956 - ص 1038.

(38) الميداني: مجمع الأمثال - بحقيق محمد يحيى الدين عبد الحميد - ج 1 - ط 1 - 1959.

مطبعة السعادة بمصر - ص 4.

تنسيق الامثال [ . . . ] مفسرة باسبابها واخبارها»<sup>(39)</sup>. والناظر المحقق في هذين القولين يرى أنهما دائران على تصور واحد، يتمثل في ان المثل يحتاج الى توضيح الاسباب التي قيل فيها والقصة التي أدت الى قوله، الا ان الميداني استعمل عبارة «القصص والاسباب» في حين استعمل الاصبهاني عبارة «اسبابها واخبارها»، ويؤول بنا ذلك الى نتيجتين: أولهما ان الخبر والقصة استعملت في سياق واحد فهما اقرب الى ان يكونا مترادفين، وثانيتهما ان الخبر - في هذا المعنى - قصة يؤتى بها لتوضيح المثل وتأطيره، فهو بذلك داخل تحته.

ولعلنا يمكن ان نجعل هذا الرأي منطبقا ايضا على كتب التراجم، فهذا ابن قتيبة في «الشعر والشعراء» يتحدث «عن الشعراء وأزمانهم وأقدارهم وأحوالهم في أشعارهم وقبائلهم وأسماء آبائهم ومن كان يعرف باللقب او بالكنية منهم وعما يستحسن من أخبار الرجل ويستجاد من شعره»<sup>(40)</sup>. وظاهر ان الاخبار ههنا جزء من أدب التراجم كما انها جزء من أدب السيرة. فكأنها - والحالة هذه - غدت مادة أولية تتحكم في كل أضرب التواليف التي ازدهر امرها منذ الصدر الاول من الحضارة العربية الاسلامية.

على هذا النحو حاولنا ان نتبع معاني «الخبر» في المعاجم اللغوية ومن الناحية الاصطلاحية وفي كتب الادب، وسعينا الى اثارة جملة من لقضايا واستجلاء فئة من الخصائص التي تعلقت بهذه الكلمة من خلال اوجه الاستعمال المختلفة التي اتصلت بها والسياقات المتنوعة التي وردت فيها.

ولئن كانت معاني الكلمة في المعاجم غزيرة تنم عن تطور في

(39) - حمزة بن الحسن لاصبهاني السيرة الفاحرة في الامثال السائرة تحقيق عبد المحد

قطامش، ح 1 دار المعارف بمصر 1972 - ص 67

(40) ابن قتيبة - الشعر والشعراء - علق عليه ووضع حواشيه د محمد يوسف نجم ود

احسان عيسى دار الثقافة بيروت ج 1 ص 7

دلالاتها، فانها بعد الاسلام قد وجدت مجالا آخر للتطور اذ تمحضت في مرحلة اولى للمشافهة والإبهاء. وبذلك تخلصت من معانيها المادية «الماء والارض والنبات وغيرها». ثم تسربت بعد ذلك الى مجال التأليف فاخذت معاني مختلفة حسب السياق وربطتها بمختلف المعارف التي صنف فيها العرب علاقات متعددة الوجة.

غير ان هذه الكلمة العجيبة الثرية قد افتقرت في العصور المتأخرة أيما افتقار حتى كاد أمرها في عصرنا ينحصر في الدلالة على الانباء التي يتلقاها المرء أو تذايع في وسائل الاعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية او الاحداث الطارئة المتعلقة بالافراد وغيرهم. ولكننا لم نتطرق في عملنا الى هذا الوجه من وجوه التحول الذي شهدته هذه الكلمة، واقتصرنا على تطور الكلمة معنويا في العصور المتقدمة.

ومهما يكن من امر فان تنوع مراجعنا وامتداد الفترة الزمانية التي أخذت منها يجعل محاولتنا هذه عرضة للقصور فليس الامر في نظرنا الا تحسسا للموضوع لا يزال محتاجا الى العودة اليه والاستقصاء فيه بمزيد من الدقة والشمول.

محمد القاضي

رئيس المجلس الأعلى للدراسات والبحوث

مجلس الاعلى للدراسات والبحوث  
مجلس الاعلى للدراسات والبحوث  
مجلس الاعلى للدراسات والبحوث  
مجلس الاعلى للدراسات والبحوث  
مجلس الاعلى للدراسات والبحوث

## «توصيات عامة»

توصيات عامة

توصيات عامة

إن المشاركين في ندوة «المعجم العربي التاريخي - قضايا ووسائل انجازه» المنعقدة في تونس من 14 الى 17 نوفمبر 1989 بدعوة من جمعية المعجمة العربية بتونس، وبعد الاستماع للبحوث المقدمة والمداخلات المختلفة، وبعد تحسّس منهجيات العمل وامكانيات الانجاز، وبعد الاستماع الى عرض التجارب العربية والاجنبية في هذا المجال:

- أولا : يدعون الى :

أ - ضرورة البدء في وضع معجم عربي تاريخي لانه يمثل ذاكرتنا اللغوية والثقافية والحضارية، التي تضبط رصيدنا الفكري، ويكون مرجعا اللغوي والعلمي الامين، بكونه :

1) مدونة لغوية موثقة قائمة على النصوص الثابتة، تؤرخ لحضارتنا وثقافتنا من خلال رصيدنا اللغوي المشترك

2) أداة تربوية مرجعية تمكنا من تصور وظائف المعاجم الاخرى، التي تتفرع عنه في مادته ومنهج وضعه

ب - ضرورة وضع منهجية علمية دقيقة محكمة لجمع مادته وترتيبها وتعريفها، بالاعتماد على التقنيات الحديثة، لاسيما التقنيات المعلوماتية المتبعة اليوم.

ج - ضرورة الشروع في انجازه حسب مراحل تتعهد بالمتابعة والمراجعة على ان يحدد لكل مرحلة فترة زمنية تقريبية ممكنة



— ثانيا : يوصون بما يلي :

أ - بان يكون هذا المعجم لغويا تاريخيا عاما، يؤرخ لكلمات اللغة وللاصاليب والتراكيب العربية، اعتمادا على النصوص المدونة في تطورها الزماني وانتشارها المكاني، مع الحرص على تأصيل ما يمكن تأصيله منها.

ب - بالشروع في وضع متطلباته الاساسية، وخاصة :

(1) ضبط مصادره ومراجعته الاساسية

(2) تكوين مكتبته العلمية

(3) وضع مشروع رصين منهجية في الجمع والوضع ترتيبا وتعريفا

(4) استكشاف التقنيات العصرية الحديثة المساعدة على طي المراحل

في استقراء النصوص وتنظيمها، حسب القواعد المعلوماتية المتطورة ومتطلباتها.

ج - بالاقتداء في المجال الفني بالتجارب الغربية القائمة، والتجارب القائمة في البلدان المتقدمة ذات الخبرة والتجربة، التي نتعاون معها من اجل رقي الثقافة العربية، وتنزيلها منزلتها العالمية اللائقة.

(5) بضبط ميزانية تقريرية مرحلية مؤقتة، حتى يمكن تصور ما سيرصد للمعجم التاريخي من تمويل ودّعم مادي.

هـ - بمراسلة الجامعات العربية واتحاد الجامعات العربية باسم جامعة تونس الاولى لتبادل قائمات البحوث المختصة بالمعجم، وتشجيع الزملاء المختصين وحثهم على توجيه طلبة الدراسات العليا لديهم لتحقيق وبحث ما يتعلق بالمعجم والقضايا المعجمية، وتزويد الجمعية بنسخ من تلك البحوث، إن امكن، او نتائجها.

و - باعلام المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والمنظمة الاسلامية للتربية والثقافة والعلوم واليونسكو بهذا المشروع القومي الحضاري واهدافه، وبما تم انجازه، وبخطواته المستقبلية، والتطلع الى دعم هذه المنظمات ومساندتها عند الحاجة.

### ـ ثالثا :

يباركون التجربة التي ستشرع فيها كلية الآداب في جامعة تونس الاولى - قسم اللغة العربية - ابتداء من شهر جانفي - كانون الثاني - من عام 1990 ، لضبط مصادر المشروع ومراجعته وتكوين مكتبته العلمية ، واستكشاف تقنياته ومنهجيته .

ويدعون كل الجامعات والمؤسسات العلمية العربية الى الاسهام في هذا الجهد .

### ـ رابعا :

يطلبون من جمعية المعجمية العربية بتونس ان تتابع كل الجهود المبذولة في هذا المجال ، اعتمادا على ما لها من تجربة وتقليد في مجال المعجمية ، كما يدعونها الى تنسيق تلك الجهود ، في انتظار الدعوة الى ندوة مختصة مقبلة للنظر فيها وتقويمها .

### خامسا :

يطلبون من جمعية المعجمية العربية بتونس السعي الى تأييد قضايا المعجمية ومساثلها ، بدعوة الجامعات والمؤسسات العلمية المختصة في الاقطار العربية الى تشجيع المهتمين بقضايا المعجم العربي النظرية والتطبيقية ودعمهم والانفاق على مشاريع بحوثهم ذات الصلة ، وتمكينهم من العمل في مجالات المعجمية ، ومن التنسيق في ذلك مع اشقاتهم في جمعية المعجمية العربية بتونس ، لتتظافر الجهود وتحقق المنشود .

### ـ سادسا :

يدعون حكومات الدول العربية ، والمؤسسات الاقتصادية العربية والعالمية الى دعم مشروع معجم العربية التاريخي ماديا ومعنويا ، فهو مشروع لغوي قومي انساني حضاري يستحق الدعم والمساندة . وهم يكلون مهمة متابعة هذه الدعوة بالطرق الرسمية الى جمعية المعجمية العربية بتونس ، على ان يساند المشاركون هذه الدعوة بقدر امكانياتهم وصلاتهم الشخصية ، وان يقوموا بدعم هذا المشروع

اعلاميا، لكسب جهود المختصين في مجال المعجمية ومشاركتهم في  
الاقطار العربية، وذوي الخبرة والاختصاص والصلة من المهتمين في  
هذا المجال في العالم.

— سابعا :

يشكر المشاركون في الندوة جمعية المعجمية العربية بتونس، ومن  
اسهم معها في تنظيم هذه الندوة على دعوتهم الى المشاركة فيها، وعلى  
جهودهم في انجاح اشغالها، وباركون خطواتهم، ويحثونهم على الاقدام  
على تحقيق هذا المشروع الحضاري العملاق، ويساندونهم في ذلك .  
كما يشكرون للجمعية إتاحتها فرصة الانضمام اليها، والحصول  
على عضويتها، ليكونوا أعضاء عاملين ملتزمين بالعمل على تحقيق  
أهدافها العلمية القومية الحضارية النبيلة .  
ولا ينسون تسجيل شكرهم الى من أبدوا استعدادهم لوضع  
خبراتهم وخبرات مؤسساتهم في سبيل تحقيق هذا المشروع .

والله ولي التوفيق

تونس في 17 / 11 / 1989